

وَقَفَّ لِلَّهِ تَعَالَى

موارد الظَّمان لدروس الزمان خطبٌ وحكمٌ وأحكامٌ وقواعدٌ ومواعظٌ وآدابٌ وأخلاقٌ حسانٌ

تأليفُ الفقيرِ إلى عفوِ ربِّه

عبدِ العزيزِ بنِ مُحَمَّدِ السَّلْمَانِ

المدرس في معهدِ إمامِ الدعوةِ بالرياضِ
سابقاً

الجزءُ الخامسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَوَائِدُ عَظِيمَةِ النِّفَعِ

وَقَفَ قَوْمٌ عَلَى عَالِمٍ فَقَالُوا : إِنَّا سَأَلُوكَ أَفْمَجِّبِينَا أَنْتَ ؟ قَالَ : سَلُوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ النَّهَارَ لَنْ يَرْجَعَ وَالْعُمُرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبُ حَيْثُ فِي طَلَبِهِ . قَالُوا : فَأَوْصِنَا . قَالَ : تَزَوَّدُوا عَلَى قَدْرِ سَفَرِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُعْيَةَ . ثُمَّ قَالَ : الْأَيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرٌ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُفَّالِ وَالْحَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوَظَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ . تَزَوَّجِ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا الْحُسْرَانُ . أ . ه . قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَزَوَّجَتِ الْبَطَالَةَ بِالتَّوَانِي فَأَوْلَدَهَا غُلَامًا مَعَ غُلَامِهِ

فَأَمَّا الْإِبْنُ سَمُوهُ بِفَقْرٍ وَأَمَّا الْبِنْتُ سَمُوها نَدَامَهُ

أَيُّهَا الْأَخُ تَدَبَّرْ أَمْرَكَ فَإِنَّكَ فِي زَمَنِ الرِّيحِ وَوَقْتُ الْبُذْرِ وَاحْدَرِ أَنْ يَخْدَعَكَ الْعَدُوُّ عَنْ نَفِيسِ هَذَا الْجَوْهَرِ فَتُنْفِقُهُ بِكَفِّ التَّبْدِيرِ وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لَتَعْرِسَنَّ شَجَرَةَ النَّدَامَةِ فَيَتَسَاقَطُ عَلَيْكَ مِنْ كُلِّ فَنٍ مِنْهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَاحْدَرِ مِنْ اخْتِلَاسِ الْأَعْدَاءِ لَهُ وَالْأَعْدَاءُ أَرْبَعَةٌ : إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَالدُّنْيَا ، وَالنَّفْسَ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ ، وَالْهَوَى .

شِعْرًا : إِيَّيْ بُلَيْتُ بِأَرْبَعِ مَا سُلِّطُوا

إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي

إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى

كَيْفَ الْخَلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملاحظة :

لا يسمح لأي إنسان أن يختصره أو يتعرّض له بما يُسمونه تحقيقاً لأن الإختصار سبب لتعطيل الأصل والتحقيق أرى أنه إتهام للمؤلف ، ولا يُطبع إلا وفقاً لله تعالى على من ينتفع به من المسلمين .

(فائدة عظيمة التفع لمن وفقه الله)

مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَقَّعَهُ
لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهَا .

الدُّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبَرَ	لَأَنَّ قَوْلَ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشَرَ
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً	يَا ذَا التُّهَى كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَ
وَتَحْمَدِ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا	جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ وَأَنْتَشَرَ
لِلَّهِ دُرٌّ رَجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ	فِيمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَ

آخر:

جَمِيعُ الْكُتُبِ يُدْرِكُ مَنْ قَرَاهَا	مِلَالٌ أَوْ فُتُورٌ أَوْ سَامَةٌ
سِوَى الْقُرْآنِ فَافْهَمِ وَاسْتَمِعْ لِي	وَقَوْلِ الْمُصْطَفَى يَا ذَا الشَّهَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢)

الملائكةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ ، فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ قَبْلُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهَمَّتْ قَلْبَكَ وَضَيَّعَتْ وَقْتَكَ ، فَمَاذَا يَبْقَى مَعَكَ ، كُلُّ الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ .

شِعْرًا: إِنِّي أَبُثُّكَ مِنْ حَدِيثِي إِنَّ الْحَدِيثَ لَهُ شُجُونُ
غَيَّرْتُ مَوْضِعَ مِرْقَدِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ
قُلْ لِي فَأَوْلَ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى يَكُونُ

(٣)

اعْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مِدَارٌ عَظِيمٌ ، وَحِصْنُ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ ، وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فِجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَعَقْلَةٍ ، وَهُوَ فِي غِرِّهِ وَفُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

شِعْرًا: سَلِ اللَّهَ عَقْلًا نَافِعًا وَاسْتَعِذْ بِهِ مِنْ الْجَهْلِ تَسْأَلُ خَيْرٌ مُعْطٍ لِسَائِلِ
فَبِالْعَقْلِ تَسْتَوْفِي الْفَضَائِلَ كُلَّهَا كَمَا الْجَهْلُ مُسْتَوْفٍ جَمِيعَ الرِّذَائِلِ

فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ النَّفْعِ

قال أحد العلماء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : عَلَيْكَ يَا أُخِي بِمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَقَهْرِهِ ، وَذَلِكَ لِخَصَلَتَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ عَدُوٌّ مَظِلٌّ مُبِينٌ لَا مَطْمَعَ فِيهِ بِمُصَالِحَةٍ وَاتِقَاءٍ شَرِّهِ أَبَدًا لِأَنَّهُ لَا يَرْضِيهِ وَيَقْنَعُهُ إِلَّا هَلَكَ أَصْلًا فَلَا وَجْهَ إِذَا لِلْأَمْنِ مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ وَالْعَقْلَةَ عَنْهُ ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ، وَالْخِصْلَةُ الثَّانِيَّةُ أَنَّهُ مُجْبُولٌ عَلَى عِدَاوَتِكَ وَمُنْتَصِبٌ لِمُحَارَبَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَرْمِيكَ بِسَهَامِهِ وَأَنْتَ غَافِلٌ عَنْهُ ثُمَّ هَوْلَهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عِدَاوَةٌ عَامَةٌ ، وَمَعَ الْجِتْهِدِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ عِدَاوَةٌ خَاصَةٌ وَمَعَهُ عَلَيْكَ أَعْوَانُ نَفْسِكَ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ وَالْهَوَى وَالذُّنْيَا وَهُوَ فَارِغٌ وَأَنْتَ مُشْغُولٌ وَهُوَ يِرَاكُ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ وَأَنْتَ تَنْسَاهُ وَلَا يَنْسَاكَ فِإِذَا لَا بَدَّ مِنْ مُحَارَبَتِهِ وَقَهْرِهِ ، وَإِلَّا فَلَاتَأْتِي مِنَ الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ ، وَمُحَارَبَتِهِ بِالْإِسْتِعَاذَةِ بِاللَّهِ وَالْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِهِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم وفقنا الله وإيّاك وجميع المسلمين أنه لم يؤثر عن أحدٍ من السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان تعظيم أحد من أهل البدع والموالين لأهل البدع والمنادين بمولاتهم ، لأن أهل البدع مرضى قلوب ويخشى على من خالطهم أو اتصل بهم أن يصل إليه من ما بهم من هذا الداء العضال ، لأن المريض يعدي الصحيح ولا عكس ، فالحذر الحذر من جميع أهل البدع ، ومن أهل البدع الذين يجب البعد عنهم وهجرانهم ، الجهمية ، والرافضة ، والمعترضة ، والماتريديّة ، والخوارج ، والصوفية ، والأشاعرة ، ومن على طريقتهم من الطوائف المنحرفة عن طريقة السلف ، فينبغي للمسلم أن يحذرهم ويحذر عنهم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

فائدة عظيمة المنفعة

العلم بما جاء عن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وما جاء عن رسوله ﷺ خير ميراث ، والتوفيق من الله خير قائد ، والاجتهاد في طاعة الله خير بضاعة ولا مال أحسن من عمل الرجل في يده ولا مصيبة أعظم من الكفر بالله ، ولا عوين أوثق من الاعتماد على الله ، ثمّ مشاورّة أصحاب الرأي من المؤمنين ، ولا أوحش من الكبر والعجب والكفر والنفاق .

[وقف لله تعالى]

(فصل في تحريم النميمة)

ويجب اجتناب النميمة قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بلى ، قال : » المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت . رواه أحمد .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعِضَةُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » . رواه مسلم . وعن عبد الرحمن بن غنم وأسماء بنت يزيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رَوَّأَ ذَكَرَ اللَّهَ وَشَرَّارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ الْبَاغُونَ الْبِرَاءَ الْعَنْتَ » . رواهما أحمد والبيهقي في شعب الإيمان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين يعذبان فقَالَ : « إِنَّهُمَا يَعْذَبَانِ وَمَا يَعْذَبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَتَسَبَّرُ مِنْ بَوْلِهِ » . الحديث رواه البخاري .

فالنميمة نقل كلام بعض الناس لبعض لقصد الإفساد ، وإيقاع العداوة والبغضاء ، فالنم خلق ذميم لأنه باعث للفتن وقاطع للصلوات وزارع للحقد ، ومفرق للجماعات ، يجعل الصديقين عدوين والأخوين أجنبيين ، والزوجين متنافرين ، فهذه المعصية معصية النميمة ،

ولا يرضاها لنفسه إلا من انحطت قيمته ودنوت نفسه ، وكانَ عندها حقيراً ، وصار كالذباب ينقل الجراثيم .

وأما من كانَ يشعر بنفسه ، فلا يرضى لها هذه الحالة ، وهي حرام بجميع أنواعها ، سواء كانت بين الأصدقاء والأصحاب أو عندَ أرباب الجاه والسُّلطان ، وهي شر أنواع النميمة وأشدَّ خطراً فإن هذه هي السعاية ولا يخفى ما وراء ذلك من المفاصد العظيمة فكم جرت من ويلات على كثير من الأبرياء المؤمنين الغافلين طاهري القلوب سليمي الصدور فقضت على أرواحهم وأموالهم وكم نكلت بكثير من العلماء فأخرجتهم من ديارهم وأموالهم وأصبحوا عرضة للمحن والنوائب وكم ضرت بصالحين مطمئنين فأودعتهم السجون وسلبتهم الحقوق ، وجعلت للفسقة عليهم سلطاناً ، وكم حرمت أطفالاً من قوتهم وسلبت منهم نعيمهم بدون جناية اقترفوها أو كانت بين زوجين ، أو بين الأهل والأقرباء ، ولا ريب في أن النميمة في هذه الحالة أشد من النميمة بين الأصدقاء والأصحاب ، لإفضائها إلى قطيعة الرحم والطلاق غالباً ، ومن ذلك النميمة بين الجماعات والإفساد بين القبائل ومن ذلك النميمة لرفع الثقة من مزاحم في تجارة أو صناعة أو زراعة ومن ذلك النميمة لإنزال شخص عن مكانته واحترامه عند فئة من الناس . هَذَا معظم أنواع النميمة ، وهي كما ترى من شر ما منيت به الفضيلة ورزئت به الإنسانية فليتنق الله ذووا الألسنة الحداد ولا ينطقوا إلا بما فيه الخير لخلق الله ، ويكفيكم في هَذَا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ومن كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . رواه البخاري ومسلم .

فإذا تبين أن النميمة داء وبيل ، وشر خطير تترتب عله كُـلُّ هذه الشرور والمفاسد فعلى من نُـقِـلْتُ إليه النميمة مثل أن يُـقَالَ له : قال فيك فلان كذًا وكذًا ، أو فعل في حقك كذًا ونحو ذلك أن لا يصدق الناقل لأن المنام فاسق لا يصح الوثوق بخبره .

ثانيًا : أن ينهي الناقل وينصحه إن كَانَ يظن به خيرًا ويعتقد أن يتأثر بالموعظة الحسنة فيذكر له ما يترتب على نمامته من إيذاء الأبرياء وظلم الناس في أموالهم وأرزاقهم ويحذره من عاقبة وشايته وأنه ربما ينكشف أمره عِنْدَ حاكمٍ عادلٍ فيقتص منه شر قصاصٍ أو يظهر كذبه عِنْدَ من ينقل إليه فينعكس غرضه وأنه ربما نم على رجل أقوى منه فينتقم لنفسه بما لا قبل له به وإن المنام ساقط المروءة في أنظار الناس ، مبعوضًا عندهم حتى أقربائه الَّذِينَ فِيهِمْ خَيْرٌ وصلاح ، فرما يرتدع بِذَلِكَ .

ثالثًا : أن لا يظن بأخيه الغائب السوء وخير علاج يقضي عَلَيْهِ أن ينصرف الناس عن المنام ولا يستمعون له لأنه حسود وأكثر من يعادي أهل الفصل والدين الحساد لأنهم لا يرضون أعمالهم ، وتجذ الحسود إذا عجز أن يصل إلى ما وصل إليه الكرام يعيهم ويتنقصهم .
قال الشاعر :

إِذَا بَعْدَ الْعُنُقُودُ عَنْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ قَالَ مُرٌّ وَحَامِضٌ
آخِرُ : وَقَدْ يَنْبَحُ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهُ مَهَامَهُ تُعْشِي نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ

قال الشاعر : (وَدُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِدِي الْفَضْلِ مَوْلَعٌ)

وَيَقُولُ الْآخِر:

حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُّ لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى

وَيَقُولُ الْآخِر:

إِلَّا عَلَى أَعْنَاقِ أَهْلِ السُّودِ وَكَذَا الْمَنَائِمَا مَا يَطَّانُ بِمَنْسَمٍ

وَيَقُولُ الْآخِر:

إِنَّ الْوَرَى أَعْدَاءُ مَنْ فَضَلَ الْوَرَى

آخِر: الْمَرْءُ يُقَالَى إِنَّ عَالَا حَسَدًا وَيُهَوَى إِنَّ هَوَى

أَبَدًا وَيُسْتَقَى إِنَّ ذَوَى كَالْعُضْنِ يُرْجَمُ مَشَمَّرًا

آخِر: وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهَجَى وَتُمدَّحُ

وَيَقُولُ الْآخِر:

وَذُو الْفَضْلِ لَا تَلْقَاهُ إِلَّا مُحَسَّدًا وَيَبِيْتُ قَوْمٌ يُحَسَدُونَ مُحَمَّدًا

آخِر: وَكَانَمَا شَرَفُ الشَّرِيفِ إِذَا انْتَمَى جُرْمٌ جَنَاهُ عَلَى اللَّئِيمِ الرَّاضِعِ

آخِر: مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتَ حَوَاسِدِ إِنَّ الْحِسَانَ مَظَنَّةٌ لِلْحُسَّادِ

آخِر فِي التَّحْذِيرِ مِنَ النَّيْمَةِ وَالغَيْبَةِ وَالبَهْتِ إِخ... .

فَإِنَّ النَّمَّ يُحْبِطُ كُلَّ أَجْرٍ تَنْحَ عَنِ النَّيْمَةِ وَاجْتَنِبْهَا

وَيَكْشِفُ لِلْخَلَائِقِ كُلِّ سِرٍّ يُثِيرُ أَخُو النَّيْمَةِ كُلَّ شَرٍّ

وَلَيْسَ النَّمُّ مِنْ أَفْعَالِ حُرٍّ وَيَقْتُلُ نَفْسَهُ وَسِوَاهُ ظَلَمًا

آخِر:

وَإِفْشَاءُ سِرٍّ ثُمَّ لَعْنٌ مُقَيَّدٌ وَيَحْرُمُ بُهْتٌ وَاعْتِيَابٌ نَيْمَةٌ

آخر: وَصَاحِبُ النَّمِّ كَالدَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا
 مَا ارْفَضَ فِي الْجِلْدِ يَجْرِي هَا هُنَا
 يُبْدِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ
 وَمَا يَرَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحِ دَفْنَا
 آخر: وَلِدَيَانَاتِ أَهْلِ يَعْرِفُونَ بِهَا
 وَلِنَمَامَةٍ بَيْنَ النَّاسِ فُسَّاقُ

روي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية في رجل آخر فقال
 عمر : إن شئت حققنا هذا الأمر الذي تقول فيه وننظر فيما نسبته إليه .
 فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ وإن كنت
 صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ وإن شئت عفونا عنك فقال :
 العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً .

إِذَا وَاشِيَّ أَتَاكَ بِقَوْلٍ زُورٍ
 فَلَا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلٍ وَاشِي
 وَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ كُلِّ سِرٍّ
 إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ فَاشِي
 وَلَا تَصْحَبْ قَرِينَ السُّوءِ وَأَنْظُرْ
 لِنَفْسِكَ مَنْ تُقَارِنُ أَوْ تُمَاشِي

ورفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه على أخذ مال يتيم وكان له مال كثير فكتب
 على ظهره الرقعة : النميمة قبيحة ، وإن كانت صحيحة والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ،
 والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله . وقال الحسن البصري : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه
 ينقل إلى غيرك حديثك ووشى رجل برجل إلى أحد الولاة فقال : أحب أن نقبل منك ما قلت
 فيه على أن نقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ، قال : فكف عن الشر يكف عنك .

شِعْرًا: لَا تُفْشِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى امْرِئٍ

يُفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ

فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا

فَكَذًا بِسِرِّكَ لَا أَبَالَكَ يَصْنَعُ

آخر: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ إِلَّا النَّمَامَةَ وَالطَّاعُونَ وَالْهَرَمَا

آخر: لَا تَقْبَلَنَّ نَمِيمَةً بُلَّغَتْهَا

وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا

إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيمَةً

سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وَقَالَ ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث . أشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ، ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطاً من قوله تعالى : ﴿ عُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ والزنيم هو الدعي .

وروى أن بعض السلف زار أخا له ، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة ، وأتيتني بثلاث جنائيات ، بغضت إلى أخي ، وشغلت قلبي بسبه ، واتهمت نفسك الأمانة . أ . ه .

شِعْرًا: لِسَانَ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ

وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فِكْيِهِ مَقْتَلُ

إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذَرَهُ

فَذَلِكَ لِسَانُ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ

وَكَمْ فَاتِحِ أَبْوَابِ شَرِّ لِنَفْسِهِ

إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ

كَذَا مَنْ رَمَى يَوْمًا شَرَارَاتِ لَفْظِهِ

تَلَقَّتْهُ نِيرَانُ الْجَوَابَاتِ تَشْعَلُ

وَمَنْ لَمْ يُقَيِّدْ لَفْظَهُ مُتَحَمِّلاً

سَيُطْقُ فِيهِ كُلَّ مَا لَيْسَ يَجْمَلُ

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي فِيهِ مَاءٌ صَيَانَةَ

فَمِنْ وَجْهِهِ غُصْنُ الْمَهَابَةِ يَذْبَلُ

فَلَا تَحْسَبَنَّ الْفُضْلَ فِي الْحِلْمِ وَحْدَهُ بَلِ الْجَهْلُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَفْضَلُ
وَمَنْ يَنْتَصِرْ مِمَّنْ بَعَى فَهُوَ مَا بَعَى وَشَرُّ الْمُسِيئِينَ الَّذِي هُوَ أَوْلُ
وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ الْقِصَاصَ بِعَدْلِهِ وَلِلَّهِ حُكْمٌ فِي الْعُقُوبَاتِ مُنْزَلُ
فَإِنْ كَانَ قَوْلٌ قَدْ أَصَابَ مَقَاتِلًا فَإِنَّ جَوَابَ الْقَوْلِ أَدْهَى وَأَقْتَلُ
وَقَدْ قِيلَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ وَخَزْنِهِ مَسَائِلُ مَنْ كَلَّ الْفَضَائِلِ أَكْمَلُ
وَمَنْ لَمْ يُقَرِّبْهُ سَلَامَةٌ غَيْبِهِ فَتُقَرَّبَانَهُ فِي الْوَجْهِ لَا يُتَقَبَّلُ
وَمَنْ يَتَّخِذْ سُوءَ التَّخْلُفِ عَادَةً فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي عِتَابٍ مُعْوَلُ
وَمَنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الْوَقِيعَةُ طَالِبًا بِهَا عِزَّةٌ فَهُوَ الْمُهَيَّنُ الْمُدَلَّلُ
وَعَدْلٌ مُكَافَاةُ الْمُسِيءِ بِفِعْلِهِ فَمَاذَا عَلَى مَنْ فِي الْقَضِيَّةِ يَعْدِلُ
وَلَا فَضْلَ فِي الْحُسْنَى إِلَى مَنْ بَلَى عِنْدَ مَنْ يَزُكُو لَدَيْهِ التَّفْضُلُ
وَمَنْ جَعَلَ التَّعْرِيبَ مَحْضُولَ مَرْحِهِ فَذَاكَ عَلَى الْمُقْتِ الْمُصْرَحِ يَحْضُلُ
وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ عَجَبًا بِرَأْيِهِ أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ
أَعْلَمِكُمْ مَا عَلَّمْتَنِي تَجَارِي وَقَدْ قَالَ قَبْلِي قَائِلٌ مُتَمَثِّلُ
إِذَا قُلْتَ قَوْلًا كُنْتَ رَهْنَ جَوَابِهِ فَحَازِرُ جَوَابِ السُّوءِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلَّمًا فَدَبَّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(موعظة)

عباد الله إن صفات الشر وخصال السوء ما وجدت في قوم إلا كانوا أهلاً لغضب الله وسخطه فاستحقوا الشقاء والذل في الدنيا والآخرة وإن من أقبح الخصال وأشنع الخلال الغيبة والنميمة وقد انهمك الناس فيهما وصارت مجالسهم لا تعمر إلا بهما يسمع المرء من أخيه الكلمة ليفرج بها من كربه ويخفف بها من آلامه فينقلها إلى صاحبها قصد الإيقاع به والتفريق بين المؤمنين هذه يا عباد الله غاية الدناءة ، ومنتهى الخسة والندالة واللامة ألا شهامة تحمل النمام على كتمان سر أخيه ألا مروءة تمنعه من أن ينم على أخيه المسلم ، إن النمام لا يعرف

للشهادة سبيلاً ، ولا للمروءة طريقاً ، إن من ينم على المسلمين ليبدل الود جحفاً وبغضاً والصفو كدرًا وحقداً ويفتح أبواب الشرور والجنايات على مصراعَيْهَا بين المؤمنين من أكبر المصائب ، وأشد الرزايا على هذا المجتمع الإنساني ، وكذلك الغيبة فإنها تذهب الحسنات ، وأنت تريد أن تكشفه للناس تريد منهم أن يحقروه ويزدروه ويحترسوا منه أن يكون يوماً لهم من الأصحاب أنت تريد منهم أنه أن خطب منهم منعه لتحقيقك إياه عندهم تريد من غيبتك له أن يبعد منهم ويكون منطويًا عنهم لما لقتنهم مما ذكرته فيه ويكون في وحشية منهم وتريد منهم أن لا يردوا عليه السلام إذا سلم لما عندهم له مما لقتنهم من الازدراء والاحتقار وإن كان صانعًا فبسبب غيبتك له أن يجفوا صنعه فتقف ، وإن كان تاجرًا فتريد بغيبتك أن تحسر تجارته لإعراضهم عنه ، وتريد أنه إذا كان له أولادٌ أو بناتٌ يرغب في تزويجهم أن يأنف الناس منهم فيبيرون ، هذا والله شيء يؤلم النفوس الزكية لأنها مضار عظيمة جدًا تنزل بمن تغتابه فعلى العاقل أن لا يصدق المغتاب أن يرده خائبًا ولا يظن بأخيه المسلم إلا خيرًا .

اللَّهُمَّ يا من بيده خزائن السماوات والأرض عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإننا ضعفاء عن حملها ، وإن كنا من أهلها ، اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال ، ونجنا من جميع الأهوال ، وأمنا من الفزع الأكبر يوم الرجف والزلال ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلّى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

يُشَارِكُكَ الْمُغْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ

وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

وَيَحْمِلُ وِزْرًا عَنْكَ ظَنَّ بِحَمْلِهِ
 عَنِ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَنَنَايِهِ
 فَكَافِيهِ بِالْحُسْنَى وَقُلْ رَبِّ جَارِهِ
 بِخَيْرٍ وَكَفَّرْ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ
 فَيَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ زِدْنِي فَإِنْ بَقِيَ
 ثَوَابُ صَلَاةٍ أَوْ زَكَاةٍ فَهَاتِيهِ
 فَعَيِّرْ شَقِيًّا مَنْ بَيَّتُ عَدُوَّهُ
 يُعَامِلُ عَنْهُ اللَّهُ فِي غَفْلَاتِهِ
 فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ ضَرَّ نَفْسَهُ
 بِإِمْعَانِهِ فِي نَفْعِ بَعْضِ عِدَاتِهِ
 وَأَعْجَبُ مِنْهُ عَاقِلٌ بَاتَ سَاخِطًا
 عَلَى رَجُلٍ يُهْدِي لَهْ حَسَنَاتِهِ
 وَيَحْمِلُ مِنْ أَوْزَارِهِ وَذُنُوبِهِ
 وَيَهْلِكُ فِي تَخْلِيصِهِ وَنَجَاتِهِ
 فَمَنْ يَحْتَمِلُ يَسْتَوْجِبِ الْأَجْرَ وَالنَّاسَا
 وَيُحْمَدُ فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ وَفَاتِهِ
 وَمَنْ يَنْتَصِفُ يَنْفَخُ ضِرًّا مَا قَدْ انْطَفَى
 وَيَجْمَعُ أَسْبَابَ الْمَسَاوِي لِذَاتِهِ
 فَلَا صَالِحٌ يُجْزَى بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
 وَلَا حَسَنٌ يُثْنَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ
 يَظَلُّ أَحْوَى الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ لَحْمَهُ
 كَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَالِ مَمَاتِهِ

وَلَا يَسْتَحِي مِمَّنْ يَرَاهُ وَيَدَّعِي
 بِأَنَّ صِفَاتِ الْكَلْبِ دُونَ صِفَاتِهِ
 وَقَدْ أَكَلَا مِنْ لَحْمِ مَيِّتٍ كِلَاهُمَا
 وَلَكِنْ دَعَى الْكَلْبُ اضْطِرَارُ افْتِيَانِهِ
 تَسَاوَيْتُمَا أَكْلًا فَأَشَقَّاكُمَا بِهِ
 غَدًا مَنْ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنْ تُبَعَاتِهِ
 وَمَا لِكَلَامٍ مَرَّ كَالرَّيْحِ مَوْقِعٌ
 فَيَتَّقِي عَلَى الْإِنْسَانِ بَعْضُ سِمَاتِهِ

(فَصْلٌ)

تُحْمُ اعْلَمُ أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى النَّمِيمَةِ إِذَا إِرَادَةَ الشُّؤْمِ بِالْمُحْكِيِّ عَنْهُ ، أَوْ إِظْهَارِ الْحُبِّ لِلْمُحْكِيِّ لَهُ أَوْ التَّفْرِجِ بِالْحَدِيثِ أَوْ الْخَوْضِ فِي الْفُضُولِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَمِنْ آفَاتِ الْكَلَامِ كَلَامُ ذِي اللِّسَانِينَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ لِكُلِّ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ بِكَلَامٍ يُوَافِقُهُ فَيُظْهِرُ لَهُ إِذَا قَابَلَهُ أَنَّهُ صَدِيقُهُ الْحَمِيمِ الْحَرِيصِ عَلَى مَصْلَحَتِهِ السَّاعِي فِي مَنَفَعَتِهِ وَيُظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِعَدُوِّهِ وَأَنَّهُ حَرْبٌ عَلَيْهِ مِثْلُهُ فَيَغْتَرُّ بِقَوْلِهِ وَيُنْخَدِعُ بَوَاشِيهِ فَيُفْضِي إِلَيْهِ بِخَبِيئِهِ وَيُبَوِّحُ لَهُ بِأَسْرَارِهِ أَوْ اتَّقَى بِهِ شَرَّهُ وَكَيْدَهُ ، وَمَكْرَهُ وَخَدَاعَهُ فَإِذَا فَاقَرَهُ ذَهَبَ إِلَى عَدُوِّهِ وَأَعْلَمَهُ بِخَبِيئِهِ وَأَمْرَهُ وَمَكْتُومِ سِرِّهِ وَطَعَنَ فِي عَرَضِهِ وَنَالَ مِنْ شَرَفِهِ وَأَظْهَرَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ وَأَنَّهُ لَهُ الصَّدِيقُ الْوَفِيُّ فَتَطْمَئِنُّ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَيَنْطَلِقُ فِي ذِمِّ الْآخِرِ وَالنَّيْلِ مِنْ عَرَضِهِ ثُمَّ يَحْدُثُ هَذَا بِمَا فَكَّرَ فِيهِ وَقَدَّرَ وَبَيَّنَّ وَدَبَّرَ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَى الْأَوَّلِ وَيَقْصُهُ عَلَيْهِ قِصًّا يُوغِرُ صَدْرَهُ وَيَشْعَلُ فِي قَلْبِهِ نَارَ الْعَدَاوَةِ فَيَزِدُّ الْعَدَاوَةَ ، وَتُرَبُّو الْبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ وَهَكَذَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْحَرْبَيْنِ فَمِثْلُ هَذَا مُنَافِقُ كَذَابٍ نَمَامٍ خَدَاعٍ غَشَّاشٍ مَكَارٍ ظَالِمٍ .

شِعْرًا: صَافِي الْكَرِيمِ وَخَيْرُ مَنْ صَافَيْتُهُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ تَضَعَّصَ حَالَهُ
 وَاحْذَرِ مُوَاخَاةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ
 وَالنَّاسُ مِثْلُ ذَرَاهِمٍ مَيَّرْتَهَا
 آخِر: لَا تَمْدَحَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ
 فَالذَّلَّ وَالذَّلَّ فِي التَّصْوِيرِ وَاحِدَةٌ
 مَنْ كَانَ ذَا دَيْنٍ وَكَانَ عَفِيفًا
 فَالطَّبْعُ مِنْهُ لَا يَزَالُ شَرِيفًا
 يُبْدِي الْقَبِيحَ وَيَكْتُمُ الْمَعْرُوفَا
 فَوَجَدْتَ فِيهَا فِصَّةً وَزُيُوفَا
 فَرَبَّمَا قَامَ إِنْسَانٌ مَقَامَ فِتْنَةٍ
 وَالذَّلَّ أَرْبَعَةٌ وَالذَّلَّ سُبُعُمَائَةٌ

يشار بذلك إلى الأعداء الأبعداء في قول فذال أربعة والذال سبعمائة ورسمهما واحد إلا أن
 الذال تتميز بنقطة فقط .

شِعْرًا: وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ وُدُّهُ بِلِسَانِهِ
 يُضَاحِكُنِي عُجْبًا إِذَا مَا لَقِيْتُهُ
 كَذَلِكَ ذُو الْوَجْهَيْنِ يُرْضِيكَ شَاهِدًا
 آخِر: تَطَلَّبْتُ فِي الدُّنْيَا خَلِيلًا فَلَمْ أَجِدْ
 فَكَمْ مُضْمِرٍ بُغْضًا يُرِيكَ مَحَبَّةً
 آخِر: تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نَسْرُ بِقُرْبِهِ
 وَحَقَّ لِحَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ جَارُهُ
 آخِر: لَا أَشْتَكِي زَمَنِي هَذَا فَأَظْلِمُهُ
 هُمُ الذِّيَابُ الَّتِي تَحْتَ الثِّيَابِ فَلَا
 آخِر: مَنْ عَاشَ غَيْرَ مُدَاجٍ مَنْ يُعَاشِرُهُ
 كَمْ صَاحِبٍ يَتَمَنَّى لَوْ نُعِيَتْ لَهُ
 حُؤُونٍ بَطَّهَرَ الْعَيْبِ لَا يَتَدَمَّمُ
 وَيَصْدِفُنِي مِنْهُ إِذَا غَبَتْ أَسْهُمُ
 وَفِي غَيْبِهِ إِنْ غَابَ صَابٌ وَعَلَقَمُ
 وَمَا أَحَدٌ غَيْرِي لِذَلِكَ وَاجِدُ
 وَفِي الزَّنْدِ نَارٌ وَهُوَ فِي اللَّئِمِ بَارِدُ
 وَصَارَ زُعَافًا بَعْدَ مَا كَانَ سَلْسَلَا
 وَلَا لَا أَمْتُهُ الدَّارُ أَنْ يَتَحَوَّلَا
 وَإِنَّمَا أَشْتَكِي مَنْ أَهْلٍ ذَا الزَّمَنِ
 تَكُنْ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمُؤْتَمِنِ
 أَسَاءَ عَشْرَةَ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانِ
 وَإِنْ تَشَكَّيْتُ آخَانِي وَفَدَّانِ

ومن الآفات المهلكة التي يتأكد تجنبها في رمضان وغيره المدح وله ست آفات أربع في المدح واثنان في الممدوح الأولى : أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب . الثانية : أنه قد يدخله الرياء إذ لا يكون قلبه كذلك . الثالثة : أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الإطلاع عليه . الرابعة : أنه قد يمدح الظالم والفسق والكافر والمنافق وهذا أمر عظيم . الخامسة : أنه يحدث في الممدوح كبيراً وإعجاباً ، وهما مهلكتان . السادسة : أنه يحدث في الممدوح فتوراً ورضى عن نفسه ، عندما يثني عليه بالخير ، ويحصل معه فرح وسرور ، فيقل اجتهاده وتشميره عن العمل لأنه يظن أنه قد أدرك النهاية وقد وردت أحاديث في ذم المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحو .

من ذلك ما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِبُهُ فِي الْمَدْحِ فَقَالَ : « أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ » . متفق عليه . والإطراء المبالغة في المدح .

وقد بالغ بعض الشعراء الذين يتقربون إلى أسيادهم بما يرضيهم طمعاً في الدنيا ، أو اتقاء شرهم ، ولولا التحذير عن مثلها لما سقناها نسأل الله العافية : قال المتنبي :

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْلَمُهُ
وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

وَيَقُولُ الْآخِرِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ :

مَا شِئْتُ لَا مَا شَاءَتْ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْمَالِكُ الْقَهَّارُ

ولو اعتصم بالله وعلم أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله جلَّ وَعَلَا لأغناه وكفاه ، وحال بين من يخشاه وبينه ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وعلام يخضع المؤمن أو يتذلل لمخلوق مثله ، يحتاج إلى ما يحتاج إليه .

شِعْرًا: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرَّزْقُ بِالطَّلَبِ وَلَا الْعَطَايَا لِذِي عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ
 إِنَّ قَدَرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
 آخِر: صَرَفْتُ عَنِ الْكُثْرَاتِ وَجْهَ تَوْجُوهِي
 فَمَا خَابَ مَصْرُوفًا إِلَى الْحَقِّ وَجْهُهُ
 آخِر: لَوْ أَنَّي خَيْرْتُ كُلَّ فَضِيلَةٍ
 كُلُّ الْأُمُورِ تَزُولُ عَنْكَ وَتَنْقُضِي
 آخِر: مَوْلَاكَ يَكْفِيكَ فَالْزَمْ بَابَ طَاعَتِهِ
 مَنْ يَعْتَمِدُ غَيْرَهُ يَرْجِعُ بِمَحْرَمَةٍ
 نَصَحْتِكَ لَا تَسْأَلُ مِنَ النَّاسِ وَالْتِمَسْ
 فَلَوْ سَأَلَ النَّاسُ التُّرَابَ لَأَوْشَكُوا
 آخِر: لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
 وَلَا الْعَطَايَا لِذِي عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ
 يَوْمًا وَجَدْتَ إِلَيْهِ أَقْرَبَ السَّبَبِ
 إِلَى وَحْدَةِ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ الْمَمَجَّدِ
 وَقَدْ خَابَ مَنْ أَضْحَى إِلَى الْخَلْقِ
 مَا اخْتَرْتُ إِلَّا صَالِحِ الْأَعْمَالِ
 إِلَّا الْعَمَلِ لِلَّهِ فَهُوَ الْبَاقِي
 فَقَدْ كَفَى النَّاسَ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا
 كَالْمُبْتَغِي بِالْفَلَا الصَّحْرَاءِ أَحْوَاتًا
 بِكَفَيْكَ فَضَلَ اللَّهُ فَالْزُقْ أَوْسَعُ
 إِذَا قِيلَ هَاتُوا أَنْ يَمَلُّوا وَيَمْنَعُوا
 فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصُ مِنْكَ فِي الدِّينِ

وَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ فَإِنَّمَا الْأَمْرُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ

يشير إلى قول الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .
 وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى
 عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ » . يَقُولُهُ
 مِرَارًا « إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيُقِلْ أَحْسِبُهُ كَذًا وَكَذَا . إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكُ ،
 وَحَسْبِيئُهُ اللَّهُ وَلَا يُرَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا » . متفق عليه .

وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْمِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَجَعَلَ يَخْتُو فِي وَجْهِهِ الْحُصْبَاءَ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : مَا
 شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ فَاحْثُوا فِي
 وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . رواه مسلم .

وقد ذكر شراح الحديث أن المداحين المعنيين هنا هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة يستألون
 به فأما من مدح على الأمر الحسن والفعل الجميل ترغيباً وتنشيطاً وتحريضاً للناس على الاقتداء
 به فليس بمداح وختاماً فإن التمدح مدرجة إلى الكذب والمسلم يجب أن يكون نبيهاً حذراً يثنى
 على غيره فلا يذكر إلا ما يعلم من خير ولا يجنح إلى المبالغة في المدح فمهما كان الممدوح
 جديراً بالثناء فإن المبالغة في مدحه ضرب من الكذب على أن الممدوح إن كان رزين العقل
 انتقد المتجاوز للحد في مدحه كما قيل .

وَمَدْحُكَ الشَّخْصَ بِالْأَخْلَاقِ يَعْدِمُهَا
لِلْحُرِّ ذِي اللَّبِّ تَبَكَّيْتُ وَتَخَجَّيْلُ
وَقَالَ الْآخَرُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ
فَمَادِحُهُ يَهْدِي وَإِنْ كَانَ مُفْصِحًا
وأجاب بعض الصلحاء المبالغ في مدحه بقوله :
كُفَيْتَ أَذَى يَأْمَنُ تَعَدُّ مَحَاسِنِي
عَلَانِيَّتِي هَذَا وَلَمْ تَذِرْ بَاطِنِي
وأجاب الآخر بقوله :

وَلَوْ عَلِمَ الْخَلَائِقُ سُوءَ فِعْلِي
لَمَا رَدُّوا إِلَيَّ مِثْلِي سَلَامًا
وحيث أن الشافعي لا يحب الرياء والشهرة وطلب المدح والثناء يقول :
أَرَى الْعَرَّ فِي الدُّنْيَا إِذَا قِيلَ فَاضِلٌ
تَرَقَّى عَلَى رُؤْسِ الرِّجَالِ وَيَخْطُبُ
وَإِنْ كَانَ مِثْلِي لَا فَضِيلَةَ عِنْدَهُ
يُقَاسُ بِطِفْلِ فِي الشَّوَارِعِ يَلْعَبُ

وأما الثناء من الإنسان على نفسه فشناعة وفضاعة وقد قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وإن
كَانَ حَقًّا؟ فَقَالَ: مَدْحَ الرَّجُلِ نَفْسَهُ. وَقَالَ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ: مَنْ سَيِّدُ قَوْمِكَ؟
فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: لَوْ كُنْتَهُ لَمَا قُلْتَهُ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَمَا حَسَنَ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ

وَلَكِنْ أَخْلَاقًا تَذُمُّ وَتَمْدَحُ

وَمَا كُلُّ حِينٍ يَصْدُقُ الْمَرْءُ ظَنَّهُ
 وَلَا كُلُّ أَصْحَابِ التَّجَارَةِ يَزْبُحُ
 وَلَا كُلُّ مَنْ تَرَجُّو لِعَيْبِكَ حَافِظًا
 وَلَا كُلُّ مَنْ ضَمَّ الْوَدِيعَةَ يَصْلَحُ

وَرُبَّمَا آلَ حَبِ الْمَدْحِ بِصَاحِبِهِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ دِيدَانَهُ مَدْحَ نَفْسِهِ إِمَّا لِتَوْهَمِهِ أَنْ النَّاسَ غَفَلُوا عَنْ فَضْلِهِ وَأَخْلَوْا بِحَقِّهِ مِنَ الْمَدْحِ فَتَسَوَّقَهُ الْمُنَافَسَةُ إِلَى مَدْحِ نَفْسِهِ وَفَتَحَ بَابَ الْاسْتَهْزَاءِ عَلَيْهِ وَإِمَّا لِيُخَدِعَهُمْ بِتَدْلِيْسِ نَفْسِهِ بِالْمَدْحِ وَالْإِطْرَاءِ فَيَعْتَقِدُ الْجَهَالُ أَنْ قَوْلُهُ حَقٌّ مَتَّبِعٌ وَصَدَقَ مُسْتَمَعٌ وَإِمَّا لِتَلَذُّدِهِ بِسَمَاعِ الثَّنَاءِ وَسُرُورِ نَفْسِهِ بِالْمَدْحِ وَأَيُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ كَانَ مَدْحَ النَّفْسِ فَهُوَ الْجَهْلُ الصَّرِيحُ وَالنَّقْصُ الْفَضِيحُ ، وَالْكِبْرُ الْقَبِيحُ لِأَنَّهُ نَاشِئٌ عَنِ عَقْلِ فَاسِدٍ .
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِئُ نُورَ بَهْجَتِهِ
 هَذَا بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَالًا

وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَرْشِدَ إِخْوَانَ الصِّدْقِ الَّذِينَ هُمْ أَصْفِيَاءُ الْقُلُوبِ الَّذِينَ يَثِقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ فَهَمُ مَرَايَا الْمَحَاسِنِ وَالْعِيُوبِ لِيَنْبَهُوهُ عَلَى مَسَاوِيهِ الَّتِي صَرَفَهُ حَسَنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ عَنْهَا فَإِنَّهُمْ أَمَكْنَ نَظْرًا وَأَسْلَمَ فِكْرًا وَيَجْعَلُونَ مَا يَنْبَهُونَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَسَاوِيهِ عَوْضًا عَنْ تَصَدِيقِهِ الْمَدْحِ فِيهِ .
 قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ وَلَوْ أَتَى مِنْ نَاقِصٍ
 فَالِدُرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ

آخر: خَصَائِصُ مِنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ فَخُذْهَا مِنْ لِسَانِي بِالْوَأْتِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصُ وَوَفُورُ عَقْلٍ وَمَعْرِفَةٌ لِحَالِكَ بِالْحَقِيقَةِ
 فَإِنْ تَمَّتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ أَيُّهُ وَاسْلُكْ طَرِيقَهُ

وقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ ، إذا رأى فيه عيبًا أصلحه» . وكان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا لنصلحها . وقيل لبعض الحكماء: أتحب أن تهدى إليك عيوبك؟ قال: نعم ممن يريد براءتي من العيوب لا من عدو يشمت بالذنوب .

ومما يقارب هذا القول ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لابن عباس: من ترى نوليه حمص فقال رجلاً صحيحاً منك لا تسوء به الظن بأنه ليس من أهل الكفاية نصيحاً لك مخلصاً في طاعتك قال عمر تكون أنت ذلك الرجل قال ابن عباس: لا تنفع بي مع سوء ظنك بي لما حملت كلامي على التعريض ، وسؤال الولاية .

وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ فلأنه قصد بذلك التنبيه على استقلاله بما سأل أن يفوض إليه لمصلحة لا يقوم بها غيره وهي العلم بجميع الجهات المتعلقة بهذه الخزائن من حسن الاستخراج وحسن التصرف وإقامة العدل الكامل مع الحفظ التام لذلك فهو لما رأى الملك استخلصه لذلك وجعله مقدماً عليه وفي المحل العالي وجب عليه النصيحة التامة للملك والرعية ، وأما طلب ما يحصل به الثناء من وجه يستحب فذلك محمود ، وهو طريق إبراهيم عليه الصلاة

والسَّلَام حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ أَي اجْعَلْنِي بَحِيثَ أَفْعَلِ مَا إِذَا
مَدَحْتَ بِهِ يَكُونُ مَادِحِي صَادِقًا وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي
خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ وَيَكْثُرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ .

شعرًا: إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْقَى مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً فَسَارِعْ إِلَى حَمْدِ الْإِلَهِ وَشُكْرِهِ
وَلَا تَعْصِيَنَّ اللَّهَ فِيمَا رَزَقْتَهُ فَيَنْزِعَ عَنْكَ اللَّهُ وَاسِعَ رِزْقِهِ
آخِر: إِذَا رَبُّنَا أَعْطَاكَ دُنْيَا فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ أَهْلِ الدِّينِ قَبْلَ التَّفَلُّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وَكَلَتْ
آخِر: تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ وَذَلَّ لَهُ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَنْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَفَصَّلَ بَعْضَ النَّاسِ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ
فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْحِرْصَ فِيهِ يَزِيدُهُ
فَقُولُوا لَهُ يَزِدَادُ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
آخِر: وَدَاوِ وَلَازِمِ قَرَعَ بَابٍ مُؤَمَّلًا
فَمَا خَيَّبَ الْمَوْلَى رَجَاءَ مُؤَمَّلٍ
وَصَابِرٍ فَمَا نَالَ الْعُلَا غَيْرُ صَابِرٍ
وَقُلْ وَأَعْظَا لِلنَّفْسِ عِنْدَ التَّمَلُّلِ
مَعَ الصَّبْرِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ مُنَاكَ أَوْ
مُنَايَا كِرَامِ فَاصْبِرِي وَتَحَمَّلِي
وَدَاوِ لِسُقْمِ الْقَلْبِ وَأَعْمُرْ خَرَابَهُ بِذِكْرِكَ مَوْلَانَا فَسَبِّحْ وَهَلِّلْ

اللَّهُمَّ اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بنور منك يا نور السماوات والأرض ، اللَّهُمَّ و افتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا وارحمنا بِرَحْمَتِكَ الواسعة إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم وصلّى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين .

موعظة

أين من عمر العمائر والفلل واحترس أين من عمر الحقائق وغرس ونصب لنفسه سرير العز وجلس وبلغ الغاية في العتو والطغيان وعن الحق انتكس وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، أقلقه خوف الموت واختلس وأنزل بالقهر عن ظهر الفرس وحمل إلى دار البلاء فانطمس وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والندس فالعاقل من اغتنم الوقت قبل أن يختلس وصبر نفسه على طاعة مولاه إلى أن تنتهي الحياة وَيَنْقَطِعُ النَّفْسُ ، وَأَكْثَرُ مِنْ سُؤَالِ اللَّهِ أَنْ يُوفِّقَكَ وَيُعِينَكَ

شِعْرًا: إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ مُسْعِفًا تَهَيَّا لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُرَادُهُ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنُ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
آخِر: فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طِلَاعَ أَنْجِدِ
وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبَهْلًا وَلَا تُغْبِنَنَّ بِالنُّعْمَتَيْنِ بَلْ أَجْهِدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ غَضَّ عَلَى إِيْدِ

شِعْرًا: نَبِيٍّ وَنَجْمَعُ وَالْأَثَارُ تَنْدَرُسُ

وَنَأْمَلُ اللَّبِثَ وَالْأَعْمَارُ تُخْتَلَسُ

ذَا اللَّبِّ فَكَّرُ فَمَا ذَا الْعَيْشِ مِنْ طَمَعٍ
 لَا بُدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكِسُ
 أَيَّنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَمَنْ
 كَانُوا إِذَا النَّاسُ قَامُوا هَيَّئَةً جَلَسُوا
 وَمَنْ سُيُوفُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ
 تَخَشَى وَدُونَهُمْ الْحِجَابُ وَالْحَرَسُ
 أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ
 صَرَعَى وَصَارُوا بِبَطْنِ الْأَرْضِ وَأَنْطَمَسُوا
 وَعَمَّهَتْهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهَتْهُمْ جَدَثٌ
 بَاتُوا فَهُمْ جَثَّتْ فِي الرَّمْسِ قَدْ حِسُوا
 كَانَتْهُمْ قَطُ مَا كَانُوا وَمَا خَلِقُوا
 وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى وَنُسُوا
 وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ عَيْنَاكَ مَا صَنَعْتَ
 أَيِّدِي الْبَلَى بِهِمُوا وَاللُّدُودُ يَفْتَرِسُ
 لَعَايَنْتَ مَنْظِرًا تُشْجَى الْقُلُوبُ لَهُ
 وَأَبْصَرْتَ مُنْكَرًا مِنْ دُونِهِ الْبَلَسُ
 مِنْ أَوْجِهٍ نَاطِرَاتٍ حَارَ نَاطِرُهَا
 فِي رُؤْيَى الْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ
 وَأَعْظَمِ بَالِيَاتٍ مَا بِهَا رَمَقُ
 وَلَيْسَ تَبْقَى لَهَا ذَا وَهِيَ تَنْتَهَسُ
 وَأَلْسُنِ نَاطِقَاتٍ زَانَهَا أَدْبُ
 مَا شَأْنُهَا شَأْنَهَا فِي الْمَنْطِقِ الْخَرَسُ

حَتَّامَ يَا ذَا التُّهَى لَا تَرَعَوِي سَفَهًا

وَدَمَعَ عَيْنَيْكَ لَا يَهْمِي وَيَنْبَجِسُ

اللَّهُمَّ اهدنا بهداك إلى صراطك المستقيم ووفقنا للقيام بحقك على الوجه المطلوب يا كريم
وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ أُنَاكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابَهُ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ الشَّتْمَ وَهُوَ رَمَى أَعْرَاضِ النَّاسِ بِالْمَعَائِبِ الْقَبِيحَةِ
وَذَكَرَهُمْ بِقَبِيحِ الْقَوْلِ حُضْرًا أَوْ غَيْبًا . عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ » . رواه البخاري . وعن
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ وَقِتَالُهُ
كُفْرٌ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانَهُ وَلَمْ يَفِضْ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ لَا
تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ مِنْ تَتَّبِعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ
عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جُوفِ بَيْتِهِ » .

وَفِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ : « وَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ،
فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .
وَقَالَ سَفْيَانُ بْنُ حَسِينٍ : ذَكَرْتُ رَجُلًا بِسُوءِ عِنْدِ إِيَّاسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ :
أَغْرَزْتَ الرُّومَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : أَغْرَزْتَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالتَّرْكَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : أَفْسَلَمَ
مِنْكَ الرُّومُ وَالسِّنْدُ وَالْهِنْدُ

ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها ، وقل : أن تجد مولعًا بلحوم الغوافل عيابًا للناس إلا وفيه من العيوب ما لو اشتغل بإصلاح بعضها لكان أولى به ، وأحفظ لوقته ، وأسلم لدينه ، وأسلم لعرضه فإنه إذا عابهم عابوه وأكثروا فيه ويستمرون في البذاءة والوقاحة ولا يمل بل يفرح .

شِعْرًا: إِذَا أَنْتَ عَبْتَ النَّاسَ عَابُوا وَأَكْثَرُوا

عَلَيْكَ وَأَبَدُوا فِيكَ مَا كَانَ يُسْتَرُّ

وَأَمَّا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ

وَلَا عَيْبَ إِلَّا مِثْلَ مَا فِيكَ يُذَكَّرُ

فَإِنْ عَبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ

فَكَيْفَ يَعِيبُ الْعُورَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ

وَإِنْ عَبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي لَيْسَ فِيهِمْ

فَذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ

آخر: قَبِيحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَنْسَى عُيُوبَهُ وَيَذَكُرُ عَيْبًا فِي أَخِيهِ قَدْ اخْتَفَى

وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَمَّا عَابَ غَيْرَهُ وَفِيهِ عُيُوبٌ لَوْ رَأَاهَا بِهَا اِكْتَفَى

آخر: وَمَطْرُوفَةٌ عَيْنَاهُ عَنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَإِنْ بَانَ عَيْبٌ مِنْ أَخِيهِ تَبَصَّرَا

آخر: أَتُبْصِرُ فِي الْعَيْنِ مِنِّْي الْقَدَا وَفِي عَيْنِكَ الْجِدْعُ لَا تُبْصِرُ

وَلَا أَحْسَنَ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ السَّفِيهِ وَالِدِينِي قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ دَنِيًّا فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءٌ

آخر: وَمَنْ رَدَّ الْكَلَامَ عَلَيَّ سَفِيهِه
 آخر: لَوْ كَلَّ كَلْبٌ عَوَى أَلْقَمْتَهُ حَجْرًا
 آخر: أَوْ كَلَّمَا طَنَّ الذُّبَابُ زَجْرْتُهُ
 آخر: فَمَا كَلَّ كَلْبٌ نَابِحٍ يَسْتَفْزِنِي
 آخر: وَلَوْ كَلَّمَا كَلْبٌ عَوَى مِلْتُ نَحْوَهُ
 كَمَنْ دَفَعَ السَّلَاحَ إِلَى عَدُوِّهِ
 لِأَصْبَحَ الصَّخْرُ مَثْقَالًا بِدِينَارِ
 إِنَّ الذُّبَابَ إِذَا عَلَيَّ كَرِيمِ
 وَلَا كَلَّ مَا طَنَّ الذُّبَابُ أَرْوَعُ
 أَجَاوِبُهُ إِنَّ الْكِلَابَ كَثِيرُ

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يَدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . قَالَ : « لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَمَلٍ يَسِرُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَبُدُ اللَّهُ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتُحِجُّ الْبَيْتَ » . ثُمَّ قَالَ لَهُ : « أَلَا أَدْلِيكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمِ جَنَّةٍ وَالصَّدَقَةِ تَطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةِ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » ثُمَّ تَلَا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرُوعِهِ سَنَامُهُ » ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرُوعُهُ سَنَامُهُ الْجِهَادُ » . ثُمَّ قَالَ : « قَالَ : أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُلُّهُ » ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ : « كَفَّ عَنكَ هَذَا » . قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : « ثَكَلْتِكَ أَمْكُ ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي

النار على مناخرهم» أو قال : « على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » . رواه الترمذي .
شِعْرًا:

أَلَا أَحْفَظُ لِسَانَكَ إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرِّ فِي قَتْلِهِ
وَإِنَّ اللِّسَانَ دَلِيلُ الْفُؤَادِ يَدُلُّ الرَّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ
آخر: اغْمِدْ لِسَانَكَ لَا يَنْسَلَّ عَنْ فَمِّهِ

فَإِنَّهُ فِي عُيُوبِ الْخَلْقِ طَعَانُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ يَأْجُوجَ اللِّسَانُ إِذَا

لَمْ يُبْنَ مِنْ دُونِهِ كَالسَّيِّدِ أَسْنَانُ
آخر: لِسَانُ الْمَرْءِ لَيْثٌ فِي كَمِينٍ إِذَا خَلَى عَلَيْهِ لَهُ إِغَارَةٌ
فَصْنُهُ عَنِ الْخَنَاءِ بِلِجَامِ صَمْتٍ يَكُنْ لَكَ مِنْ بَلِيَّاتِ سِتَارَةٍ
آخر: وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ

فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ

آخر: أَحْفَظْ لِسَانَكَ لَا تَقُولُ فِتْنَتَايَ إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
آخر: لِسَانَكَ لَكَ الْمَمْلُوكُ مَا دُمْتَ صَامِتًا

وَأَنْتَ لَهُ الْمَمْلُوكُ حِينَ تَكَلَّمُ

آخر: يَكُوبُ الْفُتَى فِي النَّارِ حَصْدُ لِسَانِهِ وَإِرْسَالُ طَرْفِ الْمَرْءِ أَنْكِي فَقَيْدِ
آخر: مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً

وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : مَا النَّجَاهُ ؟ قَالَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتُكَ ، وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ . وَخَرَجَ الْبَزَّازُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُسْرٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ : « أَمْسِكْ هَذَا » . وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ وَقَالَ : « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ هَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » . وَالْمُرَادُ بِحَصَائِدِ الْأَلْسِنِ جِزَاءَ الْكَلَامِ الْحَرَمِ وَعَقُوبَاتِهِ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَزْرَعُ بِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَحْصِدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا زَرَعَ فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ الْكِرَامَةَ وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ النَّدَامَةَ وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ الْأَجُوفَانِ الْفَمِ وَالْفَرْجِ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ » .

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مِنَ الْمَفْلَسِ » ؟ قَالُوا : الْمَفْلَسُ فِينَا مِنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : « إِنَّ الْمَفْلَسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابَهُ الْفَحْشَ وَهُوَ كُلُّ مَا اشْتَدَّ قَبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَكَذَلِكَ الرِّبَا نَسَأَ اللَّهُ السَّلَامَةَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ .

شِعْرًا : مَنْ شَاءَ عَيْشًا رَحِيًّا يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالًا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ بِتَقَى وَالْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَالًا

عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » . رواه
البخاري وأبو داود واللفظ له .

ويسن لمن شتم وهو صائم أن يقول : « إني صائم » . سواء في رمضان أو غيره لما ورد
عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ صَوْمُ أَحَدِكُمْ فَلَا
يِرْفَثُ وَلَا يَصْحَبُ فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » . متفق عليه .
شِعْرًا:

تَزَوَّدَ مَا اسْتِطَعْتَ لِدَارِ خُلْدٍ
فَخَيَّرُ الْمُتَّقِينَ زَادَ الْمُتَّقِينَ
وَلَا يَغْرُرُكَ فِي الدُّنْيَا ثَرَاءٌ
هُنَاكَ تَرَى أَجْوَرُ الْعَالَمِينَ
تَبَصَّرَ يَا هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّنَا
نَسِيرُ عَلَى طَرِيقِ السَّابِقِينَ
فَإِنَّ الْمَوْتَ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَيَطْبُئُ الْأَرْضَ مَثْوَى الْعَالَمِينَ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الْإِلَاءَ كَانُوا
مُلُوكًا فِي الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ
أَصَاعُوا الْعُمَرَ فِي لَهْوٍ وَظُلْمٍ
وَحَادُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُتَّقِينَ
وَلَمْ يَجِدُوا لِدَفْعِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ سَبِيلًا فَاسْتَكَانُوا صَاغِرِينَ
نَعِيمُ الْخُلْدِ لَا يَفْنَى فَسَارِعْ لِأَعْمَالِ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ

اللَّهُمَّ احْتَمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سَبِيلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مَنْقِذَ الْغَرَقَى وَيَا مَنْجِي الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذْقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلْنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا تَقْرَبُ بِهِ عَيْونَنَا مِنْ رُؤْيُتِكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ : الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذنوب خصوصاً ذنوب الخلوات فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سُبْحَانَهُ ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم العُقْلَةَ ، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وهُوَ اللهُ فيتغنص عيشه في حال التذاه فإن غلبه سكر الهوى كَانَ الْقَلْبُ مَتْنَعِصًا بِهَذِهِ الْمُرَاقِبَاتِ وَإِنْ كَانَ الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثُمَّ خزي دائم وندم ملازم وبُكَاءٍ متواصل وأسف على ما كَانَ مَعَ طُولِ الزَّمانِ حَتَّى إِنَّهُ لَوْ تَيَقَّنَ الْعَفْوَ وَقَفَ بِإِزَائِهِ حَذَارَ الْعِتَابِ فَأَفْ لِلذَّنُوبِ مَا أَقْبَحَ آثَارَهَا وَأَسْوَأَ وَأَخْبَارَهَا . انتهى .

شِعْرًا: أَيْضَمَنْ لِي فَتَى تَرَكَ الْمَعَاصِي	وَأَرْهَنُهُ الْكِفَالََةَ بِالْخَلَاصِ
أَطَاعَ اللهُ قَوْمٌ فَاسْتَرَاخُوا	وَلَمْ يَتَجَرَّعُوا غُصَصَ الْمَعَاصِي
آخِر: خَلِيلِي إِنِّي مَا غَبَطْتُ سِوَى الَّذِي	أَتَى مُخْلِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ
يَقُومُ طَوَالَ اللَّيْلِ تَجْرِي دُمُوعُهُ	عَلَى مَا مَضَى مِنْ مُوبِقَاتٍ وَرَلَّتِي
آخِر: مَنْ مِثْلُ رَبِّكَ تَعْصِيهِ وَتَهْجُرُهُ	وَيُسْبِلُ السِّتْرَ يَا ذَا الْعَدْرِ فَارْتَدِعِ
يَا نَاقِضَ الْعَهْدِ يَا مَنْ حَالَهُ قُبِحَتْ	مَعَ الْإِلَهِ بِإِلا خَوْفٍ وَلَا جَزَعِ

صَيَّعَتْ عُمْرَكَ تَسْوِيفًا بِلا عَمَلٍ تُمْسِي وَتُصْبِحُ بَيْنَ الْحَرْصِ وَالطَّمَعِ
 وَتَسْمَعُ الْوَعْظَ لِانْتِهَاكَ زَاجِرَةٌ بَلْ أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَن ذَاكَ فَاسْتَمِعْ
 فَكَمْ لَتَقْرَعَ أَبَا لِلَّذِي كَثُرَتْ لِلسَّائِلِينَ عَطَايَاهُ وَأَنْتَ مَعِيَ
 لَعَلَّهُ أَنْ يَرَانَا تَائِبِينَ لَهُ يَمُنُّ بِالْعَفْوِ عَن عَصِيَانِنَا الشَّنْعِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل في (تحريم الظلم)

اعلم وفقنا الله وإيّاك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه أن الظلم مرتعه وخيم وعاقبته سيئة وهُوَ منبع الرذائل ومصدر الشرور ، وحد الظلم أنه وضع الشيء في غير موضعه وهُوَ انحراف عن العدالة ومتى فشى وشاع في أمة أهلكتها وإذا حل في قرية أو مدينة دمرها . وهُوَ والفساد قرينان بهما تخرب الديار وتزول الأمصار وتقل البركات ويحل الفشل محلها وهُوَ ظلمات تزل الأقدام في غياهبه وتضل به الأفهام ويظهر الفساد وينتشر بسببه وينتشر الفزع بين الناس .

وأعظم الظلم وأشدّه وأخبثه الشرك بالله قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ أَنَا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ الآيات . وَقَالَ : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ الآية .

هَذَا يَمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حَقِّ الظَّالِمِينَ وَأَمَّا السَّنَةُ فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الظلم ظلمات يوم القيامة » . رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اتقوا الظلم فإن الظلم يفسد دماءهم واستحلوا محارمهم » . رواه مسلم .

وعن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ - ثُمَّ قَرَأَ - : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الثُّمُرَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ . رواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي .

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ مُشْرِكًا بِرَبِّ الْوَرَى فَافْهَمُهُ فَهَمٌ مُوَحَّدٌ
وظلم الناس أنواع يجمعها قوله : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنْ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّ أَنْ يَعْبُدَ الْأَصْنَامَ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّهُ سِيرَضِي مِنْكُمْ بَدُونَ ذَلِكَ بِالْمَحْرَمَاتِ وَهِيَ الْمَوْبِقَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اتَّقُوا الظلم ما استطعتم فَإِنَّ الْعَبْدَ يُجِيءُ بِالْحَسَنَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَى أَنَّهَا سَتْنَجِيهِ فَمَا زَالَ عَبْدٌ يَقُولُ يَا رَبِّ ظَلَمْنِي عَبْدَكَ فَيَقُولُ : أَحْوَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى مَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ مِنَ الدُّنْيَا » .

إِنْ تَمَطَّلِ الْيَوْمَ الْحُقُوقَ مَعَ الْغِنَى فَغَدًا تُؤَدِّيهِمَا مَعَ الْإِفْلَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً فِي النَّاسِ

« وإن مثل ذلك كسفر نزلوا بفلاة من الأرض لئس معهم حطب فتفرق القوم ليحبطوا فلم يلبثوا أن احتطبوا فأعظموا النار وطبخوا ما أرادوا وكذلك الذئوب » . رواه أبو يعلى من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود . ورواه أحمد ، والطبراني بإسناد حسن نحوه باختصار .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . رواه البخاري ، والترمذي .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » . رواه مسلم ، الترمذي .

وعن ابن عثمان عن سلمان وسعد بن مالك وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود حتى عد ستة أو سبعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : إن الرجل لترفع له يوم القيامة صحيفة حتى يرى أنه ناج فما تزال مظلماً بني دم تتبعه حتى ما يبقى له من حسنة ويحمل عليه من سيئاتهم . رواه البيهقي في الشعب بإسناد جيد .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل . أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . الحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم ، وتستسقوا فلا تسقوا ، وتستنصروا فلا تنصروا » . رواه الطبراني .
اللَّهُمَّ انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، ووفقنا للعمل بما فهمتنا ، اللَّهُمَّ إن كنا مقصرين في حفظ حقلك ، والوفاء بعهدك ، فأنت تعلم صدقنا في رجاء رفقك ، وخالص ودك ، اللَّهُمَّ أنت أعلم بنا منا ، فبكمال جودك تجاوز عنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة)

عباد الله بما أن الله جلَّ وعلا من عليكم بالإسلام فيجب عليكم أن تحبوه ، فإنه الذي بيده خير الدنيا والآخرة ، وأن تحبوا رسوله ﷺ الذي لولا الله ثم لولاه لكنتم من حطب جهنم تلتهب بكم أبد الأبدين ، وأن تحبوا أحباب الله ، وأحبابه هم الذين لزموا طاعة مولاهم وتباعدوا عن معصيته كما يتباعدا الإنسان عما يقتله من سم ونحوه بل السم أهون وأخف من كثير المعاصي كيف لا والمعاصي لا تسلم فاعلها إلا إلى العذاب الأليم إن لم يتجاوز عنه مولاها مضى في صدر هذه الأمة أناس قال الله فيهم : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ وهم الذين كانوا بأرواحهم في سبيل الله يجودون ، وكانوا يرون السعادة كلَّ السعادة في ذلك الجود وإذا لم يستطيعوا

كأنوا لذلك يجنون وكان هؤلاء الناس يحبون رسولهم فوق محبتهم لأموالهم وأنفسهم وكان حب أحدهن لأخيه أعظم من حبه لأنثائه وماله يجب له ما يجب لنفسه ولذلك كأنوا في كل المنافع ، لا يعرفون إلا خلق الإيثار ، كما حكى الله عنهم بقوله : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ سَلِ التَّارِيخِ عَلَيْهِمْ يَخْبِرُ عَنْهُمْ أَخْبَارًا مَا سَمِعْتَ قَطُّ بِمِثْلِهَا يَخْبِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ الْعَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيقِ اعْتِرَافَ إِقْرَارٍ وَإِذْعَانَ يَخْبِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اتَّجَهُوا لَغَزْوِ جِهَةٍ يَنْهَزُ أَهْلَهَا وَيَبِينُهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَسَافَةَ عَظِيمَةٍ وَكَيْفَ لَا يَعْزَهُمْ رَحِمٌ وَقُلُوبُهُمْ كَانَتْ وَقَفًا عَلَى حَبِهِ وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ وَحُبِّ كُلِّ مَا يَرْضِيهِ مِنْ مَبَارٍ ، هَؤُلَاءِ كَانُوا عِبِيدَ اللَّهِ عِبُودِيَّةً مَا رَأَتْ الدُّنْيَا عِبُودِيَّةً مِثْلَهَا فِي سَائِرِ الْعِبِيدِ عَدَا الرِّسْلِ الْكِرَامِ لِذَلِكَ كَانُوا يَجْنُونَ لَطَاعَتَهُ حِينًا لَا يَنْقُضِي عَجْبَهُ وَهُوَ مَخْلُصٌ وَشَدِيدٌ كَانُوا لَا يَشْبَعُونَ مِنَ الْعِبَادَةِ بِالنَّهَارِ فَيَسْتَقْبَلُونَ اللَّيْلَ بِعِزَائِهِمْ بِعَثْتِهَا هَمٌّ عَالِيَةٌ ، ا تَكَلُّ وَلَا تَمَلُّ مِنَ الْعِبَادَةِ ، بَلْ هِيَ فِي الْعِبَادَةِ كَالسَّمَكِ فِي الْبَحْرِ ، وَاللَّيْلِ عَلَى ذَلِكَ شَهِيدٌ وَمَنْ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَقْفُوا آثَارَهُمْ ، وَنَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَبَةِ الْفَائِقَةِ وَالطَّاعَةِ الْفَرِيدَةِ لِمَوْلَانَا .

قال بعضهم يصف السلف :

رُكْبٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَمْضُوا وَيَتَّقِلُوا	مُسْتَوْفِرِينَ عَلَى رَحْلِ كَانَتْهُمْ
فَالصِّدْقُ مَذْهَبُهُمْ وَالْخَوْفُ وَالْوَجَلُ	عَقَّتْ جَوَارِحُهُمْ عَنْ كُلِّ فَاخِشَةٍ
أَلَذُّ النَّعِيمِ لَا اللَّذَاذَةَ فِي الْخَمْرِ	آخِر: تَنْعَمَ قَوْمٌ بِالْعِبَادَةِ وَالثَّقَى
وَكَانَتْ لَهُمْ زَادًا إِلَى الْقَبْرِ	فَقَرَّتْ بِهِ طُولَ الْحَيَاةِ عُيُونُهُمْ

آخر: دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الطَّاعَاتِ تَفَعَّلُهَا
 وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
 مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ
 مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ
 مَنْ اسْتَنَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ
 آخر: اَعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ
 لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيهِمْ
 وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّالِهِ قَصَدُوا
 آخر: يَا بَاغِيَ الْإِحْسَانَ يَطْلُبُ رَبَّهُ
 انظُرْ إِلَى هَدْيِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِي
 وَاسْأَلْكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالطَّاعَاتِ كَسْلَانُ
 فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
 فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخُذْلَانُ
 نَدَامَةٌ وَلِحْصِدِ الزَّرْعِ إِبَّانُ
 قَمِيصِهِ مِنْهُمْ صِلْ وَتُعْبَانُ
 وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ
 وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادُ
 فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَادُ
 فَجَاهُهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادُ
 لِيُفُوزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
 كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِ
 خُذْ يَمَنَةً فَالِدَرْبُ ذَاتُ شَمَالِ

تَاللَّهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سَوَى

سُئِلَ الْهُدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ

دَرَجُوا عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وَهَدْيِهِ

وَبِهِ افْتَدَوْا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ

نِعْمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ بَيْغِي الْهُدَى

فَمَالِهِ فِي الْحَشْرِ خَيْرٌ مِمَّا

الْقَانِتِينَ الْمُخْتَبِينَ لِـرَبِّهِمْ

النَّاطِقِينَ بِأَصْدَقِ الْأَقْوَالِ

التَّارِكِينَ لِكُلِّ فِعْلٍ سَيِّئٍ
 وَالْعَامِلِينَ بِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ
 أَهْوَاءَهُمْ تَبَعُ لِدِينِ نَبِيِّهِمْ
 وَسَوَاءُهُمْ بِالضُّدِّ مِنْ ذِي الْحَالِ
 مَا شَابَهُمْ فِي دِينِهِمْ نَقْصٌ وَلَا
 فِي قَوْلِهِمْ شَطْحُ الْجَهْلُولِ الْعَالِ
 عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا
 فَلِذَاكَ مَا شَابُوا الْهُدَى بِضَلَالِ
 وَسَوَاءُهُمْ بِالضُّدِّ فِي أحوَالِهِمْ
 تَرَكُوا الْهُدَى وَدَعَوْا إِلَى الضَّلَالِ
 فَهُمْ الْأَذَلَّةُ لِلْحِيَارَى مَنْ يَسِرُّ
 بِهُدَاهُمْ لَمْ يَخْشَ مِنْ إِضْلَالِ
 وَهُمْ النُّجُومُ هِدَايَةٌ وَإِضَاءَةٌ
 وَعُلُومٌ مَنَزَلَةٌ وَبُعْدٌ مَنَالِ
 يَمْشُونَ بَيْنَ النَّاسِ هَوْنًا نُطْقُهُمْ
 بِالْحَقِّ لَا بِجَهَالَةِ الْجَهَّالِ
 حَلَمًا وَعَلَمًا مَعَ تَقَى وَتَوَاضِعِ
 وَنَصِيحَةٍ مَعَ رُبُوبَةِ الْإِفْضَالِ
 يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ
 بِتِلَاوَةِ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤَالِ
 وَعَيْونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ
 مِثْلَ انْهَمَالِ الْوَابِلِ الْهَلَالِ

فِي اللَّيْلِ زُهَبَانٌ وَعِنْدَ جَهَادِهِمْ
 لَعَدُوَّهُمْ مِنْ أَشْجَعِ الْأَبْطَالِ
 وَإِذَا بَدَا عَلَمُ الرَّهْبَانِ رَأَيْتَهُمْ
 يَتَسَابِقُونَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 بِوَجْهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ
 وَبِهَيَا أَشْجَعُهُ نُورُهُ الْمُتَلَالِ
 وَلَقَدْ أَبَانَ لَكَ الْكِتَابُ صِفَاتِهِمْ
 فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الْعَالِ
 وَرَبَاعِ السَّبْعِ الطَّوَالِ صَفَاتُهُمْ
 قَوْمٌ يُحِبُّهُمْ ذُورًا أَدْلَالِ
 وَبِرَاءَةٍ وَالْحَشْرِ فِيهَا وَصَفُهُمْ
 وَبِهَيَا أَتَى وَيُسُورَةَ الْأَنْفَالِ

اللَّهُمَّ أَدَقْنَا عَفْوِكَ وَغَفْرَانِكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ ، وَعَامِلْنَا بِلَطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَاقْطَعْ
 عَنَّا مَا يَبْعُدُ عَن طَاعَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَثَبْتَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوهُمَا وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ ،
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ
 فَقَالَ : « اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْعَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ » .
رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبخاري مختصراً بلفظ :

« ثلاث حق على الله أن لا يرد هُهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع » .

وفي رواية للترمذي : « ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » . وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة » . رواه الحاكم وَقَالَ : رواه متفق على الاحتجاج بِهِمْ إلا عاصم بن كليب فاحتج به مسلم وحده .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ » . رواه أحمد بإسناد حسن . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب . رواه الطبراني وله شواهد كثيرة .

وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله : وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين » . رواه الطبراني .

شِعْرًا :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيِّئِلِي بِظَالِمٍ

آخر: وأظلم أهل الظلم من بات مشركاً بخالفه فأخذز هُدَيْتَ عَنِ الشَّرْكِ
قال بعضهم يصف دعوة المظلوم وهو في الحقيقة لغز .

وَسَائِرَةٌ لَمْ تَسْرِ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي
مَحَلًّا وَلَمْ يَفْطَعْ بِهَا الْيَدَ قَاطِعُ
سَرَتْ حَيْثُ لَمْ تَحْدَ الرِّكَابُ وَلَمْ تُنَخَّ
لِوَرْدٍ وَلَمْ يَقْضُرْ لَهَا الْقَيْدَ مَانِعُ
تَمُرُّ وِرَاءَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ضَارِبُ
بِجْثَمَانِهِ فِيهِ سَـمِيرٌ وَهَاجِعُ
إِذَا وَفَدَتْ لَمْ يَرُدِّ اللهُ وَفَدَهَا
عَلَى أَهْلِهَا وَاللَّهُ رَأَى وَسَامِعُ
تَفْتِيحُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ دُونَهَا
إِذَا قَرَعَ الْأَبْوَابَ مِنْهُنَّ قَارِعُ
وَإِنِّي لِأَرْجُو اللهُ حَتَّى كَأَنَّمَا
أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ
آخر: أَلَا رَبِّ ذِي ظُلْمٍ كَمَنْتُ لِحَرْبِهِ
فَأَوْقَعُهُ الْمَقْدُورُ أَيُّ وَقُوعِ
وَمَا كَانَ لِي إِلَّا سِلَاحُ تُرْكُوعِ
وَأُدْعِيَةٌ لَا تُتَّقَى بِدُرُوعِ
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومُ وَخَلْفَهُ
سَهَامٌ دُعَاءٍ مِنْ قَسِيٍّ رُكُوعِ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها

هنا التقوى ها هنا » . ويشير إلى صدره « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كُلَّ المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه » . رواه مسلم .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « كانت أمثلاً كُلِّهَا : أيها الملك المسلط المبلي المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أُردها وإن كانت من كافر وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله عَزَّ وَجَلَّ وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث تزود لمعادٍ أو مرممة لمعاشٍ أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانته ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : « كانت عبراً كُلِّهَا : عجبت لمن أيقن بالموت ثُمَّ يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالنار ثُمَّ هُوَ يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثُمَّ هُوَ ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثُمَّ اطمأن إليها عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثُمَّ لا يعمل » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أوصني قال : « أوصيك بتقوى الله ، فإنها رأس الأمر كله » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زدني . قال : « عَلَيْكَ بتلاوة القرآن وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ، فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زدني . قال : « إياك وكثرة الضحك ، فإنه

يمت القلب ، ويذهب بنور الوجه » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قال : « عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أَمْتِي » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قال : « أَحِبِّ الْمَسَاكِينَ وَجَالِسِهِمْ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قال : « انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ تَحْتِكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدِرَى نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قال : « قَلِّ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي . قال : « لِيُرِدَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَجِدَ فِيهَا تَأْتِي وَكُفَى بِكَ عَيْبًا أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ وَتَجِدَ عَلَيْهِمْ فِيهَا تَأْتِي » . ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي ، فَقَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ ، وَلَا وَرْعَ كَالْكَفِّ ، وَلَا حِسْبَ كَحَسَنِ الْخَلْقِ » . رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم ، وَقَالَ : صحيح الإسناد

اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَيَسِّرْنا لِلْيَسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة) : عباد الله ما للألسن عن شكر نعم الله المتتالية قاصرة ، وما للعيون إلى زهرة الحياة الدُّنْيَا الفانية ناظرة ، وما للأقدام عن طريق الهداية الواضحة حائرة وما للعزائم والهمم عن العَمَلِ الصالح فاترة وما للنفوس لا تتزود من التقوى وهي مسافرة وما لها لا تتأهب وتستعد للنقلة إلى دار الآخرة ، أركوناً إلى الدُّنْيَا وَقَدْ فَرَقَتِ الْجُمُوعُ وَكَسَرَتِ أَعْنَاقَ الْأَكَاسِرَةِ وَقَصُرَتِ آمَالُ الْقِيَاصِرَةِ وَأَدَارَتِ عَلَى أَهْلِهَا مِنْ تَقْلِبِهَا الدَّائِرَةَ أَمْ

اغترارًا بالإقامة ، ومطايا الأيام بكم في كُلِّ لحظة سائرة أم تسويفًا بالتوبة والأعمال فهذه والله الفكرة والصفقة الخاسرة لقد رانت على الثُلوب قبائح الأعمال ، وضربت عَلَيْهَا وعلى المسامع من الدُّنُوب أفعالًا فيا حجلة من سئل فعدم الجواب أو بجوابٍ يستحق عَلَيْهِ أليم العَدَاب ويا حَسْرَةَ من نوقش عن الدقيق والجليل في الآخرة الحساب ، ويا ندامة من لم يحصل إلا على العَصَب من الكريم الوهاب ويا خيبة من ماله إلى نار تلتهب إلى إحراقه التهابًا ، فمتى تقبلون على الله بقلوب صادقة لا تنتهون من مفارقة الدُّنُوب بعزيمة صادقة ، لا في الصادقين تيقنون أنه ثابت لكم قدم ، ولا في التائبين صحت لكم توبة وإقلاع وعزم وندم . ولا عِنْدَ تلاوة كتاب الله تقشعر منكم الجلود ولا عِنْدَ سماع المواعظ ترق منكم الثُلوب التي هي أقسى من الجلمود فبماذا ترجون لحاق السعداء وكيف تطمعون في الفوز والنجاة معهم غدًا وأنتم تتبعون الخطايا بالخطايا وتبارزون .

الله بها في البكر والعشيا ، فيا حَسْرَةَ نفوس أطمأنت إلى الدُّنيا دار الغرور ، ويا خراب قُلُوبٍ عمرت بأمانٍ كُلِّهَا باطل وزورٍ ، ويا نفاذ أعمار ينقص منها كُلُّ يوم وساعة ولا يَزَادَ ويا خيبة مسافر يسير السير السريع وَهُوَ بلا زادٍ ، فالبدار البدار عباد الله بالتوبة البدار والغنيمة الغنيمة قبل خروج وَقْتِ الاختيار ، وإيتان وَقْتِ لا تقال فيه العثار :

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ	وَأَيَّامًا تُطْوَى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ نَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ	إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِي بَاطِلُ
تَرَحَّلَ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى	فَعُمُرَكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
آخِر: هِيَ الدُّنْيَا حَقِيقَتُهَا مُحَالٌ	تَمُرُّ كَمَا يَمُرُّ بِكَ الْخَيَالُ
وَكَمْ قَدْ غَرَّ زُخْرُفُهَا رِجَالًا	غُرُورَ ذَوِي الظَّمَا بِالْقَاعِ آلُ

آخر: سَوَاءٌ مَنْ أَقَلَّ التُّرْبُ مِنْهَا وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التُّرَابُ
 وَإِنَّ مُزَايِلَ الْعَيْشِ اخْتِصَارًا مُسَاوٍ لِلَّذِينَ بَقُوا فَشَابُوا
 وَأَوْلْنَا الْعَنَاءَ إِذَا طَلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَآخِرْنَا الذَّهَابُ
 آخر: قَدْ نَادَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَفْسِهَا لَوْ كَانَ فِي الْعَالَمِ مَنْ يَسْمَعُ
 كَمْ آمَلِ خِيَّتْ آمَالَهُ وَجَامِعِ بَدَّدَتْ مَا يَجْمَعُ
 آخر: خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيَا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ
 دَخَلْتُ إِلَيْهَا قَطُّ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ
 تَبَلَّغْتُ فِيهَا بِالْيَسِيرِ وَقَدْ كَفَى
 وَحَصَلْتُ فِيهَا مَا عَمَرْتُ بِهِ قَبْرِي
 يُؤَنِّسُنِي فِيهِ إِذَا مَا سَكَنْتُهُ
 وَنَعْمَ رَفِيقٌ صَاحِبٌ لِي إِلَى الْحَشْرِ
 فَيَا عَامِرَ الدُّنْيَا رُوَيْدَكَ فَاقْتَصِرْ
 فَإِنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ تَأْتِي وَمَا تَدْرِي
 وَإِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ فَالْعَبْنُ كُلُّهُ
 لِمَنْ مُنِحَ الدُّنْيَا وَرَاحَ بِهَا أَجْرُ
 آخر: عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلِّ جَمْعٍ مَالِهِ وَصَالٌ وَتَفْرِيقُ يَسْرٍ وَيُؤْلَمُ
 وَإِنْ مُنِعَ الْغِيَابُ أَنْ يَقْدَمُوا لَنَا فَإِنَّا عَلَى غِيَابِنَا سَوْفَ نَقْدَمُ
 آخر: يَا مُنْزِلَ لِعِبِ الزَّمَانِ بِأَهْلِيهِ فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّقٍ وَسَيَجْمَعُوا
 ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَ الَّذِينَ حَيَاتُهُمْ لَا تَنْفَعُ
 آخر: وَعَصَتِكَ أَجْدَاتٌ وَهُنَّ صُمُوتُ وَأَصْحَابُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
 أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لِعَيْرِ بِلَاغِهِ لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ

آخر: يَا نَفْسُ مَا هِيَ إِلَّا صَبْرُ أَيَّامٍ كَأَنَّ مُدَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ
 يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبَادِرَةً وَخَلَّ عَنْهَا فَإِنَّ العَيْشَ قُدَّامٍ
 آخر: تَقَنَّ اللَّذَاذَةَ مِمَّنْ نَا لَدَّتْهَا مِنْ الحَرَامِ وَبَبَقَى الإِثْمُ وَالْعَارُ
 تَبَقَى مَعْبَةٌ وَسُوءٌ مِنْ تَطَلُّبِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ
 آخر: بَيِّ الدُّنْيَا أَقْلُوا الهَمَّ فِيهَا فَمَا فِيهَا يَأْوُلُ إِلَى الفَوَاتِ
 بِنَاءٍ لِلخَرَابِ وَجَمْعُ مَالٍ لِيَفْنَى وَالتَّوَالِدُ لِلْمَمَاتِ

اللَّهُمَّ وفقنا للإستعداد لما أماننا واهدنا سبيل الرشاد ووفقنا للعمل الصالح ليوم المعاد واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وعن أنس رضي الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . فَقَالَ رجل : يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصِرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ؛ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصِرُهُ ؟ قَالَ : « تَحْجِزْهُ أَوْ تَمْنَعْهُ عَنِ الظُّلْمِ فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ » . رواه البخاري .

فالمظلوم في حقه أو ماله يمنع عنه الظلم ويرفع عنه الحيف بكل ما يستطيع من الوسائل والقصد أن تكون اليد مع يد المظلوم حتى يأخذ حقه وأما نصر الظالم فمنعه عن الظلم فإن أراد استلاب مال حلت بينه وبينه وأخذت بيده .

وإن أراد البطش ببريء ضربت على يده إن كانت يدك أقوى من يده وتراعي الحكمة لئلا ينقلب ظالماً لك وإن كانت النصيحة رادعة

سلكتها وإلا فتستعمل معه القوة حتى يرجع إلى الحق ، وطرق الظلم كثيرةٌ جدًّا ووسائله جمَّةٌ وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

ولا يختص الظلم بأرباب الوظائف والمناصب وأرباب الحكم والسُّلطان ، حيث أن كلا ممن عدا هؤلاء رب بيت أو بيوتٍ ، وزعيم أسرة وفي الأسرة الكبير والصغير والقوي والضعيف والخدام والأجير ولكل واحد من هؤلاء حقوق في أعناق المسؤولين وسيسألون عنها بل إنَّ الإنسان ليعد ظالماً إذا تعدى على حقوق نفسه الشخصية فقدَّ يكون مبدراً وحالته تدعو إلى الاقتصاد وقدَّ يكون مقترراً وحالته تدعو إلى التيسير فمن ظلم الإنسان لأهله سياستهم بالفسوة كما يفعله بعضهم ظناً منه أنه مدعاة لاحترامهم له أو يبخل عليهم فلا ينفق النفقة الواجبة كأمثالهم أو لا يحسن معاشرتهم فقدَّ ذكر أن عمر رضي الله عنه كان ذات يوم مستلقياً على ظهره في بيته وصبياناه يلعبون حوله فدخل عليهم .

أحد عماله فانكر ذلكَ عليه فقال له عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ فقال : إذا دخلت سكت الناطق . فقال له عمر : اعتزل عملنا فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ومن ظلمه لأولاده أن يتركهم بلا أمرٍ ولا نهيٍ ولا توجيهٍ ومع هذا فرما وجدته أمر الناس البعيدين عنه بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد صدق عليه المثل
شِعْرًا: كَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ بَنِي بَطْنِهَا هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ
آخِر: كَتَارِكَةٍ بَيَضَ بِهَا الْعَرَاءُ وَمُلْبِسَةٍ بَيَضَ أُخْرَى جَنَاحَا

ومن ظلمه لجيرانه أن لا يقوم بحق الجوار هُتم ، ولا يواسيهم بل ولا يكف شره وشر أولاده وأهله ولقد أوصى الله بالجار فقال (والجار ذي القربى ، والجار الجنب) وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم به فقال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .
وقيل : إن فلانة تصوم النَّهَارَ وتقوم الليل وهي سئية الخلق تؤذي جيرانها بلسانها .
فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « لا خَيْرَ فيها ، هي من أهل النار » .

شِعْرًا :

يَلُومُونَنِي إِنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنْزِلِي وَلَمْ يَعْلَمُوا جَارًا هُنَاكَ يَنْغِصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّمَا فِ بَجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارُ وَتَرْخِصُ

ومن ظلم القضاة الحيف مع أحد الخصمين أو شهادة الشهود وشر أنواع الظلم ظلم ولاية الأمور لرعيتهن وإذا انتشر الظلم في أمة سلبت الأمن على الرواح والأموال والأعراض وانتشرت فيها المفاسد وسوء الأخلاق ، وفشت فيها العداوة والبغضاء وأكل القوي الضعيف ، وقُلت فيها اليد العاملة ، واتسع نطاق الجهل وتذهب من الأمة الشجاعة والحمية ، ويحل محلها النفاق والملق ، ويثمران النميمة ونقل الكلام والعصب والسرقة والاحتلاس ونهب أموال الناس والربا والتطفيف في المكاييل والموازين والتغريب بالعامل والغش والخيانة للوديع والأجير والجعيل والمقارض والشريك والوكيل وهذا كله من الظلم الذي توعد الله أهله ، وَقَالَ فِيهِمْ : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ولكنها درجات متفاوتة والجزاء على كُلِّ شَيْءٍ بحسبه ولقد وصل الناس اليوم في ظلم بعضهم بعضًا إلى حد تقصر عن شرحه العبارة وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لا يتهيئون ظلمًا إلا إذا رأوا بجانبه إقامة الحد الشرعي فإذا أمن أحدهم من العقوبة

الشرعية بطش بطش الجبارين ، فإذا اشتتهت نفسه قذف شخص قذفه مهما كان نقي العرض وإذا اشتتهت نفسه سب إنسان وشتمه سبه وشتمه بل ولعنه والعياذ بالله وإذا اشتتهت نفسه غيبة غافل أو بهته إغتابه وبهته وإذا اشتتهت نفسه ضربه مال عليّه وضربه ضربًا لا رحمة معه وإذا همت بأكل ماله نفذ ذلك بغاية الجرأة والوقاحة وبطرق شتى مسلكتها يهون وإن سولت له نفسه أن يطعن بنسب إنسان وحسبه طعن طعنًا تقشعر منه الأبدان وإذا زينت له نفسه أن يقتل إنسانًا أراق دمه في الحال غير مفكر وغير متندم وهكذا من توغل في الظلم وأمن العقوبة لا يقوم في نفسه لون من الظلم إلا نفذه مسرعًا كأنه لا يؤمن بالبعث ولا بالموت ولا بأن الجزاء واقع على الأعمال ولذلك ترى نيران الظلم تلتهب في أنحاء الدنيا بحالة تزعج الناظرين ولقد غفل الناس عن عواقب الظلم دنيا وأخرى ولو علموا أن شقاء الدنيا والآخرة وليد الظلم وأثر مجمًا له من آثار ما دنا من الظلم أحد ولو لبهيم لا يحسب له أدنى حساب فالظلم يتغير منه قلب المظلوم ويتفاوت التغيير بتفاوت ما للظلم من مقدار وعلى قدر ذلك الظلم يكون العُصَب والانتقام ، خصوصًا إذا كان المظلوم ضعيفًا لا ناصر له .

شعرًا :

وَحَفَّ يَوْمَ عَصَّ الظَّالِمِينَ عَلَى الْيَدِ	خَفَّ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَى وَاحْدَرْتَهُ
وَلَكِنَّهُ يُمْلِي لِمَنْ شَاءَ إِلَى الْعَدِ	وَلَا تَحَسَبَنَّ اللَّهُ يُهْمِلُ خَلْقَهُ
وَلَجَّ عُثُورًا فِي فَبِيحِ اكْتِسَابِهِ	آخر: إِذَا مَا الظُّلُومُ اسْتَحَسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَبًا
سَيَبْدُوا لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ	فَكَلَهُ إِلَى صِرْفِ الْيَالِي فَإِنَّهَا
يَرَى النُّجْمَ تَبِيهَا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ	فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا

فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي عَفَلَاتِهِ أَنَاخَتْ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِبَابِهِ
فَأَصْبَحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهٌ يُرْتَجَى وَلَا حَسَنَاتٌ يَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ
وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوْطَ عَذَابِهِ

شِعْرًا: يَا غَافِلَ الْقَلْبِ عَنِ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ عَمَّا قَلِيلٍ سَتَلْتَقَى بَيْنَ أَمْوَاتِ
فَاذْكُرْ مَحَلَّكَ مِنْ قَبْلِ الْحُلُولِ بِهِ وَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ لَهْوٍ وَلَذَاتِ
إِنَّ الْحَمَامَ لَهُ وَقْتُ إِلَى أَجَلٍ فَادْكُرْ مَصَائِبَ أَيَّامٍ وَسَاعَاتِ
لَا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَرَبِّتِهَا قَدْ آتَى لِلْمَوْتِ يَا ذَا اللَّبِّ أَنْ يَأْتِي

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء جنسه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدراك في يومه ما ضيعه في أمسه واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين اللهم احفظنا من المخالفة والعصيان ولا تؤاخذنا بجرائمنا وما وقع منا من الخطأ والنسيان واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله لقد امتلأت الأرض من الشر ووسائله . وضجت وما فيها مما وصل إليه من المعاصي الإنسان وإن شئت فزر أي جهة من جهات العالم وترى ما يتقطع له قلبك حسرات افتتن الناس بزخارف الدنيا فاستولت على قلوبهم وملكتها فنسوا يوم الحساب وأصبحت المعاصي أمراً مألوفاً عند كثير من الناس وغلب المستقيمون على أمرهم فلم يستطيعوا إزالتها فتمادى المجرمون على انتهاك الآداب فتفاقم الخطب ثم تفاقم إلى أن التهبت الدنيا بالموبقات خف الزنى الذي هو من كبائر الذنوب حتى صار الغيور المنكر به المقبح يسمى رجعيًا لا يعرف الحرية

مَعَ أن الزنى من بين المعاصي عار تسود له الوجوه ، وتنتكس له الرؤوس وتهدم به بيوت المجد العاية ، وهان التعامل بالربا مَعَ أنه من بين سائر المعاصي قَدْ توعد الله فاعله المستمر على التعامل به بالحرب وقارف كثير من النَّاس المسكرات مَعَ أن الخمر أم الحبائث وهذه شهادة الزور قَدْ هَأْنَتْ مَعَ أنها من عظام الذُّنُوب وهذه فاحشة اللواط قَدْ انتشرت انتشار الوباء مَعَ أن القرآن يحكي عن أمة كانت تفعل ذَلِكَ أنها خسف بها ، وأمطرت عَلَيْهَا حجارة من سجيل وأما الأرض فهان اغتصابها مَعَ أن المغتصب يكون طوقاً لمغتصبه في دار الانتقام ، وأما الأموال والأعراض فحدث عن الاستخفاف بها وانتهاكها ولا حرج وهذا الغش قَدْ صار عادةً لا يكاد يسلم منه معامل مَعَ أن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من غشنا فليس منا » . وَهَذَا حلق اللحية قَدْ أصبح عِنْدَ كثير من النَّاس كأنه واجب مَعَ أمر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعفائها هَذَا وَأضعاف أضعافه حاصل في هَذَا العصر المظلم الحالك الَّذِي عادة فيه غربة الدين .

شِعْرًا: سَمَّوْكَ يَا عَصْرَ الظَّلامِ سَفَاهَةً

عَصْرَ الضَّيَاءِ وَأَنْتَ شَرُّ الْأَعْصُرِ

وَتَقَدَّمْتَ فِيكَ الْحَضَارَةَ حَسَبًا

قَالُوا فِيهَا وَحْشِيَّةَ الْمُتَحَضَّرِ

وَالْعِلْمُ قَدْ يَأْتِي بِكُلِّ بَلِيَّةٍ

وَيَسِيرُ نَحْوَ الْمَوْتِ بِالْمُسْتَبْرِ

آخر: وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي نَعِيمِهَا
 آخر: لَقَدْ أُخِّرَ التَّصْدِيرُ عَنِ مُسْتَحَقِّهِ
 آخر: إِذَا لَمْ يَكُنْ صَدْرُ الْمَجَالِسِ سَيِّدًا
 آخر: لَا يَغُرَّتْكُمْ عُلوُّ لِيَمِينِ
 آخر: فَارْتَفَاعُ الْغَرِيقِ فِيهِ فُضُوحُ
 آخر: هَذَا الزَّمَانُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَوْجِ
 آخر: غَدِيرٍ مَاءٍ تَرَا فِي جَوَانِبِهِ
 آخر: وَالرَّأْسُ يُنْظَرُ مِنْكُوسًا أَسَافِلُهُ
 آخر: وَعَاشَ بَدَعُوى الْعِلْمِ نَاسٌ وَمَا لَهُمْ
 آخر: وَقَتٌ عَلا قَدْرُ الْوَضِيعِ بِهِ
 إِذَا انْحَطَّتِ الْبَارَاتُ وَارْتَفَعَ الْبَطُّ
 وَقُدِّمَ غَمْرٌ جَامِدُ الذُّهْنِ خَامِدُهُ
 فَلَا خَيْرَ فِيْمَنْ صَدْرَتُهُ الْمَجَالِسُ
 فَقُلْتُ لَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْكَ فَارِسُ
 فَعَلُّوهُ لَا يَسْتَحِقُّ سِفَالِ
 وَعَلُّو الْمَصْلُوبِ فِيهِ نَكَالُ
 حَكَى انْقِلَابَ لِيَالِيهِ بِأَهْلِيهِ
 خِيَالُ قَوْمٍ تَمَشَّوْا فِي نَوَاحِيهِ
 وَالرَّجُلُ تُنْظَرُ مَرْفُوعًا أَعَالِيهِ
 مِنَ الْعِلْمِ حَظُّ لَا بَعْقَلُ وَلَا نَقْلُ
 وَعَدَا الشَّرِيفُ يَحْطُطُهُ شَرْفُهُ
 سِفْلًا وَيَطْفُو فَوْقَهُ جِيفُهُ
 كَالْبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لَوْلُوهُ

اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك وألهمنا ذكرك
 وشكك ووقفنا للقيام بحقك وخلصنا من حقوق خلقك ورضنا باليسير من رزقك يا خير من
 دعاه داعٍ وأفضل من رجاه راج ، يا قاضي الحاجات ومجيب الدعوات هب لنا ما سألناه وحقق
 رجاءنا فيما تمنيناه يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ما في صدور الصامتين

أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قال شيخ الإسلام رحمه الله : والظلم لا يباح بحال حتى أن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في قوله : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ والمؤمنين كانوا يعادون الكفار بأمر الله فقال تعالى : ﴿ لا يحملنكم بغضكم للكفار على أن لا تعدلوا بل اعدلوا عليهم فإنه أقرب للتقوى ﴾ وحينئذ فهؤلاء المشركين ليس لبعضهم أن يفعل ما به يظلم غيره بل إما أن يؤدي قسطه فيكون محسناً وليس له أن يمتنع عن أداء قسطه من ذلك المال امتناعاً يؤخذ به قسطه من سائر الشركاء فيتضاعف الظلم عليهم .

فإن المال إذا كان يؤخذ لا محالة وامتنع بجاهٍ أو رشوةٍ أو غيرهما كان قد ظلم من يؤخذ منه القسط الذي يخصه ، وليس هذا بمنزلة أن يدفع عن نفسه الظلم من غير ظلم لغيره فإن هذا جائز مثل أن يمتنع عن أداء ما يخصه ، فلا يؤخذ ذلك منه ولا من غيره .

وهذا كالوظائف السلطانية التي توضع على القرى ، مثل أن يوضع عليهم عشرة آلاف درهم فيطلب من له جاه بأمرٍ أو مشيخةٍ أو رشوةٍ أو غير ذلك أن لا يأخذ منه شيء وهم لا بد لهم من أخذ جميع المال وإذا فعل ذلك أخذ ما يخصه من الشركاء فيمتنع من أخذ ما ينوبه ويؤخذ من سائر الشركاء فإن هذا ظلم منه لشركائه لأن هذا لم يدفع الظلم عن نفسه إلا بظلم شركائه وهذا لا يجوز .

ولَيْسَ له أن يُقُولَ : أَنَا لم أَظلمهم ، بل ظلمهم من أخذ مِنْهُم الحِصتين لأنه يُقَالُ أولاً : هَذَا الطالب قَدْ يكون مأموراً ممن فوقه أن يأخذ ذَلِكَ المَال فلا يسقط عن بَعْضهم نصيبه إلا إذا أخذه من أخذه من نصيب الآخر فيكون أمره بأن لا يأخذ أمراً بالظلم .

الثاني : أنه لو فرض أنه الأمر الأعلى فعَلَيْهِ أن يعدل بينهم فيما يطلبه مِنْهُم وأن أصل الطلب ظلماً فعَلَيْهِ أن يعدل في هَذَا الظلم ولا يظلم فيه ظلماً ثانياً فيبقى ظلماً مكرراً فإن الواحد منهم إذا كان قسطه مائة فطوب بمائتين كان قد ظلم ظلماً مكرراً بخلاف ما إذا أخذ من كُلِّ قسطه ، ولأن التُّفوس ترضى بالعدل بينها بالحرمان وفيما يؤخذ منها ظلماً ولا ترضى بأن يخص بعضها بالعطاء أو الإعفاء .

الثالث : أنه إذا طلب من القاهر أن لا يأخذ منه وَهُوَ يعلم أنه يضع قسطه على غيره فَقَدْ أمره بما يعلم أنه يظلم فيه غيره .

ولَيْسَ للإنسان أن يطلب من غيره ما يظلم فيه غيره وإن كَانَ هُوَ لم يأمره بالظلم كمن يولي شخصاً ويأمره أن لا يظلم وَهُوَ يعلم أنه يظلم فلَيْسَ له وكذلك من وكل وكيلاً وأمره أن لا يظلم وهو يعلم أنه يظلم فليس له أن يوليه ومن طلب من غيره أن يوفيه دينه من ماله الحلال وَهُوَ يعلم أنه لا يوفيه إلا مِمَّا ظلمه من النَّاسِ وَكَذَلِكَ إذا طلب منه أن يعفيه من الظلم وَهُوَ يعلم أنه لا يعفيه إلا بظلم غيره فلَيْسَ له أن يطلب منه ذَلِكَ . أ . هـ .

وَقَالَ في تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لما عد بعض الكبائر قال : ومنها الدخول على الظلمة بغير قصد صحيح بل إعانة هُتْم وتوقيراً

ومحبة ، قال الله تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « سَتَكُونُ أُمَرَاءُ ، من دخل عَلَيْهِمْ فَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلَمِهِمْ وَصَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي ، ولست منه ، ولن يرد على الحوض » . رواه أَحْمَدُ والبخاري بإسناد رجاله رجال الصحيح وابن حبان في صحيحه وهذا لفظه وساق غير هذا الْحَدِيثِ حول هَذَا الموضوع ثُمَّ قال : قَدْ يَقُولُ من اعتاد الدخول على الملوك الظلمة والقضاة الخونة إنما قصدي بذلك نصر المظلوم أو مساعدة ضعيف أو دفع ظلامة أو التسبب في معروف ونحو ذَلِكَ وهذا لا يخلو إما أن يكون ممن يتناول من مآكلهم ومشاربهم ، ويشاركهم في مقاصدهم ومآربهم ، ويقبل من أموالهم التي اكتسبوها من الجهات المحرمات أو وجوه المظالم والمكوس والمصادرات ، ويدهانهم فيما يراه عندهم من المنكرات ، فهذا لا يحتاج النظر في سوء حاله إلى دليل إذ يشهد كلُّ ذي بصيرة أنه ضال عن سواء السبيل وأنه من ﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ مُّصْلِحُونَ ﴾ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿ ثُمَّ قال : ليت شعري كيف يمكن من يأكل من أموالهم ، أن ينكر قبيح أفعالهم ، وأنى يرجع الظالم مِنْهُمْ إليه وَهُوَ يرى منته في الصحبة واللقمة عَلَيْهِ ، وكيف يقبل منه الكلام وباطنه قَدْ امتلأ من ماله الحرام . واختصار الكلام في مثل هَذَا أليق والسَّلام وإن كَانَ ممن يعف عن مآكلهم ومشاربهم ولا يقبل مِنْهُمْ إدْرَارًا وَلَا صَلَةً وينكر عَلَيْهِمْ ما قَدْ يراه عندهم من المنكر

فهذا في محل اشتباه والحالة ميزان يعلم بها صحته من سقمه وهو أن يرى أنه كالمكره في دخوله عليهم وكلامه معهم ويود أن لو كفي بغيره ولو انتصر المظلوم بسواه ولا يتبجح بصحبتهم ولا بالاجتماع عليهم ولا في فلتات لسانه قلتُ للسلطان وقال لي السلطان وانتصر بي فلان فنصرته وطلب مني المساعدة فلان فساعدته ونحو ذلك ولو قدم السلطان المعروف لما شق عليه ذلك بل يجد عنده انشراحًا بذلك وفرحًا به إذا كفاه الله التعرض إلى هذا الخطر العظيم بما لا يثق بصحة قصده فيه ، ولا يقطع بإخلاص نيته في القيام به . انتهى .

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسُهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفِ
 الْعِلْمِ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
 آخِر: فَمَا لَكَ وَالْبَقَاءَ بِدَارِ دُلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ الْقَضَاءِ
 إِذَا خَانَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَاهُ وَقَاضِي الْأَرْضِ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ
 فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ
 آخِر: عَنَّا يَطْلُبُونَ الْعِلْمَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

شَبَابًا فَلَمَّا حَصَّ لُوهُ وَحَشَّ رُؤَا
 وَصَحَّ لَهُمْ إِسْنَادُهُ وَأُصُولُهُ
 وَصَارُوا شُيُوخًا ضَاعَ يِعْغُوهُ وَأَدْبَرُوا
 وَمَالُوا عَلَى الدُّنْيَا فَهُمْ يَحْلُبُونَهَا
 بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوحَةً لَا تُصَرَّرُوا

فِيَا عُلَمَاءَ السُّوءِ أَيَّنَ عُقُوبُكُمْ

وَأَيَّنَ الْحَدِيثُ الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ

آخر: رَأَيْتُ فِقِيهَ الشَّكْلِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ وَيَقْنَعُ مِنْ حَالِ الْفَقَاهَةِ بِالِاسْمِ

آخر: فَقُلْتُ وَقَدْ وَافَى بِتَضْلِيلِ عِمَّةٍ تَضَلَّعَ جَهْلًا مَا تَضَلَّعَ بِالْعِلْمِ

عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ تَشَاغَلُوا

عَنِ الْعِلْمِ وَاسْتَعْشَرُوا تِيَابَ الْمَمَالِكِ

يَطُوفُونَ حَوْلَ الظَّالِمِينَ كَأَنَّمَا

يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَقَتَ الْمَنَاسِكِ

آخر: دَعِ الْمَنَاصِبَ لِنَاسٍ يُشْغَفُونَ بِهَا وَاضْرِبْ عَلَى النَّفْسِ لَا تَسْمَعُ

لَا يَعْرِفُ الزُّهْدَ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَزَفَتْ

وَأَسْتَدْرِكَ الْعُمَرَ فِي الْقُرْآنِ يَقْرُؤُهُ وَفِي الصَّحِيحِينَ مَعَ كُتُبِ تَدَانِيهَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ وَالْعِزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍ
وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشِيدْ فِيهَا بِنْيَانَهُ وَوِطِدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ وَأَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَوَقَّفْنَا بِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالَ أَمْرِكَ وَأَتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

إذا فهمت ما تقدم من شناعة الظلم وقبح عاقبته وما ورد من

الوعيد الشديد على مرتكبه وأن من مات قبل رد المظالم أحاط به يوم القيامة خصمائه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يمسك يده وهذا يتعلق بلبه وهذا يتعلق برقبته هذا يُقُولُ : ظلمي فغشني . وهذا يُقُولُ : ظلمي فبحسني . وهذا يُقُولُ : خدعني . وهذا يُقُولُ : قذفني . وهذا يُقُولُ : أكل مالي . وهذا يُقُولُ : شتمني . وهذا يُقُولُ : اغتابني . وهذا يُقُولُ : كذب علي . وهذا يُقُولُ : قطع رحمي .

وهذا يُقُولُ : جاورني فأساء مجاورتي . وهذا يُقُولُ : رأني مظلوماً فلم ينصرتني . وهذا يُقُولُ : رأني على منكر فلم ينهني . وهذا يُقُولُ : جحد مالي . وهذا يُقُولُ : باعني وأخفى عني عيب السلعة . وهذا يُقُولُ : سرق مالي . وهذا يُقُولُ : قطع من ملكي .

وهذا يُقُولُ : شهد علي بالزور . وهذا يُقُولُ : سخر بي . وهذه زوجة تقول : لم يعدل بيني وبين زوجته الأخرى . وهذه تقول أكل صدقي . وهذا يُقُولُ : تعدى على محارمي . وهذا يُقُولُ : نشز زوجتي . وهذه تقول : نشز زوجي .

وهذا يُقُولُ : غدر بي . وهذا يُقُولُ : خانني . وهذا يُقُولُ : دلس علي . وهذا يُقُولُ : نجش علي في السلعة التي أريد شراءها . وهذا يُقُولُ : كادني . وهذا يُقُولُ : منعني النوم بملاهيته من مذياع وتلفزيونه وبكمه وسينمائه . فبينما أنت على تلك الحال المخيفة التي لا يرى فيها بغضك من كثرة من تعلق بك من الغرماء الذين أنشبوها فيك مخالبتهم وأحكموا في تلايبك أيديهم وأنت مبهوت متحير مضطرب الفكر والعقل من كثرتهم ومطالبتهم حتى لم يبق أحد ممن جالستهم أو عاملتهم أو صاهرتهم أو شاركتهم ولو

مدة قليلة إلا وقد استحق عليك مظلمة وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله أن يخلصك من أيديهم .

إذا قرع سمعك نداء الجبار جَلَّ وَعَلَا وتقدست أسماؤه : ﴿ اليوم تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمِ ﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك وتضطرب أعضاؤك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتذكر ما أنذرك الله تعالى به على لسان رسله حيث قال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾ .

وقوله : ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ الآية فيالها من مصيبة ، وما أشدها من حسرة في ذلك اليوم ، إذا جاء الرب جَلَّ وَعَلَا للفصل بين عبادته بحكمه العدل وشوفه الظالم بالخطاب وعلم أنه مفلس فقير عاجز مهين لا يقدر على أن يرد حقاً أو يظهر عذراً .

فعند ذلك تؤخذ حسناته التي تعب عليها في عمره ، ليلاً ونهاراً حضراً وسفراً وتنقل إلى الخصماء عوضاً عن حقوقهم وتقدم حديث أبي هريرة في بيان المفلس من الأمة فلينظر العاقل إلى المصيبة في مثل ذلك اليوم الذي ربما لا يسلم له فيه شيء من الحسنات فإن سلم شيء ابتدره الغمراء وأخذه فكيف تكون حال من رأى صحيفته خالية من حسنات طالما تعب فيها ، فإذا سأل عنها قيل له نُقِلْتُ إلى صحيفة خصمائك الذين ظلمتهم ويرى صحيفته مشحونة بسيئات لم يعملها ،

فإذا سأل عنها ومن أين جاءت إليه ؟ قيل : هذه سيئات القوم الذين طالما تهممت بهتك أعراضهم وتناولت أموالهم وقذفتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وخنتهم في المبايعة والمجاورة والمعاملة ونحو ذلك من أنواع الظلم اللهم قو إيماننا بك وبملائكتك وبكتبك وبرسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وثبتنا على قولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِعْرًا: وَفِي النَّاسِ مِنْ ظَلَمِ الْوَرَى عَادَةٌ لَهُ

وَيَنْشُرُ أَعْدَارًا بِهَا يَتَأَوَّلُ

جَرِيءٌ عَلَى أَكْلِ الْحَرَامِ وَيَدَّعِي

بِأَنَّ لَهُ فِي حِلِّ ذَلِكَ مَحْمَلٌ

فِيَا أَكِلِ الْمَالِ الْحَرَامِ ابْنِ لَنَا

بِأَيِّ كِتَابٍ حَلَّ مَا أَنْتَ تَأْكُلُ

أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ اللَّهَ يَدْرِي بِمَا جَرَى

وَبَيْنَ الْبَرَائِيَا فِي الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ

حَنَائِكَ لَا تَظْلِمُ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ

وَبِالْبُعْثِ عَمَّا قَدْ تَوَلَّيْتَ تُسْأَلُ

وَتَوْقَفُ لِلْمَظْلُومِ يَاخُذُ حَقَّهُ

فِيَاخُذُ يَوْمَ الْعَرْضِ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ

وَيَأْخُذُ مِنْ وَرْزٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ

فِيُوضَعُ فَوْقَ الظُّهْرِ مِنْكَ وَيَجْعَلُ

فِيَاخُذُ مِنْكَ اللَّهُ مَظْلَمَةَ الَّذِي

ظَلَمْتَ سَرِيعًا عَاجِلًا لَا يُؤَجَّلُ

تَفَرُّ مِنَ الْخَصْمِ الَّذِي قَدْ ظَلَمْتَهُ
 وَأَنْتَ مُخَوِّفٌ مُوجِفُ الْقَلْبِ مُوجَلٌ
 تَفَرُّ فَلَا يُغْنِي الْفِرَارُ مِنَ الْقَضَا
 وَإِنْ تَتَوَجَّهْ لَ لَا يُفِيدُ التَّوَجُّهَ
 فَيَقْتَصُ مِنْكَ الْحَقُّ مَنْ قَدْ ظَلَمْتَهُ
 بِأَلَا رَأْفَةً كَلَا وَلَا مِنْكَ يَنْجَلُ

وحكي أن الرشيد حبس أبا العتاهية فكتب على جدار الحبس :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُرُومٌ
 وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُومٌ
 إِلَى الدَّيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمِضِي
 وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ
 سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقَيْنَا
 غَدًا عِنْدَ الْمَلِيكِ مَنْ الظُّلْمُومُ
 تَنَامٌ وَلَمْ تَنَمْ عَنكَ الْمَنَائِيَا
 تَنَبَّهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوُومُ
 لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى
 وَمَا حَيِّي عَلَى الدُّنْيَا يَدُومُ
 تَرُومُ الْخُلْدُ فِي دَارِ الْمَنَائِيَا
 وَكَمْ قَدْ رَامَ غَيْرُكَ مَا تَرُومُ
 سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَّمٍ تَقْضَتْ
 سَأَلْتُ خَيْرُكَ الْمَعَالِمَ وَالرُّسُومُ

فأخبر الرشيد بذلك فبكى بشدة ودعا أبا العتاهية فأستحله ووهب له ألف دينارٍ لحبسه من غير موجبٍ شرعي .

آخر: مَا دَارُ دُنْيَا لِلْمُقِيمِ بِدَارِ
مَا بَيْنَ لَيْلٍ عَاكِفٍ وَنَهَارِهِ
طُولُ الْحَيَاةِ إِذَا مَضَى كَقَصِيرِهَا
وَالْعَيْشُ يَعْقِبُ بِالْمَرَارَةِ خُلُوهُ
وَكَأَنَّمَا تَقْضِي بِنِيَّاتِ الرَّدَى
وَالْمَرْءُ كَالطِّيفِ الْمُطِيفِ وَعُمُرُهُ
خَطْبٌ تَضَاءَلَتِ الْخُطُوبُ لَهُوْلِهِ
نُلْقِي الصَّوَارِمَ وَالرَّمَاخَ لَهُوْلِهِ
إِنَّ الَّذِينَ بُنُوا مَشِيدًا وَانْشَأُوا
سَلَبُوا النَّصَارَةَ وَالنَّعِيمَ فَأَصْبَحُوا
تَرَكُوا دِيَارَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
خَلَطَ الْحَمَامُ قُوبَهُمْ بِضَعْفِهِمْ
وَالْخَوْفُ يُعْجِلُنَا عَلَى آثَارِهِمْ
وَتَعَاقَبُ الْمَلُوفِينَ فِينَا نَاثِرٌ
وَبَهَا النَّفُوسُ فَرِيَسَهُ الْأَقْدَارِ
نَفْسَانِ مُرْتَشِفَانِ لِلْأَعْمَارِ
وَالْيَسْرُ لِلْإِنْسَانِ كَالِإِغْسَارِ
وَالصَّفْوُ فِيهِ مُخَلَّفُ الْأَكْدَارِ
لِفَنَائِنَا وَطَرًا مِنَ الْأَوْطَارِ
كَالتَّوْمِ بَيْنَ الْفَجْرِ وَالْأَسْحَارِ
أَخْطَارُهُ تَعْلُو عَلَى الْأَخْطَارِ
وَنَلُودُ مِنْ حَرْبٍ إِلَى اسْتِشْعَارِ
يَسْعُونَ سَعْيَ الْفَاتِكِ الْجَبَّارِ
مُتَوَسِّدِينَ وَسَائِدِ الْأَحْجَارِ
وَتَوَسَّدُوا مَدْرًا بَغَيْرِ دِثَارِ
وَعَنِيَهُمْ سَاوَى بِيذِي الْأَقْتَارِ
لَا بُدَّ مِنْ صُبْحِ الْمُجِدِّ السَّارِي
بِأَكْرَّ مَا نَظَمْنَا مِنَ الْأَعْمَارِ

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ
الْحَاجَاتِ يَا حَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كَفْوًا أَحَدٌ ، الْوَهَابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَ لِأَمْرِكَ وَلَا مَعْقِبَ لِحُكْمِكَ
نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتَنُورَ قُلُوبَنَا وَتَتَبَّبْتَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَتَسْكُنَنَا دَارَ كِرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله لقد توعده الله الَّذِينَ يَخالفون أمره ويتصرفون عن ذكره ويجترون على معاصيه بشديد غضبه وعظيم سخطه وحذرهم بأسه وانتقامه فما بال كثير من الناس بعد القرون الأولى عمدوا إلى محارم الله فارتكبوها وأموراته فاجتنبوها ثم عادوا بمر الشكوى من تغير الأحوال وانتزاع البركة من الأرزاق والأموال .

أحسبت أنك يا ابن آدم تحمل وترتك فلا تعاقب ، وتظلم وتتقلب في النعيم كيف شئت ولا تحاسب أنسيت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . كُلُّ هَذَا من جهالتك وانطماس بصيرتك ولكن اعمل ما شئت فسيرى الله عملك ثم ترد إليه ويجازيك بما تستحق جهلت في حال النعيم وكان الواجب عَلَيْكَ أن تتعرف إلى الله في الرخاء ليعرفك في الشدة ، ولكن لم تفعل وأصبحت بعد زوالها منك شكوا لمن ؟ تشكو لمن عصيته بالأمس تشكو لمن خالفت أوامره وفعلت نواهيهِ مَعَ علمك أنه المنتقم الجبار تشكو لمن حاربتَه بالمعاصي المتنوعة وقد أسبغ عَلَيْكَ نعمه ظاهرة وباطنة ولو شاءَ لمنعها عَنْكَ لأنه الفعال لما يريد تشكو لمن تأكل نعمه في أرضه مستعينًا بها على معاصيه أليس عملك هذا في منتهى اللامة والخساسة بمدك بالنعم وتبارزه بالمعاصي ألك صبر على جهنم وزمهيرها ألك طاقة بالويل والغساق والزقوم والحميم والضريع ، عباد الله هذا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ من الانهماك في الدُّنْيَا وقتل كُلِّ الوَقْتِ في جمعها والابتعاد عن الآخرة وانتشار المعاصي بسرعة هائلة ما هُوَ والله

إِلا بما كسبت أيدينا قال تَعَالَى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ الآية . عباد الله إن غلاء الأسعار ، وانتشار الأمراض ، وما رأيتم من الفتن والتعقيد في الممتلكات والتقاطع والعقوق ما هُوَ وَاللَّهِ إِلا جزاء عملنا وما هُوَ إِلا قليل من كثير فقد تمادينا في المعاصي والله يغار على أوامره أن تجتنب ومحارمه أن ترتكب قال صلى الله عَلَيْهِ وسلم : « لا أحد أغير من الله » . الْحَدِيث .

تَيَقَّنْتُ أَنِّي مُذْنِبٌ وَمُحَاسِبٌ

وَلَمْ أَدْرِ هَلْ نَاجٍ أَنَا أَوْ مُعَاقِبٌ

وَمَا أَنَا إِلا بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَاقِفٌ

فَأَمَّا سَعِيدٌ أَمْ بِذَنْبِي مُطَالِبٌ

وَقَدْ سَبَقَتْ مِنِّي ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا تَكُونُ الْعَوَاقِبُ

فَيَا مُنْقِذَ الْعَرَقِيِّ وَيَا كَاشِفَ الْبَلَاءِ

وَيَا مَنْ لَهُ عِنْدَ الْمَمَاتِ مَوَاهِبُ

أَغْنَتَنَا بِغُفْرَانٍ فَإِنَّكَ لَمْ تَزَلْ

مُجِيبًا لِمَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

اللَّهُمَّ أحيِنَا فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ وَتوفِنَا مُسْلِمِينَ تَائِبِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وعن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ قال الزبير

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أي رسول الله أكرّر عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِ الدُّنُوبِ ؟ قال صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ » . قال الزبير : وَاللَّهِ إِنْ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ . رواه الترمذي .

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لِيَخْتَصِمُ حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَا)) . تفرد به أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ . وفي المسند عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاتَيْنِ يَنْتَطِحَانِ فَقَالَ : « أَتَدْرِي فِيمَا يَنْتَطِحَانِ يَا أَبَا ذَرٍّ » ؟ قُلْتُ : لَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَكِنَّ اللهُ يَدْرِي وَسِيحْكُمَ بَيْنَهُمَا » .

فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم وعفى الله عَنْكَ وَرَحِمَكَ فَأَيَقْنَتَ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ كَيْفَ يَكُونُ سُرُورُكَ وَاعْتِبَاطُكَ فِي مَنْصَرَفِكَ مِنْ فَصْلِ الْقَضَاءِ وَقَدْ خَلَعَ عَلَيْكَ خَلْعَةَ الرِّضَا وَعَدْتَ بِسَعَادَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا شَقَاءٌ وَنَعِمَ بِدَنِكَ بِنَعِيمٍ لَا يَدُورُ بِحَوَاشِيهِ الْفَنَاءُ وَعِنْدَ ذَلِكَ طَارَ قَلْبُكَ سُرُورًا وَأَنْسَا وَابْتَهَاجًا وَفَرَحًا وَصَرْتَ مِنَ الْحِزْبِ الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ وَاسْتَنَارَتْ وَأَشْرَقَتْ فَتَصُورُ مَشِيكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ رَافِعًا رَأْسَكَ خَالِيًا مِنَ الْأَوْزَارِ ظَهْرَكَ ، يَعْرِفُ فِي وَجْهِكَ نَضْرَةَ النَّعِيمِ وَالخَلْقَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَإِلَى حَالِكَ وَيَغْبِطُونَكَ فِي حَسَنِكَ وَجَمَالِكَ وَالْمَلَائِكَةُ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْكَ يَبْشُرُونَكَ بِمَا يَسُرُّكَ .

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرجت الصحيفة مملوءة من المظالم ومقته الله ولعنه ونكس هذا المجرم رأسه الوجه أزرق

العينين وأخذته الزبانية بناصيته يسحبونه على وجهه على ملاء من الخلق وهم ينظرون إليه وهُو ينادي بالويل والثبور له ولأمثاله ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ ﴿ فما أعظم جرم من يستتر ويحترز عن ملاء من الخلق خشية الافتضاح عندهم في هذه الدُّنيا المضمحلة المنقرضة ثُمَّ لا يخشى من الافتضاح عِنْدَ علام الغيوب وفي ذَلِكَ الملاء العَظِيم مَعَ التعرض لسخط بديع السماوات والأرض فالق الحب والنوى .

شِعْرًا: تَوَارَى بِجُدْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى

وَأَنْتَ بَعَيْنِ اللَّهِ لَوْ كُنْتَ تُنْظَرُ

وَتَخْشَى عُيُونَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا بِهَا

وَلَمْ تَخْشَ عَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَنْظُرُ

آخِر: يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبُعُوضِ جَنَاحَهَا

فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَيْلِ

وَيَرَى مَنَاطَ غُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا

وَالْمُخَّ فِي تَلْكَ الْعِظَامِ النَّحْلِ

وَيَرَى مَكَانَ الدَّمِ مِنْ أَعْضَائِهَا

مُنْقَلًا مِنْ مَفْصِلٍ فِي مَفْصِلِ

وَيَرَى مَكَانَ الْمَشْيِ مِنْ أَقْدَامِهَا

وَحَطِيطِضَافِهَا فِي مَشْيِهَا الْمُسْتَعْجِلِ

وَيَرَى وَيَسْمَعُ حِسَّ مَا هُوَ صَوْتُهَا

فِي قَعْرِ بَحْرِ غَامِضٍ مُتَجَدِّدِ

أَصَوَاتُهَا مَرْفُوعَةٌ عَنَدَ النَّدَا
 أَرْزَاقُهَا مَقْسُومَةٌ لِسُؤْلِ
 اغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ فِرْطَاتِهِ
 مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
 آخِر: إِنَّ الْقُلُوبَ يَدُ الْبَارِي تُقَلِّبُهَا
 فَاسْأَلْ مِنَ اللَّهِ تَوْفِيقًا وَتَشْيِيتًا
 مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ لَا تَهْدِيهِ مَوْعِظَةٌ
 وَإِنْ هَدَاهُ فَلَوْ قَدْ كَانَ عِنْتِنَا
 فَهَذِهِ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ أَنْتَ بِهَا
 فَكُنْ صَبُورًا إِذَا فِي اللَّهِ أَوْذِينَا
 وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ خَيْرًا يَمُنُّ بِهِ
 عَلَيْكَ وَاصْبِرْ وَلَوْ فِي الدِّينِ عُودِينَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَخْلُوقٌ لِبَطَاعَتِهِ
 فَإِنْ أَجَبْتَ فَلِلْخَيْرَاتِ أُوتِينَا
 وَسَوْفَ تَرْضَى غَدًا إِنْ كُنْتَ مُعْتَصِمًا
 بِالْوَاحِدِ الْفَرْدِ لَا بِالشَّرْكِ إِنْ جِيتَا

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان وثبتت محبتك فيها وقوها وأهملنا ذكرك وشكرك وارتزقنا حب
 أوليائك وبغض أعدائك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا
 ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين

(مَوْعِظَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ)

إخواني أين رفقاؤنا وإخواننا أين ذهب معارفنا وجيرانا أين أصدقاؤنا أين زملاؤنا وأقراننا أين
 علماؤنا العاملون بعلمهم أين آباؤنا

وأجدادنا رحلوا وَاللَّهِ بعدهم بقاؤنا هذه مساكنهم فيها غيرهم قَدْ نسيناهم محبهم وجفاهم أين أصحاب القصور الحصينة ، والأنساب العالية الرصينة والعقول الراجحة الرزينة قبضت عَلَيْهِم يد الْمَنَايَا فظفرت ونقلوا إلى أجداتٍ ما مهدت إذ حفرت ورحلوا بذنوب لا يدرون هل غفرت أو بقيت فالصحيح مِنْهُمْ بالحزن قَدْ سقم والمدعو إلى دار البلى أسرع ولم يقم وَالْكِتَابُ قَدْ سطر بالذُّنُوبِ فرقم . ولذيد عيشهم بالتنغيص قَدْ ختم ورافقهم لأحبابهم وأموالهم قَدْ حتم والولد قَدْ ذل ويتم فتفكروا في القوم كيف رحلوا وتذكروا ديارهم أين نزلوا ، واسألوا منازلهم عنهم ماذا فعلوا فانتبه من رقادك قبل أن تصل ما وصلوا يا من غفل وسهى ولهى ونسي المقابر والبلى .

شِعْرًا: إِنَّ الْحَيِّبَ مِنَ الْأَحْبَابِ مُخْتَلَسٌ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالذُّنْيَا وَلَذَّتْهَا يَا مَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
أَصْبَحْتَ يَا غَافِلًا فِي النَّقْصِ مُنْغَمَسًا وَأَنْتَ دَهْرَكَ فِي اللَّذَاتِ مُنْغَمَسٌ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَهْلٍ لِعَرَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
كَمْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ فِي قَبْرِ وَقَفْتُ بِهِ عَنِ الْجَوَابِ لِسَانًا مَا بِهِ خَرَسُ
قَدْ كَانَ قَضْرُكَ مَعْمُورٌ لَهُ شَرَفُ وَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاتِ مُنْدَرَسُ

آخر: لَنَا كُلَّ يَوْمٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذَاهِبِ

وَمُسْتَهْلِكٌ بَيْنَ النَّوَى وَالنَّوَائِبِ

وَقَلْعَةٌ إِخْوَانٌ كَانَا وَرَاءَهُمْ

نُرَامِقُ أَعْجَازِ النَّجُومِ الْعَوَارِبِ

نُوَادِعُ أَحْدَاثِ اللَّيَالِي عَلَى شَفَا
 نُوَادِعُ أَحْدَاثِ اللَّيَالِي عَلَى شَفَا
 وَنَأْمَلُ مِنْ وَعْدِ الْمُنَى غَيْرَ صَادِقٍ
 وَنَأْمَلُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غَيْرَ كَاذِبٍ
 إِلَى كَمِ نُمْنَى بِالْغُرُورِ وَنَشِي
 بِأَعْنَاقِنَا لِلْمُطْمَعَاتِ الْكُـوَادِبِ
 نُرَاعُ إِذَا مَا شَيْكَ أَحْمَصُ بَعْضِنَا
 وَأَقْدَامُنَا مَا بَيْنَ شَوْكِ الْعُقَارِبِ
 وَنُمَشِي بِأَمَالٍ طِوَالٍ كَأَنَّـنَا
 أَمْنًا بِنَاتِ الْخَطْبِ دُونَ الْمَطَالِبِ
 نَعَمِ إِنَّهَا الدُّنْيَا سِمُومٌ لَطَاعِمِ
 وَخَوْفٌ لِمَطْلُوبٍ وَهَمٌّ لِمَطْلِبِ
 وَإِنَّا لَنَهَوَاهَا عَلَى الْغَدْرِ وَالْقِلَا
 وَنَمْدَحُهَا مَعَ عِلْمِنَا بِالْمَعَائِبِ
 وَمَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ ظَهْرًا لِرِجْلِهِ
 فَيَا قُرْبَ مَا بَيْنَ الْمَدَى وَالرَّكَائِبِ
 تَحِلُّ الرِّزَايَا بِالرِّجَالِ وَتَنْجَلِي
 وَرُبَّ مُصَابٍ يُمْقَلِعُ عَن مَّصَائِبِ

آخر:

عَزَى بَعْضَهُمْ أَحَا فَقَالَ :

تَصَبَّرْ فَإِنَّ الْأَجْرَ أَسْنَى وَأَعْظَمُ وَلَا زِمَ لِمَا يَهْدِي لِمَا هُوَ أَقْوَمُ
 وَلَوْ جَاَزَ فَرَطُ الْحُزْنِ لِلْمَرْءِ لَمْ يُفِدْ فَمَا بَالُنَا لَا نَسْتَفِيدُو نَأْتُمُ

وَأِنِّي عَنْ نَدْبِ الْأَحِبَّةِ سَاكِتٌ وَإِنْ كَانَ قَلْبِي بِالْأَسَى يَتَكَلَّمُ
وَقَالَ آخِرَ مَا تَ لَهُ طِفْلٍ :

فَإِنْ كُنْتَ تَبْكِيهِ طَلَابًا لِنَفْعِهِ فَقَدْ نَالَ جَنَاتِ النَّعِيمِ مُسَارِعًا
وَإِنْ كُنْتَ تَبْكِي أَنَّهُ فَاتَ عَوْدُهُ عَلَيْكَ بِنْفِعٍ فَهُوَ قَدْ صَارَ شَافِعًا
آخِرُ: جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبِّي شَتَّانَ بَيْنَ جَوَارِهِ وَجَوَارِي

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا وَاحِدَ أَحَدٍ يَا فَرْدَ صَمَدٍ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تَعْلَى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالِدِينَ وَأَنْ تَشْمَلَ بِعِنَايَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمَلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ رَسَلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأَنْ تَلْهَمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَانَا وَأَنْ تَهْوَنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) فِي تَحْرِيمِ الْقَتْلِ وَإِثْمِ الْقَاتِلِ

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْقَتْلَ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ وَأَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَشَدِّ الْآثَامِ بَلْ هُوَ أَغْلَظُهَا جَمِيعًا بَعْدَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ وَمَا زَالَ النَّاسُ مُنْذُ تَكُونُوا جَمَاعَاتٍ وَظَهَرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ تَعَارُضُ الرِّغْبَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَتَمَكَّنَتْ بِهَا فِي النُّفُوسِ بَوَاعِثُ التَّعَدِي يَرُونَ أَنَّ جَرِيمَةَ الْقَتْلِ مِنْ أَكْبَرِ الْجَرَائِمِ وَذَلِكَ أَنَّهَا سَلَبَتْ لِحَيَاةِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَيْتِيمَ لِأَوْلَادِهِ وَتَرْمِيلَ لِنِسَائِهِ وَحَرَمَانَ لِأَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَإِضَاعَةً لِحَقُوقِهِ ،

وقطع لأعمال حَيَاتِهِ ، والحيلولة بينه وبين التوبة والوصايا وغير ذَلِكَ وإيصال النَّاسِ حقوقهم إن كَانَ عَلَيْهِ هُمْ شَيْءٌ وَأَنْتَ إِذَا تَتَبَعْتَ المعاصي معصية معصية لا تجد لواحدةٍ منها فسادًا يساوي فساد القتل لأن الإنسان إذا مَاتَ ومحي من الوجود ذهب كله ولم يبق ناحية من نواحيه وَلَيْسَ ذَلِكَ المعنى في أي معصية ولذلك كانت هذه الكبيرة تلي الشرك بالله وورد عن أبي مُوسَى رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَصْبَحَ إبْلِيسُ بِثِ جَنُودِهِ فَيَقُولُ : مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتَهُ التَّاجَ . قَالَ : فَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ، فَيَقُولُ : يَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدِيهِ ، فَيَقُولُ : يَوْشَكَ أَنْ يَبْرَهْمَا ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ : لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ : أَنْتَ أَنْتَ وَيَلْبَسُهُ التَّاجَ » . رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدرکه .

وأيضًا تحد لشعور الجماعة البشرية الَّذِي فطرت عَلَيْهِ من اعتقاد أن الحياة جعلها الله حَقًّا لكل حيٍّ يمتع به ولا يجوز انتزاعه منه إلا بحق شرعي .

وأيضًا جريمة القتل مزعزة لما ترجو هذه الجماعة ، من هدوء الحياة واستقرارها وأيضًا هدم لعمارة شادها الله تتكون منها ومن أمثالها العمارة لهذا الكون .

وهذا القرآن الكريم يحدثنا عن أول اعتداءٍ وقع من الإنسان على أخيه ويصور لنا كيف كَانَ القاتل والمقتول كلاهما يعدان القتل جريمة آثمة تستوجب غضب الله وعقابه وأن القاتل لشعوره بهذا كَانَ يعالج في

نفسه الأقدام على هذه الجريمة علاج الكاره المتحرج حتى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقال بعض المفسرين علة قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ من أجل الاعتداء الذي لا موجب له ولا مبرر على المسلمين الوادعين الذين لا يريدون شرًا ولا مدافعة ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أن جريمة قتل نفس واحدة بلا مبرر من قصاص أو دفع لفساد عام كجريمة قتل الناس جميعًا وأن حماية نفس واحدة واستحياءها بهذه الحماية في أية صورة من صورها ومنها القصاص كأنها استحياء للناس جميعًا . ذلك أن الاعتداء على نفس واحدة هو اعتداء على حق الحياة الذي يصون للناس جميعًا فالاستهتار بمدًا الحق اعتداء على كل من يدي به ويتحصن به والمحافظة على حياة الإنسان التي تسان به دماء الناس وأرواحهم فليست نفس مفردة هي التي تقتل إنما هو حقها في الحياة التي يشاركها فيها الناس ، وليست نفس مفردة هي التي تسان إنما هي كل نفس مستحقة للصيانة بما استحقت به تلك النفس الواحدة . أ . ه .

وقد اختلف العلماء هل للقاتل من توبة أم لا فروى البخاري عن سعيد بن جبير قال : اختلف علماء الكوفة فيها فرحلت إلى ابن عباس رضي الله عنه فسأله فقال : نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ . الآية وهي من آخر ما نزل ، وما نسخها شيء .

وعن سالم بن أبي الجعد قال : كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأثاء رجل فناده يا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال : ﴿ فَحَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ قال : أفرأيت إن ﴿ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ قال ابن عباس : ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى والذي نفسي بيده ، لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « ثكلته أمه ، قاتل مؤمناً متعمداً ، جاء يوم القيامة آخذ بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه في قبل عرش الرحمن يلزم قاتله بشماله ويده الأخرى رأسه يقول : يا رب سل هذا فيما قتلتني » ؟ وأيم الذي نفس عبد الله بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم وما نزل بعدها من برهان .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذ رأسه بيده فيقول : يا رب سل هذا فيم قتلتني قال : فيقول قتلته لتكون العزة لفلان قال : فإنها ليست له بؤ بإثمته قال : فيهوى في النار سبعين خريفاً » .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » . رواه أحمد والنسائي ، ولأبي داود من حديث أبي الدرداء كذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله » .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالْهَوَى وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ وَاعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالضِّيَاءِ فِي الْمَخْتَارَةِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَبِي اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً » .

وَرَوَى عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لِرِزَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ ، وَزَادَ فِيهِ : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدَخَلَهُمُ اللَّهُ النَّارَ » .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لِرِزَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا وَرَجَحَ الْمَوْقُوفَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَصِبْ دَمًا حَرَامًا » . وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنْ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بِغَيْرِ حِلِّهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ « مَا أَطْيَبُكَ وَمَا أَطْيَبُ رِيحَكَ مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْظَمَ حَرَمَتَكَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِحَرَمَةِ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْ حَرَمَتِكَ مَا لَهُ وَدَمِهِ » . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عَلَيْهِ وسلم : « لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتروا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار » . رواه الترمذي وَقَالَ : حديث حسن غريب وروى الطبراني في الصغير من حديث أبي بكر عن النَّبِيِّ صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : « لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبهم الله جميعًا على وجوههم في النار » .

وعن جندب بن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلم : « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم أن يهريقه ، كما يذبح به دجاجة كُلَّمَا تعرض لباب من أبواب الجنة حال الله بينه وبينه ومن استطاع منكم أن لا يجعل في بطنه إلا طيبًا فليفعل فإن ما ينتن من الإنسان بطنه » . رواه الطبراني ورواته ثقات .

وَقَالَ عبد الملك بن مروان كنت أجالس بريرة بالمدينة فكانت تقول لي : يا عبد الملك إني أرى فيك خصالاً ، وإنك لخليق أن تلي الأمر فإن وليته فاحذر الدنيا فإني سمعت رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم يَقُولُ : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها ، بملء محجمة من دم يهريقه من مسلم بغير حق » . انتهى .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عَلَيْهِ وسلم قَالَ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » . رواه البخاري .

قال شيخ الإسلام : أخبر صلى الله عليه وسلم أن أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة وذلك لأن الفساد إما في الدين وإما في الدنيا فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير حق ، ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا لرجل يموت مشركاً أو يقتل مؤمناً متعمداً » . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أصبح إبليس بث جنوده ، فيقول : من أضل اليوم مسلماً ألبسته التاج . قال : فيجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول : يوشك أن يتزوج ، ويجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى عق والديه ، فيقول : يوشك أن يبرهما ، ويجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى أشرك فيقول : أنت أنت ، ويجيء ، فيقول : لم أزل به حتى قتل فيقول : أنت أنت ، ويلبسه التاج » . رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج عنق من النار يتكلم فيقول : وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلهاً آخر ومن قتل نفساً بغير حق فينطوي عليهم فيقذفهم في حراء جهنم » . رواه أحمد والبخاري .

فَيَاكَ قَتْلُ النَّفْسِ ظُلْمًا لِمُؤْمِنٍ

فَذَلِكَ بَعْدَ الشُّرْكِ كُبْرَى التَّفْسُودِ

كَفَى زَاجِرًا عَنْهُ تَوْعُدُ قَادِرٍ

بِنَارٍ وَلَعْنٍ ثُمَّ تَخْلِيدٍ مُعْتَدِ

فَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْعِلْمِ وَالتَّقَى

بِنَفْسِي مَتَابِ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ

اللَّهُمَّ يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم العَفَلَة ونبهنا لاغتنام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عَلَيْهِ ضمائرنا وأنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب التي تعلمها منا وأمن عَلَيْنَا يا مولانا بتوبة تمحو بها عنا كُلَّ ذنب وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وممن يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً أَبُو هُرَيْرَةَ وعبد الله بن عمرو وأبو سلمة وعبيد بن عمير والحسن والضحاك بن مزاحم نقله ابن أبي حاتم عنهم وبالتالي فلو لم يرد في بيان ضخامة هذا الذنب ذنب القتل ، وعظمه الَّذِي لا يتناهى إِلا قوله تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

لَكَانَ فِيهَا كَفَايَةٌ وَمَوْعِظَةٌ وَزَجْرٌ ، ففيها من الوعيد الشديد الَّذِي ترجف منه القلوب وتنصدع له الأفتدة وينزعج منه أولو العقول ، فقرن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القتل بالشرك ، وبين أن جزاء جهنم وأنه خالد فيها وأن مَعَ ذَلِكَ الْعَذَابِ وَالْخُلُودِ غَضِبَ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا ولم تسكت الآية ، بل أضافت إلى ذَلِكَ اللَّعْنُ ، وَهُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ عَنِ الرَّحْمَةِ ولم تنته الآية إلى هَذَا الحد من بيان عظم جزاء القاتل بل صرحت تصريحاً لا خفاء فيه بأن عذاب ذلك القاتل سيكون نوعاً وحده في الشدة لا يمثله عذاب أي معصية ما عدا الشرك ، فذنبه أعظم الذُّنُوبِ وَعَقُوبَتُهُ أَشَدُّ الْعُقُوبَاتِ هَذَا مِمَّا وَرَدَ فِي قَتْلِ الْإِنْسَانِ غَيْرِهِ وَأَمَّا قَتْلُ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ الْمَعْرُوفِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ بِالْإِنْتِحَارِ فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ أَفْظَعَ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ لِأَنَّ حُرْصَ الْإِنْسَانِ عَلَى حَيَاتِهِ أَمْرٌ فَطْرِيٌّ يَبْعُدُ

كل البعد أن تثور عَلَيْهِ عوامل الغضب والانتقام .

ونفس الإنسان لَيْسَتْ ملكًا له فهو لم يخلق نَفْسَهُ ولا عضوا من أعضائه ، بل ولا خلية من خلاياه ، وإنما نَفْسُهُ ودِيعة وأمانة عنده استودعه الله إياه ، فلا يجوز له التفریط فيها ولا التصرف فيها إلا على وفق الشرع فيكف بالاعتداء عَلَيْهَا بالتخلص منها قال تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فالمسلم يراد منه أن يكون صلب العود قوي العزم في مواجهة الشدائد ولم ييح له أن يهرب من الحياة ، ويخلع ثوبها لبلاء نزل به ، أو أملٍ كَانَ يحلم به فخاب أمله فإن المؤمن خلق للجهد لا للعقود وللکفاح لا للفرار ، وإيمانه بِاللَّهِ وخلقه يَأْبِيَان عَلَيْهِ أن يفر من ميدان الحياة ومعه السِّلَاح الَّذِي لا يفل ، والذخيرة التي لا تنفذ ، سلاح الإيْمَان المكين ، وذخيرة الخلق المتين الَّذِي استمده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وفقنا الله وَجَمِيعَ المسلمين إلى الإقتداء بهما والتمسك بهما علمًا وعملاً .

وإذا كَانَ جزء من قاتل المؤمن عمداً ما سمعت فإن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم يصور لنا جزء قاتل نَفْسَهُ من ذَلِكَ قوله صلى الله عَلَيْهِ وسلم : « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » . رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي ، فهَذَا الْحَدِيثُ يصرح بالخلود المؤبد في حق قاتل نَفْسَهُ ويفيد أن قاتل نَفْسَهُ في أي آلة من

الآلات القاتلة يعذب نفسه بتلك الآلة في نار جهنم فيستعملها هناك كما استعملها هنا
عندما قتل نفسه فيجتمع عليه عذاب النار وعذاب الآلة المذكورة نسأل الله العافية في
الدنيا والآخرة وعن وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ ، وَالَّذِي يَطْعَنُ نَفْسَهُ يَطْعَنُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ وَالَّذِي يَفْتَحِمُ
يَفْتَحِمُ فِي النَّارِ » . رواه البخاري .

ومن ذلك ما أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : شهدنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لرجل ممن يدعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلما حضر القتال
قاتل ذلك الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيـل : يا رسول الله الذي قُلتَ إنهُ من أهل
النار قد قاتل قتالاً شديداً وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » . فكاد
بعض المسلمين أن يرتاب فبينما هم على ذلك ، إذ قيل له إنهُ لم يمُتْ ولكنَّ به جراحة
شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فأخذ دُباب سيفه فتحامل عليه فقتل نفسه
فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله » . ثم
أمر بلالاً فنادى بالناس « إنهُ لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله ليؤيّد هذا الدين
بالرجل الفاجر » . وعن جندب بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((
كان من كان قيلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده ، فما رقا الدم حتى مات
فقال الله بادرنبي عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة)) وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه : أن
رجلاً كانت به جراحة فأتى قرناً له فأخذ مشقصاً فذبح به نفسه فلم

يصل عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه ابن حبان في صحيحه .
 عَنْ أَبِي قِلَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ
 عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا مَتَعَمِدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ
 كَقَتْلِهِ وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . رواه البخاري ومسلم .

وجاء في ترويع المسلم عدة أحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم : « من أشار إلى أخيه
 بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي ، وإن كانَ أخاه لأبيه وأمه » .

وَقَالَ ρ : « من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة » .

وَقَالَ ρ : « من أخاف مؤمناً كانَ حقاً على الله ألا يؤمنه من أفراع يوم القيامة » .

شِعْرًا: فَيَا عَجَبًا نَدْرِي بِنَارٍ وَجَنَّةٍ وَلَيْسَ لِنَدِي نَشْتَاقُ أَوْ تِلْكَ نَحْذَرُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ خَوْفٌ وَشَوْقٌ وَلَا حَيَا فَمَاذَا بَقِيَ فِينَا مِنَ الْخَيْرِ يُذَكَّرُ
 وَلَيْسَ لِحَرِّ صَابِرِينَ وَلَا بَلَى فَكَيْفَ عَلَى النَّيْرَانِ يَا قَوْمُ نَصْبِرُ
 وَفَوْتُ جِنَانِ الْخُلْدِ أَعْظَمُ حَسْرَةً عَلَى تِلْكَ فَلَلَيْسَتْ حَسِرِ الْمُتَحَسِّرِ
 فَأُفُّ لَنَا أُفُّ كِلَابٍ مَزَابِلٍ إِلَى بَتْنِهَا نَعْدُوا وَلَا نَتَذَبَّرُ
 نَيْعُ خَطِيرًا بِالْحَقِيرِ عَمَائَةَ وَلَيْسَ لَنَا عَقْلٌ وَوَلَبُّ مُنَوَّرُ

فَطُوبَى لِمَنْ يُؤْتَى الْفَنَاعَةَ وَالثَّقَى
 تَوَرَّعَ وَدَعَا مَا أَنْ يَرِيْبِكَ كَلَّةُ
 وَحَافِظًا عَلَى أَعْضَائِكَ السَّعِ جُمَّلَةً
 وَكُن رَاضِيًا بِاللَّهِ رَبًّا وَحَاكِمًا
 آخِر: لِكَسْرَةٍ مِنْ رَغِيْفِ الْخُبْزِ تُشْبِعُنِي
 وَخَرْقَةٍ مِنْ خَشِيْنِ الثَّوْبِ تَسْتُرُنِي
 لَا أَبْتَغِي وَصَلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي
 آخِر: قَبِعْتُ بِالْقُوْتِ فِي زَمَانِي
 خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا
 مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا
 وَمَنْ رَأَيْتُ بِعَيْنِي نَقْصًا
 وَمَنْ رَأَيْتُ بِعَيْنِي تَمًّا
 وَأَوْفَاتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَعْمرُ
 جَمِيْعًا إِلَى مَا لَا يَرِيْبِكَ تَسْلَمُ
 وَرَاعِ حُقُوْقَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ
 وَفَوِّضْ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ وَسَلِّمْ
 وَشَرِيْبَةً مِنْ قَرَارِ الْمَاءِ تُرْوِيْنِي
 حَيًّا وَإِنْ مِتُّ تَكْفِيْنِي لِتَكْفِيْنِي
 وَلَا أَلِيْنَ لِمَنْ يَبْتَغِي لِيْنِي
 وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
 فَضَّلْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ
 فَلَا أَبَالِي إِذَا جَفَّانِي
 رَأَيْتُهُ بِاللَّذِي رَأَيْتُ
 رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة

عباد الله طلب الرزق الحلال فريضة على كل مسلم فالتمس الرزق أيها المسلم من حله وإيّاك
 وما نهاك الله عنه وحرمه فمتاع الدنيا قليل ؛ أيها المسلم إن جمعك للمال من حله عبادة إذا
 كنت تريد به إعفاف نفسك ، والقيام بما أوجبه الله عليك من الحقوق ، واحذر من

ترك العمل ، وافعل الأسباب التي بها يحصل الرزق بإذن الله ، واعلم أن من ترك العمل وغلب عليه الكسل حتى صار كلاً على الخلق يعده أهله ثقلاً ويراه صاحبه بغيضاً ، ولا يلقاه أحد إلا وكره لقياه قال تعالى حاثاً على طلب الرزق : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والمؤمن المحترف الكسوب الذي يأكل من عمل يده مكرم محبوب محترم عند أهله والأولاد وكان نوح وداود يحترفان التجارة ومحمد صلى الله عليه وسلم رعى الغنم ، وموسى كان أجيراً عند صاحب مدين وكان إدريس خياطاً ، وما أبعد هذه الأعمال الشريفة عن الكسل والبطالة وكان السلف رضي الله عنهم عمالاً مكتسبين فكلهم ما بين غني شريف وفقير شريف عفيف ، لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ولا يمنعهم الدين عن طلب الكسب والقيام بالواجبات ، وهم مع هذا من أقوى الناس توكلاً على الله ورضى بما قدر وقضاه وهذا أمر الله به ورضيه .

شعراً:

لِمَنْ تَطْلُبَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرِدْ بِهَا رَضَى الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ

آخر: وَكُنْ بِالَّذِي قَدْ خَطَّ بِاللُّوحِ رَاضِيًا

فَلَا مَهْرَبَ مِمَّا قَضَاهُ وَخَطَّاهُ

وَأَنَّ مَعَ الرَّزْقِ اشْتِرَاطُ التَّمَاسِهِ

وَقَدْ يَتَعَدَّى إِنْ تَعَدَّيْتَ شَرْطَهُ

فَلَوْ شَاءَ أَلْقَى فِي فَمِّ الطَّيْرِ قُوَّتَهُ

وَلَكِنَّهُ أَوْحَى إِلَى الطَّيْرِ لِقَطُّهُ

آخر: وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِي وَلَمَنْ أَلْقِ دَلْوَكِ بِالِدَلَاءِ

تَجِيءُ يَمَلئُهَا طَوْرًا وَطَوْرًا وَتَجِيءُ بِحَمَاءٍ وَقَلِيلِ مَاءٍ

آخر:

لَا تَفْعُدَنَّ بِكَسْرِ الْبَيْتِ مُكْتَبًا

يَفْنَى زَمَانُكَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ

وَاحْتَلِ لِنَفْسِكَ فِي رِزْقِ تَعِيشُ بِهِ

فَإِنَّ أَكْثَرَ عَيْشِ النَّاسِ بِالْحَيْلِ

وَلَا تَقُلْ إِنَّ رِزْقِي سَوْفَ يُدْرِكُنِي

وَإِنْ قَعَدَتْ فَلَيْسَ الرِّزْقُ كَالْأَجَلِ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَا تَعَذِّبْنَا وَوَقِّفْنَا وَلَا تَحْذِلْنَا وَلَا تَسْلُبِ الْإِيمَانَ مِنَّا لَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا مَعُولَ لَنَا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في التحذير من الزنا وآثاره في الدنيا والآخرة

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يَجِبُهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ رَكِبَ فِي الْإِنْسَانِ شَهْوَةَ الْفَرْجِ تَرْكِيبًا قَوِيًّا وَجَعَلَ لَهَا عَلَيْهِ سُلْطَةً شَدِيدَةً فَإِذَا هَاجَتْ كَانَتْ أَشَدَّ الشَّهَوَاتِ عَصِيَانًا عَلَى الْعَقْلِ فَلَا تَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَمَنْ لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ قَوِيَّ الْإِرَادَةِ شَجَاعًا انْقَادَ لَهَا صَاغِرًا وَأَطَاعَهَا ذَلِيلًا وَلَوْ لَا قُوَّةُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ وَشِدَّةُ سُلْطَانِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ لَأَبَى أَنْ يَحْتَمِلَ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ

مشاق البيتوتة وتكاليف الزوجية وتربية الأولاد والكد والتعب من أجلهم والرضى بالآلام التي تتناهبه إذا مرضوا أو أصيبوا بمكروه .

فخلق الله هذه الشهوة من القوة من أوضح الدلالة على قدرة الخالق وكمال علمه وخبرته وجيل حكيمته فإن الإنسان مسوق إلى التنازل رغم أنفه ومسخر على احتمال كل ما يترتب عليه من النصب ومع ذلك فهو راضٍ بكل الرضا .

وكذلك المرأة لولا ما جعل الله فيها من هذه الشهوة القوية ما كانت تستطيع حمل عبء الولادة والحمل ومشاق تربية الأولاد وهم صغار والسهر في الليالي والقيام على حراستهم ودفع الأضرار المكروهة عنهم وهم أطفال صغار واحتمال ما يعترهم من الآلام وعدم الراحة وأيضاً فإن الله قد خلق النساء على حالةٍ من الضعف لا يقدرن معها على احتمال تكاليف الحياة ومشاق الجهاد في معتركها .

فسخر الله لهن الرجال يحملون عنهن كل ما يعجزهن عن احتماله في سبيل حياتهن بدافع هذه الشهوة القوية التي أودعها العزيز الحكيم جلّ وعلا ، ولولاها لما كان للنساء هذا السلطان على النفوس .

وإذا علمت ذلك من أن شهوة الفرج لها من القوة والتأثير هذه المكانة وأنها إنما خلقت لحكمة أرادها الله فاعلم أن العقل مسئول عن تصريف هذه الشهوة والوقوف معها عند الحد الذي خلقت من أجله ولا يتركها تهيج بالوسائل المختلفة بل يجب عليه أن يبعد عن كل المناظر والأسباب التي تحركها وتبعثها إلى ما هو ممنوع شرعاً . والأسباب التي

تثير هذه الشهوة وتهيئها منها : النظر ، والحلوة بالأجنبية ، وحديث النفس ، وتقدم الكلام على النظر والحلوة .

وشر مضار شهوة الفرج والزنا واللواط فالزنا اكبر الكبائر بعد الشرك والقتل وهُو فاحشة مهلكة وجريمة موبقة وفساد لا تقف جرائمه عند حد ولا تنتهي آثاره ونتائجه إلى غاية وهُو ضلال في الدين وفساد في الأخلاق وانتهاك للحرمات والأعراض واستهتار بالشرف والمروءة ، وداعية للبغضاء والعداوة .

وإليك ما قال أحد المتكلمين عنه : عاره يهدم البيوت الرفيعة وبطأطى الرأس العالية ويسود الوجوه البيض ويصبغ بأسود من القار أنصع العمائم بياضاً ويجرس الألسنة البليغة ويبدل أشجع الناس من شجاعتهم جبناً لا يدانيه جبن ويهوي بأطول الناس أعناقاً وأسماهم مقاماً وأعرقهم عزاً إلى هاوية من الذل والازدراء والحقارة لئس لها من قرارٍ .

وهُو أقدر أنواع العار على نزع ثوب الجاه مهما تسع ونباهة الذكر مهما بعدت وإلباس ثوب من الخمول ينبو بالعيون عن أن تلفت إلى من كان في بيوتهم لفتة احترام وهُو أي الزنا لطخة سوداء إذا لحقت تاريخ أسرة غمرت كل صحائفه البيض وتركت العيون لا ترى منها إلا سواداً حالكاً .

وهُو الذنب الظلوم الذي إن كان في قوم لا يقتصر على شين من قارفته من نسائهم بل يمتد شينه إلى من سواها منهم فيشينهن جميعاً شيئاً يترك لهن من الأثر في أعين الناظرين ما يقضي على مستقبلهن النسوي وهُو العار الذي يطول عمره طولاً فقاتله الله من ذنب وقاتل فاعليه . أ . ه .

وقال آخر: إن الزنى يحط نفسه من سماء الفضيلة إلى حضيض الرذيلة ويصبح بمكان من غضب الله ومقته عظيم ويكون عند الخلق

مقوِّتًا وفي دنياه مهين الجانب عديم الشرف منحط الكرامة ساقط العدالة تزدرية العامة من الفاسقين وإن كان على أخلاقهم ويسير في ركابهم .

وتبعد عنه الخاصة من ذوي المروءة والكرامة والشرف ، مخافة أن يلوِّثهم ويعدبهم بجره ولا تقبل روايته ولا تسمع شهادته ولا يرغب في مجاورته بل يبتعد عنه كلُّ البعد ويكون متهمًا في حركاته وسكناته وجميع حالاته ولا يرغب في مصادقته ومخالطته ومعاملته .

إن سار قال النَّاسُ : أين يذهب هذا المجرم ؟ وإن قعد قالوا : لم قعد هذا الفاسق في هذا المكان وإن صاحبتة أو عاملته أخذوك بذنبه ورموك بما رموه به غالبًا وإن جاورتها فأعظم النَّاسُ إخلاصًا لك ومعرفةً بك شك في نزاهتك وأبعد عن زيارتك يخشى أن يظن أنه يريد بيت هذا الفاسق ولو جاء إليه لأمر ضروري أكثر التلفت عسى أن لا يراه أحد وهو حول باب هذا الدنس النذل المجرم .

وإن مشيت معه أنثى من أقاربه ظنوها أجنبية منه جريًا على ما اشتهر به وعلم عنه وإن جاء إلى بيت إنسان شريف لأمر ضروري اشمأز منه وحرص على التخلص منه بسرعة لا يراه أحد وهو عند بابه وإن مشى مع شريف لحاجة في النَّهَار ود الشريف أنه كان بالليل لئلا يراه أحد وهو يمشي مع هذا الدنس العرض الساقط نسأل الله العافية .

اللَّهُمَّ اجعلنا لكتابك من التالين ، ولك به من العاملين وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين ، وإلى لذيذ خطابه مستمتعين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين وبالأعمال مخلصين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

شِعْرًا: رَأَيْتُكَ فَيَمَّا يُخْطِئُ النَّاسُ تَنْظُرُ
 وَرَأْسُكَ مِنْ مَاءِ الْخَطِيئَةِ يَقْطُرُ
 تَوَارِي بِجُدْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى
 وَأَنْتَ بَعَيْنِ اللَّهِ لَوْ كُنْتَ تَشْعُرُ
 وَتَخْشَى عُيُونَ النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا بِهَا
 وَلَمْ تَخْشَ عَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَنْظُرُ
 وَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ كَفَى اللَّهُ شَرَّهُ
 أَلَا إِنَّهُ يَعْفُو الْقَبِيحَ وَيَسْتُرُ
 إِلَى كَمْ تَعَامَى عَنِ أُمُورٍ مِنَ الْهُدَى
 وَأَنْتَ إِذَا مَرَّ الْهَوَى بِكَ تُبْصِرُ
 إِذَا مَا دَعَاكَ الرُّشْدُ أَحْجَمْتَ دُونَهُ
 وَأَنْتَ إِلَى مَا قَادَكَ الْعَيْ تُبْذِرُ
 وَلَيْسَ يَقُومُ الشُّكْرُ مِنْكَ بِبِعْمَةٍ
 وَلَكِنْ عَلَيْكَ الشُّكْرُ إِنْ كُنْتَ تَشْكُرُ
 وَمَا كُلُّ مَا لَمْ تَأْتِ إِلَّا كَمَا مَضَى
 مِنَ اللَّهِ فِي اللَّذَاتِ إِنْ كُنْتَ تَذْكُرُ
 وَمَا هِيَ إِلَّا تَرْحَةٌ بَعْدَ فَرْحَةٍ
 كَذَلِكَ شَرِبُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ
 كَأَنَّ الْفَتَى الْمُغْتَرَّ لَمْ يَدْرِ أَنَّهُ
 تَرَوُّحٌ عَلَيْهِ الْحَادِثَاتُ وَتَبْكُرُ
 أَجْدَكَ أَمَا كُنْتَ وَاللَّهُ غَالِبُ
 عَلَيْكَ وَأَمَّا السَّهْوُ مِنْكَ فَيَكْثُرُ

وَأَمَّا بَنُو الدُّنْيَا فَفِي غَفْلَاتِهِمْ
وَأَمَّا يَدُ الدُّنْيَا فَتَفْرِي وَتَجْرُزُ
وَأَمَّا جَمِيعُ الخَلْقِ فِيهَا فَمَيِّتٌ
وَلَكِنَّ آجَالَ تَطْوِيلُ وَتَقْصُرُ
لَهُوتَ وَكَمْ مِنْ عِبْرَةٍ قَدْ حَضَرَتْهَا
وَأَنْتَ تَرَى فِي ذَاكَ أَنَّكَ تَتَجُرُّ
خُدِعْتَ عَنِ السَّاعَاتِ حَتَّى غُبِنَتْهَا
وَعَزَّتْكَ أَيَّامٌ قِصَارٌ وَأَشْهُرُ
فِيَا بَنِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتِي
وَبِأَعْمَارِ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَعْمُرُ
وَمَا لَكَ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْبِرُّ عُدَّةٌ
وَالْإِعْتِبَارُ ثَاقِبٌ وَتَفَكُّرُ

وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله إن التوبة من الذُّنُوب مفتاح السعادة في هذه الدار وفي دار القرار ، وإنما كانت التوبة
كَذَلِكَ لِأَنَّ بِهَا يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لَا فَرْقَ بَيْنَ صَغَارِهَا وَالْكَبَارِ وَلِأَنَّ التَّائِبَ إِذَا صَحَّتْ
تُوبَتُهُ بِأَنَّ اجْتَمَعَتْ شُرُوطُهَا وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ يَصْبِحُ التَّوْبَةُ أَمِينًا عَلَى دِينِهِ لَا يَخْلُ بِوَأَجِبَ مِنْ
وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ فَتُوبُوا عِبَادَ اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا لِتَسْتَنِيرَ قُلُوبَكُمْ وَأَبْدَانَكُمْ بِدَلِّ ظِلْمَاتٍ كَانَتْ
مُحِيمةً عَلَيْهَا تَثْقَلُكُمْ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاكُمْ وَتَسْتَجِدُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ انْشِرَاحًا فِي صُدُورِكُمْ بِدَلِّ انْقِبَاضِهَا
وَضِيْقِهَا فَإِنَّ الذُّنُوبَ تَوَثَّرَ عَلَى

القلوب والأبدان انقباضاً يشتد على المصر على الذنوب حتى يضيق به فسيح الأرجاء ولك أيها النائب العامل بالطاعات الأمل القوي بتوالي الطاعات لأن الخيرات تنتج بإذن الله بعضها بعضاً ولك الأمل القوي بأن تنقاد لك الأرزاق بعد أن كانت ممتنعة فتصبح في يسر بعد أن كنت في إعسارٍ ولك الأمل في أن العداوات التي كانت بينك وبين الخلق تصبح بإذن الله حباً يلفت الأنظار ذلك أن الذنوب والمعاصي هي أسباب الشرور والعقوبات المؤلمة وأن المرء بالتوبة منها يرضي بديع الأرض والسموات فتأكد أيها الأخ أن التوبة هي ينبوع الفياض لكل خيرٍ في الدنيا والآخرة فلا تشك في أن الله تعالى يفيض من فضله وجوده ما يفيض على من أخلص العمل لجلاله فتب أيها الأخ وصدق في التوبة واسأله أن يبلغك بها رضوانه وأن يجعلك من حزبه المفلحين الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فتعيش وتموت وتبعث في رعاية ربك ولطفه وغيرك ممن لم يتوبوا في إهانتته البالغة يتقبلون فعليك بالاعتماد على الله والتوكل عليه واللجاء إليه دائماً متضرعاً متملقاً خصوصاً في آخر الليل .

شِعْرًا: إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانَ لِلْخَيْرِ فُرْصَةً وَلَمْ يَغْتَمِّهَا فَهُوَ لَا شَكَّ خَاسِرٌ

وَهَلْ مِثْلَ تَالِي اللَّيْلِ لِلْعَفْوِ مَوْسِمٌ وَلَكِنْ فَأَيْنَ الْعَامِلُ الْمُتَبَادِرُ

شِعْرًا: لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا

وَبِتُّ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ

فَقُلْتُ يَا أَمْلِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ

وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِّ أَعْتَمِدُ

أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعَلَّمَهَا
 مَالِي إِلَيَّ حَمَلَهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ
 وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذُّلِّ مُبْتِهَالًا
 إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
 فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبُّ خَائِبَةً
 فَبَحْرُ جُودِكَ يُرْوِي كُلَّ مَنْ يَرِدُ
 آخر: عَطَاءُ ذِي الْعَرْشِ خَيْرٌ مِنْ عَطَائِكُمْ
 وَسَـيِّئُهُ وَسِـعٌ يُرْجَى وَيَنْتَظَرُ
 أَنْتُمْ يُكَدِّرُ مَا تُعْطُونَ مِنْتُمْ
 وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَا مَنُّ وَلَا كَدْرُ
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِمَنْ تَمْضِي مَشِيئَتُهُ
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِمَنْ تَمْضِي مَشِيئَتُهُ
 آخر: شَادَ الْمُلُوكَ فُصُورَهُمْ فَتَحَصَّنُوا
 عَنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةً أَوْ رَاغِبٍ
 غَالُوا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ لِعِزِّهَا
 وَتَتَوَفَّوْا فِي فُجْحٍ وَجْهِهِ الْحَاجِبِ
 فَإِذَا تَلَطَّفَ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ
 رَاجٍ تَلَقَّوْهُ بِوَعْدٍ كَادِبٍ
 فَاقْصِدْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ
 يَا ذَا الضَّرَاعَةِ طَالِبًا مِنْ طَالِبِ

اللَّهُمَّ وفقنا للتوبة النصوح ، واجعلنا ممن يغدو مشمرًا في طاعتك

ويروح وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

(أدلة على تحريم الزنا)

قال الله تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ .

ومن السنة ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ فَإِنَّهُ يَرْجَمُ وَرَجُلٌ خَرَجَ مُحَارِبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَإِنَّهُ يَقْتُلُ ، أَوْ يَصْلُبُ ، أَوْ يَنْفَى مِنَ الْأَرْضِ أَوْ يَقْتُلُ نَفْسًا فَيَقْتُلُ بِهَا » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

عن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم قال : « تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد : هل من داع فيستجاب له ، هل من سائل فيعطى ، هل من مكروب فيفرج عنه ، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عزَّ وجلَّ له ، إلا زانية تسعى بفرجها ، أو عشارًا » . وفي رواية : « إن الله يدنو من خلقه فيغفر لمن يستغفر إلا لبغي بفرجها أو عشار » . رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - حين نزلت آية الملائنة - : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحته على رؤوس الأولين والآخريين » . رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : إن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » . قلت : ثم أي ؟ قال : « أنت تزاني حليلة جارك » . رواه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والنسائي .

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما تقولون في الزنا » ؟ قالوا : حرام حرمه الله عزَّ وجلَّ ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لأن يزني الرجل بعشر نسوة ، أيسر عليه من أن

يزني بامرأة جاره . رواه أحمد ورواته ثقات والطبراني في الكبير والأوسط .
 وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ
 حَدِيثًا عَنْهُمَا لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانَ لَا يَتَوَرَّعُ
 مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا فَلَمَّا أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا
 ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا
 الْحَاجَةُ فَقَالَ : تَفْعَلِينَ أَنْتَ هَذَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ فَإِنَّا أَحْرَى أَذْهَبِي فَلَكَ مَا أَعْطَيْتَكَ وَوَاللَّهِ لَا
 أَعْصِيهِ بَعْدَهَا أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِكَفْلِ فَعَجَبَ
 النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ » . رواه الترمذي وَقَالَ : حديث حسن وابن حبان في صحيحه والحاكم وَقَالَ
 : صحيح الإسناد .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ظهر الزنا
 والربا في قوم ، فقد أحلوا بأنفسهم عذابًا » . رواه الحاكم وَقَالَ : صحيح الإسناد .
 وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حُرْمَةُ نِسَاءِ
 الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنْ
 الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ ، حَتَّى يَرْضَى
 » . ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « فَمَا ظَنُّكُمْ » ؟ رواه مسلم وأبو
 داود .

وروى أبو يعلى وأحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حديث : « وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنٌ خَمْرَ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْعُوطَةِ » . قِيلَ : وَمَا نَهْرُ الْعُوطَةِ ؟ قَالَ : « نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُؤْمِسَاتِ يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحٌ فُرُوجِهِمْ » .

شِعْرًا: تَبَيَّتْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالْمَسَاوِي فَأَنْتَ بِغَفْلَةٍ وَاللَّهُ بِتَابِ
يُدِيمُ عَلَيْكَ إِحْسَانًا وَفَضْلًا وَأَنْتَ تُدِيمُ لَوْمًا أَيْنَ كُنْتَا
وَبِالْعَصِيانِ تَخْطُرُ بِاخْتِيَالٍ سَكَرْتَ مِنَ الْغُرُورِ وَمَا صَحْوَتَا
أَفِقْ مِنْ غَفْلَةٍ وَأَنْبِ لِرَبِّ تَنَلْ مِنْهُ السَّمَاخَ إِذَا أَنْبَتَا
وَتَظْفَرُ بِالْقُبُولِ وَبِالْأَمَانِي وَفِي الدَّارَيْنِ بِالإِسْعَادِ فُرْتَا

اللَّهُمَّ ارحم غربتنا في القبور وآمنا يوم البعث والنشور واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصل

عباد الله كلنا يعلم أن الزنا من كبائر الذنوب وأن فيه فسادًا للزاني والزانية أما فسادها للزانية فهو واضح لأنها بذلك الجرم العظيم - جرم الزنا - تجرد حلاوة فتفسد كل من اتصل بها ، فيصبحون في تعلقهم بالنساء كالكلب المسعور هذا من جهة ومن جهة أخرى تفسد فراش زوجها إن كان ذات زوج ورُبما أدخلت عليه أولادًا من الزناة ينفق عليهم طول حياته ويرثون منه بعد وفاته ، ويتفوتون حرم الزوج ، ورُبما تولوا عقد نكاح لمن ، أو صاروا محارم لمن في حج ، أو نحو ذلك نسأل الله العافية ومن جهة فساد الزاني فإنه بالزنا ينكس ويتولع فيه ، وكل أنثى يتعدى عليها يخلو لها هذا السفاح فتنفسد كالأولى كثيرين من الناس

تنبهوا بعد أن كانوا غافلين فيفسدون من النساء كثيرات وهكّذا فالواني لص يسرق ثروة الناس في حياتهم وبعد المّمات بما يدخله عليهم من أولاد يعولونهم وإن كانت المرأة التي تعدى عليها غير متزوجة فقد أفسد حياتها بهتك عرضها وصرف أنظار راغبي الزواج عنها فتعيش بعد جرم الزنا عيشة ذل وهوان لا زوج يحصنها ولا عائل يعولها هَذَا مضافاً إلى سوء السمعة وإلى الجناية على شرفها وأهلها فيقفون منه موقف الانتقام غالباً ورُبّما قضوا عليه أو على ابنتهم وإن لم يقضوا وثبت ذلك بطرق الشرع فإما جلد مائة وإما رجم يؤدي بالنفسين ، هَذَا عاقبة هذه الكبيرة عصمنا الله وإياكم منها ومن جميع المعاصي فعلى الإنسان أن يفكر ويعرف عواقب الجنائيات على الأعراض ليحذر ويجذر عنها أجنبية أو قريبة ولا ادري كيف يقدم الزاني على الزنا وهو يؤمن أن الله مطلع عليه لا تخفى عليه منه خافية وأن جزاءه إن لم يتب توبةً نصوحاً الهاوية نسال الله السلامة منها ولا أدري كيف يزني وهو لا يشك أنه سيجازى على فعله في الدنيا قبل الآخرة ومن كان الزنا من أعماله فلا يؤمن حتى على محارمه ولا يرغب في مصاهرته ولا مجاورته ولا مشاركته ولا معاملته ولا الإجتماع معه في محل عمله قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إذا ظهر الزنا والربا في قرية ، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » . رواه الحاكم اللهم احمنا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

مُحَمَّدُ اللَّهُمَّ اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بنور منك يا نور السماوات والأرض اللهم وافتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا وارحمنا

بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ

ومن مضار الزنا وآثاره السيئة في المجتمع الإنساني ضياع النسل والجنابة عَلَيْهِ فالزاني والزانية لو أدركا متا قَدْ يترتب على زنيتهما التي تنقضي على الفور من الآثام والشورور لهان عَلَيْهِمَا أَنْ ينفيا من الوجود ولا يرتكبا تك الجريمة الشنعاء فَقَدْ يترتب على عملهما وجود ولدٍ قَدْ تخنقه تلك الفاسقة في مهده وتسقطه جنينًا .

وقَدْ تلده إنسانًا كاملاً ثُمَّ تطرحه في شارع أو مسجد أو نحو ذَلِكَ معرضًا لحن الحياة ومصائب الليالي والأيام لا يعرف له أمًا تحنو عَلَيْهِ ولا أبًا يرحم طفولته ، ويحفل بتربيته ، وقَدْ يؤول إلى حضانة إنسان غير مستقيم فيريه على غير دين الإسلام أو على أخلاق فاسدة فينشأ عضوًا ضارًا بالمجتمع الإنساني وَذَلِكَ بلاء عَظِيمٌ وضرر مبین .

فإن كانت المزني بها ذات زوج كانت خيانتها أشد وجنابتها أعظم فإنها تدخل عنصراً غريباً بين أبنائها تغش به زوجها فيرى غير بنيه يكذب يومه ويسهر ليله لينفق على من ظنه له ولداً وَهُوَ في الحقيقة لَيْسَ له أباً وقد يكون هذا الولد الذي أدخل على هذا الإنسان نكبة على الأسرة بتمامها فإنه قَدْ ينزع إلى أبيه الحقيق ويتبعه في أخلاقه وفساده وإجرامه فيفسد على الإنسان الأسرة بأكملها .

وإن كانت غير متزوجة فإن هَذَا الفاسق المتعدي تعدى على شرفها وعائلتها وأقاربها ، فأفسد حياتهم ، وأهان كرامتها ، وأساء

سمعتها وسمعتهم وعرضها للقتل أو للعقوبة الشديدة أو عرض عرضها للسقوط في بوءة لا ينقذها منها إلا الموت فإن قتلت فهو السبب الأول في قتلها ، وإن أسقطت فهو الجاني ، والإثم أوله وآخره ، قد نال منه ذلك الغادر المعتدي الحظ الأوفر .

ولو قيل لهذا المجرم الفاسق هل ترضى عملك أن يعمل في بناتك وأخوتك لبطش بالقائل إن كان ضعيفاً يقدر على الانتقام منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري فما أبعد هذا المعتدي عن العمل بهذا الحديث .

وعن أبي أمامة قال أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي في الزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه ؟ فقال : « أدنه » . فدنا منه قريباً قال : « اجلس » . فجلس فقال : « أتحبُّ لأُمِّك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : « ولا الناس يُحبُّونه لأُمَّهاتهم » . قال : « أفتحبُّه لابنتك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال : « ولا الناس يُحبُّونه لبناتهم » . قال : « أفتحبُّه لأختك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك قال : « ولا الناس يُحبُّونه لأخواتهم » . قال : « أفتحبُّه لعممتك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك قال : « ولا الناس يُحبُّونه لعماتهم » . قال : « أفتحبُّه لخالتك » ؟ قال : لا والله جعلني الله فداك قال : « ولا الناس يُحبُّونه لخالاتهم » . قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه » قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له » .

ومن مضار الزنا أن هَذَا الولد المدخل على البريء منه يرث من ماله ويكون محرماً لبناته وزوجاته ولا يحتجبن عنه .

ومن مضاره أنه إضاعة للمال الذي نهي عن إضاعته .

ومن مضاره اختلاط الأنساب وإفساد الأخلاق وأنه يفضي إلى فناء الأمة وأنه يدعو إلى الشقاق والفساد وأنه يوقع في الأمراض وينشرها ومن آثاره السيئة على البدن السيلان والسل الرئوي ، والزهري والتشويش والقروح الأكلة .

ومن آثاره السيئة أنه يصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه .

ومن ذَلِكَ أنه يعمي القلب ويطمس نوره وأنه يحقر النفس ويقمعها وأنه يسقط كرامة الإنسان عند الله وعند خلقه وأنه يؤثر في نقصان العقل وانه يحقق بركة العمر وأنه يضعف في القلب تعظيم الله ومثله سائر المعاصي نسأل الله العفو والمعافة من ذَلِكَ كله .

والسّرّ في كثرة الزنا إلى هَذَا الحد موت غيرة كثير من الناس على نسائهم لا يباليون بهن ولا تتحرك مِنْهُم شعرة غيرة وحمية ، يدلك على ذَلِكَ أن الرجل يرى امرأته بعينه تتزين وتخرج من بيته إلى حيث لا يعلم ليلاً ونهاراً وتركب مع أي سائق شاءت ، وتدخل على أي خياط أرادت وتذهب إلى أي دكتورٍ باسم الكشف والعلاج وزوجها مشغول بديناه لا يهتم لها ترى في خروجها رجالاً أجمل منه وأقوى منه وأنظف منه .

وَمِنْهُمْ الْأَفْصَحُ الْأَحْلَى كَلَامًا مِنْهُ وَهَذَا يَحَادِثُهَا وَذَلِكَ يَسَامِرُهَا وَقُلْ -

ولا تبال - : إن بعضهم يغازلها ، وكثيراً ما تمتد إليها الأيدي الخائنة فهل هي حجر كلا إنها بشر وناقصة عقل ودين فقل من تقوى على الوقوف أمام شهواتها فلا تقف مخافة الله بينها وبين هيجانها الحيواني .

بل الرجل الذي هو أقوى منها عقلاً ودينًا لا يستطيع أن يقف أمام نفسه إذا هاجت وطلبت هذا الشيء وأصبحت تشعر بلذة لم تشعر بها في حياتها . أما البكر فواضح وأما المتزوجة فإن لذة الحلال عندها ناقصة لا تساوي لذة الحرام ولا تدانيها فإن الممنوع أحب وألذ كما قيل :

وَزَادَنِي كَلْفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ

أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيَّ الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا

لاسيما وإبليس يساعد عليه والنفس الأمارة بالسوء والهوى . فإذا ذاقت هذه اللذة الجديدة اشتد حرصها عليها كُلِّ وَقْتٍ وحينئذ تكون هي الطالبة لا المطلوبة فتصبح تفتك بالرجال فتكاً وكل رجل يزني ينكلب فيفتك النساء .

وكل امرأة يفتك بها الرجل تنكلب فتفتك بالرجال ويكون في هذا من الفساد في الأرض ما لا يعلم مداه إلا الله وفي هذه الجيوش الفاسدة الجرب من الأمراض المختلفة والأوباء الكثيرة ما لا يعلم له قدر ولا حصر وباختلاطهم والحال هذه تسري أمراضهم إلى الأصحاء نسأل الله أن يعصمنا وإخواننا المسلمين منها وأن يجمع أهلها والراضين بها والقادرين على إزالتها ولم يزيلوها .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَمْلَأْ كُنُفُوكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرِسْلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لِلْهُدَايَةِ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةِ وَلَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحِّهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

إذا فهمت ذلك فاعلم أن الزنا أعادنا الله وإياك وجميع المسلمين منه تختلف درجاته في غلظه فليس الزنا في امرأة الكافر المحارب مثله في امرأة المعاهد وليس هو في امرأة المعاهد مثله في امرأة المسلم وليس هو في امرأة المسلم الذي ليس لك بجار مثله في امرأة الجارة وليس هو في امرأة الجار مثله في امرأة الجار القريب منك وامرأة الأقرب أشد من امرأة القريب وامرأة المجاهد أشد من امرأة غيره وغير ذات الزوج ليس الزنا بها كالزنا بذات الزوج وهكذا تتفاوت درجاته .

وقال ابن القيم رحمه الله : وأعظم أنواع الزنا أن يزني بخليلة جاره فإن مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما ينتهكه من الحرمة ، فالزنا بالمرأة التي لها زوج ، أعظم إثماً وعقوبة من التي لا زوج لها إذ فيه انتهاك حرمة الزوج وإفساد فراشه وتعليق نسب غيره عليه وغير ذلك من أنواع أذاه فهو أعظم إثماً وجرمًا من الزنا بغير ذات البعل ، فإن كان زوجها جارًا له إنضاف إلى ذلك سوء الجوار .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة »

من لا يأمن جاره بوائقه . ولا بائقة أعظم من الزنا بامرأته فالزنا بمائة امرأة لا زوج لها أيسر عند الله من الزنا بامرأة الجار فإن كان الجار أخًا له أو قريبًا من أقرابه انضم إلى ذلك قطيعة الرحم فيتضاعف الإثم فإن كان الجار غائبًا في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف الإثم .

حتى إن الزاني بامرأة الغازي في سبيل الله يوقف له يوم القيامة ويُقال خذ من حسناته ما شئت قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فما ظنكم » ؟ أي ما ظنكم أن يترك له من حسنات قد حكم في أن يأخذ منها ما شاء على شدة الحاجة إلى حسنة واحدة حيث لا يترك الأب لابنه ولا الصديق لصديقه حقًا يجب عليه .

فإن اتفق أن تكون المرأة رحمًا منه إنصاف إلى ذلك قطيعة رحمها فإن اتفق أن يكون الزاني محصنًا كان الإثم أعظم فإن كان شيعيًا كان أعظم إثمًا وهو أحد الثلاثة الذين ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فإن اقترن بذلك وقوعه في شهر حرام ، أو بلد حرام ، أو وقت معظم عند الله كأوقات الصلوات وأوقات الإجابة تضاعف الإثم والعقوبة والله المُستعان والله أعلم وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم .

وقال رحمه الله : ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها زوجها وأقاربها ونكست رؤوسهم بين الناس وإن حملت من الزنا ، فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنا والقتل وإن أبقت حملته على الزوج فأدخلت على أهلها وأهله

أجنيباً لئسَ مِنْهُمْ فورثهم ولئسَ مِنْهُمْ ورآهم وخلا بِهِمْ وانتسب إليهم ولئسَ مِنْهُمْ وأما زنا الرجل فإنه يوجَدَ اختلاط الأنساب أيضاً وإفساد المرأة المصونة وتعرضها للتلف والفساد ففي هذه الكبيرة خراب الدُّنيا والدين .

ومن خاصيته أنه يوجب الفقر ويقصر العمر ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين النَّاس .

ومن خاصيته أيضاً أنه يشتت القلب ويمرضه ويجلب الهم والحزن والخوف ويباعد صاحبه من الملك ويقربه من الشيطان فليَسَ بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمة قتلت كَانَ أسهل عَلَيْهِ من أن يبلغه أنها زنت .

وفي الصحيحين من خطبة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف أنه قال : « يا أمة مُحَمَّدٍ ، وَاللَّهِ إنه لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمدٍ ، وَاللَّهِ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » ثُمَّ رفع يديه فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هل بلغت » .

وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها عقب صلاة الكسوف سر بديع لمن تأمله فظهور الزنا من أمارات خراب العالم وَهُوَ من أشراط الساعة كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : لأحدثكم حديثاً لا يحدثكموه أحد بعدي سمعته من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا ، ويقل الرجل وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وَقَدْ جرت سنة الله سُبْحَانَهُ في خلقه أنه عِنْدَ ظهور الزنا يغضب

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ فَلَا بُدَّ أَنْ يُوَثِّرَ غَضَبُهُ فِي الْأَرْضِ عَقُوبَةً .
 وخص سُبْحَانَهُ حد الزنا من بين سائر الحدود بثلاث خصائص ، أحدها القتل فإنه أبشع
 القتلات وحيث خففه فَقَدْ جُمِعَ فيه بين العقوبة على البدن بالجلد وعلى القلب بتغريبه عن
 وطنه سنة ، الثاني أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رافة في دينه بحيث تمنعهم من إقامة الحد
 عَلَيْهِمْ .

الثالث : أنه سُبْحَانَهُ أمر أن يكون حدهما بمشهد من الْمُؤْمِنِينَ فلا يكون في خلوة حيث لا
 يراها أحد وَذَلِكَ أبلغ في مصلحة الحد وحكمة الزجر .

ومن الأسباب التي ربما تُكُون سبباً إلى الوقوع في هذه المعصية خروج النساء إلى الأسواق
 متبرجات لسان حالهن يدعو إليهن الفسقة فخروجهن في هذا الزمان إلى الأسواق خطر عليهن
 من أكبر الأخطار فقل أن تسلم المرأة من التعرض لها إذا خرجت قولاً أو فعلاً وَقَدْ يكون معها
 أبوها أو أخوها ولا تسلم من الاعتداء .

ومن الأسباب دخول الجانب على المرأة فإن الأجنبي إذا وقعت عينه على المرأة فأعجبته أو
 أعجبها كَانَ وراء ذَلِكَ الأمور التي تخشى عواقبها وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها
 وأقارب أبويها فَإِنَّهُمْ يترددون غالباً وَرُبَّمَا كَانَ يجمعهم بيت واحدٌ وَتَارَةً تُكُون وحدها في البيت
 عِنْدَ دخول أحدهم .

وفي ظِلِّ ذَلِكَ التردد والتزاور والاجتماع يكون ما يكون مَعَ الدوام

والاستمرار ومن الأسباب وجود الخدامين والخدمات والمربيات والسواقين والطباخين والخطاطين والخياطات ونحو ذلك .

ومن الأسباب تأخير من بلغ من الشباب والشبان فإنه بمجرد بلوغه تهيج عليه الشهوة هيجان النيران فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئ ذلك الهيجان وما أطفأه بما يعقب له العار في الدنيا ويعقبه في الآخرة إن لم يتب النار .

ومن تلك الأسباب اعوجاج الأزواج وخيانتهم بالاتصال بغيرهن على غير الوجه الشرعي فإن المرأة إذا علمت أن زوجها أصبح لغيرها أصبحت لغيره مقلدة له في ذلك ومتبعة لطريقته فسفلت فباعته عرضها تسفلاً منها وانتقاماً من زوجها الذي فتح أمامها باب الإثم وسار أمامها في مهاوي الخطيئة والمرأة غالباً على دين زوجها ، أفلا يكون هذا الرجل هو الفاسق الأثم لأنه الذي سن لها هذه السنة السيئة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورتباً كان مثلاً سيئاً يقتدى به في ذلك ورتباً قلده بناته وأولاده وأخواته وقديماً قيل في الزوجة .

لَا تَطْلِعْ مِنْكَ عَلَى رَبِّبَةٍ

فَيَتَّبِعُ الْمَقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ

آخر: وَلَا تَجْلِسْ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ خَلَائِقَ الْفُسَّاقِ تُعْدِي

وروى القاسم بن بشير في أماليه وابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : عفوا تعف نساؤكم . وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة

أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها . قال بعضهم :

يَاهَاتِكَا حَرَمَ الرَّجَالِ وَتَابِعَا
 طُرُقَ الْفَنَادِ فَأَنْتَ غَيْرُ مُكْرَمٍ
 مَنْ يَزِنُ فِي قَوْمٍ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ
 فِي أَهْلِهِ يُزَنَى بِرُبْعِ الدَّرْهَمِ
 إِنَّ الزُّنَا دِينَ إِذَا اسْتَفْرَضْتَهُ
 كَانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ

وإنه لينذر جدًا أن ترى فاجرًا من بيت عفيف أو عفيفًا من بيت فاجر وإن وجد ذلك على ندرته فلا بُدَّ والله أعلم أن يكون من تأثير بيعة أخرى غير بيعة المنزل التي هي المزرعة الأولى لبدور الأخلاق .

شِعْرًا: أَرَى صَاحِبَ النَّسْوَانِ يَحْسَبُ أَنَّهَا
 سَوَاءٌ وَبُؤُونَ بَيْنَهُنَّ بَعِيدٌ
 فَمِنْهُنَّ جَنَاتٌ يَفِيءُ ضَالًّا لَهَا
 وَمِنْهُنَّ نِيرَانٌ لَهْنٌ وَقُودٌ
 آخِر: بَعْضُ النَّسَاءِ وَإِنْ عُرِفْنَ بِعَقْمَةٍ
 جِيفٌ عَلَيْنَهُنَّ النَّسُورُ الْحُومُ
 الْيَوْمَ عِنْدَكَ جِيدُهَا وَحَدِيثُهَا
 وَعَدَا لِعَيْرِكَ عَطْفُهَا وَالْمُعَصَمُ
 كَالْخَانَ تَنْزِلُهُ وَتَصْبِحُ رَاحِلًا
 عَنْهُ وَيَنْزِلُ فِيهَا مَنْ لَا يَعْلَمُ

وأولى الناس بالعفة والحرص على التحلي بفضيلتها والابتعاد عن مواقع الريب هم العلماء والعظماء لأنهم قدوة يقتدى بهم .

أقوالهم ماثورة ، وأفعالهم منظورة ، وهفواتهم عظام ، وزلاتهم من أكبر الجرائم فعليهم أن يعرفوا أقدار أنفسهم ويقدروا لها موضعها من الكرامة .

أَذْرِكُوا الْعِلْمَ وَصُونُوا أَهْلَهُ عَنْ ظُلُومِ حَادٍ عَنْ تَبْجِيلِهِ
 إِنَّمَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ مَنْ سَهَرَتْ عَيْنَاهُ فِي تَحْصِيلِهِ
 آخر: يَا خَائِفَ الْمَوْتِ لَوْ أَمْسَيْتَ خَائِفَهُ

كَانَتْ دُمُوعُكَ طُولَ الدَّهْرِ تَنْبَجِسُ
 أَمَا يَهُولُكَ يَوْمٌ لَا دِفَاعَ لَهُ
 إِذْ أَنْتَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسُ
 أَمَا تَهُولُكَ كَأْسٌ أَنْتَ شَارِبُهَا
 وَالْعَقْلُ مِنْكَ لِكُوبِ الْمَوْتِ مُلْتَبِسُ
 لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
 وَلِلْبَلَى كُلُّ مَا بُنُوا وَمَا عَرَسُوا
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالِدُنْيَا وَلَدَتَّهَا
 فَالْمَوْتُ فِيهَا لِخَلْقِ اللَّهِ مُفْتَرِسُ
 إِنَّ الْخَلَائِقَ فِي الدُّنْيَا لَوِ اجْتَهَدُوا
 أَنْ يَحْبِسُوا عَنْكَ هَذَا الْمَوْتَ مَا حَبَسُوا
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ حَوْضٌ أَنْتَ تَكَرَّهُهُ
 وَأَنْتَ عَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ تَنْغَمِسُ
 مَا لِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا قَدِ افْتَسُوا
 كَأَنَّ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُمْ عُرْسُ
 إِذَا وَصَفْتُ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ ضَحِكُوا
 وَإِنْ وَصَفْتُ لَهُمْ أَخْرَاهُمْ عَبَسُوا
 مَا لِي رَأَيْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَإِخْوَتَهَا
 كَأَنَّهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ مَا دَرَسُوا

اللَّهُمَّ وفقنا لسلوك مناهج المتقين وخصنا بالتوفيق المبين واجعلنا بفضلِكَ من المخلصين الَّذِينَ لا خوف عَلَيْهِمْ ولا هم يحزنون .

اللَّهُمَّ وفقنا للعمل بما يرضيك وجنبنا أسباب سخطك ومعاصيك وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في إثمِّ فاحشة اللواط

اعلم وفقنا الله وإيَّاك لما يحبه ويرضاه وجنبنا وإيَّاك ما يكرهه ولا يرضاه أن اللواط رذيلة من أسوء الرذائل وخصلة من شر الخصال التي لا تليق بالإنسان فإن الله خلق الإنسان من ذكر وأنثى وجعل الأنثى محلاً لقضاء الشهوة ومكاناً لذلك العمل الخاص فهو مسوق بفطرته إلى ذلك المعنى .

واللواط - أعادنا الله وإيَّاك منه - خروج عن ذلك ، واعتداء صريح على الطبيعة التي ركبها الله وذلك شر وبيل وفساد كبير وفيه عار الزنا وإثم وعقابه بل هو أشد عاراً أعظم إجراماً ونجساً بالبداهة ندرك أن عار امرأة يزني بها ليس كعار رجل يلاط به كما أن احتقارنا وبغضنا إياها مهما كان شديداً أخف على كلِّ حال من نفرتنا من اللوطي ومقتنا له .

والسبب في هذا أن الزنا وإن خالف مقتضى الشرعة لم يخالف مقتضى الطبيعة التي ركبها الله في الإنسان بخلاف اللواط فقد خالف مقتضى الشرعة والطبيعة معاً . وقد أجمع أهل العلم على تحريم اللواط وقد ذمه الله تعالى في كتابه وعاب من فعله وذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾

وفي قصة قوم لوط يبدو انحراف الفطرة واضحاً حتى لأن لوطاً ليجيبهم بأنهم بدع دون خلق الله فيها وأنهم في هذا الانحراف الشنيع غير مسبوقين .

قال عمرو بن دينار في قوله تعالى : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : ما نزل ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . وقال الوليد ابن عبد الملك لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً .

وعجب أن نرى تلك العادة الشائنة القبيحة تنتقل من أولئك الأشرار الذين خسف الله بهم إلى غيرهم من النوع الإنساني مع إنها لم تكد توجد في الحيوانات الأخرى فإنك لا تكاد تجد حيواناً من الذكور يأتي ذكراً مثله اللهم إلا قليلاً نادراً كبعض الحمر الأهلية وإلى ذلك تشير الآية الكريمة فإنه تعالى يقول لهم : إن تلك الفاحشة لم يسبقكم بها أحد من العالمين والعالم ككل ما سوى الله فيشمل الإنسان والحيوان قال في كتاب الأخلاق الدينية .

وإذا كان الإنسان تسوقه شهوته إلى أن يفعل ما تاباه نفوس الحيوانات العجماء فماذا يكون حاله أليس من أكبر المصائب أن تنحط درجة الإنسان في شهوة الفرج عن درجة الحيوان .

اللهم إن في ذلك من الخزي والعار ما لا تطيقه النفوس الكريمة ولا تحتمله الطباع السليمة فلو لم يكن في رذيلة اللواط سوى ذلك لكفى بها ذمًا يصرف الناس عنها ويزهدهم فيها ولكنها فوق ذلك يترتب عليها من المضار والمفاسد ما يؤدي المجتمع الإنساني . وإليك البيان . أولاً : إذا فشت تلك العادة في أمة من الأمم وأصبحت

داء خلقيًا فيها لا تلبث أن تتعرض للفناء بانقراض نسلها ولو بعد حين لأن الرجال فيها تنصرف عن النساء ، فيقل النسل تدريجيًا وتنقرض الأمة في وقت ما .

ثانيًا : أمم اللائط يستغني بالذكر عن المرأة فإن كان متزوجًا يهمل زوجته ، فيعرضها للخننا والفساد ، وإن كان أعزب ، لم يفكر في الحصول على زواج وإذا عمت اللواطية أمة استغنت رجالها عن نساءها وأصبحت النساء ضائعات لا يجدن موثلاً ولا يظفرن بمعين يرحم ضعفهن وفي ذلك من الخطر الاجتماعي والعمراني ما فيه .

وقال : فداء اللواطية ماله الانصراف عن النساء ومع ذلك فإن إتيان النساء في غير محل الولادة عادة مردولة يترتب عليهما ضياع النسل كما قدمنا .

ثالثًا : أن اللائط لا يبالي أن يستهوي الأحداث الذين لا يدركون العار ولا يعرفون الفضيحة فيمرنهم على فساد الأخلاق ويولد عندهم ذلك الداء فإذا ما بلغوا حد الرجولة وجدوا أنفسهم منغمسين في الرذيلة فيضيع الحياء من وجوههم ولا يباليون بارتكاب الجرائم الأخلاقية ، ولا يتعففون عن المحرمات الدنيئة ويكون ذلك الوزر في عنق اللائط الذي عمل على إفساد أخلاقهم وكان سببًا في انتزاع ماء الحياء من وجوههم وذلك عظيم عند الله تعالى ومن يفعله يضاعف له العذاب يوم القيامة لأن عليّه ورزق وزر ذلك العمل الشائن ووزر إفساد الغلام الذي لم يكلف لتلك الشهوة الفاسدة التي تخلف وراءها ذلك البلاء المبين . أ . ه . والله أعلم و صلى .

اللهم يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا لاغتنام أوقات المهلة ووقفنا لمصالحنا واعصمنا من قبائحنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا وأكنته سرائرنا من أنواع القبائح والمعائب التي تعلمها منا وأمن علينا يا مولانا بتوبة تمحو بها عنا كل ذنب واغفر لنا ولوالدينا

وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل: والدليل من السنة على تحريم اللواط وعظم جرمه وعقوبة فاعله قوله صلى الله عليه وسلم: « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي .

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ عَمَلٍ قَوْمِ لُوطٍ » . رواه ابن ماجه والترمذي وَقَالَ : حديث حسن غريب والحاكم وَقَالَ : صحيح الإسناد وَقَالَ صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط » . رواه النسائي وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً ، أو امرأة في دبرها » . رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه ، ومما جاء في إتيان النساء في أدبارهن ما يلي .

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصَّغْرَى يَعْنِي الرَّجُلَ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دَبْرِهَا . وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ » . رواه أحمد والبخاري ومسلم والبيهقي .

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : عشر خصال من أعمال قوم لوط : تصنيف الشعر ، وحل الإزار ، ورمي البندق ، والحذف بالحصا ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالأصابع ، وفرقة الأكعب ، وإسبال الإزار ، وحل أزر الأقبية ، وإدمان شرب الخمر ، وإتيان الذكور وستريد

عَلَيْهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ مَسَاحِقَةُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ » . رواه أبو يعلى بإسناد جيد وروى عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا تَقْبَلُ لَهُمْ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : الرَّابِطُ وَالْمَرْكُوبُ ، وَالرَّابِطَةُ وَالْمَرْكُوبَةُ ، وَالْإِمَامُ الْجَائِرُ » . حديث غريب جداً رواه الطبراني في الأوسط . وعن جابر رض الله عنه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مَحَاشِ النِّسَاءِ . رواه الطبراني في الأوسط ورواه ثقات . وروى ابن ماجه والبيهقي كلاهما عن الحارث بن مخلد عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَةً فِي دَبْرِهَا » . وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دَبْرِهَا » . رواه أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ أَتَى حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دَبْرِهَا أَوْ كَاهَنًا فَصَدَقَهُ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . وعن مجاهد عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : مَنْ أَتَى صَبِيًّا فَقَدْ كَفَرَ . وروى عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ نَقَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ حَتَّى يَحْشُرَهُ مَعَهُمْ » . وخرجه الطبراني من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيهِ : « وَإِذَا كَثُرَ اللُّوَاطِيَةُ رَفَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَنِ الْخَلْقِ ، فَلَا يَبَالِي فِي أَيِّ وادٍ هَلَكُوا » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

ولما كانت فاحشة اللواط شأنها في القبح كما ذكر اختلف أئمة الإسلام في عقوبتها لمن ثبتت عَلَيْهِ فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّهَا كَالزَّنَا تَمَامًا أَي يَرَجَمُ فِيهَا الْمُحْصَنُ ، وَيَجْلَدُ غَيْرُهُ مِائَةً جَلْدَةً وَيَغْرَبُ . وَقَالَ آخَرُونَ : يَرَجَمُ

الفاعل والمفعول به على أي حال كانوا عملاً بالحديث المتقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

قال ابن القيم رحمه الله وقد أطبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتله لم يختلف فيه منهم رجالان وإنما اختلفت أقوالهم في صفة قتله .

ومن تأمل قوله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ، وقوله في اللواط : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ تبين له تفاوت ما بينهما فإنه سُبْحَانَهُ نكر الفاحشة في الزنا أي هو فاحشة من الفواحش وعرفها في اللواط ، وذلك يفيد انه جامع لمعاني اسم الفاحشة كما تقول : زيد الرجل ، ونعم الرجل زيد ، أي : أتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل أحد فهي لظهور فحشها وكماله غنية عن ذكرها بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها ، ثم أكد سُبْحَانَهُ شأن فحشها بأنها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ثم زاد في التأكيد بأن صرح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنه الأسماع وتنفر منه أشد النفور وهو إتيان الرجل رجلاً مثله ينكحه كما ينكح الأنثى فقال : ﴿ أَتِنَّكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾ ثم نبه على استغنائهم عن ذلك .

وأن الحامل هم عليه ليس إلا مجرد الشهوة لا الحاجة التي لأجلها مال الذكر إلى الأنثى من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع وحصول المودة والرحمة التي تنسى المرأة لها أبويها وتذكر بعلمها ، وحصول النسل الذي هو حفظ هذا النوع الذي هو أشرف المخلوقات وتحصين المرأة .

وقضاء الوطر وحصول علاقة المصاهرة التي هي أخت النسب وقيام الرجل على النساء وخروج أحب الخلق إلى الله من جماعهن

كالأنبياء والأولياء والمؤمنين ومكاثرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنبياء بأتمته إلى غير ذلك من مصالح النكاح .

والمفسدة التي في اللواط تقاوم ذلك كله وترى عليه بما لا يمكن حصر فساده ولا يعلم تفصيله إلا الله عز وجل ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن اللواطية عكسوا فطرة الله التي فطر الله عليها الرجال وقلبو الطبيعة التي ركبها الله في الذكور وهي شهوة النساء دون الذكور فقلبو الأمر وعكسوا الفطرة والطبيعة فأتوا الرجال شهوة من دون النساء .

ولهذا قلب الله سبحانه عليهم ديارهم فجعل عاليها سافلها ، وكذلك قلبوا هم ونكسوا في العذاب على رؤوسهم ثم أكد سبحانه قبح ذلك بأن حكم عليهم بالإسراف وهو مجاوزة الحد فقال : ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ فتأمل هل جاء مثل ذلك أو قريب منه في الزنا ؟ .
وأكد سبحانه عليهم بقوله : ﴿ وَجَحَيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ ثم أكد سبحانه عليهم الذم بوصفين في غاية القبح فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ وسماهم مفسدين في قول نبيهم : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وسماهم ظالمين في قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام : ﴿ أَنَا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ فتأمل من عوقب بمثل هذه العقوبات ومن ذمه الله بمثل هذه المذمات ولما جادل فيهم خليله إبراهيم الملائكة وقد أخبروه بإهلاكهم قيل له : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ .

شِعْرًا: وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
يَارِثُ شَادِيهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْتُهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَيْهِمْ
عَنِ الشُّوْءِ وَأَرْجُرُ ذَا الْخَنَا عَنِ خَنَائِهِ
وَعِظُهُمْ بِآيَاتِ الْإِلَهِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
فَإِنْ يَهْدِي مَوْلَانَا بِوَعْظِكَ وَاحِدًا
تَنْلُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَإِلَّا فَقَدْ أَذَيْتُ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مَلَكَتْ أَمْرَ إِهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين الَّذِينَ أَهْلَتَهُمْ لخدمتك وجعلتهم ممن
قبلت أعماله يارب العالمين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله ذنب اللواط من أعظم الذُّنُوبِ يغضب رب العباد إنها لفاحشة يضيق بها الفضا وتعج
لها السماء ويحل بها البلاء فكشف حال ، وسوء مآل ، وداء عضال ، وقبح أفعال وعيب دونه
سائر العيوب ، عيب تموت به الفضيلة وتحيا به الرذيلة وتتفتت على أهلها الأكباد ، وتذوب
من أجلها حياة القلوب ، فعمل مسبوب ، ووضع مقلوب ، وفاعل ملعون ، ومفعول به عليه
مغضوب ، وخلق فاسد ، وشرف مسلوب ، وعرض ممزق ، وكرامة معدومة ، وزهري ، وجرب
ذو ألوان ، وقدر وأنتان ، ووساخة دونها كلِّ وساخة ، اللَّهُمَّ إِنَّ فِي هَذِهِ

الفعلة الشنيعة من الحزبي والعار ما لا تطيقه الطباع السليمة ، كانت أمة قدس عصرها ، باق ذكرها ، كثير شرها تسكن بين الحجاز والشام ، ترتكب هذه الفاحشة الشنيعة والجريمة الفظيعة علناً في نواديهم ويدررون ما خلق الله من أزواج ، ولا يباليون بمن يعتب عليهم ويشنع عليهم ولا يخافون لومة اللوام ، فبعث الله إليهم لوطاً عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فدعاهم إلى التوحيد ، وترك عبادة الأصنام وحذرهم من فعل فاحشة اللواط وبالغ في إنذارهم وتحذيرهم ، وكان الجزاء والجواب منهم على هذه النصيحة أن قالوا : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ ومقصود هؤلاء الأتقياء بهذا الوصف السخرية والتهكم بلوط ومن معه ، وهذا كما يقوله الفساق والمرجة المعاصرون لبعض الصلحاء إذا أنكروا عليهم ووعظوهم ، أخرجوا عنا هذا المتدين ، أو هذا المتزهد ، وهذا برهان واضح على أن قلوبهم ممتلئة من الحقد والحسد والغیظ على المؤمنين فليموتوا بغیظهم والله در القائل :

إِذَا بَعَدَ الْعُقُودُ عَنْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ قَالَ مُرٌّ وَحَامِضٌ
وَيَقُولُ الْآخِرُ :

دَعِ الْحَسُودَ وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ كَفَاكَ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ فِي كَبِدِهِ
إِنْ لُمْتَ ذَا حَسَدٍ نَفْسَتْ كُرْبَتَهُ وَإِنْ سَكَتَ فَقَدْ عَذَّبْتَهُ بِيَدِهِ
آخِرُ : ضَارِي الطَّبَاعِ سُرُورُ النَّاسِ يُخْزِنُهُ وَلَا انْشِرَاحَ لَهُ إِلَّا إِذَا آذَى
آخِرُ : فَدُمُ يَذُمُّ فُنُونَ الْعِلْمِ مُحْتَقِرًا بِهَا وَمِنْ جَهْلِ الْأَشْيَاءِ عَادَاهَا

آخر: أَصَمَّكَ سُوءُ فَهْمِكَ عَنْ خِطَابِي وَأَعَمَّاكَ الضَّلَالُ عَنْ اهْتِدَائِي

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

وَقَالَ آخِر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفُهُمْ

بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَّابِ

فقلبت مدينتهم أي قوم لوط واتبعوا بحجارة من سجيل مسومة عند الله للمسرفين أيها المسلم أتدري لماذا ذكر الله أخبارهم في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم إنه والله أعلم لنعتر بما أصابهم ، ونحذر كل الحذر ما كانوا عليه من سوء الحال ، وقبح الفعال ، قال الله تَعَالَى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ سبحان الله كيف يقع ذكر على ذكر وهو يعلم أن الله جَلَّ وَعَلَا يراه وقد نهاه ويعلم ما في ذلك من مخالفة العقل والدين ، وما فيه من مرض خطير ، وشر مستطير ، وخزي وعار ، هذا بالحقيقة فعل ترفع عنه طباع الكلاب . والبغال والحمير ، بل والقردة والخنازير ، وما ظهر اللواط في أمة إلا أذلت وأخزيت ، وسلب عزها ، وإذا أرادها الله عَزَّ وَجَلَّ إهلاك قرية فسق فيها المترفون فاستحقت الخراب والدمار ، قال الله تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ فانتبهوا أيها الإخوان وتناصحوا واحفظوا أولادكم واعلموا أنكم مسئولون عنهم وعن همالكم لهم احرصوا عليهم فوق حرصكم على أموالكم لعلكم تنجوا من التبعات وتسلموا من العقوبات جعلنا الله وإياكم ممن إذا خوف بالله ندم وخاف

ورزقنا وإياكم من الإنابة والإنصاف ما يلحقنا بصالح الأسلاف وغفر لنا ولكم ولوالدينا
وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وتأمل خبث اللواطية وفرط تمردهم على الله حيث جاءوا نبيهم لوطاً لما سمعوا بأنه قد طرقه
أضياف هم من حسن البشر صوروا فأقبل اللواطية إليه يهرعون ، فلم رآهم قال لهم :
﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ففدى أضيافه ببناته يزوجهم بهن خوفاً على نفسه
وعلى أضيافه من العار الشديد .

فَقَالَ : ﴿ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُحْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ
رَشِيدٌ ﴾ فردوا عليه ولكن رد جبار عنيد ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ
لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ فنفت نبي الله نفثة مصدر خرجت من قلب مكروب ، فَقَالَ :
﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ .

فكشف له رسل الله عن حقيقة الحال وأعلموه أنهم ممن ليس يوصل إليهم ولا إليه بسببهم فلا
تخف منهم ولا تعبا بهم وهون عليك ، فَقَالُوا : ﴿ يَا لُوطُ أَنَا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾
وبشروه بما جاءوا به من الوعد له ، ومن الوعد المصيب لقومه فَقَالُوا : ﴿ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾
فاستبطأ نبي الله عليه السلام موعد هلاكهم ، وَقَالَ : أريد أعجل من هذا فقالت الملائكة : ﴿
أليس الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ .

فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَ إِهْلَاكِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَنَجَاتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ إِلَّا مَا بَيْنَ السَّحَرِ وَطُلُوعِ الْفَجْرِ وَإِذَا بَدِيَارِهِمْ قَدْ اقْتَلَعَتْ مِنْ أَصُولِهَا وَرَفَعَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ حَتَّى سَمِعَتْ الْمَلَائِكَةَ نَبَاحَ الْكِلَابِ وَنُحَيْقِ الْحَمِيرِ ، فَبَرَزَ الْمَرْسُومَ الَّذِي لَا يَرِدُ ، مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ ، عَلَى يَدَيْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جَبْرِيلَ بِأَنْ يَقْلِبَهَا عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ .

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾ فَجَعَلَهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَنَكَالًا وَسَلْفًا لِمَنْ شَارَكَهَا فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بَطْرِيقَ السَّالِكِينَ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أَخَذُوا عَلَى غُرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ، وَجَاءَهُمْ بِأَسْهٍ وَهُمْ فِي سُكْرَتِهِمْ يَعْصَمُونَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ تَقَلَّبُوا عَلَى تِلْكَ اللَّذَاتِ طَوِيلًا فَأَصْبَحُوا بِهَا يَعْذِبُونَ .

مَآرِبَ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا

مَآرِبَ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا

ذَهَبَتِ اللَّذَاتُ وَأَعْقَبَتِ الْحَسِرَاتُ وَانْقَضَتِ الشَّهَوَاتُ وَأُورِثَتِ الْحَسِرَاتُ تَمْتَعُوا قَلِيلًا وَعَذِبُوا طَوِيلًا رَتَعُوا مَرْتَعًا وَخِيمًا فَأَعْقَبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أَسْكُرْتَهُمْ خَمْرَةَ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إِلَّا وَهُوَ فِي مَنَازِلِ الْهَالِكِينَ فَندَمُوا وَاللَّهِ أَشَدَّ النَّدَامَةَ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ وَبَكَوا عَلَى مَا أَسْلَفُوهُ بِدَلِّ الدَّمُوعِ بِالْدمِ فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَالنَّارَ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِذِ وُجُوهِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الْجَحِيمِ ، وَهُمْ يَشْرَبُونَ بِدَلِّ لَذِيذِ الشَّرَابِ كُؤُوسِ الْحَمِيمِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ يَسْحَبُونَ ﴿ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ، ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَقَدْ قَرَّبَ سَبْحَانَهُ

مسافة العذاب بين هذه الأمة وبين إخوانهم في العمل ، فَقَالَ مَخُوفًا لَهُمْ ﴿ وَمَا هِيَ مِنْ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ . انتهى .

ومن الأسباب التي ربما تُكُون سببًا إلى هذه المعصية النظر إلى الأُمرد ، فعلى الإنسان أن يمنع
نفسه من ذلك ، فَقَدْ صح عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قال : « زنا العين النظر ، وزنا
اللسان النطق ، وزنا اليد لبطش ، وزنا الرجل الخطأ ، وزنا الأذن الاستماع ، والنفس تمنى
وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الأعراس عن
المردان وعن النظر إليهم وعن مخاطبتهم وعن مجالستهم قال الحسن بن ذكوان : لا تجالسوا
أولاد الأغنياء فإن لهم صورًا كصور العذارى فهم أشد فتنة من النساء . وَقَالَ بعض التابعين :
ما أنا بأخوف على الشاب الناسك مع سبع ضارٍ من الغلام الأُمرد يقعد إليه وكان يقال : لا
يبين رجل مع أُمرد في مكان واحد وحرم قياسًا على المرأة لأن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :
« ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » . وفي المردان من يفوق النساء بحسنه فالفتنة
به أعظم وانه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ويسهل في حقه من طريق
الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى ، وأقوال السلف في التنفير منهم
والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر .

شعرًا:

صُنِ الْحُسْنَ بِالتَّقْوَى وَإِلَّا فَيَذْهَبُ

فُؤُورُ التَّقَى يَكْسُو جَمَالًا وَيَكْسِبُ

وَمَا يَنْفَعُ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ جَمَالَهُ

وَلَيْسَ لَهُ فِعْلٌ جَمِيلٌ مَهْذَبٌ

فِيَا حَسَنَ الْوَجْهِ اتَّقِ اللَّهَ إِنَّ تُرْدُ
 دَوَامَ جَمَالٍ لَيْسَ يُفْنَى وَيَبْذُوبُ
 يَرِيدُ التَّقَى ذَا الْحُسْنِ حُسْنًا وَبَهْجَةً
 وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَهِيَ لِلْحُسْنِ تَسْلِبُ
 وَتَكْسِيفُ نُورِ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ
 وَتَكْسُوهُ فُبْحًا ثُمَّ لِلْقَلْبِ تَقْلِبُ
 فَسَارِعٌ إِلَى التَّقْوَى هُنَا تَجِدِ الْهَنَا
 غَدًا فِي صَفَا عَيْشٍ يَدُومُ وَيَعْتَذِبُ
 فَمَا بَعْدَ ذِي الدُّنْيَا سِوَى جَنَّةٍ بِهَا
 نَعِيمٌ مُقِيمٌ أَوْ لَظَى تَتَلَهَّبُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «
 تفرغوا من الدنيا ، فإنه من كانت الدنيا أكبر همه ، فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه
 ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله له أموره وجعل غناه في قلبه وما أقبل عبد بقلبه إلى الله
 عزَّ وجلَّ إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفد إليه بالود والرحمة وكان الله عزَّ وجلَّ إليه بكل خير
 أسرع » . ولما دخل أبو الدرداء الشام قال : يا أهل الشام اسمعوا قول أخٍ ناصحٍ فاجتمعوا إليه
 فقال : ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون إن
 الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدًا وأملوا بعيدًا وجمعوا عتيديًا فأصبح أملهم غرورًا ومساكنهم قبورًا .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

أَجِدْكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
 لِعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ فِيهَا عَجَائِبًا وَصَاحِبِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ
 رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً وَقَدْ طَابَ عَيْشُ وَالسُّرُورُ يُجَدِّدُ

فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا الرِّزَايَا ثَوَابَتْ عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَدَاهُمْ تُحَشَّدُ
وَأَسَقَتَهُمْوَا كَأَسَا مِنَ الدُّلِّ مُتْرَعَا وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَقْعَدُ
وَدَانَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بُرْهَةٍ عَلَى نَكْدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ
آخر: أأمل أن أخلد والمنايا تدور علي من كل النواحي
وما أدري وإن أمسيت يوماً لعلني لا أعيش إلى الصباح

إن كل يوم يمر بكم يحمل ما ثبت فيه من خير أو شر يمضي فلا يعود أبداً فإن قدرتم أن تحظوا
كل يوم بمكرمةٍ وتثبتوا فيه حسنةً فلا تؤخروا فإن الأيام صحائف فخلدوا فيها الجميل فقد رأيتم
حفظها لما استودعت من المحامد والمحاسن والمكارم في قدس الدهر وحديثه .

شِعْرًا:

لَيْسَ الْغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ وَالْيَمَنِ
إِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبَ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ
تَمُرُّ سَاعَاتُ أَيَّامِي بِإِلَا نَدَمٍ
وَلَا بُكَاةٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا حَزَنِ
سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادِي لَا يُبَلِّغُنِي
سَفَرِي بَعِيدٌ وَزَادِي لَا يُبَلِّغُنِي
مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَنِّي حَيْثُ أَمَهَانِي
وَقَدْ تَمَادَيْتُ فِي ذَنْبِي وَيَسْتُرُنِي
أَنَا الَّذِي أُغْلِقُ الْأَبْوَابَ مُجْتَهِدًا
عَلَى الْمَعَاصِي وَعَيْنُ اللَّهِ تَنْظُرُنِي
يَا زَلَّةً كُتِبَتْ يَا غَفْلَةً ذَهَبَتْ
يَا حَسْرَةً بَقِيَتْ فِي الْقَلْبِ تَقْتُلُنِي

دَعَّ عَنْكَ عَذْلِي يَا مَنْ كَانَ يَعْدِلُنِي
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بِي كُنْتُ تَعْدُرُنِي
 دَعْنِي أَنْوُحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
 دَعْنِي أَنْوُحُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْدِبُهَا
 دَعْنِي أَسِخُ دُمُوعًا لَا انْقِطَاعَ لَهَا
 فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَا تُخَلِّصُنِي
 كَأَنِّي بَيْنَ تِلْكَ الْأَهْلِ مُنْطَرِحًا
 عَلَى الْفِرَاشِ وَأَيْدِيهِمْ تُقَلِّبُنِي
 وَقَدْ أَتَوْا بِطَيْبٍ كَيْ يُعَالِجُنِي
 وَلَمْ أَرِ مِنْ طَيْبِ الْيَوْمِ يَنْفَعُنِي
 وَاشْتَدَّ نَزْعِي وَصَارَ الْمَوْتُ يَجْذِبُهَا
 مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بِلا رَفِيقٍ وَلَا هَوْنٍ
 وَاسْتَخْرَجَ الرُّوحَ مِنِّي فِي تَغْرُغْرِهَا
 وَصَارَ فِي الْحَلْقِ مُرًّا حِينِ غَرَّغْرُنِي
 وَغَمَّضُونِي وَرَاحَ الْكُلُّ وَانْصَرَفُوا
 بَعْدَ الْإِيَّاسِ وَجَدُّوا فِي شِرَا كَفْنِي
 وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ
 وَقَامَ مَنْ كَانَ أَوْلَى النَّاسِ فِي عَجَلٍ
 وَقَالَ يَا قَوْمِ نَبِغِي غَاسِلًا حَذِيقًا
 حُرًّا أَدِيبًا أَرِييَا عَارِفًا فَطِنِي
 فَجَاءَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَنِي
 مِنَ الثِّيَابِ وَأَعْرَانِي وَأَفْرَدَنِي

واطْرُخُونِي عَلَى الْأَلْوَا حِ مُنْفَرِدًا
 وَصَارَ فَوْقِي خَرِيرُ الْمَاءِ يَنْظِفُنِي
 وَأَسْكَبَ الْمَاءَ مِنْ فَوْقِي وَغَسَّلَنِي
 غُسْلًا ثَلَاثًا وَنَادَى الْقَوْمَ بِالْكَفَنِ
 وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا لَا كِمُومَ لَهَا
 وَصَارَ زَادِي حُنُوطًا حِينَ حَنَطَنِي
 وَقَدَّمُونِي إِلَى الْمَحْرَابِ وَانصَرَفُوا
 خَلْفَ الْإِمَامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَنِي
 صَلَّوْا عَلَيَّ صَلَاةَ لَا رُكُوعَ لَهَا
 وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمُنِي
 وَأَنْزَلُونِي فِي قَبْرِي عَلَى مَهْلٍ
 وَأَنْزَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ يُلْحَدُنِي
 وَكَشَّفَ الثُّوبَ عَن وَجْهِ لِيَنْظُرَنِي
 وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيْهِ أَغْرَقَنِي
 فَقَامَ مُحْتَرِمًا بِالْعَزْمِ مُشْتِمِلًا
 وَصَفَّفَ اللَّيْنَ مِنْ فَوْقِي وَفَارَقَنِي
 وَقَالَ هَلُّوا عَلَيْهِ الثُّرْبَ وَاغْتَنِمُوا
 حُسْنَ الثُّوَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ ذِي الْمَنَنِ
 فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ لَا أُمَّ هُنَاكَ وَلَا
 أَبَّ شَأْنٍ فَيْقٌ وَلَا أَخٌ يُؤَنِّسُنِي
 وَأَوْدَعُونِي وَلَجُوا فِي سُؤْلِ الْهَمُومِ
 مَا لِي سِوَاكَ إِلَهِي مَنْ يُخَلِّصُنِي

وَهَالِي صُورَةٌ فِي الْعَيْنِ إِذْ نَظَرْتُ
 مِنْ هَوْلٍ مَطْلَعٍ مَا قَدْ كَانَ أَدْهَشَنِي
 مِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ مَا أَقُولُ لَهُمْ
 إِذْ هَالِي مِنْهُمَا مَا كَانَ فَأَفْرَعَنِي
 فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي
 فَإِنِّي مُوْتَثِقٌ بِاللَّذْنِبِ مُرْتَهَنٌ
 تَقَاسَمَ الْأَهْلُ مَالِي بَعْدَمَا انْصَرَفُوا
 وَصَارَ وَرِزِي عَلَيَّ ظَهْرِي فَأَثَقَلَنِي
 فَلَا تَغُرَّنِيكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
 فَلَا تَغُرَّنِيكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا
 وَاَنْظُرْ إِلَى مَنْ حَوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا

هَلْ رَاحَ مِنْهَا بِغَيْرِ الزَّادِ وَالْكَفِّينِ
 خُذِ الْقَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا
 لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ
 يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِصْيَانِ وَاكْتَسِبِي
 فِعْلاً جَمِيلاً لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي

اللَّهُمَّ أيقظنا من غفلتنا بِفَضْلِكَ وإحسانك وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وغفرانك وألحقنا بِالَّذِينَ
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فِي دارِ رِضْوَانِكَ وَارزقنا كما رزقتهم من لذيذِ مَنَاجِاتِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في التحذير عن تعاطي المسكرات والمخدرات

اعْلَمْ وفقنا الله وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لما يَجِبُ ويرضاه أن من أشرف هبات الله للإنسان عقله وَقَدْ
 روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنه قال في قول الله تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ أي في
 العقل ، وورد عن المصطفى ﷺ أَنه قال : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى
 هدى - أو يرده عن ردى ، ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله » .

فالعقل جعله الله للإنسان ليميز به النافع من الضار ويفهم عن الله شرعه لماذا حسن الحسن وقبح القبيح ويفهم ما لله من الحقوق وما لرسله وما ينبغي نحو عباد الله .
فهو الجوهرة التي دون قدرها الأثمان وما يقدر بالأثمان بل الدُّنيا بأسرها لا قيمة لها بجانب هذا العقل العَظيم الشَّان الَّذِي رفع الله درجة بني آدم إلى أن أحاط بهم جَلٌّ وَعَمَلٌ وَهُوَ الَّذِي صلح لأن يكون من خدمه تَعَالَى يؤدي ما له من واجباتٍ .
وَهُوَ الَّذِي به يكون أهلاً لأن يكون من ضيوفه تَعَالَى في دار الكرامات ، بل هُوَ الَّذِي سما به إلى أن يرى ربه تَعَالَى في دار الرضوان ، إن قيمة كُلِّ شَيْءٍ إنما تقدر بقدر ما له من آثار العقل ، لا يدانيه فيها غيره ، مهما كَانَ لِذَلِكَ الغير من مقدار ، إذ هُوَ أَجَلْ مَحْنَةٍ منحها الله ابن آدم في هذه الدار بل لا تُكُونُ الْجَنَّةُ جنة إذا سلب العقل فيها من الْإِنْسَانِ .
إذا علمت ذَلِكَ فاعْلَمْ أن النَّاسَ يتفاوتون في الدرجات بتفاوت ما هُمُّ من عقول فكلُّما كَانَ العقل أقوى كَانَ أقدر على دفع النفس عما لها من فضول ومن هَذَا نستطيع أن نقول إن أعقل الْمُؤْمِنِينَ أتقاهم لله أما ضعيف العقل فيضعف دفعه للنفس عن ما لها من شهوات .
هُوَ من الْأَشْيَاءِ التي تشير أسماءها إلى معناها سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه غالباً عما لا ينبغي وَلِذَلِكَ إذا جن الْإِنْسَانُ رأيته كالوحش الضاري يبطش بكل ما قابله .

مَا وَهَبَ اللَّهُ لَأَمْرٍ هَبَهُ أَشْرَفَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هُمَا حَيَاةُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَإِنَّ فَقْدَ الْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهِ
آخِر: يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ

وَيُرْزَى بِهِ فِي النَّاسِ قَلَّةٌ عَقْلِهِ
وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
آخر: إِذَا كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَلَمْ تَكُ عَاقِلًا
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عُمْدٌ لِعَقْلِهِ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ عُمْدٌ لِعَقْلِهِ
وَإِنْ كَرُمْتَ أَعْرَافَهُ وَمَنَاسِبُهُ
وَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
فَقَدْ كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ وَضَرَائِبُهُ
فَأَنْتَ كَذِي نَعْلِ وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ
وَلَا خَيْرَ كَذِي نَعْلِ وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ
وَلَا خَيْرَ فِي عِمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلٌ

والمقصود من سياق هذه المقدمة حول العقل ، هو أنه يوجد قسم من الناس قد عميت بصائرهم وأسقطوا أنفسهم من درجة الكمال الذي أعدهم الله له ، وأنزلوا أنفسهم إلى مرتبة الحيوان أو أنزل ، ورضوا بأن يكونوا معاول لهدم الفضيلة ويدًا عاملة لنشر الرذيلة وهؤلاء قد استحوذ عليهم الشيطان ولعب بهم وزين لهم أن يفارقوا عقولهم زمانًا بتناول المخدرات وتعاطي المسكرات وليس هذا الاعتداء على العقل الذي شرفهم الله به في العمر مرة بل ولا في السنة مرة لكنه عندهم دوامًا نسأل الله العافية أما علم أولئك التعساء أن الخمر أم الخبائث ورأس المُنكر كله وطريق الفساد العام .

فساد الدين وفساد الأخلاق وفساد العقل وفساد الجسم وفساد المال وفساد الذرية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، فالخمر محرمة بالكتاب والسنة والإجماع .
أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ .
اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَنُورَ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ

اللَّهُمَّ يَا مَلَقِبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَهْمَنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَأَمَنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكَرِكَ وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وأما السنة فقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَمْرٌ ، وَكُلُّ حَمْرٍ حَرَامٌ » . رواه أبو داود والإمام أحمد وروى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ الْحَمْرَ ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ » . رواه أبو داود .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا ، وَهُوَ مَدْمَنٌ لَهَا ، لَمْ يَشْرِبْهَا فِي الْآخِرَةِ » . رواه مسلم وروى مسلم عن جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ عَلَى اللَّهِ عَهْدًا لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكَرَ ، أَنْ يَسْقِيَهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » . قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : « عِرْقُ أَهْلِ النَّارِ » . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، يَحْرِمُهَا فِي الْآخِرَةِ » . وورد أن مَدْمَنَ الْخَمْرِ كَعَابِدٍ وَثَنٌ وَرَوَى النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌ ، وَلَا مَدْمَنٌ خَمْرٌ » . وفي رواية : « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : مَدْمَنُ الْخَمْرِ ، وَالْعَاقُ لَوَالِدِيهِ ، وَالذُّيُوثُ ، وَهُوَ الَّذِي يَقْرَأُ الشُّعْرَ فِي أَهْلِهِ » .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزِينِي الرَّزِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ » . رواه البخاري ،

وفي الحديث : « من زنى أو شرب الخمر ، نزع الله منه الإيمان كما يلجع الإنسان القميص من رأسه » . وفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » .

وروى الإمام أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات - أي الزانيات - يؤذي أهل النار ريح فروجهن » .

وقال ابن عمر : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بمدية وهي الشفرة فاتيته بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال : « اغد علي بها » . ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة ، وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت فلم أترك في أسواها زقا إلا شققته .

وعن عبد الله بن عمرو قال : إن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ قال : هي في التوراة إن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والمزامير والزفن ، والكبارات يعني البرابط ، والزمارات ، يعني به الدف والطنابير والشعر ، والخمر مرة لمن طعمها أقسم الله بيمينه وعزته من شربها بعد ما حرمتها لأعطشناه يوم القيامة ، ومن تركها بعد ما حرمتها لأسقينه إياها في حظيرة القدس .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ذِكْرِكَ شُكْرِكَ وَاغْفِرْ عَنَّا تَقْصِيرَنَا فِي طَاعَتِكَ وَوَقَفْنَا
لِلزُّومِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَيْكَ وَثَبَّتْنَا عَلَيْهَا حَتَّى الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَلِّمْنَا مِنَ
الرِّيَاءِ وَطَهِّرْ مَكْسَبَنَا مِنَ الرِّبَا وَأَلْسِنَنَا مِنَ الْكُذْبِ وَوَقِّفْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا عَنِ ذُنُوبِنَا وَقَبَائِحِنَا
وَلَا تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَأَكْتَنَتْ سِرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمَعَائِبِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدِينَا وَتُوفِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قصيدة تحتوي على حكم ومواعظ

تَأْوِينِي هَمْ كَثِيرٌ بِإِلْبَاهِهِ	طُرُوقًا فَعَالَ النَّوْمِ عَنِّي غَوَائِلُهُ
فَوَيْحِي مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ وَاقِعٌ	وَلِلْمَوْتِ بَابٌ أَنْتَ لَا بُدَّ دَاخِلُهُ
أَيَّامُنْ رَبِّبِ الدَّهْرِ يَا نَفْسُ وَاهِنُ	تَجِيشٌ لَهُ بِالْمُقْطَعَاتِ مَرَاجِلُهُ
فَلَمْ أَرَ فِي الدُّنْيَا وَذُو الْجَهْلِ غَافِلٌ	أَسِيرًا يَخَافُ الْقَتْلَ وَاللَّهُوُ شَاغِلُهُ
فَمَا بِهِ يَفِدِي مِنَ الْمَوْتِ نَفْسَهُ	وَيَأْمَنُ سَيْفَ الدَّهْرِ وَالِدَّهْرِ قَاتِلُهُ
وَلَا يَفْتَدِي مِنْ مَوْقِفٍ لَوْ رَمَى الرَّدَى	بِهِ جَبَلًا أَضْحَتْ سَرَابًا جَنَادِلُهُ)
وَبَعْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ يَا نَفْسُ كُرْبَةٌ	وَهَوْلٌ تُشِيبُ الْمُرْضِعِينَ زَلْزَلُهُ
إِذَا الْأَرْضُ خَفَّتْ بَعْدَ نَقْلِ جِبَالِهَا	وَخَلَّى سَبِيلَ الْبَحْرِ يَا نَفْسُ سَاحِلُهُ
فَلَا يَرْتَجِي عَوْنًا عَلَى حَمَلٍ وَزْرِهِ	مُسِيءٌ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْوِزْرِ حَامِلُهُ
إِذَا الْجَسَدُ الْمَعْمُورُ زَايَلَ رُوحَهُ	خَوَى وَجَمَالَ الْبَيْتِ يَا نَفْسُ آهْلُهُ
وَقَدْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ حِينًا يَرِينُهُ	وَمَا الْعِمْدُ لَوْلَا نَصْلُهُ وَحَمَائِلُهُ
يُرَايِلُنِي مَالِي إِذَا النَّفْسُ حَشْرَجَتْ	وَأَهْلِي وَكَدْحِي لَا زِمِي لَا أَزَايِلُهُ
إِذَا كَلَّ عِنْدَ الْجُهْدِ يَا نَفْسُ مُنْطِقِي	وَعَايِنْتُ عِنْدَ الْمَوْتِ مَا لَا أَحَاوِلُهُ
وَيَغْسِلُ مَا بِالْجِلْدِ مِنْ ظَاهِرِ الْأَذَى	وَلَا يَغْسِلُ الدَّنْبَ الْمُخَالَفَ غَاسِلُهُ
وَمَنْ تَفَلَّتِ الْأَمْرَاضُ يَوْمًا فَإِنَّهُ	سَيُوشِكُ يَوْمًا أَنْ تُصَابَ مَقَاتِلُهُ

وَقَدْ تُفَلِّتُ الْوَحْشَ الْجِبَالُ وَرُبَّمَا
 إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ صَارَ حُجَّةً
 وَقَدْ يُنْعِشُ الذِّكْرُ الْقُلُوبَ ، وَإِنَّمَا
 أَرَى الْغُصْنَ لَا يَنْمِي إِذَا جَفَّ أَصْلُهُ
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْصَرْتَ هَذَا فَإِنَّمَا
 وَلَا يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ سَهْمٌ لَوَجْهِهِ
 وَفِيكَ إِلَى الدُّنْيَا اغْتِرَاضٌ وَإِنَّمَا
 فَلَا تَتَنَكَّثُ بَعْدَ الْهَوَى عَنْ بَصِيرَةٍ
 وَتَطْلُبُ فِي الدُّنْيَا الْمَنَازِلَ وَالْعُلَا
 كَمَنْ غَرَّهُ لَمْعُ السَّرَابِ بَقِيْعَةٍ
 وَقَدْ خَانَتْ الدُّنْيَا قُرُونًا تَتَابَعُوا
 وَتُصْبِحُ فِيهَا آمِنًا ثُمَّ لَمْ تَكُنْ
 وَقَدْ خَتَلْتَنَا بِاللَّطِيفِ مِمَّا الْهَوَى
 رَضِينَا بِمَا فِيهَا سَفَاهًا وَلَمْ يَكُنْ
 وَعَاقِبَةُ اللَّذَاتِ تَخْشَى وَإِنَّمَا
 وَإِنْ فَرَحْتَ بِالْمَرْءِ يَوْمًا حَلَالٍ
 فَكَمْ مِنْ فَتَى قَدْ كَانَ فِي شَرِّهِ الصَّبَا
 إِذَا مَا سَمَا حَقٌّ إِلَيْكَ وَبَاطِلٌ
 وَقَدْ يَأْمَلُ الرَّاجِي فَيُكْذِبُ ظَنَّهُ

تَقَبَّضَتِ الْوَحْشِيَّ يَوْمًا حَبَائِلُهُ
 عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذِرْ بِمَا أَنْتَ جَاهِلُهُ
 تَكُونُ حَيَاةُ الْعُودِ فِي الْمَاءِ وَابِلُهُ
 وَلَيْسَ بِسَاقٍ مَنْ أُبِيحَتْ أَوَائِلُهُ
 يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلُهُ
 بِهِ مَيْلٌ حَتَّى يَقْوَمَ مَائِلُهُ
 تُكَالُ لَدَى الْمِيزَانِ مَا أَنْتَ كَائِلُهُ
 كَمَا نَكَثَ الْحَبْلُ الْمُضَاعَفَ فَاتِلُهُ
 وَتَنْسَى نَعِيمًا دَائِمًا لَا تُزَايِلُهُ
 فَقَصَّرَ عَنْ وَرْدِ تَجِيْشِ مَنَاهِلُهُ
 كَمَا خَانَ أَعْلَى الْبَيْتِ يَوْمًا أَسَافِلُهُ
 لِتَأْمَنَ فِي وَادٍ بِهِ الْخَوْفُ نَازِلُهُ
 كَمَا يَخْتَلِ الْوَحْشِيَّ بِالشَّيْءِ خَاتِلُهُ
 يَبِيْعُ سَمِينَ اللَّحْمِ بِالْغَيْثِ آكِلُهُ
 يُكَدِّرُ يَوْمًا عَاجِلَ الْأَمْرِ آجِلُهُ
 فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَنَّ حَلَالِيْلُهُ
 فَأَقْصَرَ بَعْدَ الْعَدْلِ عَنْهُ عَوَازِلُهُ
 عَلَيْكَ فَلَا يَذْهَبُ بِحَقِّكَ بَاطِلُهُ
 أُمُورٌ وَيَلْقَى الشَّيْءَ مَا كَانَ يَأْمَلُهُ

اللَّهُمَّ انظمننا في سلك الفائزين برضوانك ، واجعلنا من المتقين الذين أعددت لهم فسيح جناتك وأدخلنا برحمتك في دار أمانك وعافنا يا مولانا في الدنيا والآخرة من جميع البلايا وأجزل لنا من مواهب فضلك وهباتك ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(فَصْلٌ)

وأجمعت الأمة على تحريم الخمر ، وقليل الخمر وكثيره كله حرام لما أخرجه ابن حبان والطحاوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره » .

وروى أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أسكر كثيره فقليله » .

وروى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر ولم يكتف الشارع بتحريم شرب قليلها وكثيرها ، بل حرم الاتجار بها ولو مع غير المسلمين فلا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعمل مستورداً أو مصدراً أو صاحب محل لبيع الخمر أو عاملاً في هذا المحل كيف وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقها وبائعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له .

وكذا يحرم إهداؤها فقد روي عن جابر بن عبد الله قال : كان رجل يحمل الخمر من خيبر إلى المدينة فيبيعها من المسلمين فحمل منها بما لم يقدم بها المدينة فلقية رجل من المسلمين فقال : يا فلان إن الخمر قد حرمت فوضعها حيث انتهى على تل وسجى عليها بأكسية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله بلغني أن الخمر قد حرمت قال : « أجل » قال : لي أن أردّها على من ابتعتها منه ؟ قال : « لا يصح ردّها » . قال : لي أن

أهديها إلى من يكافيني منها؟ قال: « لا » قال: فإن فيها مالا ليتامى في حجري . قال :
« إذا أتانا مال البحرين فانا نعوض أيتامك من ما لهم » . ثم نادى بالمدينة فقال رجل : يا
رسول الله الأوعية ينتفع بها؟ قال : « فحلوا أوكيتها » . فانصبت حتى استقرت في بطن
الوادي .

ويجب مقاطعة مجالس الخمر وشاربيها فعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار
عليها الخمر » . رواه أحمد ومعناه عند الترمذي . وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد
شاربي الخمر ، ومن شهد مجلسهم ، وإن لم يشرب ، ورووا عنه أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر
فأمر بجلدهم فليل إن فيهم فلانا ، وقد كان صائما ، فقال : به ابدؤوا أما سمعتم قول الله
تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴾ .

وروى عن عثمان بن عفان أنه كان يقول : اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث إنه كان رجل
فيمن كان قبلكم يتعبد ويعتز الناس فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جارها أن تدعوه لشهادة
فدخل معها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام
وباطية خمر فقالت : إني والله ما دعوتك لشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تقتل هذا الغلام
أو تشرب هذا الخمر فسقته كأسا فقال : زيدوني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا
الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه . رواه البيهقي .

وروى الطبراني بسند صحيح والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر رضي الله
عنه أن أبا بكر وعمر وناسا جلسوا بعد

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلوني إلى عبد الله بن عمرو أسأله فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ووثبوا إليه جميعاً حتى أتوه في داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزيى أو يأكل لحم الخنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شربها لم يمتنع من شيء أرادوه منه » .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة ، ولا يموت وفي مثانته منها شيء إلا حرمت عليه بها الجنة ، فإذا مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية »

وفي تصوير إثم الخمر يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لو وقعت قطرة منها في بحر فبنيت عليه منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر فجف فنبت الكلال لم أرعه .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما لو دخلت أصبعي فيها لم تتبعني . قال بعضهم محذراً عن الخمر :

إِلامَ وَأَنْتَ فِي زَهْوٍ وَلَهْوٍ وَإِنَّ الْعُمَرَ مُعْظَمُهُ تَقَلَّصَ
تُعَاقِرُ خَنْدَرِيَسَ السُّوءِ دَوْمًا نَدِيمَكَ مَنْ إِلَى الْفُحْشَا تَرَبَّصَ
وَتَهْجُرُ كُلَّ ذِي هَدْيٍ قَوِيمٍ وَتُوْصِلُ كُلَّ سَكِّيرٍ تَمَلَّصَ
بِذَا أَطْفَأَتْ نُورَ الْعَقْلِ حَتَّى ضَلَّتْ عَنِ الْهَدَايَةِ يَا مُنْغَصَ
أَنْزِرْ يَا نَابَةَ اللَّهِ عَقْلًا لَهُ نُورُ الْهُدَى بِالْحَقِّ حَصْحَصَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لَنَا قلوبنا على دينك وألهمنا ذكرك وشكرك واختم لنا بخاتمة السعادة واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

موعظة : عباد الله إنما حرم الله عليكم الخمر لما فيه من الأضرار والأخطار ، وما منعكم من شربها إلا لما ينشأ عن ذلك من المفساد

والشور والأضرار ، فشارب الخمر ملعون على لسان نبيكم مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وسلم وبائعها ، وشاربها ، وعاصرها ومعتصرها ، وساقها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، ومدمن شربها لا يدخل الجنة ، بل يدخل النار ويسقى من طينة الجبال ، عرق أهل النار وورد أن مدمن الخمر كعابد وثن فشارب الخمر مفسد لدينه ، ومفسد لجسمه ، وصحته وجان على نفسه ، وعلى أولاده ، وأقاربه ، وأهله وجيرانه ومفرط في ماله ومسرف فيه وعابث بكرامته ، وساع إلى الشر والفساد بيده ، ورجله ، ولسانه ، وصائل ، خبيث على الخلاق والأديان شارب الخمر عضو مسموم في جسم موطنه إذا لم يبادروه بالعلاج أو يقطعوه أصابهم ضرره ، شارب الخمر يزين الشر ويحسنه ، لبنه ، وبناته ، وأصدقائه ويدعوهم بلسان حاله ومقاله ، وأنتم تعلمون أن داعي الفساد محاب قبيح كل زمان ومكان وأنصاره بلا عد ولا حساب ، وإذا دبت الخمر في رأس شاربها فقد شعوره ، وزنى ، ولاط ، أو ليط به ، وجاء بأنواع الفحش ، والفجور ، وسب وشتم ، وقذف ، ولعن ، وطلق وسب الدين والمسلمين بل ربما وقع على أمه ، أو بنته أو أخته أو على نساء جيرانه أو على بهائمهم ، ورُبَّمَا كفر بالله وارتد عن الإسلام ، وترك الصلاة ، وأفطر في رمضان ، وسب القرآن ، وبالجملة أن من تعاطى الخمر سقط من شاطئ مجده إلى مستوى الخنازير ، والقردة يصدق بهدًا من عاين شارب الخمر وقد استولى عَلَيْهِ الشراب وغطى عقله فتَرى من يقوده متعب ، يجره كما يجرد الدابة الحرون بل الدابة تمشي أحيانًا هادئة إذا جرت لا تتعب القائد دائمًا ، وأما السكران فيميل بقائده هكِّدًا وهكِّدًا حتى يكلفه متاعب عظيمة ، والدابة إذا رأت حفرة امتنعت عنها وتباعدت عنها ، أما شارب الخمر فتكون الحفرة أمامه ، ويسقط فيها ، والدابة ربما دافعت عن طعامها وشارب الخمر تسلب منه النقود ، ولا

يحصل منه أدنى ممانعة ، ومعنى هَذَا أن البهيمة أرجح وأحسن حالاً منه وَقَدْ قال الخبير بأحوال شراب الخمر : من أراد أن يعرف قدر السكير فليُنظر إلى قهقهته ، وضحكه ، والخمار يوالي الصفعات على قفاه ، وليُنظر رقصه أمام البزور ، كأنه قرد يرقصه صاحبه ، ليضحك من يراه ، وليُنظره وَهُوَ يجري وراء أمه ، أو بنته ، ليقضي منها حاجته ومناه ، وليُنظر وامراته تكنس ملابسه وتمسحها من الأوساخ التي يقذفها على ثيابه ، والقاذورات ، هَذَا قدر شارب الخمر عندنا ، أما عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ فهو كعابد وثن ملعون نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يعصمنا وإخواننا المسلمين منها ومن سائر المعاصي وأن يُلطف بنا ويوفقنا .

شِعْرًا: أَتَعَصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا لِقَاءَهُ
وَتَخْلُوا بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَسْتَ تَخْشَى مِنْ سَطَاهُ
وَتُنْكِرُ فِعْلَهَا وَلَهُ شُهُودٌ عَلَى الْإِنْسَانِ تُكْتَبُ مَا حَوَاهُ
فَوَيْلُ الْعَبْدِ مِنَ صُخْفٍ وَفِيهَا مَسَاوِيهِ إِذَا وَافَى مَسَاهُ
وَيَا حُزْنَ الْمُسِيِّ لَشُؤْمٍ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جَوَاهُ
وَيَنْدَمُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ فَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعَضُّ يَدَيْهِ مِنْ أَسْفٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدَمُ حَسْرَةً مِمَّا دَهَاهُ
فَكُنْ بِاللَّهِ ذَا تَقَةٍ وَحَادِرٍ هُجُومَ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَاهُ
وَبَادِرٍ بِالْمَتَابِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ
وَتَقِفُ الْمُصْطَفَى خَيْرَ الْبَرَايَا رُسُولًا قَدْ حَبَّاهُ وَاجْتَبَاهُ
عَلَيْهِ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ كُلِّ وَقْتٍ سَلَامٌ عَطَّرَ الدُّنْيَا شَذَاهُ

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا قَرِيبَ الرَّحْمَةِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اللَّهُمَّ أَذْقْنَا عَفْوِكَ وَغُفْرَانِكَ وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ مَرْضَاتِكَ . وَعَامِلْنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ واقطع عنا ما يبعد عن طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي

قلوبنا وقوها ويسر لنا ما يسرته لأوليائك وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

فصل : واعلم أن الخمر نجسة يغسل ما أصابته من بدن أو ثوب أو إناء ويصب على ما
أصابته من الأرض ماء كنجاسة البول لما في حديث أبي ثعلبة الخشني أنه قال : يا رسول الله أنا
بأرض قوم أهل كتاب يأكلون الخنزير ويشربون الخمر أفأكل في آنتهم قال : « لا ، إلا أن
تجدوا غيرها ، فاغسلوها ثم كلوا فيها » .

ولا يجوز التداوي بالخمر لما في صحيح مسلم عن طارق بن سويد الجعفي انه سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال : أصنعها للدواء فقال : « إنه
ليس بدواء ولكنه داء » . وروى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن الله انزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تتداووا
بالمحرم » .

وذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم وفي السنن
عن أبي هريرة قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث . وفي السنن انه
صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل في الدواء ؟ فقال : « إنها داء وليس بالدواء » .
رواه أبو داود والترمذي ، ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تداوى بالخمر فلا
شفاه الله » .

وقد نبه ابن القيم رحمه الله على جانب نفسي هام فقال : وها هنا سر لطيف في كون
المحرمات لا يستشفى بها فإن شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقبول واعتقاد منفعته وما جعل الله
فيه من بركة الشفاء فإن

النافع وهو المبارك وأنفع الأشياء أبركها والمبارك من النَّاس هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ حَيْثُ حُلٌّ وَمَعْلُومٌ أَنْ عِتْقَادَ الْمُسْلِمِ تَحْرِيمَ هَذِهِ الْعَيْنِ مِمَّا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِتْقَادِ بَرَكَتِهَا وَمَنْفَعَتِهَا وَبَيْنَ حَسَنِ ظَنِّهِ بِهَا وَتَلْقَى طَبْعَهُ لَهَا بِالْقَبُولِ بَلْ كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْظَمَ إِيمَانًا كَانَ أَكْرَهَ لَهَا وَأَسْوَأَ عِتْقَادًا فِيهَا وَطَبْعَهُ أَكْرَهَ شَيْءٍ لَهَا فَإِذَا تَنَاوَلَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ كَانَتْ دَاءً لَا دَوَاءَ إِلَّا أَنْ يَزُولَ عِتْقَادُ الْخُبْثِ فِيهَا وَسُوءُ الظَّنِّ وَالْكَرَاهَةُ بِالْحُبَّةِ وَهَذَا يَنَافِي الْإِيمَانَ فَلَا يَتَنَاوَلُهَا الْمُؤْمِنُ قَطُّ إِلَّا عَلَى وَجْهِ أَنَّهَا دَاءٌ . انتهى .

ومن ذَلِكَ تلك المواد التي تعرف باسم المخدرات مثل الحشيش ، والكوكايين ، والأفيون ونحوها مما عرف أثرها عند متعاطيها أنها تؤثر في العقل فيرى البعيد قريباً وبالعكس القريب بعيداً ويذهل عن الواقع ويتخيل ما ليس بواقع ويسبح في بحر من الأوهام والأحلام وهذا ما يريد متعاطيها لأجل أن يذهلوا أنفسهم وينسوا دينهم ودنياهم ويهيموا في أودية الخيال . وهذا غير ما تحدثه من فتور في الجسم وخدر في الأعصاب وهبوط في الصحة وفوق ذَلِكَ ما تحدثه من خور في النفس وتحلل الإرادة وتمييع للخلق وتضعيف للشعور بالواجب مما يجعل هؤلاء التعساء المدمنين لها أعضاء مضرّة بالمجتمع فضلاً عما وراء ذَلِكَ من إتلاف الأموال وخراب البيوت .

وَقَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه ما خلاصته : إن هذه الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله ورسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضررٍ في دين

المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقًا كثيرًا مجانين ، وتورث من مهانة أكلها ودناءة نفسه وغير ذلك .

فضررها من بعض الوجوه أعظم من الخمر ولهذا قال الفقهاء : إنه يجب فيها الحد كما يجب في الخمر ، والسكر منها حرام باتفاق المسلمين .

ومن استحل ذلك وزعم أنه حلال فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدًا لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

إِلَى كَمِذَا التَّمَادِي بِاللَّدَسَائِنِ	وَأَنْتَ بِحَمَاءَةِ الْبُهْتَانِ غَاطِسُنْ
تُسَاعِدُ كُلَّ نَمَامٍ يَأْفِكُ	وَتَغْتَالُ الْأَكَارِمَ وَالْأَوَانِسُنْ
تُسَابِقُ كُلَّ شَيْطَانٍ رَجِيمِ	بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ فِتَنِ الْوَسَاوِسُنْ
أَصَعْتَ الْعُمَرَ فِي زُورٍ وَوَزِيرٍ	وَلَهُوَ مَعَ ذَوِي الْعَدْرِ الْأَبَالِسُنْ
فَعَجَّلَ بِالْمَتَابِ لَيْلٍ عَفْوٍ	لِتُحْبَى مِنْ جَنَا مَا أَنْتَ غَارِسُنْ

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل في بعض مضار الخمر

ونسوق إليك نموذجًا من مضار الخمر بما ذكره العلماء والأطباء :

- ١- أنها فساد في الدين .
- ٢- أنها فساد في الأخلاق .
- ٣- أنها فساد في العقل .
- ٤- أنها فساد في الجسم تحطم قوته وتهدم بنيته وتسقم الجسد .
- ٥- أنها فساد في الذرية .

- ٦- أنها جناية على الشرف .
- ٧- أن الخمر رجس من عمل الشيطان .
- ٨- أنها نجسة ، تنجس ما اتصلت به .
- ٩- أنها تورث الذل والمهانة .
- ١٠- أن ضررها متعدد .
- ١١- أنها تضر اقتصاديًا .
- ١٢- ما فيها من الضّرر الاجتماعي .
- ١٣- أن الجهاز الهضمي يصاب بالنزلة المعوية الحادة فيحصل فساد في الهضم وخمود في المعدة والتهاب في الأمعاء واستحالة في منسوج الكبد وتيبس والتهاب وتغير فيه وأخيرًا تفتت الكبد وتتلف وتنتهي حياته .
- ١٤- أن الجهاز البولي والتناسلي يحصل فيه تنبه ، ينشأ عنه التهاب الكلى وفساد منسوجها وضعف الانعاض وضياع محصل النسل .
- ١٥- الجهاز العصبي يصاب المخ باضطراب يكون منه الجنون السكري والخوف والخيالات المختلفة كروية الهيئات الشنيعة والارتعاش وفقد الإحساس والشلل المحدود الذي يؤول إلى شللٍ عمومي وقد تؤدي الخمر إلى الصراع والتشنج واستحالة المراكز العصبية المخية الشوكية وعلى العموم يحصل في البنية اضطراب تضعف أمامه عن مقاومة المؤثرات الخارجية .

- ١٦- أنه يعتري القلب ضمور والاستحالة الشحمية فينشأ عن ذلك إبطاء في الدورة الدموية بالرئة تحدث عنه النزلة الشعبية وموت الفجأة .
- ١٧- أنه يسبب انسداد في بعض أوعية الرئة وذلك ما تعرف أعراضه بالسعال .
- ١٨- أنها تعرقل هضم الطعام فينشأ عن ذلك التخمة والحموضة في المعدة والقيء .
- ١٩- تضعف المناعة وتقدر الكرات الدموية البيضاء التي يجعلها الله حارسة لجسم الإنسان .
- ٢٠- التعريض لفجأة ذهاب البصر .
- ٢١- مبادرة انقطاع شهوة الجماع وسرعة وقوف النسل .
- ٢٢- أن أكثر حوادث السيارات من شراب الخمر والمخدرات وبالْحَقِيقَةَ أن الشيطان يصد الشارب عن ذكر الله وعن الصلوة ويوقعه في معصية الله وسخطه ويعرضه لخزي الدنيا وعذاب الآخرة يرتكب الكبائر ويقترف الجرائم والآثام ويخبط في الحرام ، ويتجنب ما وجب عليه من الأحكام ، فيفعل نكراً وينطق بالعظائم من القول والزور ويسب ربه وأمه وأباه ويطلق ويزني ويلوط ويعبث بالأعراض والكرامات ويتلف أثاثه وأمواله ويوسخ ثيابه ويبول على نفسه ويبيكي بلا سبب ويضحك من غير عجب فتهزأ به الصبيان ويعبث به الفساق ويسخر به السفهاء ويمقته العقلاء ويغضه أهله للخطر المتوقع منه في سكره ليلاً ونهاراً ويمقته

جيرانه ولا يأمنون من وثباته إذا سكر ولا شك إن فتك أن الخبائث الخمر أشد من فتك الطاعون والحرب والمجاعات والعاهاات لإن ضرر الخمر اقتصادي وصحي ونفسي واجتماعي وأخلاقي .

فشاربها عضو مسموم في جسم أمته ومواطنيه إن لم يعالج أو يسوى له عملية ويقطع سرى سمه وداؤه الفتاك إلى سائر الأعضاء وأثر على الجسم كله .

وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب الخمر ؟ فقَالَ : ما أحب أن أصبح حكيم قومي وأمسي سفيهم وكانَ بعض الملوك يجمع أفاضل دولته ويلقي عليهم أسئلة علمية يتعرف بها فضلهم فيوماً حضر هذا المجلس رجل رث الهيئة فكانَ إذا انتهى العلماء من إجابتهم تكلم بما لم يحم حوله واحد منهم وكانَ ذلكَ حاله في كلِّ سؤال ولما انصرف العلماء أراد أن ينصرف هو أيضاً فأشار إليه الملك أن لا ينصرف فلما خليا أدناه الملك ثمَّ أدناه حتى أجلسه إلى جنبه ثمَّ عرض عليه كأساً من الخمر فاستعفى فأخ عليه أن يشربها فاستعفى وأخبره أنه لا يريدتها ثمَّ قال للملك : إني الآن في مجلس يحسدني عليه الناس جميعاً وهو إحسان ومكانَ عظيم لم يوصلني إليه إلا عقلي فلا أسىء إلى عقلي أبداً باحتساء كأس من الخمر يقضي عليه فإزداد إعجاب الملك به وازداد فضلاً عنده على فضله ولعله كانَ يختبره بذلك .

وختاماً فإن الفلاح مرجو حصوله باجتنبها قال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

نسأل الله أن يوقظ ولاتنا فيأخذوا على أيدي السفهاء منا ويزيل ما حدث من هذه المنكرات ، وأن يوقفنا وجميع المسلمين لطاعته ، ويتوفانا

مسلمين ، ويلحقنا بعباده الصالحين ، وَيَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمْنَا بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل في التحذير عن المسكرات)

وَإِيَّاكَ شُرْبًا لِلْخُمُورِ فَإِنَّهَا
تَسْوَدُ وَجْهَ الْعَبْدِ فِي الْيَوْمِ مَعَ غَدِ
أَلَا إِنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ ذَنْبٌ مُعْظَمٌ
يُزِيلُ صِفَاتِ الْآدَمِيِّ الْمُسَدَّدِ
فَيَلْحَقُ بِالْأَنْعَامِ بَلْ هُوَ ذُونَهَا
يُحَلِّطُ فِي أَفْعَالِهِ غَيْرَ مُنْهَدِ
وَيَسْخَرُ مِنْهُ كُلُّ رَأٍ لِسُوءِ مَا
يُعَايِنُ مِنْ تَخْلِيطِهِ وَالتَّبَدُّدِ
يُزِيلُ الْحَيَا عَنْهُ وَيَذْهَبُ بِالْغِنَا
وَيُوقِعُ فِي الْفَحْشَا وَقَتِيلِ الْمَعْرَبِ
وَكُلُّ صِفَاتِ الدَّمِّ فِيهَا تَجَمَّعَتْ
كَذَا سُمِّتِ أُمُّ الْفُجُورِ فَاسْتَنْدِ
فَكَمْ آيَةٌ تُنَبِّئُ بِتَحْرِيمِهَا لِمَنْ
فَكَمْ آيَةٌ تُنَبِّئُ بِتَحْرِيمِهَا لِمَنْ
وَقَدْ لَعَنَ الْمُخْتَارُ فِي الْخَمْرِ تَسْعَةً
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ خَيْرِ مُرْثِدِ
وَأَفْسَمَ رَبُّ الْعَرْشِ أَنْ لِيَعْدَبَنَّ
عَلَيْهَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَمَّدِ
وَمَا قَدْ أَتَى فِي حَظَرِهَا بِالْعِ إِذَا
تَأَمَّلْتَهُ حَادَّ التَّوَاتُرِ فَاهْتَدِ

وَاجْمَعْ عَلَى تَحْرِيمِهَا النَّاسُ كُلَّهُمْ
 فَكَفِّرْ مُبِيحِيهَا وَفِي النَّارِ خَلَّدِ
 وَإِدْمَانِهَا إِحْدَى الْكَبَائِرِ فَاجْتَنِبْ
 لَعَلَّكَ تُحْظَى بِالْأَفْلَاحِ وَتَهْتَدِي
 وَيَحْرُمُ مِنْهَا النَّزْرُ مِثْلَ كَثِيرِهَا
 وَلَيْسَتْ دَاوَاءً بِلَّ هِيَ الدَّاءُ فَابْعِدِ
 فَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ دَوَاءً نَا
 بِمَا هُوَ مَحْظُورٌ بِمِلَّةِ أَحْمَدِ
 وَكُلُّ شَرَابٍ إِنْ تَكَاثَرَ مُسْكِرٌ
 يُحْرَمُ مِنْهُ النَّزْرُ بِالْخَمْرِ فَاعْدِدِ
 وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَحْرُمُ مُطْلَقًا
 وَلَوْ كَانَ مَطْبُوحًا بِغَيْرِ تَقْيِيدِ
 فَسَيَّانَ مِنْ بُرٍّ وَمِنْ ذُرَّةٍ وَمِنْ
 شَعِيرٍ وَتَمْرٍ أَيْ وَكُلِّ مَعْوَدٍ
 سِوَى لَظْمَا الْمُضْطَّرِّ إِنْ مُرِجَتْ بِمَا
 يُرْوَى وَلِلْمُغْتَصِّ إِجْمَاعًا أَزْرَدِ
 ثَمَانِينَ فَاجْلِدْ مُسْلِمًا شَارِبًا رَضَى
 عَلَيْهَا بِاسْكَارِ الْكَثِيرِ الْمُزْبَدِ
 وَمَنْ مَاتَ فِي حَدِّ بَغَيْرِ تَرْبُودِ
 فَلَا غُرْمَ فِيهِ وَلْيُعَسَّلْ وَيُلْحَدِ

موعظة

عباد الله إن مفتاح سعادة المرء في دنياه وأخراه أن يراقب مولاه

بحيث يكون في كُلِّ حال من أحواله مستحضرًا عظمة ربه وجلاله ولا ينساه مؤمنًا بأنه تَعَالَى يراه أينما كَانَ ويعلم سره ونجواه فمن كَانَ هَكَذَا أورثه ذَلِكَ خشية ربه في سره وعلايته ، فإذا خاف الإنسان ربه خوفًا صحيحًا وقف ولا بد عِنْدَمَا حد له من حدود يفعل أوامره ويحْتَنِب نواهيه لا يحمله على ذَلِكَ إلا إجلاله لربه ، ومن أبعد العَبْد أن يقرب المعصية من كَانَ هَكَذَا ، لأنه يستحضر أن الله تَعَالَى يراه ، ويوقن أن الله تَعَالَى يجازيه على كُلِّ ما قدم من طاعة أو معصية فإذا وصل العَبْد إلى هذه الحالة كَانَ مَعَ توفيق الله له من صفوة خلق الله المتقين الَّذِينَ لله تَعَالَى بِهِمْ عناية فوق ما يتصوره المتصورون هُوَ أنه تَعَالَى أخبره عن مبلغ هذه العناية في الْكِتَاب المبين أخبر تَعَالَى أنه معهم لما هم عَلَيْهِ مِمَّا وفقهم له من تقوى وإحسان ، وإذا كَانَ الأمر هَكَذَا . فمن يغلب التقي ومعه القاهر الغلاب ومن يذله ومعه من بيده ناصية كل مخلوق ومن يحوجه ومعه من كُلِّ العوالم تتقلب في بحبوحة جوده وكرمه الباهر ، ومن يشقيه ومعه من لا سعادة إلا وهي من فيض كرمه وإحسانه . فعَلَيْكَ بلزوم تقوى الله وطاعته تمل السعادة في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، قال صل الله عَلَيْهِ وسلم : « أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » . رواه الطبراني وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شِعْرًا : قصيدة وعظية زهدية ألق لها سمعك

أَعَارَتْكَ دُنْيَا مُسْتَرَدُّ مَعَارِهَا	غَضَارَةَ عَيْشٍ سَوْفَ يَذْوِي اخْضِرَارُهَا
وَهَلْ يَتَمَنَّى الْمُحْكَمُ الرَّأْيِ عَيْشَةً	وَقَدْ حَانَ مِنْ دُهُمِ الْمَنَايَا مَرَارُهَا
وَكَيْفَ تَلَدُّ الْعَيْنُ هَجْعَةَ سَاعَةٍ	وَقَدْ طَالَ فِيمَا عَايَنْتُهُ اعْتِبَارُهَا
وَكَيْفَ تَقْرُ النَّفْسُ فِي دَارِ نُقْلَةٍ	قَدْ اسْتَيْقَنْتَ أَنْ لَيْسَ فِيهَا قَرَارُهَا

وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيْنَ مَحَارِهَا
 أَمَا فِي تَوْقِيهَا الْعَذَابَ اِرْدَجَارَهَا
 إِلَى حَرِّ نَارٍ لَيْسَ يَطْفَى أَوَارِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَا أَضْحَى إِلَيْهِ مَدَارِهَا
 وَتَقْصِدُ وَجْهًا فِي سِوَاهُ سِفَارِهَا
 وَقَدْ أَيَقَنْتُ أَنَّ الْعَذَابَ فُصَارِهَا
 لَقَدْ شَفَّهَا طُغْيَانُهَا وَاغْتِرَارِهَا
 وَعَمَّا لَهَا مِنْهُ النَّجَاحُ نِفَارِهَا
 وَتَتَّبِعُ دُنْيَا جَدَّ عَنْهَا فِرَارِهَا
 فَلِلَّهِ دَارٌ لَيْسَ تَخْمُدُ نَارِهَا
 دَلِيلٌ عَلَى مَحْضِ الْعُقُولِ اخْتِيَارِهَا
 وَتَسْلُكُ سُبُلًا لَيْسَ يَخْفَى عَوَارِهَا
 لِبَهْمَاءٍ يُؤْذِي الرَّجُلَ فِيهَا عَثَارِهَا
 إِذَا مَا انْقَضَى لَا يَنْقُضِي مُسْتَتَارِهَا
 وَتَبْقَى تَبَاعَاتُ الدُّنُوبِ وَعَارِهَا
 تَبَيَّنَ مِنْ سِرِّ الْخُطُوبِ اسْتِيَارِهَا
 نَوَاهِيَهُ إِذْ قَدْ تَجَلَّى مَنَارِهَا
 وَتُغْرِي بِدُنْيَا سَاءَ فِيكَ سَرَارِهَا
 وَهَاتِيكَ مِنْهَا مُقْفِرَاتُ دِيَارِهَا
 فَإِنَّ الْمُدَكِّيَ لِلْعُقُولِ اغْتِيَارِهَا
 وَكَانَ ضَمَانًا فِي الْأَعَادِي انْتِصَارِهَا
 وَعَادَ إِلَى ذِي مُلْكَةٍ مُسْتَعَارِهَا
 مُشَمَّرَةً فِي الْقَصْدِ وَهُوَ سِعَارِهَا

وَإِنِّي لَهَا فِي الْأَرْضِ خَاطِرُ فِكْرَةٍ
 أَلَيْسَ لَهَا فِي السَّعْيِ لِلْفَوْزِ شَاغِلٌ
 فَخَابَتْ نُفُوسُ قَادَهَا لَهْوِ سَاعَةٍ
 لَهَا سَائِقُ حَادٍ حَيْثُ مُبَادِرٌ
 تُرَادُ لِأَمْرٍ وَهِيَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ
 أَمْسِرَعَةً فِيمَا يَسُوءُ قِيَامِهَا
 تُعْطَلُ مَفْرُوضًا وَتَعْنَى بِفَضْلَةٍ
 إِلَى مَا لَهَا مِنْهُ الْبَلَاءُ سُكُونِهَا
 وَتُعْرِضُ عَنْ رَبِّ دَعَاهَا لِرُشْدِهَا
 فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بَادِرُ بَرْجَعَةٍ
 وَلَا تَتَّخِيِرُ فَانِيًا دُونَ خَالِدٍ
 أَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا تَرَكْتَهُ
 وَتَتْرَكَ بِيضَاءِ الْمَنَاهِجِ ضِلَّةً
 تُسَرُّ بِلَهْوٍ مُعَقَّبٍ بِنَدَامَةٍ
 وَتَعْنَى اللَّيَالِي وَالْمَسَرَّاتِ كُلِّهَا
 فَهَلْ أَنْتَ يَا مَعْبُودٌ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ
 فَعَجَلُ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّكَ وَاجْتَنِبْ
 تَجِدْ مُرُورُ الدَّهْرِ عَنْكَ بِلَاعِبِ
 فَكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا
 تَذَكَّرْ عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَاعْتَبِرْ بِهِ
 تَحَامَى ذُرَاهَا كُلِّ بَاغٍ وَطَالِبِ
 تَوَافَتْ بِطَنِ الْأَرْضِ وَأَنْشَتَ شَمْلُهَا
 وَكَمْ رَاقِدٍ فِي غَفْلَةٍ عَنْ مَنِيَّةِ

وَمَظْلَمَةٌ قَدْ نَالَهَا مُتَسَلِّطٌ
 أَرَاكَ إِذَا حَاوَلْتَ دُنْيَاكَ سَاعِيًا
 وَفِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ يُقْعِدُكَ الْوَنَى
 تُحَاذِرُ إِخْوَانًا سَتَفَنَى وَتَنْقُضِي
 كَأَنِّي أَرَى مِنْكَ التَّبَرُّمَ ظَاهِرًا
 هُنَاكَ يَقُولُ الْمَرْءُ مَنْ لِي بِأَعْصِرِ
 تَبَّهَ لِيَوْمٍ قَدْ أَظْلَكَ وَرَدُّهُ
 تَبْرًا فِيهِ مِنْكَ كُلُّ مُحَالِطٍ
 فَأَوْدَعْتُ فِي ظَلَمًا ضَنْكَ مَقْرَهَا
 تُنَادِي فَلَا تُدْرِي الْمُنَادِي مُفْرَدًا
 تُنَادِي إِلَى يَوْمٍ شَدِيدٍ مُفْرَعٍ
 إِذَا حُشِرَتْ فِيهِ الْوُحُوشُ وَجُمِعَتْ
 وَرُيِّنَتْ الْجَنَّاتِ فِيهِ وَأَزْلَفَتْ
 وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ بِالضُّحَى
 لَقَدْ جَلَّ أَمْرُكَانَ مِنْهُ انْتِظَامُهَا
 فَإِمَّا لِدَارٍ لَيْسَ يَفْنَى نَعِيمُهَا
 بِحَضْرَةِ جَبَّارٍ رَفِيقٍ مُعَاقِبٍ
 وَيَنْدَمُ يَوْمَ الْبَعْثِ جَانِي صِغَارِهَا
 سَتُعْبَطُ أَجْسَادٌ وَتَحْيَا نُفُوسُهَا
 إِذَا حَقُّهُمْ عَفْوُ الْإِلَهِ وَفَضْلُهُ
 يَفْرُ بَنُو الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ الَّتِي
 هِيَ الْأُمُّ حَيْرُ الْبَرِّ فِيهَا عُقُوقُهَا

مُدَّلٌّ بِأَيْدٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ثَارَهَا
 عَلَى أَنَّهَا بَادٍ إِلَيْكَ أَرْوَارَهَا
 وَتُبْدِي أَنَاةً لَا يَصِحُّ اعْتِدَارُهَا
 وَتَنْسَى الَّتِي فَرَضَ عَلَيْكَ حِدَارُهَا
 مُبِينًا إِذَا الْأَقْدَارِ حُلَّ اضْطِرَارُهَا
 مَضَتْ كَانَ مَلَكًا فِي يَدَيَّ خِيَارَهَا
 عَصِيبٍ يُؤَافِي النَّفْسَ فِيهِ اخْتِزَارُهَا
 وَأَنَّ مِنَ الْأَمَالِ فِيهِ انْتِهَارُهَا
 يَلُوحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُونِ اغْتِرَارُهَا
 وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الْحَيَاةِ حِمَارُهَا
 وَسَاعَةَ حَشْرِ لَيْسَ يَخْفَى اشْتِهَارُهَا
 صَحَائِفُنَا وَأَنْشَالَ فِينَا انْتِشَارُهَا
 وَأُذَكِّي مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ اسْتِعَارُهَا
 وَأُسْرِعَ مِنْ زَهْرِ التُّجُومِ انْكِدَارُهَا
 وَقَدْ عَطَلَتْ مِنْ مَالِكِيهَا عِشَارُهَا
 وَأَمَّا لِدَارٍ لَا يُفَكُّ إِسَارُهَا
 فَتُحْصَى الْمَعَاصِي كُبْرُهَا وَصِغَارُهَا
 وَتُهْلِكُ أَهْلِيهَا هُنَاكَ كِبَارُهَا
 إِذَا مَا اسْتَوَى أَسْرَارُهَا وَجِهَارُهَا
 وَأَسْكَنَهُمْ دَارًا حَالًا عِقَارُهَا
 يَطْنُ عَلَى أَهْلِ الْحُطُوطِ اقْتِصَارُهَا
 وَلَيْسَ بِغَيْرِ الْبَدْلِ يُحْمَى ذِمَارُهَا

فَمَا نَالَ مِنْهَا الْحَطَّ إِلَّا مُهِينُهَا
تَهَافَتَ فِيهَا طَامِعٌ بَعْدَ طَامِعٍ
تَطَامَنُ لِعَمْرِ الْحَادِثَاتِ وَلَا تَكُنْ
وَيَاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِمَا تَرَى
رَأَيْتَ مُلُوكَ الْأَرْضِ يَبْغُونَ عُدَّةً
وَوَخَلُوا طَرِيقَ الْقَصْدِ فِي مُبْتَغَاهُمْ
وَإِنَّ الَّذِينَ يَبْغُونَ نَهْجَ بَقِيَّةِ
هَلْ الْعِزُّ إِلَّا هِمَّةٌ صَحَّ صَوْنُهَا
وَهَلْ رَابِحٌ إِلَّا أَمْرٌ مُتَوَكَّلٌ
وَيَلْقَى وُلاةُ الْمُلْكِ خَوْفًا وَفِكْرَةً
عَيَانًا نَرَى هَذَا وَلَكِنْ سَكْرَةً
تَدَبَّرَ مِنَ الْبَانِي عَلَى الْأَرْضِ سَقْفَهَا
وَمَنْ يُمْسِكُ الْإِجْرَامَ وَالْأَرْضَ أَمْرُهُ
وَمَنْ قَدَّرَ التَّدْبِيرَ فِيهَا بِحِكْمَةٍ
وَمَنْ فَتَقَ الْأَمْوَاهَ فِي صَفْحِ وَجْهِهَا
وَمَنْ صَيَّرَ الْأَلْوَانَ فِي نُورِ نَبْتِهَا
فَمِنْهُمْ مُخَضَّرٌ يَرُوقُ بِصَيْصُئِهِ
وَمَنْ حَفَرَ الْأَنْهَارَ دُونَ تَكْلِيفِ
وَمَنْ رَبَّبَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَ ابْيَاضُهَا
وَمَنْ خَلَقَ الْأَفْلاكَ فَأَمْتَدَّ جَرِيَّهَا
وَمَنْ إِنْ أَلَمْتَ بِالْعُقُولِ رَزِيَّةً
تَجِدُ كُلَّ هَذَا رَاجِعٌ نَحْوَ خَالِقِ

وَمَا الْهَلْكَ إِلَّا قُرْبُهَا وَاعْتِمَارُهَا
وَقَدْ بَانَ لِلُّبِ الذِّكْيِ اخْتِبَارُهَا
لَهَا ذَا اعْتِمَارٍ يَجْتَنِبُكَ عِمَارُهَا
فَقَدْ صَحَّ فِي الْعَقْلِ الْجَلِيِّ عِيَارُهَا
وَلَذَّةَ نَفْسٍ يُسْتَطَابُ اجْتِرَارُهَا
لِمُسْبَعَةِ الصَّفَارِ جَمٌّ صِغَارُهَا
مَكِينِ لَطَابِ الْخَلَاصِ اخْتِصَارُهَا
إِذَا صَانَ هَمَّاتُ الرِّجَالِ انْكِسَارُهَا
قُنُوعُ غِنْيِ النَّفْسِ بَادٍ وَقَارُهَا
تَضِيقُ بِهَا دَرْعًا وَيَفْتِي اصْطِبَارُهَا
أَحَاطَتْ بِمَا أَنْ يَفِيقَ حُمَارُهَا
وَفِي عِلْمِهِ مَعْمُورُهَا وَقَفَارُهَا
بِإِلَاحِ عَمَدٍ يُبْنَى عَلَيْهِ قَرَارُهَا
فَصَحَّ لَدَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
فَمِنْهَا يُغَذَى جُبَّهَا وَثِمَارُهَا
فَأَشْرَقَ فِيهَا وَرُدُّهَا وَبَهَارُهَا
وَمِنْهُمْ مَا يَعْشَى اللَّحَاطَ احْمِرَارُهَا
فَشَارَ مِنَ الصُّمِّ الصَّلَابِ انْفِجَارُهَا
غُدُوءًا وَيَبْدُو بِالْعَشِيِّ اصْفِرَارُهَا
وَأَحْكَمَهَا حَتَّى اسْتَقَامَ مَدَارُهَا
فَلَيْسَ إِلَيَّ حَيٌّ سِوَاهُ افْتِقَارُهَا
لَهُ مُلْكُهَا مُنْقَادَةٌ وَأَيْتِمَارُهَا

أَبَانَ لَنَا الْآيَاتِ فِي أَنْبِيَائِهِ
فَأَنْطَقَ أَفْوَاهَهَا بِالْفَاطِ حِكْمَةً
وَأَبْرَزَ مِنْ صُمِّ الْحَجَارَةِ نَاقَةً
لِيُوقِنَ أَقْوَامٌ وَتَكْفُرَ عَضْبَةً
وَشَقَّ لِمُوسَى الْبَحْرَ دُونَ تَكْلُفٍ
وَسَلَّمَ مِنْ نَارِ الْأَنْوَقِ خَلِيلَهُ
وَنَجَّى مِنَ الطُّوفَانِ نُوحًا وَقَدْ هَدَّتْ
وَمَكَّنَ دَاوُدًا بِأَيْدٍ وَابْنَهُ
وَذَلَّلَ جَبَّارَ الْبِلَادِ بِأَمْرِهِ
وَفَضَّلَ بِالْقُرْآنِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ
وَشَقَّ لَهُ بَدْرَ السَّمَاءِ وَخَصَّهُ
وَأَنْقَذَنَا مِنْ كُفْرٍ أَرَابِنَا بِهِ
فَمَا بَالُنَا لَا نَتْرُكُ الْجَهْلَ وَيَحْنَا

فَأَمَكْنَ بَعْدَ الْعَجَزِ فِيهَا افْتِدَارُهَا
وَمَا حَلَّهَا إِتْعَارُهَا وَاتَّعَارُهَا
وَأَسْمَعُهُمْ فِي الْحِينِ مِنْهَا حُورُهَا
أَتَاهَا بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ قَدَارُهَا
وَبَانَ مِنَ الْأَمْوَاجِ فِيهِ أَنْحِسَارُهَا
فَلَمْ يُؤْذِهِ إِخْرَافُهَا وَاعْتِرَابُهَا
بِهِ أُمَّةٌ أَبَدَى الْفُسُوقَ شِرَارُهَا
فَتَعَسَّيْرُهَا مُلْقَى لَهُ وَبِدَارُهَا
وَعَلَّمَ طَيْرًا فِي السَّمَاءِ حِوَارُهَا
وَمَكَّنَ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ مُعَارُهَا
بِآيَاتِ حَقِّ لَا يُخَلُّ مُعَارُهَا
وَقَدْ كَانَ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ مَنَارُهَا
لِنُسْلَمَ مِنْ نَارِ تَرَامَى شِرَارُهَا

اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحَ وَنَبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْغَفْلَاتِ وَسَاخِنَا فَأَنْتَ
الْحَلِيمُ الْمَسَامِحُ وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا فَمَنْكَ الْفَضْلُ وَالْمَنَائِحُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي تَحْرِيمِ حَلْقِ اللَّحْيَةِ

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابَهُ وَالْبَعْدَ عَنْهُ ، وَالتَّحْذِيرَ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِهِ حَلْقَ اللَّحْيَةِ وَقِصْفَهَا
وَنَتْفَهَا لِمَا يَأْتِي مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ .

... قال الله تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ قِيلَ : الرَّجَالُ بِاللَّحَى ، والنساء بالدواب ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ثَوْبَيْنِ مَعْصُفَرَيْنِ فَقَالَ لَهُ : « إِنْ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا » . رواه مسلم ، فالعاقِلُ المتدين البصير الورع يبعد كُلَّ البعد عن تقليدهم والتشبه بهُمْ ، والدنو إلى مستواهم المنحط الشاذ وإليك ما ورد في التحذير عن التشبه بهُمْ ، والأمر بمخالفتهم لتَكُونَ عَلَى بصيرة من ذَلِكَ وتفهم الأدلة وتنصح من رأيتهم يقلدهم ويتشبه بهُمْ وتبين له أنه قَدْ أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِعْفَاءِ اللّٰحِيَةِ ومخالفة المشركين فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « جَزَا الشَّوَارِبِ وَأَرْخُوا اللَّحَى ، خَالَفُوا الْمَجُوسَ » . رواه أَحْمَدُ ومسلم .

وعن ابن عمر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَالَفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفَرَاوا اللَّحَى ، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ » . متفق عَلَيْهِ . وروى الإمام أَحْمَدُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْفُوا اللَّحَى وَجَزَا الشَّوَارِبِ ، وَلَا تَشْبَهُوا بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » . وللبزار : « لَا تَشْبَهُوا بِالْأَعَاجِمِ ، أَعْفُوا اللَّحَى » .

وروى عن ابن عمر قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » . رواه أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وَقَالَ أَيضًا : « إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبغُونَ فِخَالْفَوْهَمِ » . رواه البخاري ومسلم .
وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَيْسَ
مِنَّا مَنْ تَشَبَهَ بغيرِنَا ، لَا تَشَبَهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى » . وروى عن ابن عمر : « مَنْ تَشَبَهَ بِهِمْ
حَتَّى يَمُوتَ حَشَرَ مَعَهُمْ » .

وفي كتاب عُمَر بن الحُطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى عتبة بن فرقد : وَإِيَّاكَ وَزِي أَهْلِ الشَّرِكِ .
رواه البخاري ومسلم .

قال ابن عقيل رحمه الله : النهي عن التشبه بالعجم للتحريم .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو الْعَبَّاسِ بِنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ :

التشبه بالكفار منهي عنه بالإجماع . وَقَالَ عَلِيٌّ حَدِيثُ ابْنِ عَمْرِو : مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ
مِنْهُمْ . وَقَدْ احْتَجَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ : وَهَذَا أَقْلُ أَحْوَالِهِ أَنَّهُ يَقْتَضِي تَحْرِيمَ
التشبه بِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي كُفْرَ الْمُتَشَبِّهِ بِهِمْ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ . انتهى .

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ رِوَاةِ ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ جَرِيرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي » .

ومن الأدلة على تحريم حلق اللحية قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ
مِنِّي » . ومن سنته صلى الله عليه وسلم

إعفاء اللحية . وروى الإمام أحمد في زوائد المسند بأسانيد جيدة عن علي رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْفِيهَا ، وَلَا يَأْخُذُ مِنْهَا شَيْئًا . وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ اللَّحْيَةِ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَحْيَتُهُ قَدْ مَلَأَتْ مِنْهَا هُنَا وَأَمْرٌ يَدُهُ عَلَى عَارِضِهِ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثَّ اللَّحْيَةِ ، تَمَلَأَ عَارِضِيهِ . وقال أبو معمر : قلنا لخباب ابن الأرت أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر ؟ قال : نعم ، فقلنا له : بم كنتم تعرفون قراءته ؟ قال : باضطراب لحيته . رواه البخاري . وسئل ابن عمر رضي الله عنهما : كيف كنتم تعرفون قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرية ؟ قال : باضطراب لحيته .

وعن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته . رواه ابن ماجه والترمذي وصححه ، فهذا يدل على عظيمها وطولها وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكته ، فخلل به لحيته ، وقال : « هكذا أمرني ربي » . رواه أبو داود . وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم ما من مسلم يشيب شيبه في الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة ورفع له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة » . رواه أحمد وأبو داود .

وَالَّذِي يَخْلُقُهَا قَدْ كَرِهَ الشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ، فَضُلًّا عَنِ الْأَبْيَضِ الَّذِي هُوَ نُورُ الْمُسْلِمِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنَّا نَكْرَهُ أَنْ يَتَتَفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ وَحَيْثِهِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثَّ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَقِيقَ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ عَلِيُّ عَزِيزَ اللَّحْيَةِ ، وَقَدْ مَلَأَتْ مَا بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتُ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ » . الخ ومن الأدلة على تحريم حلق اللحية - مع ما تقدم ، وأنه تشبه بأعداء الله اليهود و النصارى - أنه أيضًا تشبهه بالنساء .

وبالأمرد في عدم الشعر بالوجه ، وقد ورد اللعن للمتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، في عدة أحاديث تقدمت في فصل مفرد لها .

وأيضًا فحلق اللحية تغيير لخلق الله وتمثيل بالشعر ، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مثل بالشعر فليس له عند الله خلاق » . رواه الطبراني . قال أهل اللغة : مثل بالشعر : صيرة مثله ، بأن حلقه من الخدود أو نتفه ، أو غيره بالسواد .

وقد عمت هذه البدعة في زمننا ، وانتشرت انتشارًا يؤلم قلب كل

مؤمن ، فإنه إذا التفت إلى وجوه من حوله من الرجال وجد الأكثر منهم مغيراً لما جملة الله به ، وجعله - لو أبقاه - داعياً إلى وقاره واحترامه وهيئته ، ويندر جداً أن ترى وجه المتأدب بآداب الشريعة ، الذي لا يتعرض للحيته بخلق ولا قص ولا نتف ، ولا تسويد الشعر الأبيض ، عليه ما زينه الله به من سيما الرجولة والوقار حيث أبقاها ، إذ هو بحلقها يزيل جماله الشاهد في بقائها وينفق ماله في حلقها وسيسال عنه يوم القيامة ويهدم رجولته ، ويعدم هيئته ووقاره ، ويرضى لنفسه أن يعيش طول حياته متشبهاً بأعداء الإسلام الإفرنج ، فإن حلقها علامتهم جميعاً في هذا الزمان كما نشاهد وأما إعفاء اللحية فعلامه المرسلين وأتباعهم وأحبائهم السائرين علي منهاجهم عباد الله الصالحين . نسأل الله أن يوفقنا لسلوك منهاجهم إنه القادر على ذلك .

قال ابن القيم : ثم تأمل لم صارت المرأة والرجل إذا أدركا اشتراكا في نبات العانة ثم ينفرد الرجل عن المرأة باللحية ، فإن الله عز وجل لما جعل الرجل قِيَمًا على المرأة ، وجعلها كالحول والعاني في يديه ، ميزة عليها بما فيه له المهابة والعز والوقار والجلالة ، لكماله وحاجته إلى ذلك ، ومنعتها المرأة ، لكمال الاستمتاع بها والتلذذ ، لتبقى نضارة وجهها وحسنه لا يَشِينُهُ الشعر . انتهى .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : وقال في الدر المختار وأما الأخذ منها وهي دون القبضة كما يفعله بعض المغاربة ومخنثة الرجال فلم يبحه أحد ا هـ ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته والحلق أعظم بكثير ، لأنه لا يبقى شيئاً منها

وقال أبو شامة وقد حدث قوم يخلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن الجوس من أنهم كانوا يقصونها وقال في التمهيد : ويحرم حلق اللحية ولا يفعله إلا المخنثون من الرجال . أ . ه .
قال بعضهم :

وَجَزَّ لِبَعْضِ الرَّأْسِ فِعْلَ الْأَسَافِلِ	أَلَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ فِي جَرِ ثَوْبِهِ
وَلَا شُرْبِ دَخَانِ هَوْتِهِ الْأَسَافِلِ	فَمَا الْعِزُّ فِي حَلْقِ اللَّحَا أَوْ خَنَافِسِ
وَجُودِ وَحَلْمِ وَأَقْتِئَاءِ الْفَضَائِلِ	وَلَكِنَّهُ بِالْعِلْمِ وَالرُّهْدِ وَالتَّقَى
وَلَا لِحَا أَنْهَكْتَ بِالْمُوسِ وَالنَّيْرِ	آخِر: لَيْسَ السِّيَادَةُ أَشْنَابًا مُفْتَلَةً
مَنْ بِالْفَضَائِلِ مَشْهُورًا لَدَى الْبَشْرِ	لَكِنَّهَا بِالتَّقَى وَالرُّهْدِ يَعْرِفُهَا
فَلَا تَتْرِكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ	آخِر: لَعْمُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ دِينِهِ
وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْكَ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبٍ	فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامَ سَلْمَانَ فَارِسِ
وَزَيْنَهُ الْمَرْءُ بِتَوْحِيدِهِ	آخِر: لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي الْوَرَى
فِيَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبِ	قَدْ يُرْفَعُ الْمَرْءُ بِتَوْحِيدِهِ

وفي اللحية خصال نافعة : أولاً : مخالفة المشركين .

ثانياً : تمييز الرجل عن المرأة . ثالثاً : تمييز الرجل عن الصبي وتغطية ما في منبتها من تشوية أو تشن لاسيما في الكبر . رابعاً : تعظيم الرجل الذي يعفيها وتوقيره . خامساً : أن إعفاءها من سنن المرسلين . سادساً : أنه ينظر إلى معفيها بعين التعظيم والإجلال والتقدير . سابعاً :

تقديم من يعفيها على الجماعة وتعقيله والسلامة من تضييع قطعة من العمر في حلقها أو قصها
ثامناً : صحة إمامته بالجماعة . تأسعاً إبعاده عن مشابجه النساء والصبيان ، واليهود والنصارى
والمجوس والمختشين .

ووصف بعض بني تميم من رهط الأحنف بن قيس ، قال : وددت أنا اشترينا للأحنف لحية
بعشرين ألفاً ، فلم يذكر حنفة ولا عوره ، وذكر كراهية عدم اللحية ، لأن من لا لحية له يرى
عند العقلاء ناقصاً ، وكان الأحنف عاقلاً حليماً ، يضرب به المثل في الحلم ، وذكر عن شريح
القاضي ، قال : وددت أن لي لحية بعشرة آلاف درهم وأهل زمننا بعضهم يود لو عدمها
وساق آلافاً من الورق ولا تفيد معه النصائح مهما أيدت بالآيات والأحاديث ، وذكر العلماء
أن في اللحية إذا أزيلت بالكلية ولم تعد الدية كاملة ، وهؤلاء المجاهرون بهذه المعصية العظيمة ،
المعاكسون لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في إبقائها وإكرامها ، والمتشبهون باليهود و
النصارى في حلقها ، يرون الجمال والتمدن بالقضاء على أعظم الفوارق بين الذكر والأنثى وهو
اللحية عكس رأي أهل الدين والصلاح ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ
حَسَنًا ﴾ وأكثر حالقي لحاهم وصل بهم التشبه إلى حد إن أبقوا شواربهم واقفة ليس فيها قصير
، وكأنهم بفعلهم هذا يعاندون المصطفى صلى الله عليه وسلم ويعاكسونه ، حيث أنه يأمر
بإبقاء اللحية وإحفاء الشوارب ، وزيادة على هذا يجعلون ما يسمى بالتواليت ويفرقونه ويكدونه
، وبعضهم يزيد ويخنفس ، فهل هذا التشبه والتتبع لسفاسف الأخلاق إلا من الانتكاس وعمى
البصيرة والتقليد الأعمى ولا يفهم أن هذا إزالة

للجمال والرجولة والهيبه والوقار والكمال ، نعوذ بالله من الانتكاس وهذا من نتيجة تقليد الأجنب ، ولهذا ترى كثيراً من الناس أهملوا أمر الدين واستهانوا بحقوقه ، وعبثوا بواجباته وانتهكوا حرمان الله ، ولم يبالوا بارتكاب ما لا يرضاه الله من الشرور والمنكرات والقبايح ، سائر كل منهم وراء شهوته وهواه ، ونفسه الأمارة بالسوء .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيْرَ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ ويا ليت أنهم قلدوا الأجنب فيما يفيد وينفع من الصناعات .

وكل ما يرقى شؤونهم ، من الفنون التي تعود إلى مصلحة الإسلام والمسلمين ، لكن قلدوهم فيما يضر ولا ينفع ، في حلق اللحى وشرب الدخان ، ولعب القمار والمسكرات ، والربا في البنوك وغيرها ، وفي التأمينات ، وفي الملاهي بأنواعها ، وفي التصوير والتبرج والتهتك واللعب بالكرة ، وضياع العمر عند المدياع والتلفزيون والسينماء ، وسائر أنواع المحرمات التي قضت على العمر والوقت والمال والأخلاق ، فيا للأسف على ذهاب العمر النفيس الذي لا قيمة له ولا خطر ، ولا يعادلة جوهر ولا ذهب ولا فضة ولا در ولا مرجان ، ولا لؤلؤ ولا عقيان عند الملاهي والمنكرات التي سوف يعضون أيديهم على ضياع الوقت عندها إذا نودوا للوقوف بين يدي العزيز الجبار .

اللهم اجعل الإيمان هادماً للسيئات ، كما جعلت الكفر هادماً للحسنات ووقفنا للأعمال الصالحات ، واجعلنا ممن توكل عليك فكفيتها ، واستهداك فهديته ودعاك فأجبتة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الرحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

شِعْرًا: أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَرْشِ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَفْوَاً لِكُلِّ خَطِيئَةٍ
 وَحِفْظًا لِدِينِي ثُمَّ دُنْيَايَ ثُمَّ مَا
 أَكِنُّ وَمَا أَبْدِيهِ مَعَ حُسْنِ نِيَّةٍ
 فَأَحْيَا مُحِبًّا لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ
 وَأَصْحَابِهِ فِي خَيْرِ هَدْيٍ وَسُنَّةٍ
 فَمِنْ هَدْيِ خَيْرِ الْخَلْقِ إِعْفَاءً لِحَيَّةٍ
 وَمِنْ هَدْيِهِ يَا صَاحِ لُبْسِ لِعَمَّةٍ
 وَقَدْ جَاءَ أَقْوَامٌ عَتَاةٌ تَجَاسَرُوا
 عَلَيَّ هَازِمًا أَعْلَامِ الْهُدَى بِوَقَاحَةِ
 وَيَا لَيْتَهُمْ لَمَّا عَنِ الْحَقِّ أُعْرِضُوا
 بِأَفْعَالِهِمْ مَا عَارَضُوا بِصَرَاحَةٍ
 هُمْ مَثَلُوا مِنْ جَهْلِهِمْ بِوُجُوهِهِمْ
 لَقَدْ بَلَّغُوا فِي ذَاكَ حَدَّ الشُّنَاعَةِ
 أَقُولُ لِمَنْ أَمْسَى عَنِ الدِّينِ نَاكِبًا
 مُعَانِدًا أَعْلَامِ الْهُدَى لِلشَّرِيعَةِ
 يُجَاهِرُ فِي نُكْرٍ وَيُبْدِي تَشْبُهًا
 بِأَعْدَاءِ دِينِ يَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ
 يُمَثِّلُ فِي وَجْهِهِ بِحَلْقِ الْحَيَّةِ
 لِعَمْرِي لَقَدْ سَاوَى لَوْجَهُ بِعَانَةِ
 فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْوَجْهُ أَسْتَا مَشْوَهَا
 لَدَى كُلِّ ذِي عَقْلِ بِأَقْبَحِ صُورَةٍ
 تَعُوذُ هَذَا الْخَلْقَ طَبَعًا لِأَنَّهُ
 يُلَايِمُ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ خِلَاعَةٍ

اللهم اجعلنا من المتقين الأبرار واسكننا معهم في دار القرار ، اللهم وفقنا بحسن الإقبال عليك والإصغاء إليك ووفقنا للتعاون في طاعتك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الآداب في معاملتك والتسليم لأمرك والرضا بقضائك والصبر على بلائك والشكر لنعمائك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

أَخِي اسْتَمِعْ مِنِّي هُدَيْتَ نَصِيحَةً
أَتَتْ مِنْ أَخِي وَدَّ شَفِيقٍ عَلَى الَّذِي
إِذَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَخْلُوقٍ لِحَيَّةٍ
فَلِلَّهِ فَالْجَأُ حَامِدًا مُتَضَرِّعًا
لَعَلَّكَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُنَابِذًا
وَتَعْنَى بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
فَكَمْ بَيْنَ مَنْ قَدْ شَابَهُوا خَيْرَ مُرْسَلٍ
وَمَنْ رَدَّ أَمْرَ الْمُصْطَفَى فَاغْتَدَى لَهَا
أَوْ الْقَصِّ أَوْ تَحْرِيقِهَا أَوْ بَكِيَّهَا
يُغَيِّرُ عَلَيْهَا كُلَّ صُبْحٍ بِمَا حَقٍ
كَأَنَّ لَهُ ثَارًا عَلَيْهَا مُضَاعَفًا
مُهَدَّةً فِي كُلِّ صُبْحٍ وَرَوْحَةٍ
إِذَا قُلْتَ لَمْ تَعْصِ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
أَمَا أَوْجِبَ الرَّحْمَنُ طَاعَةَ أَحْمَدٍ
أَمَا قَالَ أَرْخُوا لِلْحَاءِ وَوَقُّرُوا
فَاطِرَ حَتَّى أَنْ ظَنَنْتَ بِأَنَّهُ
وَيَنْدُمُ عَمَّا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَوْلًا
فَقَالَ بِمَا قَالَ الْكَثِيرُ مُعَانِدًا
فَقُلْتُ أَلَيْسَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الْهُدَى

بِقَوْلِ حَرِيٍّ بِالصَّوَابِ وَنَافِعِ
عَنِ الْكَبِيرِ نَاءٍ مَائِلٍ لِلتَّوَاضِعِ
مُقَلِّدِ أَهْلِ الْعَرَبِ صُهْبِ الْمَفَارِعِ
وَقُلِّ مَا أَتَى عَمَّنْ أَتَى بِالشَّرَائِعِ
لِأَخْلَاقِهِمْ تُحْضَى بِأَعْلَى الْمَوَاضِعِ
مُعْفَى اللَّحَا أَهْلِ الْعُلُومِ الْجَوَامِعِ
بِإِعْفَائِهِمْ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مُتَابِعِ
بِحَلْقِ لَهَا أَوْ نَتْفِهَا بِالْأَصَابِعِ
يَرَى تَرْكَهَا مِنْ مُعْظَمَاتِ الْفَضَائِعِ
إِذَا مَا بَدَا شَعْرٌ عَلاهُ بِقَاطِعِ
فَمَا نَاصِحٍ مُغْنٍ وَلَا شَفْعُ شَافِعِ
فَمَا أَمْنُهَا إِلَّا بِجِلْدِ مُمَانِعِ
فَتَحْلِقُهَا حَلَقَ الْعَيْدِ الْمُدَافِعِ
عَلَيْنَا وَعِصْيَانَ الْعَدُوِّ الْمُقَاطِعِ
فَوْقَ تَكُنْ لِلْمُصْطَفَى بِمُتَابِعِ
سَيَرْجِعُ عَنِ إِتْلَافِهَا بِمُسَارِعِ
وَيَعْزِمُ فِي جِدِّ مِنَ الْجَزْمِ قَاطِعِ
أَلَسْتَ تَرَى غَيْرِي فَلَسْتَ بِسَامِعِ
تَوَلَّوْا فَضَلُّوا فِي وَحِيمِ الْبَلَاقِعِ

وَفِي تَافِهَةِ الْأَشْيَاءِ لِلضُّدِّ قَلَّدُوا وَفِي الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ صُفْرُ البَضَائِعِ
 فَيَا بَعْدَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ عِنْدَمَا تُقَارَنُ فِي عَدْلِ عَنِ الْجُورِ شَاسِعِ
 وَأَخْتَمُ قَوْلِي حَوْلَ مَا قُلْتُ أَوَّلًا فَمَا فِي يَدِي حَوْلَ وَلَسْتُ بِدَافِعِ
 سَلَامٌ عَلَى مُعْفِي اللِّحَاكُلِّ مَا بَدَا لَنَا شَعْرَهَا مَا بَيْنَ سُودٍ وَنَاصِعِ
 وَصَلَى إِلَهِي كُلَّ مَا ذَرَّ شَارِقُ عَلَى أَحْمَدِ الْمُخْتَارِ جَمِّ الْمَنَافِعِ

وبالتالي فلو لم يكن في حلقها إلا أنه اعتراض على حكمة الله حيث جعلها ميزة للرجل
 عن الأنتى ثانيًا : أن من نواقض الإسلام كراهة ما جاء عن الله أو عن رسوله ويخشى على
 حالقها من ذلك . ثالثًا : أن حلقها معصية لله ولرسوله لقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ
 أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ وقد أمر الرسول بإعفائها . رابعًا : أن حلقها تمثيل بالشعر وتقدم حديث من مثل
 بالشعر فليس له عند الله خلاق . خامسًا : أنه تشبه باليهود . سادسًا : أنه تشبه بالنصارى .
 سابعًا : أنه تشبه بالجوس . ثامنًا : أنه تشبه بالنساء . تاسعًا : أنه تشبه بالمرء . عاشرًا : أنه
 دليل على أن حالقها يميل إلى غير أمته . الحادي عشر : أن من حلقها أو قص منها لرضاء
 الزوجة أو الزملاء ملتئم رضا الناس بسخط الله لأن من عصى أمر الرسول صلى الله عليه
 وسلم فقد عصى الله .

اللهم ثبت وقو محبتك في قلوبنا واشرح صدورنا ونورها بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين
 وألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا ممن يفوز بالنظر إلى وجهك في جنات النعيم يا حلِيم ويا كريم
 واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
 على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة : عباد الله ما بال الكثير اليوم لا يسمعون ، وإذا سمعوا لا ينتفعون ، أفي آذانهم صمم
 ، أم هم في الأمر متهاونون ، ولأي شيء يجتمعون ، ويقوم فيهم الخطباء المجيدون ، والوعاظ
 المبلغون ، ويذكروهم أيام

الله فلا يخشع الوعاظ ولا الموعوظون ، ويرغبونهم في الخير فلا يسارعون ، وينذرونهم عواقب السوء فلا يتأثرون ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لقد كان السلف الصالح إذا وعظوا تأثر المستمع لهم تأثراً عظيماً ، وفارق ما عنده من المنكرات والمحرمات ، وفارق من أصر عليها من أقاربه ، وأولاده ، وإخوانه ، وآبائه ، وجدد توبة نصوحاً ، عما سلف له من الأعمال ، التي لا يرتضيها الدين الإسلامي ، فأين أولئك من هؤلاء الخلف ، الذين ضيعوا تعاليم الدين الإسلامي ، وضيعوا العمل به ، وتركوا الانقياد لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تأمل كيف ترى أكثرهم أضاعوا الصلاة ، وعطلوا الأحكام ، وتساهلوا بأمر الحرام ، يمرون بالمساجد ، وقت الصلاة ، فلا يعيرونها أي اهتمام أما الملاهي والمنكرات فإليها يسرعون وعليها يعكفون وإلى ما فيها من الأغاني والمجون والسخف يتسابقون فإننا لله وإنا إليه راجعون ، أين الخوف من الجبار ، أين الحياء من فاطر الأرض والسموات ، أين المروءة والاعتصام بالقرآن ، وما كان عليه آباؤكم وأجدادكم العباد الكرام ، الذين كانت المساجد تغص بهم شيوخاً وشباناً ، وكانت تعج بأصواتهم تسييحاً ، وتحميداً وتهليلاً ، وتكبيراً ، واستغفاراً ، وقرآناً ، وكانوا يؤمون المساجد قبل الأذان زرافات ووحداناً ، ولا يتخلف منهم إلا معذور ، إما مريض أو غائب ، أو نحو ذلك ، وكان المار ببيوتهم ليلاً يسمع زجل التسييح ، والتهليل والبكاء والأنين والتضرع إلى بديع السماوات والأرض ، والإلحاح بدعائه ، والالتجاء إليه والإنابة ، عكس ما عليه هؤلاء الخلف ، الذين صدق عليهم قول الله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿١٠٠﴾ الذين بحثت عنهم في الليل ، وجدتهم حول الملاهي والمنكرات ، متربعين أمام التلفزيون ، وغناء المطربين ، وإن بحثت عنهم في صلاة الفجر وجدتهم في فرشهم ، إثر سهرهم حول تلك المنكرات ، وإن بحثت عنهم وقت صلاة الظهر ففي شؤون الدنيا ، وما يتعلق بها ، وإن أردتهم في صلاة العصر ، وجدت بعضهم عند الكورة ، والبعض عند التلفزيون ، والبعض عند المذياع ، وأغانيه وملاهيته ، وإن سألت عنهم وقت صلاة المغرب ، وجدت بعضهم يمشي مترددًا ، والبعض في الملعب ، والبعض عند التلفزيون ، أو المذياع ، وأما العشاء الآخرة فتلك هم فيها أقسام أكثرهم حول التلفزيون أو في الأسواق ، أو يلعبون ورقة ، أو نحو ذلك من المنكرات وهكذا قتلوا أوقاتهم الثمينة ، وضيعوها ، وقضوا على مستقبلهم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أعلم بما أراده بعباده ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والحالة هذه مخيفة لذوي العقول ، والفهوم ، لاسيما وقد توالى أسباب الهناء والراحة ، والسرور ، والاطمئنان ، وقد قيل إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبدٍ وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وروى عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك استدراج ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ . وقال قتادة : ما أخذ الله قومًا إلا عند سكرتهم وخرتهم ، ونعمتهم ، فلا تغتروا بالله ، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون .

شِعْرًا: كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهُونَ غَيْرَ مُصِيبَةٍ فِي الدِّينِ

وقال ابن الجوزي رحمه الله : الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، والحذر الحذر من الذنوب خصوصًا ذنوب الخلوات ، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه سبحانه ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغفلة .

فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عند التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويت معرفته رأى بعين عمله قرب الناهي وهو الله (.

تَوَارَى بِحِذْرَانِ الْبُيُوتِ عَنِ الْوَرَى وَأَنْتَ بِعَيْنِ اللَّهِ لِاشْكَّ تَنْظُرُ

فيتنغص عيشه في حال التذاذه فإن غلبه سكر الهوى كان القلب متنغصًا بهذه المراقبات وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثم حزني دائم وندم ملازم وبكاء متواصل وأسف على ما كان مع طول الزمان .

حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه حذار العتاب فأفٍ للذنوب ما أقبح آثارها وأسوء أخبارها انتهى كلامه .

عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى الصَّفْحِ	عَنِ الرُّجُوعِ إِلَى الصَّفْحِ
تُبَادِرُهُ بِقُبْحِ الْفِعْلِ سِرًّا	وَلَا تَخْشَاهُ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ
هَذَاكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	وَأَنْتَ ضَلَلْتَ عَنْ هَذَا الصَّحِيحِ
وَفِي دُنْيَاكَ تُؤَثِّرُ كُلَّ فَنٍ	عَنِ الْبَاقِي الْمَعَزِّزِ وَالْمَلِيحِ
آخِر: يَا طَالِبَ الطِّبِّ مِنْ دَاءٍ تَخَوَّفَهُ	إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَافِيَةِ	لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ بِالْمَاءِ

اللهم يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا لإغتنام أوقات المهلة ووقفنا لصالحنا واعصمنا من قبائحنا وذنوبنا ولا تؤاخذنا بما انطوت عليه ضمائرنا واكتنه سرائرنا من أنواع القبائح .

والمعائب التي تعلمها منا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا
أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فَصْلٌ فِي الْحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ

وصرفه فيما فيه النفع من صلاة وزكاة وصيام وحج وتسيب وتهليل وتكبير ، وسائر أنواع
القربات لله ، التي هي عمارة بيته الذي سيسكنه طويلا .

ومما يتأكد إجتنابه والتحذير منه في رمضان وغيره الجلوس في المجالس التي هي كفيلة
بالخسران والندامة ، كمجالس آلات اللهو من الاسطوانات والمذياع وأعظم من ذلك السينما
والتلفزيون والفيديو والكرة .

أما المذياع فلأنه آلة لهو محرم ، لدخوله في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ
الْحَدِيثِ ﴾ الآية وقد فسر لهو الحديث ، كثير من السلف - من الصحابة والتابعين - بالغناء
والمزامير ، وفسره بعضهم بالأساطير والقصص من أخبار ملوك الأعاجم والروم ، وبعضهم فسر
لهو الحديث بكل باطل يلهي ويشغل عن الخير ، فإن فسرت هذه الآية بالغناء والمزامير فهو
رأس الملامية كلها ، وإن فسرت بما يجمع ذلك من كل باطل يلهي ويشغل عن الخير فهو
الجامع لذلك ، وفوق ذلك الوصف ، ومن المعلوم لدى كل ذي عقل سليم منصف أن الراديو
المقصود الأصلي منه اللهو والغناء ، والاشغال عن طاعة الله .

وفي المذياع يجمع بين كلام الله والغناء ، وهذا من أعظم التنقص والامتهان لكتاب الله ،
ومن جهة أخرى فهو استهزاء واستخفاف بكتاب الله وقد قال جل وعلا وتقدس : ﴿ وَقَدْ
نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾
وعدم

تنزيه كتاب الله عن مزامير الشيطان من أعظم الظلم وأقبحه ، وأجور الجور وأشنعه وربما أغلق المذاع كراهة للقرآن وهذا ردة قال تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَتَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ ﴾

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه إغاثة اللفهان : وأما سماعه أي الغناء ، من المرأة الأجنبية أو الأُمرد ، فمن أعظم المحرمات ، وأشدّها فسادًا للدين .

قال الشافعي رحمه الله : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعهم فهو سفيه ، تردّ شهادته ، وغلظ القول فيه ، وقال : هو دياثة ، فمن فعل ذلك كان ديوتًا . قال القاضي أبو الطيب : وإنما جعل صاحبها سفيهاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهاً فاسقًا . قلت : فكيف لو رأى الراديو ، وما يأتي من الخلاعة والغناء ، والمنكرات العظيمة ، التي أنبتت النفاق ، ومكنته من قلوب الأولاد والشباب والكهول والشيوخ ، إلا من عصمه الله ، وكذلك لو رأى التلفزيون أو السينما أو المجالات الخليعة ، وما في ذلك من المفاسد والصور والمنكرات والشُرور والخلاعات فيالله للمسلمين .

وقال : كان الشافعي يكره التعبير ، وهو الطقطقة بالقضيب ، ويقول : وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن . قال : وأما العود والطنبور وسائر الملاحية فحرام ، ومستمعه فاسق .

قال ابن القيم : وأما تسميته رُقِيَّةَ الزنا : أي الغناء فهو اسم موافق لمسماه ولفظ مطابق فليس في رُقِيَّةِ الزنا أُنْجَع منه ، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض ، قال إبراهيم بن محمد المروزي ، عن

أبي عثمان الليثي قال : قال يزيد بن الوليد : يا بني أمية إياكم والغناء ، فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وأنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم ولا بد فاعلمون فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا . قال : وأخبرني محمد بن الفضل الأزدي قال : نزل الحطيئة برجل من العرب ، ومعه ابنته مليكة ، فلما جن الليل سمع غناء فقال لصاحب المنزل : كف هذا عني . فقال : وما تكره من ذلك ؟ فقال : إن الغناء من رادة الفجور ، ولا أحب أن تسمعه هذه ، يعني ابنته فإن كفتهه وإلا خرجت عنك ، ثم ذكر عن خالد بن عبد الرحمن ، قال : كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك ، فسمع غناء من الليل ، فأرسل إليهم بكرة ، فجيء بهم ، فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له الرمكة ، وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة ، وإن التيس لينب فتستخرم له العنز ، وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم قال : اخصوهم . فقال عمر بن عبد العزيز : هذا مثله فلا يجلب فحلى سبيلهم .

فإذا كان الشاعر المفتوق اللسان ، الذي هابت العرب هجاءه ، خاف عاقبة الغناء ، وأن تصل رقيته إلى حرمة ، فما الظن بغيره ، ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء ، كما يجنبهن أسباب الريب .

ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه ، ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا استعصت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء ، فحينئذ تعطي الليان ، وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جدًّا ، فإذا كان الصوت بالغناء كان انفعالها من وجهين ، من جهة الصوت ، ومن جهة معناه ، ولهذا قال

النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة حاديه : « يا أنجشة رويدك رفقا بالقوارير » . يعني النساء ، فإذا اجتمع إلى هذه الرقية الدف والشبابه والرقص بالتخنث والتكسر فلو حبلت المرأة من غناء حبلت من هذا الغناء ، فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا ، وكم من حر أصبح به عبداً للصبيان والصبايا ، وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا ، وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا ، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد وحلت به أنواع البلايا ، وكم أهدى للمشغوف من أشجانٍ وأحزانٍ ، فلم يجد بداً من قبول تلك الهدايا ، وكم جرع من غصة ، وأزال من نعمة ، وجلب من نقمة ، وذلك منه من إحدى العطايا ، وكم خبياً لأهله من الآم منتظره ، وغموم متوقعة ، وهموم مستقبلة .

قال : وأما تسميته منبت النفاق فعن ابن مسعود قال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء الزرع ، والذكر ينبت الأيمان في القلب ، كما ينبت الماء الزرع ، فإن قيل : فما وجه انباته للنفاق من بين سائر المعاصي ؟ قيل : هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها ، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها ، وأنهم هم أطباء القلوب ، دون المنحرفين عن طريقتهم ، الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها ، فكانوا كالمداوي من السقم بالسقم القاتل ، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو بأكثرها ، فاتفق قلة الأطباء وكثرة المرضى ، وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف ، والعدول عن الدواء النافع الذي ركبه الشارع ، وميل المريض إلى ما يقوي مادة

المرض فاشتد البلاء ، وتفاقم الأمر ، وامتألت الدور والطرق والأسواق من المرضى ، وقام كل جهول يطب الناس .

وقال : فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلوب بالنفاق ونباته كنبات الزرع بالماء ، فمن خواصه أنه يلهي القلب ويصدّه عن فهم القرآن وتدبره ، والعمل بما فيه ، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا ، لما بينهما من التضاد فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ، ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفس وأسباب الغي ، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان ، والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي ، فيثير كامنها ، ويزعج قاطننها ، ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح ، فهو والخمر رضيعًا لبان وفي تهييجها علي القبائح كفرسى رهان ، فإنه صنو الخمر ورضيعه ، ونائبه وحليفه ، وحديثه وصديقه ، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ .

وهو جاسوس القلوب ، وسارق المروءة ، وسوس العقل ، يتغلغل في مكامن القلوب ، ويطلع على سرائر الأفئدة ، ويدب إلى محل التخجيل ، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعوننة والحمافة ، فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار ، وبهاء العقل ، وبهجة الأيمان ، ووقار الإسلام ، وحلاوة القرآن ، فإذا سمع الغناء ومال إليه ، نقص عقله ، وقل حياؤه وذهبت مروءته ، وفارقه بهاؤه ، وتخلي عنه وقاره ، وفرح به شيطانه ، وشكا إلى الله إيمانه ، وثقل عليه قرآنه ، وقال : يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد .

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلبا سليماً ولساناً صادقاً ونسألك من خير ما

تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب . والله أعلم . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
من النونية في سماع أهل الجنة .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا
رِيحًا تَهْزُ ذَوَائِبَ الْأَعْصَانِ
فَتَشِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْـ
إِنْسَانٍ كَالْتَّعَمَاتِ بِالْأُوزَانِ
يَا لِدَّةَ السَّمَاعِ لَا تَتَعَوِّضِي
بِلَذَاذَةِ الْأُوتَارِ وَالْعِيدَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
ءِ الْخُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
وَاهَا لِدِيَاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
مُلِئْتُ بِهِ الْأَذَانَ بِالْإِحْسَانِ
وَاهَا لِدِيَاكَ السَّمَاعِ وَطِيْبِهِ
مِنْ مِثْلِ أَقْمَارِ عَلَى أَعْصَانِ
وَاهَا لِدِيَاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
وَاهَا لِدِيَاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ
ذِيَاكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ
مَا ظَنَّ سَامِعُهُ بِصَوْتِ أَطْيَبِ الْـ
أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ
نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْخَوَالِدُ خَيْرًا
تَّكَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا نَا
سَخَطٌ وَلَا ضَمَعٌ مِّنَ الْأَضْعَانِ
طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُو
بَى لِلَّذِي هُوَ حَظُنَا لَفْظَانِ
نَزِهِ سَمَاعِكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ
ذِيكَ الْغِنَا عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ
لَا تُؤَثِّرُ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحَدِّ
رَمَ ذَا وَذَا يَبَا ذِلَّةَ الْحَرَمَانِ
إِنْ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ التَّازِلِ الْـ
أَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
وَاللَّهِ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالـ
إِيْمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأُبْدَانِ
وَاللَّهِ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَائِبُهُ
أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
فَالْقَلْبُ بَيْتُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارُهُ
عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَلْحَانِ الْغِنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
ثَقُلُ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْوَا لَمَّا رَأَوْا
تَفْيِيْدُهُ بِشَرَائِعِ الْإِيْمَانِ

وَاللَّهُ وَخَفَّ عَلَيَّهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانٍ
 قُوتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوتُ
 الْقُلُوبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ
 وَلِذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي التَّقْصَانِ كَالْ
 جَهَّالِ وَالصَّبِيَانِ وَالنَّسْوَانِ
 وَأَلْذُهُمْ فِيهِ أَقَلُّهُمْ مِنْ أَلِ
 مَقْبَلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعُرْفَانِ
 يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتَ كَلَذَّةِ أَلِ
 أَبْرَارٍ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بإصلاحها ويوفقنا لقبول نصيح
 الناصح وإرشاد المرشد . والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وسلم .

موعظة

عباد الله اعتاد الناس أن من طلب شيئاً من نفائس الدنيا لا يهدأ ولا ينام ، بل يسعى
 للوصول إليه ، ليله ، ونهاره ، سعي النشيط الهمام ، وكلما سد في وجهة باب ، قرع باباً آخر
 ، وإن تعدد الأبواب ، كما هو دأب الحريص المقدام ، وكلما نظر إلى قدر ما يطلب هان عليه
 السعي ، وما يلقاه من مصاعب والآم والعجيب أنه لا يمل ولا يسأم ، وإن واصل السعي سنين
 ، وأعجب من ذا أنه لا يثنى عن مطلوبه ، وإن مس شرفه وأهين ، وإن استصعب عليه
 الوصول استعان بذوي الوجاهة المحترمين ، ولا يزال هذا يواصل السعي حتى يصل مبتهجاً إلى
 ماله من مرام أنت تطلب الجنة يا هذا ولا نفيس أنفس منها لأنها لا تفنى ولا تبديد ، ولأن لك
 فيها ما اشتتهت نفسك ، ولذت عينك

دون أي تقييد ، ولأنك خالد فيها أبداً دون أن يكدر ، بأي مكدر ، ذلك العيش الرغيد فهل شممت عن ساق وسعيت للوصول إليها ، كما تسعي فقط لذلك الفاني من الحطام ، المشاهد أنك لا تسعي لتلك الجنة ولا يخطر لك السعي إليها علي بال ، ولو أنك ساويتها في السعي إليها بأي مطلوب دنيوي لكنت من عظماء الرجال ، ولكن يا للأسف لم يكن من ذلك شيء ، والسعي للجنة لا يكون بالكلام ، ولا بالأمانى والأحلام ، ولكن بصالحات الأعمال ، وهل تزهدت أنت في شيء كما تزهدت في تلك الأعمال الفخام ، ولذلك أجري الله العادة أن من خاف شيئاً من مؤلمات الدنيا يبعد عنه ويفر ، وكل الفرار ، ويذهب هدوئه وطمأنينته ، وربما ذهب نومه اضطراباً لا اختياراً ولا يطمئن بعض الاطمئنان إلا إذا احترس منه بكل ما يقدر عليه من أعوان ، وأنصار ، يفعل كل ذلك لئلا يصل إليه من الأذى ما يكدر عليه حياته وصفوها جهنم يا هذا اعظم مخوف فهل عملت الاحتياط لها كما تحتاط لمخوفات هذه الدار .

الذي يتبادر منك ويظهر أن إيمانك بها ضعيف وأنك لم تعمل أي احتياط لها ، فلو كان إيمانك قوي في قوله تعالى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ لسعيت جهدك في الأعمال الصالحات ، التي تحول بينك وبينها ولأزعجك وأقلقك ولم تحنأ

بنوم ولا طعام وشراب ، وأمامك تلك العقبات ،

شِعْرًا: وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانِ تَنْزِلُ
آخِر: تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي وَمَا كَانَتْ فِي الصَّبَا
مِنَ الذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ وَالْجَهْلِ وَالْجَفَا
وَكَيْفَ قَطَعْتُ الْعُمَرَ سَهْوًا وَغَفْلَةً
فَأَسْكَبْتُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَلَهَّفَا
وَنَادَيْتُ مَنْ لَا يَعْلَمُ السِّرَّ غَيْرُهُ
وَمِنْ وَعْدِ الْغُفْرَانِ مَنْ كَانَ قَدْ جَفَا

وَتَابَ إِلَيْهِ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ فَجَادَ عَلَيْهِ بِالْجَمِيلِ تَعَطُّفًا
 أَغْنَيْتَنِي إِلَهِي وَاعْفُ عَنِّي فَإِنِّي
 وَخُذْ بِيَدِي مِنْ ظُلْمَةِ الذَّنْبِ سَيِّدِي وَجُدْ لِي بِمَا أَرْجُوهُ مِنْكَ تَلَطُّفًا

اللهم وفقنا لاتباع الهدى وجنبنا أسباب الهلاك والشقا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
 برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقال بعض العارفين : السماع يورث النفاق في قوم ، والتكذيب في قوم ، والفجور في قوم ،
 والرعونة في قوم ، وأكثر ما يورث عشق الصور ، واستحسان الفواحش ، وإدمانه يثقل القرآن
 على القلب ، ويكرهه إلى سماعه بالخاصة ، وإن لم يكن هذا نفاقاً فما للنفاق حقيقة ، وسر
 المسألة أنه قرآن الشيطان كما سيأتي ، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبداً ، وأيضاً فإن
 أساس النفاق أن يخالف الظاهر الباطن ، وصاحب الغناء بين أمرين : إما أن يتهتك فيكون
 فاجراً ، أو يظهر النسك فيكون منافقاً ، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي
 بالشهوات ، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو ، وما يدعو إليه
 الغناء ويهيجه ، فقلبه بذلك مغمور ، وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر
 وهذا محض النفاق .

وأيضاً فإن الإيمان قول وعمل ، قول الحق وعمل بالطاعة وهذا ينبت علي الذكر وتلاوة
 القرآن ، والنفاق قول الباطل وعمل الغي ، وهذا ينبت على الغناء ، وأيضاً فمن علامات
 النفاق قلة ذكر الله ، والكسل عند القيام إلى الصلاة ، وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا
 وصفه ، وأيضاً فإن النفاق مؤسس على الكذب ، والغناء من أكذب الشعر ، فإنه

يحسن القبيح ويزينه ويأمر به ، ويقبح الحسن ويزهد فيه ، وذلك عين النفاق وأيضاً فإن النفاق غش ومكر وخداع ، والغناء مؤسس على ذلك ، وأيضاً فإن المنافق يفسد من حيث يظن أنه يصلح ، كما أخبر الله سبحانه بذلك عن المنافقين ، وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله ، من حيث يظن أنه يصلحه ، والمغني يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات ، والمنافق يدعوها إلى فتنة الشبهات قال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده : ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي ، التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني ، واللهج بها ، ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت العشب على الماء ، فالغناء يفسد القلب ، وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق .

قال : وأما تسميته قرآن الشيطان . فمأثور عن التابعين . وعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال : يا رب أنزلني إلى الأرض وجعلتني رجيمًا ، فاجعل لي بيتًا ، قال : الحمام . قال : فاجعل لي مجلسًا . قال : الأسواق ومجامع الطرق . قال : فاجعل لي طعامًا . قال : كل ما لم يذكر اسم الله عليه . قال : فاجعل لي شرابًا . قال : كل مسكرٍ . قال : اجعل لي مؤذنًا . قال : المزمار . قال : اجعل لي قرآنًا . قال : الشعر . قال : فاجعل لي كتابًا . قال : الوشم . قال : اجعل لي حديثًا . قال : الكذب . قال : اجعل لي رسلاً . قال : الكهنة . قال : اجعل لي مصائد ، قال : النساء » .
اللهم خفف عنا الأوزار وارزقنا عيشة الأبرار واصرف عنا شر الأشرار وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار يا عزيز يا غفار يا كريم ويا ستار

ويا حلیم ویا جبار واغفر لنا ولوالدینا وجميع المسلمين برحمتك یا أرحم الراحمین وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

شِعْرًا: قَدْ أَشْرَفَتْ (رَايَةَ الْإِسْلَامِ) وَالْأَدَبِ
 وَاهْجُرْ سَبِيلَ الْأُولَى جَادُوا بِشِعْرِهِمْ
 يُشَجِّهِمْ ذِكْرُ آرَامِ نَعْمَانَ بِهِ
 وَذِكْرُ عَيْنِ لَهَا فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ
 كَمَثَلِ رِيمِ يَمِينِ الرَّنْدِ قَدْ عَرَضَتْ
 عَيْنُ الْمَهَاةِ رَمْتِي وَهِيَ مُعْرِضَةٌ
 لَمَّا تَوَلَّتْ بِقَلْبِي قُلْتَ وَآسَفِي
 لَوْلَا التَّجَلُّدُ مَا أَمْسَيْتُ فِي سَكَنِ
 لَعَلَّ رِيحَ الصَّبَا تَأْتِي بِرَائِحَةِ
 مَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا وَصَفْتَ
 لَمَّا بَلَيْتُ أَقَمْتُ الْعُذْرَ ذُونَهُمْ
 فَلَيْتَ ذَا الْعَقْلِ يَرْتِي لِي وَيَعْذُرُنِي
 إِذْ يَعْذِلُونَ لِصَبِّ يَأْتِ مُكْتَبًا
 أَوْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ نُصْحٍ وَمَوْعِظَةٍ
 كَيْمَا يَكُونُ مَرِيضُ الْقَلْبِ مِنْ سَفَهِهِ
 نِعْمَ الشَّفَاءُ كِتَابُ اللَّهِ مَعَ سُنَنِ
 فَأَدْمِنِ الْوَعْظَ وَالْإِرْشَادَ مُجْتَهِدًا
 أَمَا تَرَى النَّشْءَ قَدْ حَادَتْ رَكَائِبُهُمْ
 وَغَرَّهُمْ صَوْتُ مِذْيَاعٍ قَدْ امْتَلَأَتْ
 بَثْوَا الدَّعَايَةَ لِلدُّنْيَا وَزُخْرَفَهَا
 وَضَلَّلُوا النَّشْءَ بِالْآرَاءِ خَادِعَةً
 فَحَيْهَا مُعَلَّنًا بِالشَّعْرِ وَالْخَطْبِ
 لِمَنْزِلِ دَارِسِ الْإِطْلَالِ مِنْ نُوبِ
 تَسُومُ بِنْتُ الرَّبِيِّ فِي مَأْمَنِ خَصَبِ
 تَلْقَى قُلُوبَ أَوْلِي الْأَحْلَامِ فِي كُرْبِ
 أَلْقَتْ إِلَيَّ سِهَامَ الْحُزْنِ وَالشَّجَبِ
 فَصِرْتُ ذَا حَيْرَةٍ فِي كَفِّ مُسْتَلَبِ
 هَلْ مِنْ جَنَاحٍ فَأَقْفُو مُنْتَهَى طَلْبِي؟
 وَكُنْتُ فِي الْبَيْدِ بَيْنَ الْوَحْشِ لَمْ أَثْبِ
 مِنْ نَفْحِ عَنَبِهَا يَشْفِي لِي الْوَصْبِ
 أَهْلُ النَّسِيبِ مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْكَأَبِ
 عُذْرَ الْخَيْرِ بِسَهْمِ الْفَاتِكِ الْأَرَبِ
 وَلَيْتَ أَهْلُ النَّهْيِ وَالذِّينِ وَالْأَدَبِ
 يَلْقَوْنَ مِثْلَ الَّذِي أَلْقَى مِنَ النَّصَبِ
 مِنَ الْكِتَابِ وَتَذَكِيرٍ بِهِدِي نَبِي
 أَوْ غَفْلَةٍ بَيْنَ خَوْفِ اللَّهِ وَالرَّغْبِ
 كَمْ أَبْرَأَ آدِنِ الشُّكَيْكِ وَالرَّيْبِ
 وَأَنْشُرَ مَحَاسِنِ هَذَا الدِّينِ فِي دَابِ
 عَنِ التَّقَدُّمِ لِلْعَالِي مِنَ الرَّتْبِ؟
 مِنْهُ الْمَسَامِعُ فِي تَمْجِيدِ كُلِّ غَيْبِ؟
 وَلِلتَّنَافُسِ بِالْأَمْوَالِ وَالنَّشَبِ
 وَضَيَّعُوا الْوَقْتَ فِي مَلْهَى وَفِي طَرَبِ

وَلَقَّبُوا الْحَقَّ الْقَابَا مُشَوَّهَةً
 وَحَارَبُوا الدِّينَ وَالْأَخْلَاقَ جُهْدَهُمْ
 وَحَسَّنُوا السُّبُلَ اللَّاتِي يَهِيمُ بِهَا
 مَا الْعِلْمُ سَبَكُ وَتَنَمِيقُ وَشَقْشَقَةٌ
 أَغَايَةَ الْعِزِّ أَنْ تَقْلُوا مَبَادِئَكُمْ ؟
 وَهَلْ يُعَدُّ عَزِيزًا مَنْ نَهَايْتُهُ ؟
 وَكَمْ غَيْبِي يَرَى الْإِسْلَامَ أَخْرَنًا !
 يَرَى التَّقَدُّمَ فِي تَرْكِ التَّدِينِ لَمْ
 لِذَاكَ عَابَ عَلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِيهِ
 مِثْلُ الْغُرَابِ الَّذِي يَهْوَى وَيَعْجُبُهُ
 فَحَاوِلِ الْعُمُرُ أَنْ يَحْكِي لِمَشِيَّتِهَا
 (لَا تَظْلَمُوا الدِّينَ إِذْ كَلَّتْ عِزَائِمُكُمْ)
 تَعْلُمُ الطَّبَّ لَيْسَ الشَّرْعَ يَمْنَعُهُ
 وَإِنَّمَا حَرَّمَ الشَّرْعُ الْأُمُورَ إِذَا
 بَلَ جَاءَنَا النَّصُّ فِي إِعْدَادِ قُوتِنَا
 وَمَنْ أَرَادَ رُقِيًّا أَوْ مُعَالِبَةً
 مَهْلًا بَنِي يَعْزِبُ لَا تَخْلُدُوا كَسَلًا
 عَلَى اقْتِحَامِ الْعُلَى فِي كُلِّ آوِنَةٍ
 كَيْمَا تَعُودُ إِلَى الْإِسْلَامِ عِزَّتُهُ !
 أَفْتِيَةُ الدِّينِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ لَكُمْ
 وَطَالِبِ الْعِلْمِ مَأْمُولٌ لَهُ أَبَدًا
 وَالْمَجْدُ وَالْعِلْمُ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ
 يَا فِتْيَةَ الضَّادِ إِنَّ الْعِزَّ أَجْمَعُهُ

لَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِاللَّقَبِ
 يَا بِنْسَ مَا وَعَدُوا فِي شَرِّ مُنْقَلَبِ
 قَوْمٌ يَرُونَ الْعُلَى بِالْمَقُولِ الدَّرْبِ
 مِنْ دُونَ نُورٍ مِنَ الْوَحْيَيْنِ مُصْطَحِبِ
 وَتَشْرَكُوا مَجْدَكُمْ نَهَبًا لِمُنْتَهَبِ ؟
 قَعُرُ الْجَحِيمِ مَعَ الطَّاعِي أَبِي لَهَبِ ؟
 وَالْكَفَرِ قَدَّمَ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالْعَجْمِي
 يَنْظُرُ لِصَفْوَتِنَا فِي سَالِفِ الْحُثْبِ
 بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْتَعْظِيمِ لِلصُّدْبِ
 مَشْيِ الْحَمَامَةِ فِي حُسْنٍ وَفِي خَبِ
 فَضَلَ مِشِيَّتِهِ الْأُولَى وَلَمْ يُصِبِ
 وَتَلَصَّقُوا كُلَّ عَيْبٍ فِيهِ بِالْكَذْبِ !
 وَلَا الصَّنَائِعِ فِي نَفْعٍ لِمُكْتَسِبِ
 أَدَّتْ لِمَعْصِيَةِ تُلْقِيكَ فِي الْعَطَبِ
 كَيْمَا يَكُونُ عَدُوَ الدِّينِ فِي رَهَبِ !
 مِنْ دُونَ دِينٍ فَمَا أَوْهَاهُ مِنْ سَبَبِ
 وَشَجَّعُوا النَّشْءَ مِنْ أَبْنَائِنَا النُّجْبِ
 وَحَادِرُوا سَكْرَةَ اللَّذَاتِ وَاللَّعِبِ
 وَيَصْبِحُ الْجَهْلُ وَالْكَفْرَانُ فِي نَصَبِ
 مَنَاهِلُ عَذْبَتِ أَخْلَى مِنَ الضَّرْبِ
 مُسْتَقْبَلُ شَامِحٍ أَعْلَى مِنَ الشُّهْبِ
 لَكِنَّمَا الْعِلْمُ لَا يُجْنِي بِلا تَعَبِ
 فِي الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْمَمْدُوحِ فِي

مَا بَارَزَ الْمُصْطَفَى قَوْمًا بَعْدَتِهِ
وَلَا الصَّحَابَةَ مَنْ خَافَتْ جُمُوعُهُمْ
هُمْ دَوَّخُوا كُلَّ جَبَّارٍ وَذِي أَشْرٍ
تِلْكَ الْغَطَارِفَةُ الْأَمْجَادِ لَمْ يَهْنُوا
حَدَاهُمْ الشَّقُوقُ لِلْمَوْعُودِ فِي زُبُرٍ
وَأَنْزَلُوا الْفُرْسَ عَنِ دِيْوَانِ مَمْلَكَةٍ
وَلَمْ يَعُدْ مَجْدُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا
وَقَيْصَرُ قَصَّرَتْ أَيَّامَهُ وَغَدَا
أَمَا سَمِعْتَ بِجُنْدِ اللَّهِ كَمْ نَصَرُوا ؟
وَفِي (الْأَبْلَةِ) وَ (الْيَرْمُوكِ) مَا فَعَلُوا
وَكَمْ بِأَنْدَلَسٍ مِنْ وَقْعَةٍ عَظُمَتْ
وَأَصْبَحَ الْحَقُّ فِي الْآفَاقِ مُنْبَعِثًا !
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى أَرْكَى الْوَرَى شَرَفًا
وَلَا الْعَدِيدِ وَلَكِنْ صِدْقٌ مُخْتَسَبٍ
أَهْلُ الْبَسِيطَةِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبٍ
بِعَزْمَةِ الصِّدْقِ ثُمَّ الْعَزْمُ بِالْقُضْبِ
يَوْمًا عَلَى شِدَّةِ الضَّرَاءِ وَالسَّغْبِ
حَتَّى اسْتَوَوْا فَوْقَ مَتْنِ الْعِزِّ بِالْغَلْبِ
مَنْبِيعَةٍ شَمَخَتْ عَنْ كُلِّ مُعْتَصِبٍ
وَكَانَتْ الْفُرْسُ تَحْتَ الدَّلِّ لِلْعَرَبِ
تَحْتَ السَّنَابِكِ فِي وَيْلِ وَفِي حَرْبٍ
وَمَرَّقُوا الرُّومَ بِالْحَمَلَاتِ وَالرُّعْبِ ؟
وَ (الْقَادِسِيَّةِ) يَوْمَ الْجَحْفَلِ اللَّجْبِ
فَنَالَتِ الْعَرَبُ فِيهَا مُتَهَيَّي الْأَرْبِ
كَالشَّمْسِ لَكِنَّهُ أَبْهَى وَلَمْ يَغِبِ
أَكْرَمَ بِهِ خَيْرَ مَبْعُوثٍ وَمُنْتَخَبِ !

عصمنا الله وإياكم من الزلزل ووقفنا لصالح العمل وهدانا بفضله اللهم توفنا مسلمين وألحقنا
بعبادك الصالحين واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم
الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فَصْلٌ : وأما تسميته بالصوت الأحمق والصوت الفاجر ، فهي تسمية الصادق المصدوق ،
الذي لا ينطق عن الهوى ، فروى الترمذي من حديث ابن أبي ليلي ، عن عطاء عن جابر
رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل
، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه ، فوضعه في حجره ففاضت عيناه ، فقال

عبد الرحمن : أتبكي وأنت تنهى الناس ؟ قال : « إني لم أنه عن البكاء ، وإنما نهيته عن صوتين أحققين فاجرين ، صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة ، وخمش وجوه ،

وشق جيوب ، ورنه ، وهذه رحمة ، ومن لا يَرْحَمَ لا يُرْحَمَ ، لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزنا عليك حزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون ، تبكي العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » . قال الترمذي : هذا حديث حسن . فانظر إلى هذا النهي المؤكد بتسميته صوت الغناء صوتاً أحق ، ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان ، وأما تسميته صوت الشيطان فقد قال تعالى للشيطان وجز به ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ عن ابن عباس ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ كل داع إلى معصية ، ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية ، ولهذا فسر صوت الشيطان به انتهى بتصريف يسير (إنته وألق سمعك وحضر قلبك لكلام شيخ الإسلام .

وقال شيخ الإسلام رحمة الله عليه : والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعاً : « إن كل آدب يجب أن تؤتى مأدبته ، وأن مأدبة الله هي القرآن » . ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر حتى لا يأكله - إن أكل منه - إلا بكراهة وتجشم ، وربما ضره أكله ، أو لم ينتفع به ، ولم يكن هو المغذي الذي يقيم بدنه ، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته ، قَلَّتْ رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره ، بخلاف من صرف نهمته وهيمته إلى المشروع ، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ، ويتم دينه به ، ويكمل إسلامه .

ولهذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن ، حتى ربما كرهه ، ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها ، لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة ، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم ، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع ، ومن أدمن على قصص الملوك وسيرهم ، لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام ونظائر هذه كثيرة .

ولهذا عظمت الشريعة النكير على من أحدث البدع وحذرت منها ، لأن البدع لو خرج الرجل منها كفافاً لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً ، بل لا بد أن توجب له فساداً في قلبه ودينه ، ينشأ من نقص منفعة الشريعة في حقه ، إذ القلب لا يتسع للعرض والمعوض عنه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في العيدين الجاهليين : « إن الله قد أبدلكم بهما يومين خيراً منهما » . فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الأعمال المبتدعة مانعاً من الاغتذاء ، أو من كمال الاغتذاء بتلك الأعمال النافعة الشرعية ، فتفسد عليه حاله من حيث لا يعلم كما يفسد جسد المعتدي بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر ، وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع . أ . ه . قلت : لله دره من إمام ما عمله وأبصره بأمراض القلوب وعلاجها فتدبر كلامه رحمه الله بحضور قلب لعل الله ينفعك به . والله أعلم .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووفقنا لصلاح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم اعتقنا من رق الذنوب ، وخلصنا من شر النفوس ، وأذهب عنا وحشة الإساءة ،
وطهرنا من دنس الذنوب ، وباعد بيننا وبين الخطايا وأجرنا من الشيطان الرجيم وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

ومن الأدلة على تحريم الغناء ما روى سعيد بن أبي زيد عن أخيه عن ليث بن أبي سليم عن
عبد الرحمن بن باسط عن عائشة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «
إن الله حرم المغنية ويبيعها ، وثمنها وتعليمها والاستماع إليها » .

وروى لاحق بن حسين بن عمر أن ابن أبي الورد المقدسي قال : حدثنا أبو المرجي ضرار
بن علي بن عمير القاضي الجليلاني حدثنا أحمد بن سعيد عن محمد بن كثير الحمصي حدثنا
فرج ابن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن الحنفية عن علي ابن أبي طالب قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا علمت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، إذا
كان المال دولاً ، والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وجفا أباه ،
وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أزدلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، ولبس
الحرير ، واتخذت القينات ، والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليتوقعوا عند ذلك رجلاً
حمراء ومسحاً وخفساً وعن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهي عن تسع ، وأنا
أنهاكم عنهن ، ألا إن منهن الغناء والنوح والتصاوير » . الحديث . وعن أبي أمامة قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل تعليم

المغنيات ، ولا شراؤهن ولا بيعهن ، ولا اتخاذهن ، وثمانهن حرام ، وقد أنزل الله ذلك في كتابه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ ﴾ الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا ارتدفه شيطانان يضربان بأرجلهما صدره وظهره حتى يسكت .

وعن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرم تعليم المغنيات ، وشراءهن وبيعهن ، وأكل أثمانهن » . وذكر البخاري عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جلس إلى قينة ، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة » . وعن ابن عباس في قول الله عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال : الغناء . وعن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض » .

قال حذيفة بن إيمان رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعرض الفتن على القلوب ، كعرض ، الحصير عودًا عودًا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين أسود مربدًا كالكوز مجحياً ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، وقلب أبيض ، فلا تضربه فتنة ما دامت السماوات والأرض » . قال ابن

القيم : فشبه عرض الفتن على ما القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً ، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين : قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها ، نكتت فيه نكتة سوداء ، كما يشرب الأسفنج الماء ، فتنكتت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه ، حتى يسود وينتكس ، وهو معنى قوله : « كالكوز مجحيا » .
أي منكوسا .

فإذا اسود وانتكس ، عرض له من هذين الآفتين خطران متراميان به إلى الهلاك ، أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وربما استحکم عليه هذا المرض ، حتى يعتقد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، والحق باطلاً ، والباطل حقاً .

الثاني تحكيمه هوام على ما جاءه به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانقياده للهوى واتباعه له .

وقلب أبيض ، قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر مصابجه ، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردھا ، فازداد نوره وإشراقه وقوته ، والفتنة التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات ، فتن الغي والضلال ، فتن المعاصي والبدع ، فتن الظلم والجهل ، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد . أ . هـ . والله أعلم . وصلى على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

فالقلوب نوعان قلب إذا عرضت عليه الفتنة أشربها وأحبها ومال

إليها وأيدها ، وقلب ينكرها وينفر منها ويجذر عنها ، فذلك القلب الأبيض الذي أشرق بنور الإيمان ، وهو معنى ما تقدم في حديث حذيفة ، وقال أيضاً : ومن حيل الشيطان ومكائده الكلام الباطل ، والآراء المتهاففة ، والخيالات المتناقضة ، التي هي زبالة الأذهان ، ونخاعة الأفكار ، والزبد الذي تقذف به القلوب المظلمة المتحيرة ، التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات ، ورائت عليها غيوم الخيالات ، فمركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدال ، ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه ، ولا معتقد مطابق للحق يرجع إليه ﴿ يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ وقد اتخذ لذلك القرآن مهجوراً .

ومما ورد في النهي عما يلهو به الرجل إلا ما استثنى ما ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل ، إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فإنهن من الحق » . ففي الحديث دليل على أن كل ما يلهو به الإنسان فهو باطل ، أي محرم ممنوع ما عدا هذه الثلاث التي استثناها رسول صلى الله عليه وسلم ، فإنهن من الحق أو وسيلة إلى الحق .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الكلام علي حديث عقبة : « كل لهُو يلهو به الرجل فهو باطل » . الحديث ما معناه : الباطل ضد الحق فكل ما لم يكن حقاً ، أو وسيلة إليه ، ولم يكن نافعاً فإنه باطل مشغل للوقت ، مفوت على الإنسان ما ينفعه في دينه ودنياه ، فيستحيل على الشرع إباحة مثل هذا . أ . ه .

اللهم اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بنور منك يا نور السماوات والأرض اللهم وافتح لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا وارحمنا

برحمتك الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .
 فصل : وقال ابن القيم رحمه الله : إذا أشكل حكم شيء هل هو للإباحة أو للتحريم ؟ فليُنظر إلى مفسدته ، وثمرته وغايته ، فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة ، فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته ، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي ولاسيما إذا كان مفضياً إلى ما يغضب الله ورسوله وقال إلى شيخ الإسلام : لا يجوز اللعب بالطاب والمنقلة ، وكل ما أفضى كثيره إلى حرمه ، وإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة ، لأنه يكون سبباً للشر والفساد ، وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به فهو منهي عنه ، وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة ، وسائر ما يلهي به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعي ، فكل ذلك حرام . أ . ه .

وكذا ينبغي أن يجذر مما يعوق سيره إلى الله والدار الآخرة ، كالمطالعة في المجالات والصحف ، والكتب التي لا يعود على صاحبها منها إلا الضرر ، وضياح عمره الذي هو رأس ماله فيها قال بعضهم :

آخر: إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ عُمْرَكَ فَاحْتَرِزْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي غَيْرِ وَاجِبِ
 آخر: وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْيِيرًا لِعَاقِبَتِهِ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِيمَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ

وسوف يسأل الإنسان عما أفناه فيه . فقد قال رسول صلى الله عليه وسلم : « لا تزول قدما ابن ادم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وماذا عمل بما علم » .

فالعاقل من كان ملء قلبه ، ومالك لبه قوله تعالى ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ﴾ فسارع في الخيرات وبادر بالأعمال الصالحات ، عاملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرن إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا ،

أو مرضًا مفسدًا ، أو هرمًا مفندًا ، أو موتًا مجهزًا ، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » . رواه الترمذي .

شِعْرًا: نَحْطُوا وَمَا خَطُونَا إِلَّا إِلَى الْأَجْلِ

وَنَنْقِضِي وَكَأَنَّ الْعُمَرَ لَمْ يَطُلِ

وَالْعَيْشُ يُؤْذِنُنَا بِالْمَوْتِ أَوْلَهُ

وَنَحْنُ نَرْغَبُ فِي الْأَيَّامِ وَالِدُولِ

يَأْتِي الْحِمَامُ فَيُنْسِي الْمَرْءَ مُنِيَّتَهُ

وَأَعْضَلُ الدَّاءِ مَا يُلْهِي عَنِ الْأَمَلِ

آخر: تُرْخِي التَّوَائِبُ عَنِ أَعْمَرِنَا طَرْفًا

لَا تَحْسَبِ الْعَيْشَ ذَا طُولٍ فَتَسْبِعُهُ

سَلَى عَنِ الْعَيْشِ أَنَا لَا نَدُومُ لَهُ

لَنَا بِمَا يَنْقِضِي مِنْ عُمْرِنَا شُغْلٌ

وَنَسْتَلِدُّ الْأَمَانِي وَهِيَ مُرْدِيَةٌ

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ مَسْرَةٍ

بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ

حَتَّى سَقَتَهُ مِنَ الْمَنِيَّةِ شَرْبَةً

فَعَدَا بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً

لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَى

آخر: يُسِيءُ امْرُؤٌ مِنَّا فَيُبْغِضُ دَائِمًا

أَسْرَ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى

وَنَسْتَقِرُّ وَقَدْ أَمْسَكَنَ بِالطُّولِ

يَا قُرْبَ مَا بَيْنَ عُنُقِ الْمَرْءِ وَالْكَفَلِ

وَهَوْنِ الْمَوْتِ مَا نَلْقَى مِنَ الْعَلَلِ

وَكُلُّنَا عَلِيقُ الْأَحْشَاءِ بِالْغَزْلِ

كَشَارِبِ السُّمِّ مَمْرُوجًا مَعَ الْعَسَلِ

فَتَخَوَّفُوا مَكْرًا لَهَا وَخِدَاعًا

وَبِمَالِهِ يَسْتَمْتَعُ اسْتِمْتَاعًا

وَحَمْتُهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رِضَاعًا

لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّتَهُ دِفَاعًا

فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْتَطَاعَا

وَدُنْيَاكَ مَا زَالَتْ تُسِيءُ وَتُومَقُ

بِجَهْلٍ فَمِنْ كُلِّ التَّوَاظِرِ تُرْمَقُ

وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤَهَّلَ مِثْلَهَا لِيُؤَدَّ وَلَكِنَّ ابْنَ آدَمَ أَحْمَقُ

اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكلفت لنا به ، ولا تجعلنا في رزقك حولاً لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، واغفر لنا لوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة

قال بعض العلماء بعد سياقه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ أيها الناس لقد كانت الأمة الإسلامية فيما مضى متمسكة بكتاب الله ، عاملة بسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، صحيحة في عقائدها ، سالحة في أعمالها حسنة في معاملاتها وعاداتها ، كريمة في أخلاقها بصيرة في دينها راقية في آدابها وعلومها فكانت عزيزة الجانب ، قوية الشوكة ، جليلة مهيبه ، صاحبة السلطان والصولة على من عداها ، واليوم تغير أمرها ، وتبدل حالها ، اختلت عقائدها وفسدت أعمالها ، وساءت معاملاتها وعاداتها ، وتدهورت أخلاقها وجهلت أمر دينها ودنياها وتأخرت علومها وصنائعها فصارت ذليلة الجانب ، ضعيفة الشوكة ، ساقطة الكرامة ، فاقدة الهيبة مغلوبة على أمرها ، متأخرة في مرافق حياتها تتخبط في ظلمات الجهل ، وتنقاد للخرافات والأوهام ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وما ذلك إلا لأنها خالفت كتاب ربها ، وانحرفت عن طريق الهادي نبيها ، وسارت وراء هواها ، وفتنت بزخارف الحضارة المزيفة ، والمدنية الكاذبة وظنت الإباحية حرية والخلاعة زُقيًا ، فتعدت حدود الدين والعقل .

وأغضبت خالق الأرض والسماء فساءت حالها ، وسلط عليها عدوها ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أيها الناس لقد ذقت الأمة وبال أمرها ، وعوقبت بشر أمالها ، وتجرعت مرارة الذل والهوان ، والتفرقت والإنحلال ، كل ذلك نتيجة لازمة لعدم استقامة الأمة ، وانحرافها عن الصراط المستقيم ، ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ كل ذلك نازل بنا وواقع علينا ، ونحن لا نفيق من سكرتنا ، ولا ننتبه من غفلتنا ، ولا ننزجر بالحن والبلايا ، ولا نعتبر بحوادث الأيام فلو كانت لنا نفوس حية وقلوب يقظة وشعور حي وإحساس قوي ، لنبهتنا البلايا ، وأيقظنا المؤلمات ، أيها المسلم : الدين عقيدة صحيحة ، وعبادة قوية ، ومعاملات حسنة عادلة ، وأخلاق كريمة ، فانظروا وفكروا ، وفتشوا علي أنفسكم ، هل أنتم سائرون في أعمالكم وأحوالكم علي منهج الصراط المستقيم ، أم أنتم منحرفون عنها ، فألزموها السير على الطريق القويم ، وفقنا الله وإياكم للاستقامة ، وأمنا وإياكم من أهوال يوم القيامة ، ووقانا وإياكم شر الحسرة والندامة ، وغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين ، برحمته إنه أرحم الراحمين ، صلى الله علي محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

فصل في تحريم الدخان وذكر مفسده

ومما يتأكد اجتنابه والتحذير عنه الدخان ، لدخوله في قسم المحرمات ، ومن الأدلة علي تحريمه قوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ ولا

يمتري عاقل في دخوله في الخبائث وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : نهي رسول صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر .

وفي الحديث الآخر: « ما أسكر الفرق منه ، فملاء الكف منه حرام » . فهذه الأدلة تدل على حرمة ، فإنه تارة يسكر ، وتارة يفتر ، ومن الأدلة المؤيدة لما سبق ، أنه ثبت طبيًا أن التبغ يفتر ومن الأدلة المؤيدة لما سبق ، أنه ثبت أن التبغ يحتوي على كمية كبيرة من مادة النيكوتين السامة ، وأن شاربته يتعرض لأمراض خطيرة في بدنه أولاً ، ثم تدريجيًا فيضطرب الغشاء المخاطي ويهيج ويسيل منه اللعاب بكثرة ، ويتغير ، ويتعسر عليه هضم الطعام ، وأيضًا يحدث التهابًا في الرئتين ، ينشأ عنه سعال ، ويتسبب عن ذلك تعطيل للشرايين الصدرية ، وعروض أمراض ، ربما يتعذر البرء منها وما يجتمع على باطن القصبة من آثار التدخين ، يجتمع مثله على عروق القلب ، والقلب يضغط على فتحاته فيحصل عسر في التنفس ، ويؤثر على القلب بتشويش انتظام دقاته ، وربما أدى بشاربه إلى الموت ، فيكون شاربته قد تسبب لقتل نفسه وقتل النفس محرم من الكبائر قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وقال ع : « من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » . ومن الأدلة على تحريمه أنه إسراف ، وليس فيه مباح ، بل هو محض ضرر ، بإخبار أهل الخبرة من شاربيه وغيرهم ، وقد حرم الله الإسراف ، وأخبر جل وعلا أنه لا يجب المسرفين قال تعالى : ﴿ وَلَا ﴾

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٠٣﴾ وقال : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .
 والتبذير هو الذي ينفقه الإنسان في غير طاعة وفيما لا منفعة فيه وقال مجاهد : لو أنفق
 ماله في الحق ما كان تبذيراً وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال : إنفاق المال في غير حقه .
 وقال ابن عباس : إنفاق المال في غير منفعة . وقال بعضهم : الإسراف الإنفاق في معصية الله
 تعالى وإن قلَّتْ . فيتبين لك مما مضى ومما يأتي أن هذا الدخان الخبيث المحرم عين الإسراف
 والتبذير وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . وهذا
 في الجار الذي بينك وبينه جدار وقال فيه أيضاً : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
 أنه سيورثه » . فكيف بالجيران الطيبين الكرام الكاتبين الذين عن اليمين وعن الشمال قعيد
 وهم الذين يكتبون الحسنات والسيئات فالمدخن يؤذيهم نعوذ بالله من حاله والمفروض أنه
 يستعمل المسواك طيب الرائحة بدلاً من هذه الشجرة الخبيثة ومن خصائص هذا الدخان أنه
 ينفر عن الطاعة وعن قراءة القران والمكث في المساجد ومحبة أهل الدين والصلاح الخ .
 ونهى الشرع عن إضاعة المال ، وكم من حريق التهم نفوساً وأمواً ، سببه الدخان ، وكم
 من بريء اتصل بشاربه فصار مثله ، وكم من ملايين من الأثمان يومياً تحرق وتتلغ في هذا
 الدخان الخبيث الكريه فنضرب لذلك مثلاً لما يتلف يومياً من الفلوس بسبب شرب الدخان ،
 فإذا كانت الدولة عشرين مليوناً ، وثلاثة أرباعهم يشربونه ، أي

خمسة وسبعون في المائة ، وقلنا أدنى مصرف للواحد يوميًا في الدخان ريال ، فمعناه أن الذي يتلف على الجميع يوميًا خمسة عشر مليونًا من الريالات وفي الشهر يكون الذي يتلف في سبيل هذا الدخان الحبيث أربعمئة وخمسين مليونًا ، وفي السنة خمسة آلاف مليون وأربع مائة مليون من الريالات . نسأل الله أن يعصمنا وإخواننا المسلمين منه ومن سائر المعاصي اللهم صل على محمد وآله وسلم ومن الأدلة على تحريم الدخان كون رائحته كريهة ، تؤذي الناس الذين لا يستعملونه ، وتؤذي الكرام الكاتبين ، وتؤذي المعقبات ، وبالخصوص أذيته في مجامع الناس ، كاجتماعهم لصلاة الجماعة ، ولصلاة التراويح ، إن وجد من شاربيه أحد يصلي التراويح ، وكذا يؤذي زملاءه ، إن كان أستاذًا أو كان تلميذًا ، ويؤذي زوجته ، ويسري إلى أولاده ، لأنه إذا شربه عنده صار تعليمًا فعليًا لهم ، وما نالهم من الضرر الناشئ عن الدخان الذي صار هو السبب في شرهم له فلا يسلم والله أعلم من الإثم ، وكذلك يسري لقربته وأصدقائه ، وجيرانه وزملائه أحيانًا ، وإيصال الضرر إلى المسلم حرام ، وأذيته حرام وقد ورد عن صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا ، وليعتزل مسجدنا ، وليتعد في بيته » . وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الناس » . وفي الحديث الآخر: « من أذى مسلمًا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » . وأذية المسلم محرمة ، ومن المعلوم عند كل عاقل منصف ، أن رائحة الدخان ، لا تقل كراهتها وأذيتها عن كراهية رائحة الثوم والبصل والكراث « . بل هي عند بعضهم أعظم كراهة وهذا الدخان من العادات القبيحة ، المضرة بالشارب وغيره فترى الشاب تميل نفسه إليه ، ويميل به هواه إلى مشاهدة غيره في تعاطيه ، وربما عدة نظرًا ، وظنه مدنية وترفًا ، فإذا قدم له أحد

زملائه أو أترابه أو غيرهم هذا الدخان لأول مره ، وبدأ يستنشق دخانه السام ، ولا يلبث إلا قليلاً حتى يأخذ في الإكثار من تناول هذا السم الناقع ، فيصبح له عادة لا يستطيع إلى تركها سبيلاً ، وإذا طال الزمن ، ومكث على ذلك مدة : استحكمت في نفسه هذه العادة القبيحة السيئة ، وبدأت صحته تضعف ، وقوته تنقص ، وشهيته للطعام تقل ، ورغبته في المشي وما يقوي البدن تضعف ، وإذا ذلك الوجه الناظر الحسن المشرق ، وذلك الجسم الممتلئ عافية ، والشباب الغض قد تغير وعراه الذبول ، وتمكن منه النحول ، فترى جلده يسترخي ، وبصره يضعف ، وسمعه كذلك يضعف ، وقوة الشهوة تضعف جداً ، وعقله يضعف بإذن الله تبعاً للجسم ، ويصبح بعد غضارته ونضارته ذابلاً ، وجسماً ناحلاً ، يأخذه سعال مؤلم ، ويحس بخفقان قلبه ، ودقه وفتور جسمه ، ويتمنى بعد ذلك لو يقاسمه إنسان ماله ، ويتسبب له في منعه من هذه العادة السيئة الخبيثة ، ولكن أنى له بذلك ، هيهات إلا أن يشاء الله جل وعلا ، فالله على كل شيء قدير ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ثم هذا الشارب للدخان يفقد بشاشته ويحرم صفاء نفسه ، وقوة فكره ، فتتغير أخلاقه وتبدل صفاته ، وتراه إذا أعوزه الدخان أحياناً ، يذهل نفسه وينكس رأسه كأنما هو في هم ناصب ، وعناء وتعب ، وقد تتغير سجاياه ، فإذا ذلك الحليم الهادئ الأعصاب ، غضوب جموح ، وإذا ذلك الساكن هائج وثائر ، يظهر منه فلتات كلام ، يتعجب منها من يعرفه أولاً ، وتراه يلجأ إلى تناول الدخان ، لتسكين غضبه ، وتهدئة نائرة نفسه . فعلى العاقل أن يتعد عن هذا وأمثاله من الفسقة قال بعضهم :

تَبَاعَدُ عَنِ الْفُسَاقِ لَا تَقْرَبْنَهُمْ فَقُرْنُهُمْ يُعِدِّي الصَّحِيحَ وَيُعْطِبُ
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ صَارَ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ أَخَا عِلَلٍ مِمَّا بِهِمْ فَهُوَ أَجْرَبُ

آخر: صَاحِبُ أَحَا الدِّينِ كَي تَحْطَى فَالطَّبْعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبٍ
كَالرِّيحِ آخِذَةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ نَتْنَا مِنَ النَّتْنِ أَوْ طَيِّبًا مِنَ الطَّيِّبِ

وختامًا فعلى الإنسان أن يتعاهد أبناءه ، وكذلك على المعلم أن يتعاهد الطلاب بالنصح والتحذير من هذا الوباء الفتاك ، وعليه أن يراقبهم في كل وقت ، وبالأخص في أوقات الفراغ ، وأن يحرص كل الحرص على أنهم لا يتصلون بمن يشرب الدخان ليحفظ عليهم صحتهم وراحتهم ، ويدفع عنهم شر هذا المرض ويصون أموالهم عن الضياع حتى إذا عقلوا عرفوا لوليهم ذلك الجميل الذي أسداه إليهم .

تُعَالِجُ بِالتَّطَبُّبِ كُلَّ دَاءٍ وَلَيْسَ لِدَاءٍ ذَنْبِكَ مِنْ عِلاجِ
سِوَى ضَرَعٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مَحْضٍ بَيِّنَةٍ خَائِفٍ وَيَقِينِ رَاجِ
وَطُولِ تَهْجُودِ بَطْلَابِ عَفْوٍ بَلِيلٍ مُدْلِهِمِ السَّيْرِ دَاجِ
وَإِظْهَارِ النَّدَامَةِ كُلِّ وَقْتٍ عَلَى مَا كُنْتَ فِيهِ مِنْ اغْوَجَاجِ
لَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ غَدًا عَظِيمًا بِبُلْغَةِ فَائِزٍ مَسْرُورٍ نَاجِ

اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومقيل عثرات العاثرين ، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا . والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فَصْلٌ)

سئل الشيخ عبد الله بن محمد رحمه الله عن التنبك الذي اعتاد شربه كثير من الناس ؟ فأجاب رحمه الله : لا ريب أن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم ، وهي من خصائصه التي خصه الله بها من بين الأنبياء ، كما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ذكر خصائصه : « وأوتيت جوامع الكلم » . وهي أن يقول الكلمات اليسيرة ، الجامعة لأحكام كثيرة ، لا تعد ولا تحصى ، ومن

ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام » . فدخل في هذه الكلمة جميع المسكرات ، التي وتزيل العقل ، من الأطعمة والأشربة الموجودة في زمانه والحادثة بعده صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة ، وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهاي عن المسكر وهو الخمر الذي يغطي العقل ويزيله ، كما في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » . ولفظ مسلم : « وكل مسكر حرام » . وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع ؟ فقال : « كل شراب أسكر فهو حرام » . وفي رواية لمسلم : « كل شراب مسكر حرام » . ونقل ابن عبد البر إجماع أهل العلم بالحديث على صحته وأنه أثبت شيء في تحريم المسكر ، وجاء التصريح بالنهاي عن قليل ما أسكر كثيره ، إذا تقرر هذا . فاعلم أن المسكر الذي يزيل العقل نوعان (أحدهما) ما كان فيه لذة وطرب . قال العلماء : وسواء كان من حب أو من تمر أو لبن أو غير ذلك ، وأدخلوا في ذلك الحشيشة التي تعمل من ورق العنب أو غيرها ، مما يؤكل لأجل لذته وسكره (والثاني) ما يزيل العقل ويسكر ، ولا لذة فيه ولا طرب ، كالبنج ونحوه ، وأكثر العلماء الذين يرون تحريم ما أسكر كثيره ، يرون حد من شرب ما يسكر كثيره ، وإن اعتقد حله متأولاً ، وهو قول الشافعي وأحمد .

قال : وبما ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم يتبين لك بيان تحريم التتّن الذي كثر في هذا الزمان استعامله وصح بالتواتر عندنا والمشاهدة أسكاره في بعض الأوقات ، خصوصاً إذا أكثر منه ، أو تركه يوماً أو يومين لا يشربه ثم

شربه فإنه يسكر ويزيل العقل ، حتى إن صاحبه يحدث عند الناس ولا يشعر بذلك ، نعوذ بالله من الخزي وسوء البأس ، فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلتفت إلى قول أحد من الناس إذا تبين له كلام الله ، وكلام رسوله في مثله من المسائل ، وذلك لأن الشهادة بأنه رسول الله تقتضي طاعته وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وأن يقدم أمره على قول كل أحد من الناس .

وقال رحمه الله : والذي يشرب التنباك إن كان شربه له بعد ما عرف أنه حرام فيضرب ثمانين جلدة ، ضربًا خفيًا ما يضره ، فإن كان شربه وهو جاهل فلا حد عليه ، ويؤمر بالتوبة والاستغفار ، والذي يقول لكم من علماء تامة إن التتّن ليس حرامًا ولا حلالاً فهذا جاهل ما يعرف ما يقول ، ولا يلتفت لقوله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام » . « وما أسكر كثيره حرم قليله » .

وأجاب أيضًا : إذا شهد اثنان على ريح التتّن من فم رجل جلد ثمانين جلدة .
وأجاب أيضًا : وأما شارب التتّن إذا شهد عليه شاهدان أنهم رأوه يشربه فيجلد أربعين جلدة .

وأجاب أيضًا : وأما شارب التتّن فيؤدب بأربعين جلدة ، فإن لم ينته بذلك أدب بثمانين .
وأجاب أيضًا : والذي زرع التنباك يؤدب ، أو يوجد في بيته أو متاعه أو يشربه يؤدب .

وأجاب أيضًا : إذا شهد اثنان على ریح التتن من فم رجل يحد ، لأن الصحابة رضي الله عنهم حدوا على ریح الخمر ، وهذا خمر ، لأنه مسكر خمر وكل مسكر خمر .

وسئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن التتن ؟ فأجاب : هو حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر » . وفي لفظ : « حرام » . وفي لفظ : « ما أسكر كثيره ، فملاء الكف منه حرام وهذا عام في كل مسكر » . فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم وقد نص العلماء على ذلك .

وسئل عن شارب التنباك ؟ فأجاب : وأما شارب التنباك فيجلد أربعين جلدة .

وقد سئل الشيخ عبد الله أبا بطين عن التنباك ؟ فأجاب بقوله : الذي نرى فيه التحريم ، لعتلين (أحدهما) حصول الأسكار فيما إذا فقدته شاربته مدة ثم شربه ، أو أكثر منه ، وإن لم يحصل إسكار حصل تخدير وتفتير ، وروى الإمام أحمد حديثًا مرفوعًا أنه صلى الله عليه وسلم : نهي عن كل مسكر ومفتّر (والعلة الثانية) أنه منتن مستخبث عند من لم يعتده .

واحتج العلماء بقوله تعالى ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وأما من ألفه واعتاده فلا يرى خبثه ، كالجعل لا يستخبث العذرة وكالخنزير يترك الطيبات ويأكل النجاسات وكالهدهد يأكل العذرة .

وأجاب الشيخ خالد بن أحمد بن أحمد من فقهاء المالكية بقوله : لا تجوز إمامة شارب التنباك ، ولا يجوز الاتجار به ولا بما يسكر .

وممن حرم الدخان ونهى عنه من علماء مصر الشيخ أحمد السنهوري البهوتي الحنبلي ،
 وشيخ المالكية اللقاني ، ومن علماء دمشق النجم الغزي العامري الشافعي ، ومن علماء اليمن
 الشيخ إبراهيم بن جمعان ، وكثير من العلماء المعاصرين في المملكة العربية السعودية ، كالشيخ
 عبد الرحمن الناصر السعدي ، والشيخ محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ
 عبد الله بن محمد بن حميد ، وعلماء كثيرون يطول علينا تعدادهم ، فنكتفي بمن ذكرنا ، ومن
 أراد زيادة على هؤلاء فليسأل ، ولا أظن يفتي بحله عالم عاقل ، يعلم مضاره دينياً واقتصادياً
 واجتماعياً وخلقياً وصحياً ، بل ولا أظن عالماً يتوقف بالقول بتحريمه ، حتى ولو أنه ممن ابتلي
 بشربه لوضوح مضاره ، وبالأخص لشربه ، وان شككت فاسأل منصفهم يخبرونك ويحذرونك
 ، اللهم اعصمنا من جميع المعاصي ، وامن علينا يا مولانا وجميع المسلمين بالتوفيق للعمل
 الصالح ، والاستقامة على الطريق ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم
 الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

وقال في تيسرة الإخوان : وقد أشغل جهايزة الأطباء قوة أفكارهم ، ودققوا النظر غاية في
 اكتشاف أضرار التبغ بنوعيه المعلومين ، وشحذوا أرقامهم في بيان ما ظهر لهم فيه ، بعد
 التحقيق والتدقيق التأمين ، فذكروا (أولاً) أنه من الفصيلة الباذنجانية التي تشتمل على أكثر
 النباتات السامة ، كالبلادوتا والبرش والبنج ، قالوا : وهو

نوعان ، توتون وتنباك ، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في تركيبه الكيماوي إلا قليلا ، فانهما مركبان من أملاح البوتاس والنوشادر ، ومن مادة صمغية ، ومادة أخرى مرة حريقة ، تسمى نيكوتين . قالوا : وهي سم من أشد السموم فعلاً ، بحيث أنه لو وضعت نقطة منها على لسان كلب مات في أقرب زمن ، مع أن الكلب أقوى تحملاً للسموم من الإنسان ، ومن سائر أنواع الحيوان ، وذكروا أن الدخان الذي يتصاعد عن أوراق التبغ المحترقة ، يحوي كمية وافرة من المادة السامة هي النيكوتين ، فإذا دخل الفم والرئتين أثر فيهما تأثيراً موضعياً وعمومياً لأنه عند دخوله الفم توتر المادة الحريقة السامة التي فيه - وهي النيكوتين - في الغشاء المخاطي فتهيجه تهيجاً قوياً ، وتسيل منه كمية زائدة من الطعام وتغير تركيبه الكيماوي ، بحيث ، تقلل فعله في هضم الطعام وكذلك تفعل في مفرز المعدة ، مثل ما فعلت في مفرز الفم ، فيحصل حينئذ عسر في مفرز الهضم ، وعند وصول الدخان إلى الرئتين على طريق الحنجرة ، تؤثر فيها التهاباً قوياً مزمناً ، فتهيج السعال حينئذ ، لإخراج ذلك المفرز الغزير ، الذي هو البلغم المعروف ويتسبب عن ذلك تعطيل الشرايين الصدرية وعروض أمراض صدرية يتعذر البرء منها .

وبالجملة فقد تحقق عن عامة المحققين ، من أئمة الطب ، أن مضار الدخان - أعم من أن يكون توتوناً أو تنباكاً - كثيرة ، قالوا : ويشعر بأعراضها الجزئية كل من يباشر استعماله قبل الاعتماد عليه ، وهي دوران وغثيان ، وقىء وصداع ، وارتخاء العضلات أي الأعصاب ، ثم سبات أي راحة وهو كناية عن حاله التخدير الذي هو من لوازم التبغ ، وما ذكر

من الأعراض الناشئة عنه ، في بدء استعماله قبل الاعتماد عليه ، لما يحويه من المادة السامة التي هي النيكوتين ، ويجد فساد الذوق وعسر الهضم ، وقلة القابلية للطعام وهذه الأشياء كلها تحدث من تحلل الدخان في اللعاب ، فيسبب اضطراباً معدياً ، وكثيراً ما يحدث المرض المعروف بالبيروسس ، وهو الحرقة المعدية ، وهذا كله في استعماله على سبيل القلة والإعتدال ، وأما الإكثار منه فهو مفض إلى عطب ليس له زوال ، ومن المعلوم الثابت شرعاً أن كل ما أضر بالصحة يحرم تعاطيه قطعاً ، ولذلك حرم الأكل فوق الشبع ، وأكل الطين ، لما فيهما من الأضرار بالصحة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه » . وفي رواية : « فإنما أعان على قتل نفسه » . وليس التدخين أقل ضرراً من أكل الطين ، بل هو أشد ضرراً منه بكثير ، قال : وقد سألت عدة من الأطباء الموثوقين بهم عن تفاوتهما في الضرر ؟ فأجابوا : بأنه لا نسبة بينهما في الضرر تفاوتاً كلياً ، حيث أن الجزء الفعال ، الذي ينشأ عن التدخين وهو النيكوتين ، لا يعادله شيء في الأضرار ، كما هو ظاهر لدى الامتحان ، فيكون نهي الشارع صلى الله عليه وسلم عن أكل الطين ، لما فيه من الضرر ، شاملاً لفعل التدخين بالأولوية حيث كان الضرر فيه أشد وأعظم ، كما علمته ، قال : وقد ذكر جمع من أكابر العلماء وجهابذة الأطباء : أن من العقل - فضلاً عن الشرع - وجوب اجتناب التدخين ، حفظاً للصحة التي هي من الله تعالى منة ومنحة ، ودفعاً لدواعي الضعف الذي هو من مقدمات الهلاك والدمار ، كما هو معلوم لذوي الأستبصار كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ على أنه لا يقتصر ضرر التدخين على المدخن وحده ، بل يعم جلساءه في المكان ، لأنه يفسد الهواء ، فيتعين الفرار حينئذ من الجلوس في أماكن التدخين ، ولا سيما إذا كانت مغلقة

الأبواب . قالوا : ويسري الضرر أيضًا إلى نسله ، فيجعله ضعيف البنية ، شاحب اللون ، فاسد المزاج ، لتمكن سم التبغ في جسم الوالد أما سريان الضرر قبل الولادة ، فيما إذا كانت الأم تشرب أيضًا كالأب ، فمن تغذيته حال كونه جنينًا ، من دم أمه الفاسد بسم التبغ ، الذي هو النيكوتين ، حيث أنه يفعل على الحويصلات العصبية فعلاً مؤثرًا ، يتصل بالجنين .
وأما سريان الضرر عليه بعد الولادة ، فمن ثلاث جهات (أحدهما) تَعَدِيهِ من اللبن المتحمل سموم التبغ ، المفسدة للمواد الغذائية ، (ثانيها) استنشاقه الهواء الفاسد بتدخين الأبوين أو أحدهما ، (ثالثهما) صيرورة الأبوين سببًا حاملًا للولد على سلوك تلك العادة الوخيمة ، وذلك لأن الطفل من طبعه التقليد والتشبه بمن يراه ، فإذا نظر أبويه يدخنان ، وعلى فرض أنهما ينهيانه عن ذلك فنظر لكونه لا يفهم سر النهي لا ينتهي من غير مبالاة ، إلى أن يصير التدخين عادة لازمة ، فإذا اعتاد هذا المسكين التدخين من مبدأ نشأته ، فهناك الطامة الكبرى ، والبلية العظمى ، لأنه لا يلبث قليلاً إلا ويشكو من قلة القابلية ووجع الصدر ، ويصعبه أيضًا سعال قوي ، مزعج للصدر ، ولا يزال يزداد ضعفًا على ضعف ، وسقمًا على سقم إلى أن يمضي عمره في الأسقام والآلام . والله أعلم .

اللهم اجعل الإيمان هادمًا للسيئات ، كما جعلت الكفر هادمًا للحسنات ووقفنا للأعمال الصالحات ، واجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم ، واستهداك فهديتهم ودعاك فأجبتهم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَضْلٌ)

قَالَ : وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ عَادَةَ التَّدْحِينِ مِنْ أَقْبَحِ الْعَوَائِدِ ، لِأَنَّهَا تَسْتَبَعِدُ مُتَبِعِيهَا ، وَتُقَيِّدُهُمْ بِسَلْسِلٍ وَأَغْلَالٍ ، بِحَيْثُ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّخْلُصَ لَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا ، وَهِيَ عَادَةٌ لَوْ لَمْ يَتَّبِعْهَا الْإِنْسَانُ فِي زَمَنِ صِبَاهُ - الَّذِي هُوَ زَمَنُ جَهْلِهِ ، وَعَدَمِ تَبَصُّرِهِ بِالْعَوَاقِبِ - ، لَكَانَتْ قَلِيلَةً جَدًّا بَيْنَ أَفْرَادِ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْبُرْهَانِ عَلَى ذَلِكَ مَا تَرَاهُ مِنْ غَيْرِ الْمَدْحَنِ ، فَإِنَّهُ إِذَا شَبَّ وَصَارَ بِتَمَامِ التَّمْيِيزِ ، وَحَقَّقَ مَضَارَّ الدُّخَانِ الصَّحِّيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ، عَنْ طَرِيقِ الْاسْتِقْصَاءِ وَالنَّظَرِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ وَالْحَبَرِ ، حَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى عَدَمِ دُخُولِهِ تَحْتَ سَيْطَرَةِ تِلْكَ الْعَادَةِ الْوَحِيمَةِ ، وَمَنْ تَكُنْ هَذِهِ حَالَتُهُ فَإِنَّهُ يَتَبَاعَدُ بِلَا شَكِّ عَنْ السُّلُوكِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ، الَّذِي يُوَصِّلُهُ إِلَى فِرَاشِ التَّمْرِيزِ ، بِسَلْبِ الصَّحَّةِ الَّتِي يُقَدَّرُ قَدْرُهَا .

قَالَ : هَذَا وَإِنَّ التَّعَوُّدَ عَلَى التَّدْحِينِ لَا يَحْصُلُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَيَّامِ الصَّبَا ، كَمَا عَلِمْتَهُ آتِنَا ، حَيْثُ يَكُونُ الْإِنْسَانُ حِينَعِدِ بِتَمَامِ الْاسْتِعْدَادِ لِلتَّقْلِيدِ فِيمَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ مِنْ سِوَاهُ ، فَتَرَى الصَّبِيَّ يُدَخِّنُ تَشْبَهًُا بِغَيْرِهِ ، رَغْمًا عَنْ اسْتِكْرَاهِهِ لِزَائِحَةِ الدُّخَانِ ، وَمَرَارَةِ طَعْمِهِ مُتَكَلِّفًا تَحْمُلَ أَنْفَالِ أَعْرَاضِهِ الْمُتَقَدِّمَةِ الدُّكْرِ ، مِنْ دَوْرَانِ الرَّأْسِ وَصُدَاعِهِ ، وَغَثِيَانِ الصَّدْرِ وَأَوْجَاعِهِ فَإِذَا تَعَوَّدَهُ بَعْدَ طُولِ الْمَكَابِدَةِ ، وَتَحْمُلِ الْمِشَاقِ وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ لَا يَجِدُ لَهُ غِنًى عَنْ تَعَاطِيهِ ، لَكِنَّهُ كُلَّمَا كَبُرَ سِنُّهُ وَزَادَ لَا يَفْرُنُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ ، إِلَى أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْهُ الدَّاءُ ، وَيَصِلُ إِلَى حَالَةٍ لَا يَنْفَعُهُ الدَّوَاءُ فَيَبْتِغِي هَذَا الْمِسْكِينُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ فِي مَقَاسَاتِ الْآلَامِ وَشِدَّةِ الْأَسْقَامِ ، يَغْبِطُ

الأصحاء على التوسد في الفراش ، وطيب المنام ويكثر من التأوه والأنين ، ويتأسف على فقد الصحة التي باعها بلذة التدخين ، فالحدز الحدز ، والفرار الفرار من لذة ثوجب البوار والدمار ، قال بعض أهل الدراية في هذا الشأن من أطباء الزمان ، ما نصه : أما التدخين بالتوتن والتبناك فإنهما محتويان على مادة سمية عظيمة التأثير ، تسمى نيكوتين ، فلو استخلصت وحدها ، وجرب فعلها ، بوضع جزء يسير منها على لسان كلب لقتلته حالاً بأسرع ما يمكن ، وهذا السم تحت رداء رقيق ، بواسطة التدخين المستعمل عموماً ، وقد قيل :

تروم الشهد من أنياب أفعى	وطعم الدبس من مر غريزي
كلا الأمرين لم يطلبه إلا	جهول جهله المردى غريزي
لذاك سررت بالإفساد ترجو	صلاح الحال من ملك غريزي
رؤيدك غرك الشيطان حتى	صللت عن الحقيقة يا غريزي
إذا زمت الصلاح أنب لرب	تفر بالخير والحزر الحريزي

آخر: إن الأفاعي وإن لانت ملامسها

عند التقلب في أنيابها العطب

فمن مضراته الكليّة : تخريب كريات الدم ، ومنها التأثير على القلب ، ومنها معارضته لشهوة الطعام ، ومنها انحطاط القوى العصبيّة عامّة ، ويظهر هذا بالحدور والدوران الذي يحصل حذوئه عقب استعمال التدخين لمن لم يتلقه ، ولمن كان مؤثلاً وانقطع عنه مدة عشر ساعات تقريباً ، ومن مضراته إحدائه للجنون التوتوني .

قال : وقد اطلعت على رسالة للمحقق محمد فقيهي العيني نزيل

الأسْتَانَةَ الْعَلِيَّةَ ، وَهُوَ مِنْ فُقَهَاءِ الْحَنْفِيَّةِ ، ذَكَرَ فِيهَا تَحْرِيمَ الدُّخَانِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ (أَحَدُهُ) :
 كَوْنُهُ مُضِرًّا بِالصِّحَّةِ بِأَخْبَارِ الْأَطِبَّاءِ الْمُعْتَبَرِينَ ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالَهُ اتِّفَاقًا . (
 ثَانِيهَا) : كَوْنُهُ مِنَ الْمَخْدَرَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ ، الْمُنْهَيِّ عَنِ اسْتِعْمَالِهَا شَرْعًا ، لِحَدِيثِ أَحْمَدَ
 عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتَرٍّ ، وَهُوَ مُفْتَرٌّ بِاتِّفَاقِ
 الْأَطِبَّاءِ ، وَكَلَامُهُمْ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ وَأَمْثَالُهُ ، سَلَفًا وَخَلْفًا . (ثَالِثُهُمَا) : كَوْنُ رَائِحَتِهِ الْكَرِيهَةِ
 تُؤْذِي النَّاسَ الَّذِينَ لَا يَسْتَعْمِلُونَهُ ، وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي مَجَامِعِ الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا بَلْ وَتُؤْذِي
 الْمَلَائِكَةَ الْمَكْرَمِينَ ، وَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانُ فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 مَرْفُوعًا : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ » . وَمَعْلُومٌ أَنَّ
 رَائِحَةَ التَّدَخِينِ لَيْسَتْ أَقَلَّ كَرَاهَةً مِنْ رَائِحَةِ مَا ذُكِرَ مِنَ الثُّومِ وَالْبَصَلِ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ النَّاسُ
) ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَى بَنِيَّ ، وَمَنْ آذَى
 فَقَدْ آذَى اللَّهَ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (رَابِعُهَا) : كَوْنُهُ سَرَفًا
 إِذْ لَيْسَ فِيهِ نَفْعٌ مُبَاحٌ ، بَلْ فِيهِ الضَّرُّ الْمَحَقُّقُ ، بِإِخْبَارِ أَهْلِ الْخَبْرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَحُرْمَةُ مَا فِيهِ
 السَّرْفُ وَالضَّرُّ ، ثَابِتَةٌ شَرْعًا وَعَقْلًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ مُفْصَلًا .

قَالَ : وَقَدْ نَصَّ فِي (نِصَابِ الْاِحْتِسَابِ) وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُعْتَبَرَاتِ الْفِقْهِيَّةِ عَلَى : أَنَّ اسْتِعْمَالَ
 الْمُضِرِّ حَرَامٌ اتِّفَاقًا .

قَالَ : وَقَالَ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ الْعَبَّجِيُّ الْحَلَبِيُّ فِي كِتَابِ الْأَشْرِيَّةِ مِنْ

شَرَّحَهُ عَلَى (الدَّرِّ الْمُحْتَارِ ، شَرْحُ تَنْوِيرِ الْأَبْصَارِ) بَعْدَ نَقْلِ الشَّارِحِ تَحْرِيمُ الدُّخَانِ عَنِ شَيْخِهِ
النَّجْمِ الْعَزِّي : وَقَدْ أَوْضَحْنَا تَحْرِيمَهُ فِي رِسَالَةٍ لَمْ تُسَبِّقْ بِنَظِيرِ ، أَدْخَلْنَا تَحْرِيمَهُ فِيهَا تَحْتَ
الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ ، وَرَدَدْنَا كُلَّ مَا نَافَاهُ مِنْ كَلَامِ الْعَبْرِ رَادًّا جَامِعًا مَانِعًا ، مُؤَيَّدًا بِالْحُجَجِ .
اللَّهُمَّ الْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لِبَطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: يَا مَنْ يَرُومُ التَّقَى مِنْ كُلِّ مَأْتَمَةٍ

اسْلُكْ سَبِيلَ الْهُدَى وَامْشِ عَلَى السُّنَنِ

وَلَا تَحُدْ أَبَدًا عَنْ ذِي الطَّرِيقِ تَفْرُزُ

وَخَالَفَ النَّفْسَ وَأَقْهَرَهَا عَنِ الْمَحَنِ

إِيَّاكَ مِنْ مِحْنَةٍ تُلْقِيكَ فِي عَطَبِ

لَا سِيَّمًا مَا فَشَى فِي النَّاسِ مِنْ تُثْنِ

مُخَدَّرِ الْجِسْمِ لَا نَفْعَ بِهِ أَبَدًا

بَلْ مُورِثُ الضَّرِّ وَالْأَسْقَامِ فِي الْبَدَنِ

وَحَيْثُ قَدْ تَبَّتْ هَذِي الصِّفَاتُ لَهُ

فَأَجْزِمُ بِتَحْرِيمِهِ إِنْ كُنْتَ ذَا فِطْنِ

وَإِنْ تُرِدْ تَقَةً فِيمَا أَقُولُ فَسَلْ

بِهِ الْخَيْرَ تَنْلُ مِنْ عِلْمِهِ الْحَسَنِ

وقال آخر:

كَمْ فِي الدُّخَانِ مَعَائِبٌ وَمَكَارَةٌ

دَلَّلتُ رَدَائِلُهُ عَلَى إِنْكَارِهِ

سَأْرِيكَ بَعْضًا مِنْ مَعَائِبِ شُرَيْهِ
يَا صَاحِبِي أَحَبِّتِي أُمَّ كَارِهِ
يُؤْذِي الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ بَنْتِيهِ
وَأَمَامَ وَجْهِكَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِهِ
كَمْ مِنْ نُفُودٍ يَا فَتَى وَمَلَابِسٍ
أَتَلَفْتَهَا بِشَرِّ رَائِهِ وَشَرِّ رَارِهِ
وَبِهِ الثَّانِيَا اللُّؤْلُؤِيَّةُ أَفْسَدَتْ
بِقَبِيحِ لَوْنِ سَوَادِهِ وَصَفَارِهِ
كَانَتْ كَمِثْلِ الدُّرِّ حُسْنًا شَانَهَا
مِنْ نَفْحَتِهَا الشَّدَقِينَ فِي مَزْمَارِهِ
وَتَرَا الصَّفَارَ عَلَى شَوَارِبِهِ بَدَا
مِنْ جَذْبِهِ الدُّخَانَ مِنْ مَنْخَارِهِ
وَتَرَى الَّذِي فِي شُرَيْهِ مُتَوَلِّهَا
يَلْتَذُّ فِي الصُّهُوجِ بِأَسْتِكْنَارِهِ
وَتَرَا الْهَوَامَ إِذَا أَحَسَّ بِرِيحِهِ
تَرَكَ الْمَكَانَ وَفَرَّ مِنْ أَوْكَارِهِ
وَالنَّحْلُ لَا تَلْوِي إِلَيْهِ لِخُبَيْهِ
أَبَدًا وَلَا تَدْنُو إِلَيْهِ أَرْزَارِهِ
وَلَنْتَبَهُ وَلِقَبِيحِهِ فِي طَعْمِهِ
لَمْ تَدْنُ سَائِمَةٌ إِلَيْهِ أَشْجَارِهِ
إِنْ خَالَطَ الْمَأْكُولُ مِنْهُ دُرَيْهِمْ
غَلَبَتْ حَبَائِثُهُ عَلَى فِئْتَارِهِ

وَإِذَا تَنَاوَلَ سَاخِنًا مِنْ مَأْكَلٍ
 سَأَلَ أَنْفَهُ وَأَنْفَتَ مِنْ أَقْذَارِهِ
 فَإِنْ انْتَهَيْتَ وَمَا أَظُنُّكَ تَنْتَهِي
 وَرَغِبْتَ عَنْهُ نَجَوْتَ مِنْ أَوْعَارِهِ
 وَأَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ عَنَا تَحْصِيلِهِ
 وَحَفِظْتَ مَالَكَ مِنْ مُصَابِ خَسَارِهِ

وقال آخر:

يَا شَارِبَ التَّنْبَاكِ مَا أَجْرَاكَ
 مَنْ ذَا الَّذِي فِي شُرْبِهِ أَفْتَاكَ
 أَتَظُنُّ أَنَّ شَرَابَهُ مُسْتَعْدَبٌ
 أَمْ هَلْ تَظُنُّ بَانَ فِيهِ غِذَاكَ
 هَلْ فِيهِ نَفْعٌ ظَاهِرٌ لَكَ يَا فَتَى
 كَلَّا فَلَا فِيهِ سِوَى إِيْدَاكَ
 وَمَضْرُوءَةٌ تَبْدُو وَخُبْتُ رَوَائِحِ
 مَكْرُوهَةً تُؤْذِي بِهَا جُلَسَاكَ
 وَفُتُورُ جُسْمٍ وَارْتِخَاءُ مَفَاصِلِ
 مَعَ ضَيْقِ أَنْفَاسٍ وَضُعْفِ قُوَاكَ
 وَتَلَافٌ مَالٍ لَا تَجِدُ عِوَضًا لَهُ
 إِلَّا دُخَانًا قَدْ حَشَى أَحْشَاكَ
 وَرَضَيْتَ فِيهِ بَانَ تَكُونُ مَبْدَرًا
 وَأَخُو المَبْدَرِ لَمْ يَكُنْ يَخْفَاكَ

فَإِذَا حَضَرْتَ بِمَجْلِسٍ وَاسْتَنْشَقُوا
 مِنْ فِيكَ رِيحًا يَكْرَهُونَ لِقَاكَ
 يَكْفِيكَ ذَمًّا فِيهِ أَنْ جَمِيعَ مَنْ
 قَدْ كَانَ يَشْرِبُهُ يَوْدُ فِكَاكَ
 فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ وَاتَّبِعْ آثَارَ مَنْ
 أَهْدَاكَ لَا مَنْ فِيهِ قَدْ أَغْوَاكَ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاجْتَنِبْهُ وَلَا تَكُنْ
 فِي شُرْبِهِ مُسْتَبِعًا لِهَوَاكَ
 إِنِّي نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي
 وَنَهَيْتُ فَاتَّبِعْ قَوْلَ مَنْ يَنْهَاكَ
 وَبَذَلْتُ قَوْلِي نَاصِحًا لَكَ يَا فَتَى
 فَعَسَاكَ تَقْبَلُ مَا أَقُولُ عَسَاكَ

وَقَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ الطَّرَائِيشِي الْحَلْبِيُّ الْمَالِكِيُّ بَعْدَ كَلَامٍ لَهُ طَوِيلٍ عَلَى الدُّخَانِ
 مَا لَفْظُهُ : وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ تَحَرَّرَ مِنْ بَحْمُوعٍ مَا تَقَرَّرَ الْحُكْمُ عَلَى الدُّخَانِ الْمَشْهُورِ بِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ
 الْمَخْدَرَاتِ الَّتِي يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهَا ، وَأَنَّهُ مُضِرٌّ بِالصِّحَّةِ ضَرًّا بَيْنًا ، وَكُلُّ مَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ حَرَامٌ
 بِالِاتِّفَاقِ ، وَلِذَلِكَ - أَيُّ لِمَا ذُكِرَ مِنْ مَضَرَّاتِهِ الْوَحِيمَةِ - حُرْمُ شُرْبِهِ دِينًا - أَيُّ مِنْ جِهَةِ الدِّينِ
 - عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ ، كَمَا حُرِّمَ طَبًّا ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَالنَّصُّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْ شُرْبِهِ وَبَيْعِهِ يَفْتَضِي
 تَحْرِيمَهُمَا ، إِذْ مُفَادُ الْمَنْعِ التَّحْرِيمُ ، وَحَيْثُ حُرْمُ بَيْعِهِ حُرْمَةُ شُرْبِهِ ، حُرْمُ شِرَاؤِهِ أَيْضًا لِأَنَّ كُلَّ مَا
 يَحْرُمُ بَيْعُهُ يَحْرُمُ شِرَاؤُهُ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَحَلِّهِ . فَقِفْ عِنْدَ هَذِهِ الْمُتَيَّا لِهَذَا الْمَالِكِيِّ ، وَعِنْدَ فُتْيَا
 الْحَنْفِيِّ الَّتِي قَبَلَهَا تَعْرِفُ كَلَامَ الْمُحَقِّقِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَهْمِنَّا حَمْدَكَ وَشُكْرَكَ وَارزُقْنَا حُبَّ
أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

فصل : في بيان تحريم التصوير واستعماله واتخاذِه

اعلمم وَقَقْنَا اللهُ وَإِيَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لَمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ وَحَبَّبْنَا وَإِيَاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مَا
يَكْرَهُهُ وَلَا يَرْضَاهُ ، أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ - فِي رَمَضَانَ وَعَيْرُهُ - التَّصْوِيرُ لِذَوَاتِ
الْأَرْوَاحِ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرِ مُجَسَّدَةٍ ، وَقَدْ كَانَ بِسَبَبِهِ حَدَثَ الشُّرْكَ الْأَكْبَرُ فِي بَنِي آدَمَ ، كَمَا قَالَ
ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا مِهْرَانُ عَنْ مُوسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿
وَلَا يَعْثُوتُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾ قَالَ : كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَفْتَدُونَ
بِهِمْ ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَفْتَدُونَ بِهِمْ : لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانَ أَشْوَقَ لَنَا إِلَى
الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ ، فَصَوَّرُوهُمْ .

فَلَمَّا مَاتُوا جَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرَ
، فَعَبَدُوهُمْ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرِنَ آلِهَتُكُمْ وَلَا
تَدْرِنَ وَدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْثُوتُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا﴾ هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَلَمَّا
هَلَكُوا صَوَّرَ قَوْمُهُمْ صُورَهُمْ ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الْمُطَهَّرِ قَالَ : ذَكَرُوا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ - وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
- يَزِيدَ بَنَ الْمَهَلَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ ،

قَالَ : ذَكَرْتُمْ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ أَمَّا إِنَّهُ قُتِلَ فِي أَوَّلِ أَرْضِ عَبْدِ فِيهَا غَيْرُ اللَّهِ ، قَالَ : ثُمَّ ذَكَرُوا رَجُلًا مُسْلِمًا ، وَكَانَ مُحِبًّا فِي قَوْمِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ اعْتَكَفُوا حَوْلَ قَبْرِهِ فِي أَرْضِ بَابِلَ ، وَجَزَعُوا عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ جَزَعَهُمْ عَلَيْهِ تَشَبَّهَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي أَرَى جَزَعَكُمْ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ أُصَوِّرَ لَكُمْ مِثْلَهُ فَيَكُونُ فِي نَادِيكُمْ فَتَذْكُرُونَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَصَوَّرَ لَهُمْ مِثْلَهُ ، قَالَ : وَوَضَعُوهُ فِي نَادِيهِمْ ، وَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ .

فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَجْعَلَ فِي مَنْزِلِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ تِمثَالًا فَيَكُونُ فِي بَيْتِهِ فَتَذْكُرُونَهُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَثَلٌ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ تِمثَالًا مِثْلَهُ ، فَأَقْبَلُوا فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَهُ بِهِ ، قَالَ : وَأَدْرَكَ أَبْنَاؤُهُمْ ، فَجَعَلُوا يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَ بِهِ ، قَالَ : وَتَنَاسَلُوا وَدَرَسَ أَمْرَ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ ، حَتَّى اتَّخَذُوهُ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَأَوْلَادُهُمْ ، كَانَ أَوَّلَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَدَّ الصَّنَمِ الَّذِي سَمُوهُ وَدًّا . أ . ه .

وَعَنْ هَذَا انْتَشَرَتِ الْوَثْنِيَّةُ ، وَاسْتَفْحَلَتْ أَمْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَفِي هَذَا التَّصْوِيرِ مَعْنَى فِي غَايَةِ الْمُتَّبِحِ وَالْبَشَاعَةِ ، وَهُوَ التَّشْبِيهِ بِالْحَالِقِ الْحَكِيمِ ، فَإِنَّ الْمَصَوِّرَ بِيَدِهِ أَوْ بِأَلَةٍ يَرَسِمُ الصُّورَةَ رَسْمًا يُشْبِهُ الْحَقِيقَةَ وَلِذَا يُقَالُ لِلْمَصَوِّرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » ، وَيُكَلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورَةِ الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ أَبَدًا ، فَيَسْتَمِرُّ الْعَذَابُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

فصل : وَإِلَيْكَ الْأَدِلَّةُ الدَّالَّةُ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَمَشْرُوعِيَّةِ طَمَسِ الصُّورِ ، سَوَاءً كَانَ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةً وَفِي عَمَلِهَا الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْمَصَوِّرِينَ ، وَالْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .

وَأَنَّ التَّصْوِيرُ مِنْ سُنَنِ النَّصَارَى .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعِيرٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ ، قَالَ عِكْرِمَةَ : هُمُ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّورَ .
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فليَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » .
 أَخْرَجَاهُ .

وَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » .
 وَعَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مُسْتَبْرَأَةٌ بِقِرَامٍ فِيهِ صُورَةٌ ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ .

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نَمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ ،

فَلَمْ يَدْخُلْ ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، مَاذَا أَذْنَبْتُ ؟ قَالَ : « مَا بَالُ النَّمْرِقَةِ » ؟ فَقَالَتْ : اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعَدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَدُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » .

وَقَالَ : « إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ » . رَوَاهُ مَالِكٌ ، وَالشَّيْخَانُ . وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى التَّمَاثِيلَ قَامَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ وَجَعَلَ يَتَغَيَّرُ وَجْهَهُ .

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ : قَالَ لِي عَلِيٌّ : أَلَا أُبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَنْ لَا تَدْخُعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ . وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُخْرَجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَأُذُنَانِ يَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يَقُولُ : إِنَِّّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ : بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالْمِصْوَرِّ » . وَفِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِّ ، وَثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ ، وَلَعْنِ آكِلِ الرِّبَا وَمُوكَلِّهِ ، وَالْوَاسِمَةِ وَالْمِسْتَوْشِمَةَ ، وَالْمِصْوَرِّ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمَصَوِّرِينَ . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .
وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ بَعْضَ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً يُقَالُ
لَهَا : مَارِيَّةٌ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيْبَةَ أَتِيَا أَرْضَ الْحَبْشَةِ ، فَذَكَرْتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا ،
فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : « أَوْلَيْكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنُو عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوَّرُوا
فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَ ، أَوْلَيْكَ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ ، أَوْ قَتَلَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ ، وَالْمَصَوِّرُونَ ، وَعَالِمٌ لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ » .
رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ فَقَالَ : «
أَيْكُمْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَا يَدْعُ بِهَا وَتَنَا إِلَّا كَسْرَهُ ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَاهُ ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخَهَا »
فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَانْطَلَقَ فَهَابَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَجَعَ ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
أَنَا أَنْطَلِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَانْطَلِقْ ثُمَّ رَجِعْ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَدْعُ بِهَا وَتَنَا إِلَّا
كَسْرَتُهُ ، وَلَا قَبْرًا إِلَّا سَوَيْتُهُ ، وَلَا صُورَةً إِلَّا لَطَخْتُهَا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« مَنْ عَادَ لِصَنْعَةِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . رَوَاهُ
الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي زَوَائِدِ الْمُسْنَدِ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ وَرَأَى صُورًا ، قَالَ : فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَجَعَلَ يَمْحُوهَا وَيَقُولُ : « قَاتَلَ اللَّهُ قَوْمًا يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ .

وَأَصْلُ الْحَزْمِ أَنْ تُضْحِيَ وَتُمْسِي
وَأَنْ تَعْتَاضَ بِالتَّخْلِيضِ رُشْدًا
وَدَعُ عَنْكَ الَّذِي يُغْوِي وَيُرْدِي
وَأَخَذَ بِاللَّيْلِ حَظَّ النَّفْسِ وَاطْرُدْ
وَرُبُّكَ عَنْكَ فِي الْحَالَاتِ رَاضٍ
فَإِنَّ الرُّشْدَ مِنْ خَيْرِ اعْتِيَاضٍ
وَيُورِثُ طُولَ حُزْنٍ وَارْتِمَاضٍ
عَنِ الْعَيْنَيْنِ مَحْجُوبِ الْعِمَاضِ
فَإِنَّ الْعَافِلِينَ ذَوِي التَّوَانِي
نَظَائِرٌ لِلْبَهَائِمِ فِي الْغِيَاضِ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَبَحِّثْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمِّنَا مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الرَّجْفِ وَالزَّلْزَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِيْمَا فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْفَوَائِدِ)

فَفِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَوَائِدِ (أَوَّلًا) : تَحْرِيمُ التَّصْوِيرِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمِضَاهَاةِ بِخَلْقِ اللَّهِ . (ثَانِيًا) : أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَلَمَ مِنَ الْمِصْوَرِ . (ثَالِثًا) : التَّحْذِيرُ وَالتَّنْفِيذُ عَنِ التَّصْوِيرِ . (رَابِعًا) : أَنَّ الْمِصْوَرِينَ عِنْدَهُمْ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ ، وَسَخَافَةِ الْعُقُولِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ بِنَفْسِهِمْ يُضَاهَهُونَ بَدِيْعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . (خَامِسًا) : تَحْذِيرُهُمْ فِي أَنْ يَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ حَبَّةً ، وَبَيَانِ عَجْرِهِمْ وَحَقَارَتِهِمْ . (سَادِسًا) : أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الصُّورَةِ الْمَجَسَّدَةِ وَغَيْرِ الْمَجَسَّدَةِ وَهِيَ الَّتِي لَا ظِلَّ لَهَا .

(وَالْعِلَالُ هُ) فِي تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ هِيَ الْمِضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى

وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ ، (وَالْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ) لِلتَّحْرِيمِ هِيَ : أَنْ التَّصْوِيرَ وَسِيَلَةً إِلَى عِبَادَةِ الصُّورِ ، كَمَا وَقَعَ لِقَوْمِ نُوحٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ المِشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى ، وَالْوَسَائِلَ لَهَا أَحْكَامُ المِقَاصِدِ ، وَلَهُ (عِلَّةٌ ثَالِثَةٌ) وَهِيَ : التَّشْبُهُ بِالنَّصَارَى وَالمِشْرِكِينَ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ العِلَلِ الثَّلَاثِ تَكْفِي فِي تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ؛ لِلوَعِيدِ عَلَيْهِ بِالنَّارِ ، وَأَنَّ التَّحْرِيمَ عَامٌ فِي كُلِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الأَرْوَاحِ ، وَأَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ نَفْسٌ فَيَعْدَبُهَا فِي جَهَنَّمَ ، وَفِي الحَدِيثِ إِثْبَاتُ البَعْثِ وَالحِسَابِ ، وَالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ ، وَفِي الحَدِيثِ التَّحْذِيرِ وَالتَّنْفِيرِ عَنِ التَّصْوِيرِ .

وَالْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ الكِبَائِرِ وَأَنَّ المِصْوَرَ فِي الدُّنْيَا يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ الَّتِي صَوَّرَهَا الرُّوحُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَهَذَا الأَمْرُ يُرَادُ بِهِ إِهَانَتُهُمْ ، وَتَعْجِيزُهُمْ ، وَتَحْقِيرُهُمْ ، وَفِي الحَدِيثِ إِثْبَاتُ البَعْثِ وَالحِسَابِ ، وَالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ دَلِيلٌ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ المِصْوَرُونَ ، وَدَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ وَأَنَّهُ مِنْ الكِبَائِرِ ، وَإِثْبَاتُ البَعْثِ وَالحِسَابِ ، وَالجَزَاءِ عَلَى الأَعْمَالِ .

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ الكِبَائِرِ ، وَعَلَى اسْتِمْرَارِ تَعْدِيبِ المِصْوَرِينَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِحْيَاءِ

الصَّوْرِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ إِحْيَاؤُهَا ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ .
 وَحَدِيثُ عَائِشَةَ (أَوْلَى) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، يُسْتَفَادُ مِنْ إِنْكَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَصْبِ السِّتْرِ ، وَتَلَوْنِ وَجْهِهِ وَهَتِكِهِ لَهُ ، وَمِنْ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِلْمُصَوِّرِينَ .

(ثَانِيًا) : أَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ ، لِمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ .

(ثَالِثًا) : أَنَّ الْمُصَوِّرِينَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(رَابِعًا) : أَنَّ عِلَّةَ التَّحْرِيمِ هِيَ الْمِضَاهَاةُ بِخَلْقِ اللَّهِ .

(خَامِسًا) : أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةً ، لِأَنَّ الَّتِي أَنْكَرَهَا

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُجَسَّدَةً .

(سَادِسًا) : الْعُضْبُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرِ وَتَمَعُّرِ الْوَجْهِ .

(سَابِعًا) : كَرَاهَةُ دُخُولِ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ .

(ثَامِنًا) : إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ بِحَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ وَالْقُدْرَةِ ، فَمَنْ قَدَرَ بِيَدِهِ فَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ ،

كَمَا فَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَاتِكَ السِّتْرِ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ ، فَإِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ،
 فَإِنَّ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ .

(تَاسِعًا) : أَنَّهُ يُكَلِّفُ أَنْ يَنْفُخَ الرُّوحَ فِيهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي قُدْرَتِهِ .

(عَاشِرًا) : دَلِيلٌ عَلَى اسْتِمْرَارِ عَذَابِ الْمُصَوِّرِ ، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى

الْأَعْمَالِ .

اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ كُتِبَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا

وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(حَادِي عَشَرَ) : أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ .

وَحَدِيثُ أَبِي الْهَيَّاجِ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى طَمَسِ الصُّورِ ، وَهَدْمِ الثُّبُورِ الْمَشْرِفَةِ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَجَسَّدَةِ وَغَيْرِهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمِنَعَ خَاصٌّ بِالصُّورِ الْمَجَسَّدَةِ فَإِنَّ الصُّورَةَ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَحْوِهَا غَيْرُ مُجَسَّدَةٍ .
 وَحَدِيثُ أَبِي طَلْحَةَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ ، وَالْمَرَادُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ الْمُسْتَعْفِرُونَ لِلْعَبْدِ ، الْمُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فَوَاتِ هَذِهِ الْعَنَائِمِ لَكَانَ الْعَاقِلُ يَحْزَنُ لِذَلِكَ ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هُنَالِكَ آثَامٌ ، وَسَبَبٌ امْتِنَاعِ دُخُولِ الْمَلَائِكَةَ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ ، كَوْنُهَا مَعْصِيَةٌ فَاحِشَةٌ ، وَفِيهَا مُضَاهَاةٌ بِخَلْقِ اللَّهِ ، وَأَمَّا الْكَلْبُ فَلِكُونِهِ بَجَسًا ، وَلِكثْرَةِ أَكْلِهِ النَّجَاسَةَ ، وَلِقُبْحِ رَائِحَتِهِ ، وَلِأَنَّهُ مِنْهَيٌّ عَنِ اتِّخَاذِهَا إِلَّا لِحَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ أَوْ مَا شِئِيَ .

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ : « يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ » فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ لِشِدَّةِ الْوَعِيدِ ، وَإِنْ مَصِيرَ الْمُصَوِّرِينَ إِلَى النَّارِ ، مَعَ الْجَبَابِرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ وَمَا لَا ظِلَّ لَهُ ، وَأَنَّ هَذَا الْجُزْءَ الْخَارِجَ مِنَ النَّارِ الْمُؤَكَّلِ بِالْمُصَوِّرِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْجَبَّارِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ ، وَأَنَّهُ يَنْطِقُ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، وَإِثْبَاتِ النَّارِ ، ثُمَّ تَأَمَّلْ وَاسْأَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ كَيْفَ قَرَنَ الْمُصَوِّرَ بِالْجَبَّارِ الْعَنِيدِ ، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، تَفْهَمُ كَيْفَ قَدَّرَ الْمُصَوِّرَ ، وَكَيْفَ يَكُونُ عَذَابُهُ ، وَالْحَدِيثُ

الذي سَبَقَ تُؤَكِّدُ عِبَارَتُهُ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » ، وَالْحَدِيثُ السَّابِقُ أَيْضًا يُفْهِمُكَ أَنَّ الذَّنْبَ كَبِيرٌ جِدًّا ، وَلِذَلِكَ يُكَلِّفُ فَاعِلُهُ وَهُوَ فِي النَّارِ أَنْ يَنْفُخَ فِيمَا صَوَّرَ الرُّوحَ وَلَيْسَ فِي إِمْكَانِهِ ، فَيَسْتَمِرُّ التَّبَكُّيْتُ وَالتَّعْذِيبُ . كَمَا وَرَدَ فِي خَائِنِ الْأَمَانَةِ وَالْمَتَحَلِّمِ بِمَا لَمْ يَرِ مِنْ أَنَّهُ يَكْلِفُ إِخْرَاجَهَا بَعْدَ سَقُوطِهَا فِي النَّارِ .

وَالْحَدِيثُ الَّذِي بَعْدَهُ فِيهِ لَعْنُ آكِلِ الرِّبَا وَمُوكِلِهِ ، وَالْوَائِثَةِ وَالْمِسْتَوْشِمَةِ ، وَالْمِصَوِّرِ ؛ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِأَنَّ اللَّعْنَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى كَبِيرَةٍ ، وَفِيهِ شِدَّةُ الْوَعِيدِ لِلْمُصَوِّرِينَ ، لِأَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَفِيهِ أَنَّ التَّحْرِيمَ عَامٌّ لِمَا لَهُ ظِلٌّ وَلِمَا لَا ظِلَّ لَهُ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ .

وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي حَنِيفَةَ فِيهِ لَعْنُ الْمُصَوِّرِ ، وَإِنَّ التَّصْوِيرَ مِنَ الْكَبَائِرِ لِلْوَعِيدِ الشَّدِيدِ .
وَحَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ وَأُمِّ حَبِيبَةَ وَمَا بَعْدَهُ وَاضِحٌ الْمَعْنَى .

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ : تَصْوِيرُ صُورَةِ الْحَيَوَانِ حَرَامٌ ، شَدِيدُ الْحُرْمَةِ وَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ ، لِأَنَّهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، الْمَذْكُورِ فِي الْأَحَادِيثِ ، وَسَوَاءٌ صَنَعَهُ بِمَا يُمْتَنُّهُنَّ أَوْ بغيرِهِ ، فَصَنَعْتُهُ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ ، لِأَنَّ فِيهِ مُضَاهَاةً بِخَلْقِ اللَّهِ ، وَسَوَاءٌ مَا كَانَ فِي تَوْبٍ أَوْ بِسَاطٍ ، أَوْ دِرْهَمٍ أَوْ دِينَارٍ ، أَوْ فِلْسٍ أَوْ إِنَاءٍ ، أَوْ حَائِطٍ أَوْ غَيْرِهَا ، قَالَ : وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا كُلِّهِ بَيْنَ مَا لَهُ ظِلٌّ وَمَا لَا ظِلَّ لَهُ ، هَذَا تَلْخِيسُ مَذْهَبِنَا فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَبِمَعْنَاهَا قَالَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمِنْ بَعْدَهُمْ وَهُوَ مَذْهَبُ الثَّوْرِيِّ ، وَمَالِكٍ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ .

شِعْرًا: فَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ فِي كُلِّ حَادِثٍ
فَأَلْقِ إِلَيْهِ بَتًّا شَكْوَاكَ تُحَمِّدُ
لَهُ الْمَلِكُ بِالْأَكْوَانِ لَا بِمُؤَازِرِنُ
وَلَا بِنَصِيرٍ فِي الدَّفَاعِ لِمُعْتَدِ
قَرِيبُ وَلَكِنَّ بِالذُّنُوبِ تَبَاعَدَتْ
مَسَائِلُنَا عَنِ رَوْضِ إِحْسَانِهِ النَّدِيِّ
فَقُمْ قَارِعًا لِلْبَابِ وَالنَّابِ نَادِمًا
عَلَى مَا جَرَى وَارْفَعْ دُعَاءَكَ يَصْغِدِ
وَقُمْ سَائِلًا وَالِدَمْعِ فِي الْخَدِّ سَائِلٌ
تَجِدُ مَا تَشَاءُ مِنْ لُطْفِهِ وَكَأَنَّ قَدِ
وَقُمْ زُلْفًا فِي اللَّيْلِ إِنْ نَشَرَ الدُّجَى
جَنَاحَ غُدَافٍ يُلَيْسُ الْكَوْنُ عَنْ يَدِ
وَرَدَّ ظِلَامَ اللَّيْلِ بِالذِّكْرِ مُشْرِفًا
فَقَدْ فَازَ مَنْ بِالذِّكْرِ يَهْدِي وَيُهْتَدِي
وَأَمَّا بِنُورِ الدُّنْيَا فَلَا تَرْجُ نَفْعَهُمْ
فَلَا مُنْجِدٌ فِيهِمْ يُرَجِّجِي لِمُجْتَدِ
فَإِنِّي تَتَّبَعْتُ الْأَنَامَ فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى شَامِتٍ أَوْ حَاسِدٍ أَوْ مُفْتَدِ
وَقَدْ رَضَعُوا ثَدْيِي الْمَهَابَةَ كُلُّهُمْ
وَكُلٌّ بِبَدِيلِ الذُّلِّ أَصْبَحَ مُرْتَدِ
فَلَمْ أَرَ أَرْمَى إِلَّا بِالسَّهَامِ مِنَ الدُّعَا
إِلَى مَقْتَلِ الْأَعْدَاءِ مِنْ قَوْسِ مِذْوَدِ

وَعَنْ مَا قَلِيلٍ يُدْرِكُ السَّهْمُ صَيْدَهُ
 فَكَمْ صَادَ سَهْمُ اللَّيْلِ مُهْجَةً أَصِيدِ
 وَأَوْصِيكَ بِالتَّقْوَى لِرَبِّكَ إِنَّهُ
 سَيَحْمِدُ تَقْوَاهُ الْمُؤَقَّتُ فِي غَدِ
 وَخُذْ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ زَادًا فَإِنَّمَا
 أَقَامَكَ فِي الدُّنْيَا لِأَخْذِ التَّزْوُدِ
 وَعَنْ مَا قَلِيلٍ قَدْ أَنَاخَ رِكَابَنَا
 بِقِصْرِ خَلِيٍّ مُظْلِمِ الْجَوِّ فَذَفَدِ
 فَإِنَّ اللَّيَالِي كَالْمَرَآكِبِ تَحْتَنَا
 تَرْوُحُ بِنَا فِي كُلِّ حِينٍ وَتَغْتَدِي
 فَيَا حَبَّذَا جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
 تَحْطُّ رَحَالَ الْقَادِمِ الْمُتَزَوُّدِ
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
 يُبْلِغُنَا مِنْ فَضْلِهِ خَيْرَ مَقْعَدِ

اللَّهُمَّ اسئلكُ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَوَقِّفْنَا لِلاِسْتِعْدَادِ لِمَا
 وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانِكَ وَلُطْفَكَ كَمَا عَوَّدْتَنَا وَأَتِّمِّمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

خَطَبَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، وَبَادِرُوا
 آجَالِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ - أَيِ اشْتَرُوا مَا يَبْقَى مِنَ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ
 ، بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا

أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، بِمَا يَفْنِي مِنْ لَدَّةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَشَهَوَاتِهَا الزَّائِلَةَ ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ لَكُمْ الْإِنْتِقَالَ - أَيِ حُثَّتُمْ وَأُزْعِجْتُمْ إِلَى الرَّحِيلِ - وَاسْتَعِدُّوا فَانْتَبَهُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ ، فَاسْتَبَدُّلُوهَا بِدَارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً - أَيِ مُهْمَلِينَ ، بِلا رَاعٍ يَزُجُّكُمْ عَمَّا يَضُرُّكُمْ ، وَيَسُوقُكُمْ إِلَى مَا يَنْفَعُكُمْ - وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ، وَإِنَّ غَايَةَ هِيَ الْأَجَلَ ، تَنْفُصُهَا اللَّحْظَةُ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لِجَدِيرَةِ بِقَصْرِ الْمَدَّةِ ، وَإِنَّ غَايَةَ يَخْذُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيًّا بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ ، وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ عَدَاً ، فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرَكِّبَهَا وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيَسُوفَهَا حَتَّى تَهْجُمَ مِنْيْتِهِ عَلَيْهِ ، أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا .

قَلْبَ الزَّمَانِ سَوَادَ رَأْسِكَ أَيْضًا	وَنَعَاكَ شَيْبَكَ كُلَّهُ فَيَقْضَا
وَعَرَفْتَ نَفْسَكَ فِي سُكُونِكَ قَاعِدًا	وَعَرَفْتَ نَفْسَكَ إِذْ هَمَمْتَ لِتَنْهَضَا
فَلَمَّا عَجِبْتَ لِأَعْجَبِنَ لِعَافِلٍ	يُمْسِي وَيُصْبِحُ لِلْحَوَادِثِ مُعْرِضًا
أخر: جَهُولٌ لَيْسَ تَنْهَاهُ النَّوَاهِي	وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا وَهُوَ سَاهِي
يُسْرُ بِيَوْمِهِ لِعَبَا وَلَهُوًا	وَلَا يَدْرِي وَفِي غَدِهِ الدَّوَاهِي
مَرَرْتُ بِقُصْرِهِ فَقُلْتُ مَنْ ذَا	عَجِيًّا فِيهِ مُزْدَجَرٌ وَنَاهِي
رَأَيْتُ بِبَابِهِ سُودَ الْجَوَارِي	فَقَالُوا ذَلِكَ الْمَلِكُ الْمُبَاهِي
تَبَيَّنَ أَيُّ دَارٍ أَنْتَ فِيهَا	وَلَا تَسْكُنُ إِلَيْهَا وَادِرٍ مَا هِي

اللَّهُمَّ اغْصِمْنَا عَنِ الْمَعَاصِي وَالزَّلَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ َ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في تحريم الرشوة

اعلم وققنا الله وإياك وجميع المسلمين لما يُجبه ويرضاه ، أن الرشوة داءٌ من أخطر الأدواء فتكا بالمجتمعات ، ذلك أنها لا تشيع في مجتمع إلا تداعت أركانها ، وهبطت في مستواه الخلفي إلى الخفيض ، وسيطرت فيه المادة الجشعة على الحكام والمحكومين ، فيصبح صاحب الحق في قلق ، لأنه لا يمكنه الحصول على حقه إلا إذا قدم جعلاً لمن عنده وسيلة للحصول عليه . ولا ترى صاحب ظلامه يطعم في رفع ظلامته عنه ، إلا أن يرشي من له قدرة على رفعها ، وقد يبلغ الأمر بالمرششي إلى أن يماكس الراشي في مقدار الرشوة ، وربما كان ذلك جهراً ، بلا حياءٍ ولا حجل .

ولا تسأل عن ما ينتج عنها من الأضرار التي لا تعد ولا تحصى من ضياع الكرامة ، وهضم الحقوق ، وقبر التبوع وتلاشي الجد في العمل ، واضمحلال الغيرة على أداء الواجب ، وترك العاملين كل ذلك يذهب ولا تجد له أثراً ، ويجل مكانه الخمول والضعف ، والغش والحيانة ، وما إلى ذلك .

إذا رشوة من سور بيت تقحمت

لتسكن فيه والأمانة فيه

سعت هرباً منه وولت كأنها

حليم تولى عن جواب سفيه

وتصاب مصلح الأمة بالشلل ، وعقول التابعين بالعقم ، وموابب المفكرين بالجُمود ،

وعزائم المجدين وهمهم بالخور والفتور ، وأي خير

يُرْجَى مَنْ يَوْمٍ يَكُونُ مِقْيَاسُ الْكَفَاءَةِ فِيهِمْ مَا يَتَقَرَّبُ الْمُزْوَسُ بِهِ مِنْ قُرَابِينَ ، وَأَيُّ نَمْرَةٍ مِنْ عَمَلٍ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالرِّشَا وَالْمِطَامِعِ .

وَقَدْ تَلَبَّسُ الرِّشْوَةُ ثَوْبًا مُسْتَعَارًا وَلَكِنْ يَشْفُ عَنْ حَقِيقَتِهَا كَمَا قِيلَ :

ثَوْبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ

فَإِذَا التَّحَفَّتْ بِهِ فَإِنَّكَ عَارِي

فَقَدْ تَكُونُ الرِّشْوَةُ فِي صُورَةٍ تُخْفَى أَوْ هَدِيَّةٍ ، أَوْ مُحَابَاةٍ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ ، أَوْ إِبْرَاءٍ مِنْ دِينٍ ، أَوْ يُشْرِكُهُ فِي أَرْضٍ أَوْ يَتَوَسَّطُ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ وَكُلُّ هَذِهِ الْحِيلِ لَا تُزِيلُ الْحَقَائِقَ .

وَهِيَ فِي جَمِيعِ الصُّورِ رُشْوَةٌ بِشَعَةِ الْمَنْظَرِ ، سَيِّئَةُ الْمَخْبَرِ كَرِيهَةُ الرَّائِحَةِ ، مُلَوَّنَةٌ لِلشَّرَفِ ، مُضَيِّعَةٌ لِلْعِفَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَهَابَةِ وَلِذَا كَانَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي مَلْعُونَيْنِ ، لِأَنَّ الرَّاشِي يُسَاعِدُ الْمُرْتَشِي عَلَى تَضْيِيعِ الْحُقُوقِ ، وَيُسَهِّلُ لَهُ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيُنَمِّي فِيهِ الْخُلُقَ الدَّمِيمَ ، وَيُسِرُّ لَهُ التَّحَكُّمَ فِيمَا هُوَ حَقٌّ لِعَیْرِهِ ، فَيَسْتَمِرُّ هَذَا الْمَرْعَى الْوَحِيمَ ، وَالْمُرْتَشِي قَدْ أَخَذَ مَالَ غَیْرِهِ ، وَمَنَعَ الْحَقَّ عَنْ صَاحِبِهِ حَتَّى يَأْخُذَ الرِّشْوَةَ مِنْهُ .

وَالرِّشْوَةُ الْمُحَرَّمَةُ هِيَ مَا تُوصَلُ بِهِ إِلَى إِبْطَالِ حَقٍّ ، أَوْ تَمْشِيَةِ بَاطِلٍ ، أَمَّا مَا وَقَعَ لِلتَّوَصُّلِ لِحَقٍّ ، أَوْ دَفْعِ ظُلْمٍ ، فَلَيْسَ بِرِشْوَةٍ مِنْهَيَّةٍ ، قَالَ فِي الْمَعْنَى : فَأَمَّا الرِّشْوَةُ فِي الْحُكْمِ ، وَرِشْوَةُ الْعَامِلِ ، فَحَرَامٌ بِلا خِلَافٍ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ قَالَ الْحَسَنُ ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي تَفْسِيرِهِ : هُوَ الرِّشْوَةُ . وَقَالَ : فَأَمَّا الرَّاشِي ، فَإِنْ رَشَاهُ لِيُحْكَمَ لَهُ

بِبَاطِلٍ ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ حَقًّا فَهُوَ مَلْعُونٌ ، وَإِنْ رَشَاهُ لِيَدْفَعَ ظُلْمَهُ ، وَيَجْزِيَهُ عَلَى وَاجِبِهِ ، فَقَدْ قَالَ عَطَاءٌ ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ، وَالْحَسَنُ : لَا بَأْسَ أَنْ يُصَانِعَ عَنْ نَفْسِهِ ، قَالَ : وَلَا تَأْتِيهِ يَسْتَنْقِذُ مَالَهُ ، كَمَا يَسْتَنْقِذُ الرَّجُلُ أَسِيرَهُ . انتهى .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ » . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . أَمَّا الْحَدِيثُ فَوُجِهُ الاستِدْلَالُ بِهِ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّشْوَةِ وَاضِحٌ ، إِذْ لَا يَسْتَحِقُّ لَعْنَةَ اللَّهِ إِلَّا فَاسِقٌ أَوْ كَافِرٌ ، وَأَمَّا الْآيَةُ فَقِيلَ : إِنَّ مَعْنَاهَا : لَا تُدْلُوا بِأَمْوَالِكُمْ إِلَى الْحُكَّامِ ، أَيَّ لَا تُصَانِعُوهُمْ بِهَا ، وَلَا تَرَشُّوهُمْ لِيَقْطَعُوا لَكُمْ حَقًّا لِعَيْرِكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَجِلُّ لَكُمْ ، فَالْآيَةُ تَنْهَى الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَنْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ بَيْنَهُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَالرِّشْوَةُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ هَذَا الْأَكْلِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ . قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ الْمِحَابِينَ لِأَصْدِقَائِهِمْ :

قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا حَاوَلُوا أَمْرًا لِشَخْصٍ يَهُمُّهُمْ تَنَاسُوا أُمُورَ الشَّرْعِ فِيهِ وَلَفَّقُوا
وَالَا رَمُوا أَوْرَاقِهِ عِنْدَ وَجْهِهِ وَقَالُوا لَهُ خُذْ مَا تَرَاهُ وَأَطْرُقُوا

آخِرُ : وَالِى الْيَقِينِ وَعَادِ الشُّكَّ أَجْمَعَهُ

وَالِى الْيَقِينِ وَعَادِ الشُّكَّ أَجْمَعَهُ

فَالْخَطْبُ عَمَّ وَصَارَ النَّاسُ كُلُّهُمْ

مُعْظَمٌ مِّنْ لِّدَعْيٍ وَمَرْدُودٌ

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَازِرُهُ

فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ

فَصَاحِبُ الدِّينِ مَمْنُوتٌ وَمُنْكَتِمٌ
 وَصَاحِبُ الفِسْقِ فِيهِمْ غَيْرُ مَظْهُودٍ
 كُلُّ يَقْلَدُ فِي الأَهْوَاءِ صَاحِبَهُ
 حَتَّى البِلَادَ لَهَا شَأْنٌ بِتَقْلِيدِ
 وَالْأَمْرُ بِالعُرْفِ ثُمَّ التَّهْيِ عَنِ نُكْرِ
 صَارَا لَدَيْنَا بِبِلَا شَكِّ كَمَقْهُودٍ
 إِذَا نَصَحْتَ لِشَخْصٍ قَالَ أَنْتَ كَذَا
 فِيكَ العُيُوبُ لَدَيْنَا غَيْرَ مَحْمُودٍ
 إِذَا رَأَوْا صَالِحًا يَدْعُو لِنَهْجِ هُدَى
 تَأْتِبُوهُ بِإِيذَاءٍ وَتَبْعِيْدِ
 حُكْمِ القَوَانِينِ قَالُوا فِيهِ مَصْلَحَةٌ
 وَفِي الرِّبَا سَاعَدَتْ شَيْبٌ لِمَوْلُودٍ
 أَهْلُ الهَوَى وَالرَّذَى مَالُوا لِمُحَدَّثَةِ
 قَالُوا الشَّرِيعَةَ لَا تَكْفِي لِمَقْصُودِ
 قُولُوا لَهُمْ قَوْلَ نَصْحٍ مَا بِهِ شَطَطٌ
 مَقَالَةً صَاغَهَا حَبْرٌ بِتَسْديدِ
 مُخَالِفِ الشَّرْعِ لَمْ يظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
 لَوْ نَالِ خَيْرًا قَصَارَاهُ لِتَبْدِيدِ
 إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ غَيْرُ
 لَمْ يُبِكَ مَيْتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالأَخرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَمَوَ وَالعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا
 وَآخِرَتِنَا وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِنْ رُوعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ
 أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ

فَوَقْنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُعْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا ، وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اسْلِكْ بِنَا مَنَاهِجَ السَّلَامَةِ وَعَافِنَا مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ وَوَفِّقْنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِمَا وَعَدْتَنَا وَأَدِّمْ لَنَا إِحْسَانَكَ وَلَطْفَكَ كَمَا عَوَدْتَنَا وَأَتِّمِّمْ عَلَيْنَا مَا بِهِ أَكْرَمْتَنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ الْعُلَمَاءُ : الرَّأِشِيُّ هُوَ الَّذِي يُعْطَى الرَّشْوَةَ ، وَالْمُرْتَشِي هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الرَّشْوَةَ ، قَالُوا : وَإِنَّمَا سُمِّيَ مِنْحَةَ الْحُكَّامِ رِشْوَةً لِأَنَّهَا وَصْلَةٌ إِلَى الْمُقْصُودِ ، بِنَوْعٍ مِنَ التَّصْنِيعِ ، مَاخُودٌ مِنَ الرَّشَاءِ ، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى نَزْحِ الْمَاءِ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَلَيْتَ الْحُكْمَ خَمْسًا بَعْدَ عَشْرٍ

لَعَمْرِي وَالصَّابَا فِي الْعُنْفُوَانِ

فَلَمْ تَضِعِ الْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي

وَلَا قَالُوا فُلَانٌ قَدْرَ رَشَانِي

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّ اللَّعْنَةَ عَلَى الرَّائِشِ أَيْضًا ، وَهُوَ السَّاعِي بَيْنَهُمَا ، وَهُوَ تَابِعٌ لِلرَّائِشِيِّ فِي قَصْدِهِ ، إِنْ قَصَدَ خَيْرًا لَمْ تَلْحَقْهُ اللَّعْنَةُ ، إِلَّا لِحَقَّتْهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ شَفَعَ لِرَجُلٍ شَفَاعَةً فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً ، فَقَدْ أَتَى بِأَبَا مِنْ أَبْوَابِ الرَّبِّا » ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : السَّحْتُ : أَنْ تَطْلُبَ لِأَخِيكَ الْحَاجَةَ ، فَتَقْضِي فِيْهِدِي إِلَيْكَ هَدِيَّةً فَتَقْبَلُهَا مِنْهُ .

وَعَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّهُ كَلَّمَ ابْنَ زِيَادٍ فِي مَظْلَمَةٍ فَرَدَّهَا ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ

صَاحِبِ الْمَظْلَمَةِ وَصِيفًا ، فَرَدَّهَا وَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : مَنْ رَدَّ عَنْ مُسْلِمٍ مَظْلَمَةً فَأَعْطَاهُ عَلَيْهَا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا فَهُوَ سَحْتٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا كُنَّا نَظُنُّ أَنْ السُّحْتَ إِلَّا الرَّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ ، فَقَالَ : ذَلِكَ كُفْرٌ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَيَحْرُمُ عَلَى الْقَاضِي قَبُولُ هَدِيَّةٍ إِلَّا مِمَّنْ كَانَ يُهَادِيهِ قَبْلَ وَلَايَتِهِ ، إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حُكُومَةً ، لِمَا رَوَى أَبُو سَعِيدٍ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ اللَّثْبِيِّ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِي إِلَيَّ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَجِيءُ فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِي إِلَيَّ ، أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ فَيَنْظُرُ أُيْهَدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا نَبَعْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَيَأْخُذَ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رِعَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا حَوَارٍ ، أَوْ شَاةً تَبْعَرُ » ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْتُ عُقْدَةَ إِبْطِيهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ » ثَلَاثًا . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

شِعْرًا: لَا يَأْمِنُ الْوَقْتَ إِلَّا الْخَائِنُ الْبَطْرُ

مَنْ لَيْسَ يَعْقِلُ مَا يَأْتِي وَمَا يَنْدُرُ

مَا يَجْهَلُ الرُّشْدَ مَنْ خَافَ الْإِلَهَ وَمَنْ

أَمْسَى وَهَمَّتْهُ فِي دِينِهِ الْفُكْرُ

فِيمَا مَضَى فِكْرَةً فِيهَا لِصَاحِبِهَا

إِنْ كَانَ ذَا بَصَرٍ بِالرَّأْيِ مُعْتَبِرُ

أَيْنَ الْقُرُونُ وَأَيْنَ الْمُبْتَنُونَ لَنَا

هَذِي الْمَدَائِنُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ

وَأَيْنَ كَسْرَى أَنْو شُرْوَانَ مَالَ بِهِ
 صَرَفُ الزَّمَانِ وَأَفْنَى مُلْكُهُ الْغَيْرُ
 بَلْ أَيْنَ أَهْلُ التُّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ وَمَنْ
 جَاءَتْ بِفَضْلِهِمُ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
 أُعِدُّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَوْلَهُمْ
 وَنَادِ مَنْ بَعْدَهُ فِي الْفَضْلِ يَا عَمْرُ
 وَعُدَّ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ أَبَا حَسَنِ
 فَإِنَّ فَضْلَهُمَا يُزَوَى وَيُذَكَّرُ
 لَمْ يَبْقَ أَهْلُ التُّقَى فِيهَا لِرِثَتِهِمْ
 وَلَا الْجَبَابِرَةُ الْأَمْلاكُ مَا عَمَرُوا
 فَأَعْمَلْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ أَنْ تُورِطَهَا
 فِي هُوَّةِ مَالِهَا وَرَدِّ وَلَا صَدْرُ
 مَا يَحْذَرُ اللَّهُ إِلَّا الرَّاشِدُونَ وَقَدْ
 يُنْجِي الرَّشِيدَ مِنَ الْمَحْذُورَةِ الْحَاذِرُ
 وَالصَّابِرُ يُعْقِبُ رِضْوَانًا وَمَغْفِرَةً
 مَعَ النَّجَاحِ وَخَيْرُ الصُّحْبَةِ الصَّابِرُ
 النَّاسُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَفَرٍ
 وَعَنْ قَرِيبٍ بِهِمْ مَا يَنْقُضِي السَّفَرَ
 فَمِنْهُمْ قَانِعٌ رَاضٍ بِعَيْشَتِهِ
 وَمِنْهُمْ مُوسِرٌ وَالْقَلْبُ مُفْتَقِرُ
 مَا يُشْبِعُ النَّفْسَ إِنْ لَمْ تُمَسِّ قَانِعَةً
 شَيْءٌ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي مِلْكِهَا الْبَدْرُ

وَالنَّفْسُ تَشْبَعُ أَحْيَانًا فَيُرْجِعُهَا

نَحْوَ الْمَجَاعَةِ حُبُّ الْعَيْشِ وَالْبَطْرُ

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي الدُّنْيَا لَهُ أَثَرٌ

فَمَا يَمُوتُ وَفِي الدُّنْيَا لَهُ أَثَرٌ

اللَّهُمَّ مَكَّنْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَتَّنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَةِ وَرَحِّحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَمَتِّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ : لَقَدْ نَهَانَا رَبُّنَا جَلَّتْ قُدْرَتُهُ عَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَاسْتِخْلَافِهَا بِدُونِ حَقِّ ، وَأَخَذِهَا بِوَجْهِهِ لَمْ يُبِحْهُ الدِّينَ وَلَمْ يُشْرَعْهُ ، يَنْهَانَا عَنْ رَفْعِ الدَّعَاوِي الكَاذِبَةِ ، وَالْإِدْلَاءِ بِالْقَضَايَا الْمُخْتَلِقَةِ الْمَلْفَقَةِ ، وَتَقْدِيمِ صَفْحَاتِهَا إِلَى الْقَضَاةِ ، رَجَاءِ الْفَصْلِ فِيهَا بِالْبَاطِلِ ، اسْتِنَادًا إِلَى الْيَمِينِ الْعَمُوسِ الكَاذِبَةِ ، وَارْتِكَانًا عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ الْفَاجِرَةِ ، أَوْ اعْتِمَادًا عَلَى الشَّفَاعَاتِ وَالْوَسَائِطِ ، وَاسْتِظْهَارًا بِتِلْكَ الرِّشَاوِي الَّتِي تُقَدَّمُ بِاسْمِ الْهَدَايَا إِلَى مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ، فَيَتَخَطَّوْنَ الْعَدَالََةَ لِقَاءِ هَذَا ، وَيَجُورُونَ فِي الْحُكُومَةِ وَالْقَضَاءِ .

إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ قَبَسٌ مِنْ نَارٍ ، وَأُتُونُ مُسْتَعْرَةً بِاللَّظَى ، وَتَنُورُ مَسْجُورٌ ، مُوقِدٌ إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ ، جَذْوَةٌ مِنْ لَهَبٍ ، وَشُعْلَةٌ مُتَوَهَّجَةٌ ، إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي تُؤْكَلُ بِالْبَاطِلِ آفَةٌ مُهْلِكَةٌ ، تَأْكُلُ الْأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ وَتَأْتِي عَلَى الْعِضِّ وَالْهَشِيمِ ، هَذَا إِذَا فَنِيَتْ وَزَالَتْ ، وَأَمَّا إِذَا بَقِيَتْ وَدَامَتْ ، وَرَبَّتْ وَنَمَتْ ، وَزَادَتْ وَكَثُرَتْ ،

وَسَبَّ عَلَيْهَا جِسْمُهُ ، وَمَا عَلَيْهَا عَظْمُهُ وَلَحْمُهُ ، فَالْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ لِأَكْلِ الْحَرَامِ ، التَّفْتُوا
 أَيُّهَا الْإِخْوَةُ يَمِينًا وَشِمَالًا تَرَوْنَ إِنَّ أَمْوَالَ النَّاسِ الَّتِي أَكَلْتُمْ حَرَامًا مَا أَغْنَتْ أَكْلِيهَا ، وَمَا أَجَدْتُمْ
 عَلَى غَاصِبِيهَا وَنَاهِبِيهَا ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، أَنْتُمْ عَلَى بُيُوتِهِمْ فَخَرَّجْتُمُهَا ، وَدَكَّكُمُ
 صُرُوحَ عَزِّهِمْ وَمَجْدِهِمْ فَهَدَمْتُمُهَا ، فَلَيْتَ شِعْرِي بِمَاذَا يَكُونُ الْجَوَابُ إِذَا وَقَفُوا غَدًا بَيْنَ يَدَيَّ
 أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَسَأَلْتُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ بِأَيِّ وَجْهِ أَخَذُوهَا ، وَعَلَى أَيِّ دِينٍ اسْتَبَاحُوهَا ،
 وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَنْطِفُونَ إِذَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِمُ الْجَوَارِحُ وَوَاجَهْتُمُ الْأَعْضَاءُ بِالْحَمَائِقِ ، فَقَالَ اللَّسَانُ :
 بِي نَطَقَ كِذْبًا وَبُهْتَانًا ، وَقَالَتِ الْيَدَانِ : بِي أَخَذَ الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَأَنْفَعَهُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ ،
 وَقَالَتِ الرَّجُلَانِ : بِي سَعَى الْأَثِيمُ إِلَى دَارِ الْقَضَاءِ يَطْلُبُ الْإِنْصَافَ ، كَأَنَّهُ مَعْبُودٌ وَمَظْلُومٌ ،
 وَقَالَتِ الرَّجُلَانِ أَيْضًا بِي مَشَى إِلَى الرَّزَا أَوْ اللَّوَاطِ ، أَوْ السَّرِقَةِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْجَرَائِمِ .
 أَكَلِ الْحَرَامِ فَتَشْ حَوَالِيكَ تَجِدُ الْحَرَامَ لَا يَنْفَعُ ، قَلْبَ النَّظَرِ مَلِيًّا تَرَى الْمِطْلُ لَا يَتَقَدَّمُ ،
 تَأْمَلُ قَلِيلًا وَفَكَّرَ فِي الْعَاقِبَةِ ، فَإِنَّ الْعَافِيَةَ تَزُولُ ، أَرْجِعِ النَّظَرَ كُرَاتٍ وَرَدِّدِ الْبَصَرَ مَرَاتٍ ، تُجْبِكَ
 الْحَوَادِثُ بِالْهَجَةِ الْحَبِيرِ ، بِأَنَّ الْعُمَرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ ، وَإِنَّ الْحِسَابَ عَسِيرٌ وَشَدِيدٌ ، وَأَنَّ الْمَوْقِفَ
 رَهَيْبٌ وَشَاقٌ ، وَأَنَّ الْمَصِيرَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ .
 أَيُّهَا النَّاسُ أَيْقِنُوا بِأَنَّ الْأَحْكَامَ الَّتِي تُؤَخِّدُ فِي الدُّنْيَا بِالسَّفْسَفَةِ وَالتَّدْلِيْسِ لَا تَرْفَعُ الْإِثْمَ ، وَلَا
 تَرُدُّ الْعِقَابَ ، لِأَنَّ الْحُكْمَةَ سَتَعَادُ ، وَالشُّهُودَ عَيَانٌ ، وَالْقَضَاءُ بِالْقِسْطِ ، وَالْقَاضِي الْحَكَمُ
 الْعَدْلُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ .
 وَقَالَ : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْحَاجِيَّاتِ الَّتِي تُؤْخَذُ حِلْسَةً وَتُخْتَطَفُ فِي عَفْوَةٍ ، أَوْ تُؤْخَذُ رَغْمًا وَكُرْهًا فِي صَحْوٍ وَيَقْظَةٍ ، بَاقِيَةٌ لِأَصْحَابِهَا سَتَقْضُونَهَا مِنْ حَسَنَاتِكُمْ ، وَتُؤَدُّونَهَا مِنْ مُبْرَاتِكُمْ ، إِنْ كَانَتْ لَكُمْ حَسَنَاتٌ وَمُبْرَاتٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ خَطَايَا أَصْحَابِهَا فَطُرِحَتْ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ تُلْقَوْنَ بِهَا فِي النَّارِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَتَحَرُّوا الْكَسْبِ الطَّيِّبِ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » .

شِعْرًا: خَفِيَ اللَّهُ وَانظُرْ فِي صَحِيفَتِكَ الَّتِي

حَوَتْ كُلَّمَا قَدَّمْتَهُ مِنْ فِعَالِكَا

فَقَدْ خَطَّ فِيهَا الْكَاتِبَانِ فَأَكْثَرَا

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقُولَا فِذَالِكَا

وَوَاللَّهِ مَا تَذَرِي إِذَا مَا لَقَيْتَهَا

أَتَوَضَّعُ فِي يَمْنَاكَ أَوْ فِي شِمَالِكَا

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَبْقَى مُخَلَّدًا

فَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ فَأَبْكَ هَالِكَا

آخِر: إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْمَالُ عَبْدٍ عَنِ الْوَرَى

تَعَلَّقَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُ

فَأَصْبَحَ حُرًّا عِزَّةً وَقِنَاعَةً
 عَلَى وَجْهِهِ أَنْوَارُهُ وَضِيَاءُهُ
 وَإِنْ عَلِقْتَ بِالْخَلْقِ أَطْمَاعَ نَفْسِهِ
 تَبَاعَدَ مَا يَرْجُو وَطَالَ عَنَّاؤُهُ
 فَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ لِلْخَطْبِ وَحَدَهُ
 وَلَوْ صَحَّ فِي خِلِّ الصَّفَاءِ صَفَاؤُهُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّنْتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَمْنَا مِنْ
 سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأُخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَا لَنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ
 عَوْرَاتِنَا وَأَمِّنْ رُوعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا
 وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُعْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي حَكْمِ التَّامِينِ)

اعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ وَجَنَّبْنَا وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مَا
 يَكْرَهُهُ وَلَا يَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا حَدَثَ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ انْتِشَارَ الْوَبَاءِ الْفَتَّاكِ ، مَا
 يُسَمَّى بِالتَّامِينِ عَلَى الْحَيَاةِ وَعَلَى الْأَمْوَالِ ، وَهُوَ عَقْدٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : مُؤَمَّنٌ ، وَالْآخَرُ
 مُؤَمِّنٌ ، يَلْتَزِمُ فِيهِ الْمُؤَمَّنُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى الْمُؤَمِّنِ مَبْلَعًا مِنَ الْمَالِ ، أَوْ شَيْئًا مُرْتَبًّا عِنْدَمَا يَحْصُلُ ضَرَرٌ
 أَوْ حَادِثٌ ، وَذَلِكَ فِي مُقَابِلِ قِسْطٍ أَوْ آيَةٍ دُفَعَةٍ مَالِيَةٍ أُخْرَى يُؤَدِّيهَا الْمُؤَمِّنُ إِلَى الْمُؤَمَّنِ .

وَفِي الْعَالِبِ أَنَّ الَّذِي يَقُومُ بِالتَّامِينِ شَرِكَاتٌ مُسَاهِمَةٌ كَبِيرَةٌ مُهَمَّتُهَا

التي من أجلها أنشئت : التأمين على الحياة فيما زعموا ، وعلى الأموال أي ضمانها ، ودفع ثمنها إذا تلفت ، فانكبت الناس عليها انكبابا عظيما ، ولم يفكروا ولم يفحصوا ، ولم يسألوا عن حلها وحزميتها وضررها ، عاجلا واجلا .

فأما التأمين على الحياة فطريقتهم فيها أنه إذا أراد الإنسان أن يؤمن على حياته فعليه أن يذهب إلى مركز شركة التأمين ويقيمها أنه يريد أن يدفع من الأموال كذا لتضمن له حياته كذا من السنين ، وإذن هي تحضر حكماها البارعين فيما زعمت ويبحثون جسمه بحثا دقيقا ، ثم يعطون الشركة رأيهم في مبلغ صحته عندهم ، وفي سنه التي هو فيها إذ ذاك ، فإذا أحاط رجال الشركة العاملون بمقداره أصدروا أمرهم بضمان حياته عشر سنين ، أو عشرين ، أو ثلاثين ، أو أربعين ، أو خمسين . وليس كل شخص بل المراد عندهم الصحيح ، أما المريض أو من يتعاطى الأشياء التي تجلب الأمراض فيقدر له على قدر حاله فيما يرون ، فإذا انتهت تسلموا أول قسط من الأقساط التي اتفقوا عليها مع المتعاقد .

وهذه الأقساط مع المدة المعلومة تكون مكتوبة في وثيقة يمضي عليها ممثل الشركة والمتعاقد ، ويبد كل منهما نسخة منها ، تكون سندا له على الآخر عند اللزوم ، وتلتزم الشركة في هذه الوثيقة : إن المتعاقد معها لو مات في اليوم الذي حصل فيه العقد تدفع لورثته من بعده ، أو لمن يعينه في الوثيقة - وإن كان لا يقرب له ، ولا له به صلة ، ولو أنه خادم عنده ، أو عند غيره - تدفع مبلغا يوازن أو يزيد عن المبلغ الذي ذكر المتعاقد أنه يدفعه للشركة في المدة المتفق عليها ، لكن يشترط

هؤلاء الوضيعون أن يكون الموت عادياً ، ليس بجناية من الورثة ، ولهذا : الشركة لا تدفع المبلغ بمجرد أن يقال لها : إنه مات ، بل لها أبحاث ومناقشات تطول وتدق ، يكتشفون بها كيف مات ، ربما ينشأ عن هذه الفحوص سبب الميت ولعنه وأعماله وما أرتت وإن قيل لهم ، أو ظنوا أن الموت يراد به الوصول إلى المبلغ المعلوم ، فانظر كيف يعملون . عافانا الله وإياك من أعمالهم .

وعند هؤلاء الوضيعين فيما ذكر أنه لو دفع بعض الأقساط ثم عجز عن الباقي ذهب عليه كل الذي دفعه ، وفيه شروط أخرى ، منها كون الشركة تشتري على نفسها أن تدفع ربحاً خمسة في المائة في حالة استمرار عقد التأمين ، وهذا عقد باطل بلا شك .
ومن ذلك أنها تسليم دراهم مفسطة في دراهم أكثر منها مؤجلة ، قد يتحصل عليها ، وقد تموت عليه في حالة عجزه عن بعض الأقساط ، فحقيقته شراء دين بدین وهو ممنوع ، وشراء دراهم بدراهم أكثر منها وهو ممنوع .

ومن جهة فهي تشبه بيع الأبق الذي لا يصح بيعه ، في حالة جهالة الحصول على العوض المشروط ، وقد يموت عليه مع رأس ماله ، ومع ما فيه من الربا .
وبهذا يتبين أن مسألة التأمين على الحياة هي من المعاملات الفاسدة ، ولمشابهتها لعقد الميسر حقيقة ومعنى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَحَبَّتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَأَزِلْ عَنْهُمْ مَا حَدَثَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ،
وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل : وَأَمَّا التَّأْمِينُ عَلَى الْأَمْوَالِ فَأَنَا أَوْضَحُ لَكَ خَطَرَهُ وَضَرَرَهُ ، وَأُمَثِّلُ لَهُ ، وَأَذْكَرُ مَا
تَيْسَّرُ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ دَفَعَ إِنْسَانٌ إِلَى شَرِكَةِ التَّأْمِينِ مَثَلًا : عَشْرَةَ آلَافِ
رِيَالٍ ، لِتَأْمِينِ بِضَاعَتِهِ الَّتِي قِيمَتُهَا نِصْفُ مِائِيَةٍ ، أَوْ لِتَأْمِينِ مَكْتَبَتِهِ أَوْ مَطْبَعَتِهِ الَّتِي تُسَاوِي
نِصْفَ مِائِيَةٍ مَثَلًا ، ثُمَّ تَلَفَتْ ، فَالزَّائِدَةُ عَلَى مَا دَفَعَهُ لِلشَّرِكَةِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ يُحِلُّ لَهُ ، أَلَيْسَ
يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ بَعْتَ مِنْ أَحِيكَ ثَمْرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ
تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا ، بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَحِيهِ بِعَيْرِ حَقِّ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَإِذَا سَلِمَتْ الْبِضَاعَةُ الْمُؤَمَّنَةُ ، أَوْ الْمَطْبَعَةُ أَوْ الْمَكْتَبَةُ أَوْ الْبَيْتُ ، فَبِأَيِّ وَجْهِ يُحِلُّ لِلشَّرِكَةِ
أَكَلَ مَا دَفَعَهُ لَهَا مُعَسِّطًا أَوْ دَفَعَهُ وَاحِدَةً ، لَا هِبَةً وَلَا مِيرَاثًا وَلَا وَقْفًا ، أَلَيْسَ بِدُونِ مُقَابِلٍ ،
أَلَيْسَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ : وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ مَعَ
الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ : « بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَحِيهِ بِعَيْرِ حَقِّ » أَلَيْسَ هَذَا الْعَمَلُ فِيهِ مِنَ الْعَرْرِ
وَالْجَهَالَةِ مَا لَا يَخْفَى .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْعَرْرِ ، مِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ ، وَهِيَ طَرْحُ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إِلَى الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَلَهُ أَوْ يَنْظُرُ
إِلَيْهِ .

وَنَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَلَامَسَةِ ، وَهِيَ لَمَسُ الرَّجُلِ الثَّوْبَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَنَهَى
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ بَيْعِ الْحِصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْعَرْرِ .

شِعْرًا: لَيْسَ الظَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الحَرَامِ عَفِيفًا
فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهُنَاكَ يُدَى فِي الأَنَامِ ظَرْفًا

وَقَالَ: « لا تَشْتَرُوا السَّمَكِ فِي المَاءِ فَإِنَّهُ عَزْرٌ » وَنَهَى عَنِ بَيْعِ حَبْلِ الحَبْلَةِ .

وَنَهَى عَنِ ضَرْبَةِ العَائِصِ ، وَهُوَ مَا سَيُخْرِجُهُ العَائِصُ ، وَنَهَى عَنِ شِرَاءِ الصَّدَقَاتِ حَتَّى تُقْبَضُ ، وَنَهَى عَنِ بَيْعِ المَعَانِمِ حَتَّى تُقَسَمَ ، وَنَهَى عَنِ بَيْعِ المِضَامِينِ ، وَهُوَ مَا يَنْتُجُ مِنْ أَصْلَابِ فُحُولِ الإِبِلِ الأَصْلِيَّةِ مِنْ نِتَاجِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ العَرَرِ وَالجَهَالَةِ .

وَقَالَ العُلَمَاءُ : وَلا يَجُوزُ بَيْعُ الأَبِقِ وَالسَّارِدِ ، وَلا الطَّيْرِ فِي المَوَاءِ لِأَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ الحُصُولِ وَعَدَمِهِ ، وَكُلُّ هَذِهِ النِّوَاحِي تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ التَّأْمِينِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى دَاخِلٌ فِي القَرْضِ الَّذِي يَجْرُ نَفْعًا وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى فَهُوَ قِمَارٌ ، لِأَنَّ المِتْقَامِرِينَ الأَصْلِيينَ حِينَ المِقَامَرَةِ لا يَدْرِي كُلُّ مَنْهُمَا لِمَنْ تُكُونُ العَلْبَةُ ، حَتَّى يَكُونَ المَالُ الَّذِي اتَّفَقَا أَنْ يَدْفَعَهُ المَقْمُورُ وَهَكَذَا الحَالُ هُنَا وَمَا يُرَى مِنْ أَخْذِ الشَّرِكَةِ مَالِ المِتْعَاقِدِ أَوَّلًا لا عِبْرَةً بِهِ ، فَقَدْ يَنْقَلِبُ الأَمْرُ ، وَتَكُونُ هِيَ الدَّافِعَةُ ، وَكَمَا أَنَّ المِقَامِرَ يَعْتَمِدُ كُلُّ مَنْهُمَا عَلَى حِظِّهِ ، وَبِنْتَظِرُ مَا يَنْكَشِفُ مِمَّا عُيِبَ لَهُ أَوْ لِصَاحِبِهِ ، فَكَذَلِكَ الأَمْرُ هُنَا ، لا مُرَجِّحَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الأُخْرَى فِي الأَخْذِ أَوْ الدَّفْعِ ، وَمَا تَرَاهُ مِنَ الرُّجْحَانِ فِي جَانِبِ الشَّرِكَةِ قَدْ يَنْقَلِبُ مَرْجُوحًا .

وَكََمَا أَنَّ المِشْتَعْلِينَ بِاللَّعِبِ بِالقِمَارِ لم يَعْمَلْ أَحَدُهُمَا عَمَلًا يُفِيدُ صَاحِبَهُ أَي فَائِدَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا المَبْلُغَ الَّذِي يَأْخُذُهُ مِنْهُ لَوْ عَلِبَهُ ، فَالأَمْرُ فِي هَذِهِ الشَّرِكَاتِ وَمَنْ يَتَعَاقَدُ مَعَهَا كَذَلِكَ ، وَكَمَا أَنَّ الدَّفْعَ فِي القِمَارِ يَكُونُ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ الجَانِبُ المَغْلُوبُ فَالأَمْرُ هُنَا كَذَلِكَ .

وَكَمَا أَنَّ الْمَشْتَعِلِينَ يَلْعَبُ الْقَمَارِ ، لَمْ يَعْمَلْ أَحَدُهُمَا عَمَلًا يُفِيدُ مِنْهُمَا ، وَبِنَاءِ عَلَيْهِ يَدْفَعُ الْمَالَ الْمَشْرُوطَ ، فَكَذَلِكَ هُنَا ، تَقُولُ الشَّرِكَةُ لَهُ : إِنْ اخْتَرَقَ الْبَيْتُ ، أَوْ الْمِسْتَوْدَعُ ، أَوْ الْمَكْتَبَةُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، أَخَذْتُ مِنْي قِيمَتَهُ بِالْعَمَّا مَا بَلَغَ ، وَإِنْ لَمْ يَخْتَرِقْ ، أَسْتَمِرُّ أَنَا أَخَذَهَا مَا تَدْفَعُهُ لِي ، إِنْ كَانَ مُقَسَّطًا ، فِي مُقَابِلِ ذَلِكَ الضَّمَانِ .

وَكَمَا أَنَّ الْمُتَقَامِرِينَ يَكُونُ كُلُّ مِنْهُمَا فِي وَجَلٍ مِنْ ظُهُورِ الْعَلْبَةِ فِي جَانِبِ صَاحِبِهِ وَيُسْرُ كُلِّ السُّرُورِ ، وَإِذَا ظَهَرَتْ نَتِيجَةُ اللَّعِبِ فِي نَاحِيَّتِهِ كَذَلِكَ الْحَالُ هُنَا ، فَالشَّرِكَةُ مَا دَامَ هَذَا الْمَعْرُورُ - الَّذِي هُوَ صَاحِبُهَا - يَدْفَعُ ، وَفِي جَانِبِهَا الْاطْمِئِنَانُ عَلَى الْمَنْزِلِ فِي سُرُورٍ ، إِلَّا أَنَّهَا مِنْ نَاحِيَّةٍ أُخْرَى مَمْلُوءَةٌ رُغْبًا وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَطْرَأَ الطَّارِئُ الْمِخْوَفُ الَّذِي بِهِ تُصْبِحُ مُكَلَّفَةٌ بِدْفَعِ الضَّمَانِ ، وَالْمِتْعَاقُدُ دَائِمًا فِي أَلَمٍ وَهَمٍّ ، مِنْ دَفْعِهِ مَا هُوَ مُكَلَّفٌ نَفْسَهُ بِهِ ، لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فِي مَظْهَرِ الْمَغْلُوبِ ، لَكِنْ لَوْ حَدَثَ بِالْمَنْزِلِ حَرِيقٌ يُفْرِغُهُ لَوْ حَصَلَ وَلَا ضَمَانَ - تَرَاهُ فِي مُنْتَهَى الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ، لِأَنَّهُ فِي اِطْمِئِنَانٍ عَلَى قِيمَةِ الْمَنْزِلِ ، كَأَنَّهَا فِي جَيْبِهِ ، وَعَلَى كُلِّ فَإِنْ غَلِبَتِ الشَّرِكَةُ فَهِيَ تَغْلِبُ مَرَاتٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ، وَأَيْضًا فَالشَّرِكَةُ غَالِيًا تُعَامِلُ بِالرِّبَا ، لِأَنَّهَا تُعْطِي الْأَمْوَالَ بِفَوَائِدَ ، فَالْمَالُ بِاخْتِلَاطِهِ بِالْأَمْوَالِ الرَّبَوِيَّةِ ، وَبِاسْتِعْمَالِهِ فِي الرِّبَا أَصْبَحَ خَبِيثًا مَلُوثًا ، ثُمَّ بَرِدَ مَبْلَغٍ مِنَ الرِّبَا مِنَ الْمَبْلَغِ الْأَصْلِيِّ ، يَزِيدُ خُبْنًا عَلَى خُبْنِهِ ، فَيَكُونُ الدَّافِعُ لِلشَّرِكَةِ - الَّذِي هُوَ الْمُؤَمَّرُ - قَدْ أَعَانَ عَلَى فُتُوِّ الرِّبَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

شِعْرًا : زِيَادَةُ الْمَالِ مِنْ رِنِحِ الْبُنُوكِ وَمَا ضَاهَى الْبُنُوكِ مِنَ الْأَرْبَاحِ خُسْرَانٍ
فَاحْذَرِ مَكَاسِبَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا وَرَعٍ فِي الْحَلَالِ لِأَهْلِ الدِّينِ غُنْيَانٍ

آخر: فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الرَّبَّاءَ فَلَدَرِهِمْ أَشَدُّ عِقَابًا مِنْ زَنَّاكَ بِنَهْدِ
وَتُمَحَقُّ أَمْوَالَ الرَّبَّاءِ وَإِنْ نِمْتِ وَيَرْتَبُو قَلِيلَ الْمَالِ فِي صِدْقِ مَوْعِدِ
آخر: وَقَائِلَةٌ مَا لِي أَرَاكَ مُجَانِبًا أُمُورًا وَفِيهَا لِلتَّجَارَةِ مُرْبِحُ
فَقُلْتُ لَهَا كُفِّي مَلَامَكَ وَاسْمِعِي فَنَحْنُ أَنْاسٌ بِالسَّلَامَةِ نَفْرَحُ

اللَّهُمَّ نَبَتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوَّهَا وَوَفَّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارزُقْنَا التَّاهِبَ وَالاسْتِعْدَادَ
لِلْقَائِكَ وَاجْعَلْ خِتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَأَمَّا التَّأْمِينُ عَلَى السِّيَّارَاتِ وَحَوَادِثِهَا فَهُوَ أَعْظَمُ خَطَرًا ، وَأَكْثَرُ جَهَالَةً مِنْ مَا مَثَّلْنَا فِيهِ (أَوْلًا) : لِأَنَّ السِّيَّارَةَ كَمَا يَأْتِي يَفُوتُ فِيهَا نُفُوسٌ وَأَمْوَالٌ لَا تَقَعُ فِي الْحُسْبَانِ ، وَصِفَةُ التَّأْمِينِ لَهَا : هُوَ أَنْ يَتَّفِقَ الشَّخْصُ الَّذِي يُرِيدُ التَّأْمِينَ لَهَا مَعَ شَرِكَةِ التَّأْمِينِ ، سَوَاءً كَانَ كَامِلًا أَوْ ضِدَّ الْغَيْرِ أَوْ الْعِيَارِ ، فَيَدْفَعُ قَدْرًا مَعْلُومًا مِنَ الْمَالِ عَلَى تَأْمِينِهَا مُدَّةً مَعْلُومَةً بِشُرُوطٍ وَالتَّزَامَاتِ مَعْلُومَةٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ ، وَمَهْمَا حَصَلَ عَلَى هَذِهِ السِّيَّارَةِ الْمُؤَمَّنَةِ مِنْ إِصَابَاتٍ أَوْ أَصَابَتْ غَيْرَهَا ، وَغَرِمَ صَاحِبُهَا أَمْوَالًا بِسَبَبِ مَا أَتْلَفَتْ مِنْ نُفُوسٍ وَأَمْوَالٍ ، أَوْ تَلَفَ بِهَا فِي خِلَالِ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْمُتَعَاقِدِ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ شَرِكَةَ التَّأْمِينِ مُلْزَمَةٌ بِضَمَانِهِ ، بِالْعَا فِيهَا مَا بَلَغَ فَمَثَلًا لَوْ أَمَّنَ سَيَّارَتَهُ الْكَبِيرَةَ بِخَمْسَةِ آلَافٍ ، وَتَلَفَ فِيهَا مِائَةٌ نَفْسٍ ، وَاحْتَرَقَتْ هِيَ ، وَبِهَا نُفُودٌ كَثِيرَةٌ احْتَرَقَتْ مَعَهَا ، فَالشَّرِكَةُ مُلْزَمَةٌ بِضَمَانِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَالزَّائِدُ عَلَى خَمْسَةِ آلَافٍ مِنْ دِيَّاتٍ وَأَمْوَالٍ مَا الْمَسْوَغُ لِصَاحِبِهَا أَنْ يَأْخُذَهُ مِنَ الشَّرِكَةِ ؟ أَلَيْسَ بِدُونِ مُقَابِلٍ ؟ وَقَدْ مَرَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ، وَالْأَحَادِيثُ

الشَّرِيفَةُ فِي الْفَصْلِ الَّذِي قَبْلَ هَذَا فَنَكْتَفِي بِذَلِكَ عَنِ التَّكْرَارِ وَالْإِطَالَةِ وَبِالنَّالِي فَلَوْ لَمْ يَحْصُلْ مِنْ أَضْرَارِ التَّأْمِينِ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ لِسَيَّارَاتِهِمْ أَدَّى بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَهَوَّرُوا فِي السُّرْعَةِ فِي السِّيَاقَةِ لِلْسِّيَّارَةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الشَّرِكَةَ سَتَقُومُ بِدَفْعِ مَا نَتَجَّ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ اقْتَدَى بِهِمْ غَيْرُهُمْ فِي السُّرْعَةِ فَحَصَلَ بِذَلِكَ أَضْرَارٌ عَظِيمَةٌ لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ لَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ عَامِكُمْ وَفَاتَ ، وَتَقَصَّصْتَ أَيَّامَهُ وَلِيَالِيهِ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ كُونَ فِي اللَّذَاتِ ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَضَرَّمَتْ مِنْهُ الْأَوْقَاتُ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا خَطَبَكُمُ لِسَانُ حَالِهِ بِزَوَاجِرِ الْعِظَاتِ ، وَمَا أَطْوَلَ مَا نَادَى بِكُمْ مُنَادِي الشَّتَاتِ .

أَبِي أَيْبِنَا نَحْنُ أَهْلُ مَنْزِلِ

أَبَدًا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعِيقُ

آخر: يُسَاقُ بَنِي الدُّنْيَا إِلَى الْحَتْفِ عَنَوَةً وَلَا يَشْعُرُ الْبَاقِي بِحَالَةِ مَنْ
كَانَتْهُمْ الْأَنْعَامُ فِي جَهْلِ بَعْضِهَا بِمَا تَمَّ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ عَلَى بَعْضِ

فَطُوبَى لِمَنْ تَدَارَكَ الْهَفْوَاتِ ، وَبُشْرَى لِمَنْ لَازَمَ تَقْوَى اللَّهِ ، وَعَمِلَ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَهَنِيئًا لِمَنْ أَذْهَبَ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ ، وَيَا خَيِّبَةً مَنْ شَعَلَتْهُ الْمِلاهي وَالْمِنْكَرَاتِ عَنْ طَاعَةِ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ ، وَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ آخِرَتَهُ بِحَسْبِيسِ دُنْيَاهُ ، وَحَسْرَةً لَهُ يَوْمَ ﴿ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ وَتَعَسًا وَجَدَعًا لَهُ ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

هُوَ الْمَوْتُ مَا مِنْهُ مَلَاذٌ وَمَهْرَبٌ مَتَى حُطَّ عَنْ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ

نُشَاهِدُ ذَا عَيْنِ الْيَقِينِ حَقِيقَةً
عَلَيْهِ مَضَى طِفْلٌ وَكَهْلٌ وَأَشْيَبُ
وَلَكِنْ عَلا الرِّانُ الْقُلُوبَ كَأَنَّنا
بِمَا قَدْ عَلِمْنَاهُ يَقِينًا نَكْذِبُ
نُؤْمِلُ آمَالًا وَنَرْجُو نِتَاجَهَا
وَعَلَّ الرِّدَى مِمَّا نُرَجِّيه أَقْرَبُ
وَنَبْنِي الْقُصُورَ الْمُشْمَخِرَاتِ فِي الْهَوَى
وَفِي عَلِمْنَا أَنَّا نَمُوتُ وَتَخْرَبُ
وَنَسْعَى لِجَمْعِ الْمَالِ حِلًا وَمَأْتَمًا
وَبِالرَّغْمِ يَحْوِيهِ الْبَعِيدُ وَأَقْرَبُ
نَحَاسِبُ عَنْهُ دَاخِلًا ثُمَّ خَارِجًا
وَفِيمَا صَارْفَنَاهُ وَمِنْ أَيْنَ يُكْسَبُ
وَيُسْعَدُ فِيهِ وَارِثٌ مُتَعَقِّفٌ
تَقِيٌّ وَيَشْقَى فِيهِ آخِرٌ يَلْعَبُ
وَأَوَّلُ مَا تَبْدُو نَدَامَةً مُجْرِمِ
إِذَا اشْتَدَّ فِيهِ الْكَرْبُ وَالرُّوحُ تُجَذَّبُ
وَيُشْفِقُ مِنْ وَضْعِ الْكِتَابِ وَيَمْتَنِي
لَوْ أَنَّ رُدَّ لِلدُّنْيَا وَهِيَ هَاتِ مَطْلَبُ
وَيَشْهَدُ مِنْ كُلِّ عَضْوٍ بِفِعْلِهِ
وَلَيْسَ عَلَى الْجَبَّارِ يَخْفَى الْمُغَيَّبُ
إِذَا قِيلَ أَنْتُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ فَمَا الَّذِي
عَمِلْتُمْ وَكُلُّ فِي الْكِتَابِ مُرْتَبُ

وَمَاذَا كَسَبْتُمْ فِي شَبَابٍ وَصِحَّةٍ
 وَفِي عُمْرٍ أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تُحَسَّبُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا نَقُولُ وَمَا الَّذِي
 نُجِيبُ بِهِ وَالْأَمْرُ إِذْ ذَاكَ أَصْعَبُ
 إِلَى اللَّهِ نَشْكُو قَسْوَةَ فِي قُلُوبِنَا
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَعِظُ الْمَوْتِ يَنْدُبُ
 وَلِلَّهِ كَمُ غَادٍ حَيْبٍ وَرَائِحِ
 نُشَيِّعُهُ لِلْقَبْرِ وَالسَّمْعُ يَسْكُبُ
 أَخٍ أَوْ حَمِيمٍ أَوْ تَقِيٍّ مَهْدَبُ
 يُوَاصِلُ فِي نَصْحِ الْعِبَادِ وَيَذَابُ
 نُهُيْلُ عَلَيْهِ الثَّرْبَ حَتَّى كَانَهُ
 عَادُوٌّ وَفِي الْأَحْشَاءِ نَارٌ تَلْهَبُ
 وَمَا الْحَالُ إِلَّا مِثْلُ مَا قَالَ مَنْ مَضَى
 وَبِالْجُمْلَةِ الْأَمْثَالُ لِلنَّاسِ تُضْرَبُ
 لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيَّيْنِ فِرْقَةٌ
 وَلَوْ بَيْنَهُمْ قَدْ طَابَ عَيْشٌ وَمَشْرَبُ
 وَمَنْ بَعْدَ ذَا حَشْرٍ وَنَشْرٍ وَمَوْقِفُ
 وَيَوْمٌ بِهِ يُكْسَى الْمَذَلَّةُ مُذْنَبُ
 إِذَا فَرَّ كُلٌّ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
 كَذَا الْأُمُّ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهِ وَلَا الْأَبُ
 وَكَمْ ظَالِمٍ يَدْمِي مِنَ الْعَضِّ كَفُّهُ
 مَقَالَتُهُ يَا وَيْلَتِي أَيْنَ أَذْهَبُ

إِذَا افْتَسَمُوا أَعْمَالَهُ غُرْمَاؤُهُ
 وَقِيلَ لَهُ هَذَا بِمَا كُنْتَ تَكْسِبُ
 وَصُكِّ لَهْ صَكُّ إِلَى النَّارِ بَعْدَمَا
 يُحَمَّلُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ وَيُعَذَّبُ
 وَكَمْ قَائِلٍ وَاحْسَرَتَا لَيْتَ أَنَّنَا
 نُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا نُنِيبُ وَنَرْهَبُ
 فَحُثُّوا مَطَايَا الإِرْتِحَالِ وَشَمِّرُوا
 إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الَّتِي لَيْسَ تَخْرُبُ
 فَمَا أَقْرَبَ الآتِي وَأَبْعَدَ مَنْ مَضَى
 وَهَذَا غُرَابُ البَيْنِ بِالدَّارِ يُنْعَبُ
 وَصَلِّ إِلَهِي مَا هَمَا الودُقُ أَوْ شَدَا
 عَلَى الأَيْكِ سَجَّاعِ الحَمَامِ المُطَرَّبِ
 عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ وَالآلِ كُلِّهِمْ
 وَأَصْحَابِهِ مَا لَاحَ فِي الأُفُقِ كَوَكَبُ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَالْقَدِيرَ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ
 نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الإِيمَانِ وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
 المُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الغِشِّ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ وَالتَّحْذِيرُ عَنْهُ
 وَإِنْكَارُهُ ، الغِشُّ وَالحِدَاغُ فِي المَعَامَلَاتِ

فإنَّ الإسلامَ يُجرِّمُ ذلكَ بِكُلِّ صُورَةٍ ، فِي بَيْعٍ وَشِرَاءٍ وَفِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَعَامَلَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَالْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ بِالنِّزَامِ الصَّدَقِ فِي كُلِّ شَأْنِهِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الدِّينِ أَغْلَا مِنْ كُلِّ كَسْبٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

وَقَالَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ : « الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورُكٌ لُهُمَا فِي بَيْعِهَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكُنْتَمَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُ بَيْنَهُمَا » وَمَرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَأَعْجَبَهُ ظَاهِرُهُ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، فَرَأَى بَلَاءً فَقَالَ : « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ » ؟ قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (أَي الْمَطَرِ) فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَهَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ مَرَّ بِطَعَامٍ وَقَدْ حَسَنَتْهُ صَاحِبُهُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ ، فَإِذَا طَعَامٌ رَدِيءٌ ، فَقَالَ : « بَعْ هَذَا عَلَيَّ حِدَةً ، وَهَذَا عَلَيَّ حِدَةً مِنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

فَانظُرْ بِمَاذَا حَكَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ مِنْ غَشٍّ فِي الطَّعَامِ ، وَالطَّعَامُ مَادَةٌ يَنْفَضِي أَثَرُهَا بِسُرْعَةٍ ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَالْإِيمَانُ الصَّحِيحُ الْكَامِلُ يَنْفَضِي الصَّدَقَ وَالْإِخْلَاصَ ، وَالتَّقْوَى وَالنُّصْحَ ، وَأَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .

فَإِذَا سَأَلْتَ إِنْسَانًا مُؤْمِنًا عَنْ حَالِ رَجُلٍ وَأَخْلَاقِهِ ، وَأَمَانَتِهِ ، وَدِينِهِ ، فَأَجِبْتَهُ بِغَيْرِ مَا تَعْرِفُ وَتَعْلَمُ ، كَأَنْ كَانَ فَاسِقًا فَقُلْتُ : إِنَّهُ صَالِحٌ ، أَوْ كَانَ صَالِحًا فَقُلْتُ : إِنَّهُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، فَقَدْ غَشَّشْتَهُ . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » ، وَإِذَا سَأَلْتَ أَخُوكَ الْمُؤْمِنُ عَنْ امْرَأَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، تَعْرِفُهَا ،

وَتَعَلَّمَ صِفَاتِهَا ، وَأَخْلَاقَهَا وَأَهْلِهَا ، فَلَمْ تَصْدِفْهُ الْحَقِيقَةَ ، وَلَمْ تَذْكُرْ لَهُ الْحَقَّ الَّذِي تَعْرِفُهُ ، فَعُلْتَ لَهُ : إِنَّ شَكْلَهَا جَمِيلٌ ، وَهِيَ قَبِيحَةٌ ذَمِيمَةٌ ، أَوْ قُلْتَ لَهُ : ذَمِيمَةٌ ، وَهِيَ جَمِيلَةٌ ، أَوْ أَجَبْتَهُ أَنَّ أَخْلَاقَهَا وَسِيرَتَهَا غَيْرُ حَمِيدَةٍ وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَقَدْ كَذَبْتَ وَعَشَشْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْخَائِنِينَ وَإِذَا سَأَلَكَ أَخُوكَ عَن تَاجِرٍ وَمُعَامَلَتِهِ لِلنَّاسِ فَقُلْتَ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَعَمِيتَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَمَدَحْتَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ بِذَلِكَ جَمَعْتَ بَيْنَ الْغِشِّ وَالْكَذِبِ .

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغِشِّ لِلنَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمِجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْإِثْيَانُ بِكُفَارِ خَدَّامِينَ أَوْ سَوَاقِينِ أَوْ طَبَّاحِينَ أَوْ خِيَّاطِينَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَأْلُونَ جُهْدًا عَنِ السَّعْيِ فِي ضَرْرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فَيَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ مَهْمَا أَمَكَنَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

شِغْرًا حَتَّى مَتَى لَا تَرَى عَدْلًا تُسِرُّ بِهِ وَلَا تَرَى لِدَعَاةِ الْحَقِّ أَعْوَانًا

مُسْتَمْسِكِينَ بِحَقِّ قَائِلِينَ بِهِ إِذَا تَلَّوْنَ أَهْلَ الشَّرِّ أَلْوَانًا

يَا لِلرِّجَالِ لِدَاءٍ لَا دَوَاءَ لَهُ وَقَائِدُ الْقَوْمِ أَعْمَى قَادَ عُيَيْنَانَا

آخِرُ : بَدَلْتُ لَهُمْ نُصْحِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْعَدِ

آخِرُ : لَقَدْ أَبَاكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ

مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْفَعُ

وَمَحَلُّ ذَلِكَ كُلِّهِ فِيمَا تَقَدَّمَ إِذَا كَانَ السَّائِلُ لَهُ مَصْلَحَةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَنْ يَسْأَلُكَ عَنْهُمْ ، فَيَلْزِمُكَ دِيَانَةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ أَنْ تَصْدِفَهُ الْحَبْرَ ، وَأَنْ تَبْدَلَ لَهُ النَّصِيحَةَ خَالِصَةً لِرُؤُوسِهِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَمَّا إِذَا كَانَ السَّائِلُ مِنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَيَتَّبِعُونَ عَوْرَاتِهِمْ وَهَفْوَاتِهِمْ لِلتَّشْهِيرِ بِهِمْ ، وَالْقَدْحِ فِي أَعْرَاضِهِمْ وَتَنْقُصِهِمْ فَلْيَكُنْ جَوَابَكَ لَهُ عَلَى كُلِّ سُؤَالٍ ، قَوْلَ النَّبِيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . وَقُلْ لَهُ : الْأَوْلَى بِكَ أَنْ تُفْتَشَ عَلَى نَفْسِكَ وَعُيُوبِهَا ، وَتَسْعَى فِي إِصْلَاحِهَا وَاحْذَرُ أَنْ تَتَّصِفَ بِمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

شَرُّ الْوَرَى مَنْ بَعِبَ النَّاسَ مُشْتَعِلًا

مِثْلُ الدُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ الْعَالِ

وَاعْمَلْ بِمَا قَالَ الْآخَرُ :

عَلَيْكَ نَفْسَكَ فَتَشْ عَنِ مَعَائِبِهَا

وَخَلَّ مِنْ عَثَرَاتِ النَّاسِ لِلنَّاسِ

وَإِذَا كَانَ الْغِشُّ - وَهُوَ تَقْدِيمُ الْبَاطِلِ فِي تَوْبٍ مِنَ الْحَقِّ - يَكُونُ فِي الرَّأْيِ وَالْعَمَلِ ، وَالْفَتْوَى وَالْإِرْشَادِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالْوُضُوفَةِ ، فَإِنَّ غِشَّ الطَّعَامِ فِي الْإِفْسَادِ أَقْلُ بِدَرَجَاتٍ مِنَ الْغِشِّ فِي هَذِهِ التَّوَاجِيهِ ، الْمُمْتَدِّ أَثَرُهَا الشَّامِلُ ضَرَرُهَا ، وَهَذَا لَمَّا كَانَ السَّلْفُ يَفْهَمُونَ مَدَى ضَرَرِ الْغِشِّ ، وَيُطَبِّقُونَ أَحَادِيثَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانُوا يُبَيِّنُونَ مَا فِي الْمَبِيعِ مِنْ عَيْبٍ وَلَا يَكْتُمُونَ ، وَيَصْدُقُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ ، وَيَنْصَحُونَ وَلَا يَعُشُونَ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَجِلُّ لَامِرِيٍّ مُسْلِمٍ يَبِيعُ سِلْعَةً يَعْلَمُ بِهَا دَاءً إِلَّا أَخْبَرَ بِهِ » .

وَبَاعَ ابْنُ سِيرِينَ شَاءً ، فَقَالَ لِلْمُشْتَرِي : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَيْبٍ فِيهَا ، إِنَّهَا تَقْلِبُ الْعَلْفَ بِرِجْلِهَا ، وَبَاعَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ جَارِيَةً فَقَالَ لِلْمُشْتَرِي : إِنَّهَا مَرَّةً عِنْدَنَا تَنْخَمَتُ دَمًا ، وَمَعَ هَذَا يَأْتِي ضَمِيرُ الْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَذْكَرَ الْعَيْبَ وَإِنْ نَقَصَ الشَّمُّ ، وَتَتَأَكَّدُ الْحُرْمَةُ إِذَا قَوَى غِشَّهُ بِبَيْعٍ كَاذِبَةٍ ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَلْفُ مَنَفَعَةٌ لِلسَّلْعَةِ مَحَقَّةٌ لِلْبَرَكَةِ » .

شِعْرًا : كُلُّ وَاشْرَبَ النَّاسَ عَلَى خِبْرَةٍ فَهُمْ يَمُرُّونَ وَلَا يَعْدُبُونَ

وَلَا تُصَدِّفُهُمْ إِذَا حَادُّوا فَإِنِّي أَعَهْدُهُمْ يَكْذِبُونَ

وَإِنْ أَرَوْكَ الْوَدَّ عَنِ حَاجَةٍ ففِي حِبَالٍ لَهُمْ يَجْذِبُونَ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَأَكْفِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : عِبَادَ اللَّهِ قَدْ أَصْبَحَ الْغِشُّ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاعَةِ رُكْنًا وَيَنْدُرُ وُجُودُ بَائِعٍ غَيْرِ غَاشٍ ، فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي سَادَ فِيهِ الْغِشُّ وَعَمَّ وَطَمَّ ، وَقَلَّ فِيهِ الرَّدْعُ ، وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِي الْعَشَّاشِينَ ، أَنْ يَتَحَفَّظَ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ مِنْ تَحْفُظٍ ، وَيَنْتَبِهَ كُلَّ الْإِنْتِبَاهِ لِكَلَامِهِمْ ، وَحَرَكَاتِهِمْ ، وَسَكَنَاتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُرِقَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَلِهَذَا يَجِدُ رِجَالًا يُقْبَلُونَ عَلَى الْبَاعَةِ ، وَهُمْ قَلِيلُوا الْخَيْرَةَ ، سَرِعُوا التَّصَدِيقَ لِمَا يُقَالُ لَهُمْ ، فَيَلْعَبُ بِهِمْ هَؤُلَاءِ الْعَشَّاشُونَ وَيَسْتَعْلُونَ سَدَاجَتَهُمْ فِي كَسْبِ مُضَاعَفٍ ، أَوْ تَعْطِيَةِ عَيْبٍ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَحَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ » .

وَلَعَلَّكَ فَهَمْتَ بِمَا سَبَقَ أَنَّ الْغِشَّ لَيْسَ مَحْضُورًا فِي السُّوقِ بَلْ يَقَعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُ فِي السُّوقِ ، لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْعُقُودِ غَالِبًا ، الْمُهْمُ أَنَّكَ تَتَحَفَّظُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَشَّاشِينَ السُّرَّاقِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا سُرَّاقًا لِأَنَّ السَّرْفَةَ الْأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِفَاءِ ، وَهُوَ مُنْطَبِقٌ عَلَى الْعَشَّاشِ .

تَذْهَبُ إِلَى الْمَأْكُولِ أَوْ الْمَشْرُوبِ ، أَوْ مَا يَجْعَلُ فِي أَحَدِهِمَا ، فَتَجِدُ أَعْلَاهُ نَظِيمًا مُنْفَى ، تَشْتَأِقُ إِلَى شِرَائِهِ ، وَعِنْدَمَا تَأْخُذُهُ وَتُسَلِّمُ الْفُلُوسِ ، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ بِدَقَّةٍ بَجْدِهِ مُخْتَلِفًا عَمَّا نَظَرْتَ إِلَيْهِ أَوَّلًا ، بِرَدَاءَةٍ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ إِلَى بَاعَةِ الْمَلَابِسِ قَدَّمَ لَكَ الْبَائِعُ ثَوْبًا رَدِيئًا بِاسْمِ أَجُودِ الْمَلَابِسِ ، وَيُعَلِّمُكَ بِثَمَنِ زَائِدٍ جَدًّا عَنْ ثَمَنِهِ الْحَقِيقِيِّ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ

مُنْتَبِهًا وَصَدَقْتَ الْبَائِعِ كُنْتَ مَسْرُوفًا بِذَلِكَ الْفَرْقِ الْكَبِيرِ ، وَإِنْ نَاقَشْتَهُ الْقَوْلَ عَاجَلَكَ بِأَعْلَظِ
الْإِيمَانِ بَأَنَّهُ يَنْتَقِي لَكَ الْجَيِّدَ لِيَخْدِمَكَ وَلِتَتَعَرَّفَ بِمَحَلِّهِ لِتَكُونَ زَبُونًا لَهُ ، حَتَّى رُبَّمَا لَا تَشْكُ فِي
أَنَّهُ صَادِقٌ مِنْ كَثْرَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي لَفَظَهَا فُوهُ ، وَسَوَدَ بِهَا صَحِيفَتَهُ ، وَإِذَا أَتَيْتَ إِلَى تَاجِرِ الدَّقِيقِ
حَلَفَ لَكَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْبُرِّ ، وَهُوَ مَجْمُوعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَبُرٍّ مُنْحَشٍ ، قَدْ أَكَلَ الدُّودُ لُبَّهُ ،
أَلَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا شَاهِدٌ رَقِيبٌ ، وَأَنَّهُ أَعَدَّ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْعَشَّاشِينَ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ إِنْ لَمْ
يَتُوبُوا إِلَيْهِ ، وَتَاجِرُ الْمَاشِيَةِ بَجْدُ حَوْلِهِ لَفِيضًا مِنَ النَّجَّاشِينَ الَّذِينَ يَكْتَنِفُونَ الْمُشْتَرِيَّ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ فَهَذَا يَزِيدُ كَاذِبًا ، وَذَلِكَ يَحْلِفُ آثِمًا ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي الشَّرْكَ الْمَسْكِينُ ، إِذَا كَانَ شَارِبًا ،
أَمَّا إِذَا كَانَ بَائِعًا زَهُدُوهُ فِيمَا يُرِيدُ بَيْعَهُ ، وَأَحَاطُوا بِهِ وَكُلُّ يُرَدُّلُ سِلْعَتُهُ مِنْ جِهَةٍ ، إِلَى أَنْ
تَسْقُطَ مِنْ عَيْنِ صَاحِبِهَا فَيَبِيعُهَا لَهُمْ بِثَمَنِ بَخْسٍ .

وَإِذَا أَتَيْتَ إِلَى بَائِعِ الْخُضْرِ وَجَدْتَ الْأَعْلَى زَيْنًا وَالْوَسْطَ فَاسِدًا مُمَرِّضًا لِلْبَدَنِ ، وَتَدَخَّلُ إِلَى
مَنْ عِنْدَهُ السَّمْنُ وَالرُّبْدُ وَالْعَسَلُ فَيَبِيعُكَ بِاسْمِ الْجَيِّدِ ، وَإِذَا عَرَضْتَهُ عَلَى أَهْلِ الْخَبْرَةِ أَهْلِ
الصَّنْفِ قَالُوا لَكَ : هَذَا غَيْرُ الَّذِي تُرِيدُ ، أَوْ مَخْلُوطًا مَعَهُ غَيْرُهُ . وَمِثْلُهُ الْقَهْوَةُ الْحَمُوسَةُ يَخْلُطُونَ
مَعَهَا غَيْرَهَا .

وَإِذَا ذَهَبْتَ إِلَى مَبِيعِ السِّيَّارَاتِ رَأَيْتَ مَا يُرْعَجُكَ وَيُشْتَّتُ ذَهْنَكَ مِنْ كَثْرَةِ النَّجَّاشِينَ
وَالْعَشَّاشِينَ الْمُعَمِّينَ لِلْعُيُوبِ الَّذِينَ قَدْ مَهَرُوا فِي الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالْمَلَقِ وَالنَّفَاقِ .
وَإِذَا أَتَيْتَ أَهْلَ الْأَوَانِي وَالْعَضَارِ وَالصَّنَادِيقِ وَجَدْتَ الْأَصْبَاغَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ لِتَعْطِيَةِ الْعَيْبِ عَنِ
الْمُشْتَرِي .

وَإِذَا ذَهَبْتَ إِلَى أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ وَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ عِنْدَهُ مِنَ الْعِشِّ

وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا بَيْنَ نَجَارِ وَحَدَادِ ، وَخِيَاطِ وَصَبَّاغِ ، وَصَائِغِ وَطَبَّاحِ ، وَسَبَّاكِ وَبَنَاءِ ، وَنَقَّاشِ وَخَزَّازِ ، وَسَاعَاتِي وَحَبَّاكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، كُلُّهُمْ فِي حِرْصِ تَامٍ عَلَى أَخْذِ الْفُلُوسِ ، وَلَوْ بِلا عَمَلٍ يُقَابِلُهُ . فَانْتَبِهْ هُمْ .
وَإِنْ ذَهَبَتْ إِلَى بَائِعِي مَوَادِّ الْبِنَاءِ وَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ عِنْدَهُ مِنْ أَلْوَانِ الْغِشِّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ، يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْحَبِيرَةِ بِذَلِكَ .

وَهَذَا صَارَ جَوْ التَّجَارَةِ ، الْمِهْنَةِ الشَّرِيفَةِ ، الَّتِي لَوْ صَدَقَ صَاحِبُهَا لَحَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَهُ جَوًْا وَبَيْتًا ، مُشَبَّعًا بِالْكَذِبِ وَالْإِيمَانِ الْآثِمَةِ ، مَلِيًّا بِالتَّعْرِيرِ ، وَالْغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ ، وَإِخْفَاءِ الْعُيُوبِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِي أَهْلِ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ ، وَالْمُقَاوِلِينَ وَغَيْرَهُمْ وَمِنْ أَلْوَانِ الْغِشِّ تَطْفِيفُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، وَقَدْ اِهْتَمَّ الْقُرْآنُ بِهَذَا الْجَانِبِ مِنَ الْمُعَامَلَةِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ وَصَايَاهُ الْعَشْرِ فِي آخِرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَلِّ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وَلَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو قَوْمَهُ أَوَّلًا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَيُسَبِّحُهُ بِالنَّهْيِ وَالتَّحْذِيرِ عَنْ نَقْصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ مُبَيِّنًا أَنَّ ذَلِكَ إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

شِعْرًا: يَا مُنْفِقَ الْعُمْرِ فِي حِرْصٍ وَفِي طَمَعٍ
إِلَى مَتَى قَدْ تَوَلَّى وَانْقَضَى الْعُمْرُ
إِلَى مَتَى ذَا التَّمَادِي فِي الضَّلَالِ أَمَّا
تَشْيِئِكَ مَوْعِظَةً لَوْ يَنْفَعُ الذُّكْرُ
بَادِرٌ مَتَابًا عَسَى مَا كَانَ مِنْ زَلِيلٍ
وَمَا افْتَرَفَتِ مِنَ الْآثَامِ يُعْتَفَرُ
وَجَنَّبَ الْحِرْصَ وَاتْرَكَهُ فَمَا أَحَدٌ
يَنَالُ بِالْحِرْصِ مَا لَمْ يَعْطِهِ الْقَدْرُ
وَلَا تُؤْمَلُ لِمَا تَرْجُو وَتَحْذَرُهُ
مَنْ لَيْسَ فِي كَفِّهِ نَفْعٌ وَلَا ضَرْرٌ
وَفَوْضِ الْأَمْرِ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِدًا
عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَا تَأْتِي وَمَا تَنْدُرُ
وَاحْذَرِ هُجُومَ الْمَنَائِيَا وَاسْتَعِدِّي لَهَا
مَا دَامَ يُمَكِّنُكَ الْإِعْدَادُ وَالْحَازِلُ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَرِزْقًا وَاسِعًا نَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ ، وَقَلْبًا خَاشِعًا ،
وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَإِيمَانًا خَالِصًا ، وَهَبْ لَنَا إِنَابَةَ الْمُخْلِصِينَ ، وَخُشُوعَ الْمُخْبِتِينَ ، وَأَعْمَالَ
الصَّالِحِينَ ، وَيَقِينَ الصَّادِقِينَ ، وَسَعَادَةَ الْمُتَّقِينَ ، وَدَرَجَاتِ الْفَائِزِينَ ، يَا أَفْضَلَ مَنْ رُحِي وَقْصِدَ
، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

وَأَعْلَمُ أَنَّ انْتِقَاصَ الْحُقُوقِ عَلَى أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ أَسَاسٌ كَبِيرٌ لِزَعْرَعَةِ الثَّقَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ ، وَسَبِيلٌ إِلَى قَطْعِ الصَّلَاتِ وَإِثَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِذَلِكَ يَنْتَشِرُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ ، وَتَضْيَعُ الْمَصَالِحُ ، فَالْقِصَّةُ يُفْهَمُ مِنْهَا - كَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ - أَنَّ الْهَدَفَ هُوَ افْتِتَالُ الْخَلْقِ الَّذِي يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى انْتِقَاصِ الْحُقُوقِ ، وَالْكَيْدِ لِأَصْحَابِهَا عَنِ طَرِيقِ الْغِشِّ وَالْحَدِيدَةِ ، وَعَنْ طَرِيقِ تَسْخِيرِ الْمَنَافِعِ الْعَامَةِ ، وَحُقُوقِ النَّاسِ ، فِي سَبِيلِ الْحُصُولِ عَلَى الْمَنَافِعِ الْخَاصَةِ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْقِبُ حَقًّا الْإِفْسَادَ فِي الْأَرْضِ ، وَزَلْزَلَةَ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ عَلَى أَصْحَابِهَا .

قَالَ : وَمِنْ هُنَا يَجْدُرُ بِالْمَوْظَفِ وَالْكِتَابِ وَالْمَوْجِهِ وَالْمُشِيرِ وَالْمَعْلَمِ أَنْ يَأْخُذُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ تَخْصِيصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ فِي رِسَالَةِ شُعَيْبٍ ، وَقَرَنَهُمَا بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَاعْتِبَارِ انْتِقَاصِهِمَا إِفْسَادًا فِي الْأَرْضِ - يُجْدُرُ بِهِمْ جَمِيعًا أَنْ يَأْخُذُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ عِظَّةً ، وَأَجْدَى عِبْرَةً ، وَإِنَّ انْتِقَاصَ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ - فِيمَا وَرَاءَ السَّلْعِ الْمَادِيَّةِ - لِأَشَدُّ خَطَرًا ، وَأَقْبَحُ أَثَرًا ، وَأَعْظَمُ ضَرَرًا مِنْ انْتِقَاصِ حَفَنَةِ مِنْ قَمْحٍ ، أَوْ أُوقِيَةِ مِنْ رَطْلٍ .

إِنَّ مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِحَقِّهِ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ ، وَمِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَيُعَاوَنَهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يُرَشِّدَهُ إِذَا اسْتَرَشَدَهُ ، وَأَنْ يَمْحَضَهُ النَّصِيحَ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ ، وَأَنْ يَفِي لَهُ إِذَا عَاهَدَهُ ، وَأَنْ يُصَدِّقَهُ إِذَا حَدَّثَهُ أَوْ وَعَدَهُ ، إِهْمَا مُبَادَلَةً وَلَكِنْ لَيْسَتْ فِي السَّلْعِ وَلَا فِي الطَّعَامِ ، وَلَا فِي الشَّرَابِ ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْخَلْقِ وَالْمُرُوءَةِ وَالصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ ، وَالْانْحِرَافِ

فِيهَا عَنْ مُقَابَلَةِ الْحَيْرِ بِالْحَيْرِ ، تَطْفِيفٌ فِي الْكَيْلِ ، وَانْتِقَاصٌ لِلْحُقُوقِ .
 وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عِلْمًا مِنْ عِلْمَاتِ التَّكْذِيبِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَأَنْزَلَ فِي شَأْنِهِ سُورَةَ كَامِلَةً ، هِيَ
 سُورَةُ اسْتَهْلَاقِهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَلٌَّ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا
 كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
 لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . انتهى .

وَلَقَدْ صَارَ الْعِشُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى اللَّبَنِ فِي ضَرْعِ الْحَيَوَانِ وَحَتَّى فِي الشُّعُورِ ، جَعَلُوا
 يَصُبُّعُوهَا بِالسَّوَادِ غِشًّا وَتَدْلِيسًا .

شِعْرًا:	قَالَتْ أَرَاكَ خَصَبْتَ الشَّيْبَ قُلْتَ لَهَا	سَتَرَتهُ عَنْكَ يَا سَمْعِي وَبَا بَصْرِي
	فَقَهَّقَهَتْ ثُمَّ قَالَتْ إِنَّ ذَا عَجَبُ	تَكَاتَرَ الْعِشُّ حَتَّى صَارَ فِي الشَّعْرِ
آخر:	إِنَّ السَّوَادَ لِتَدْلِيسِ يُعِشُّ بِهِ	كَالْتَوْبِ فِي السُّوقِ مَطْوِيًّا عَلَى خَرْقِ
آخر:	أَسْوَدُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أُصُولُهَا	فِيَا لَيْتَ مَا يَسْوَدُ مِنْهَا هُوَ الْأَصْلُ
آخر:	يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَسْوَدُ شَعْرَهُ	كَيْمَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الشُّبَّانِ
	أَرْفُقْ فَلَوْ سَوَّدْتَ كُلَّ حَمَامَةٍ	بِيَضَاءِ مَا عُدَّتْ مِنَ الْغُرَبَانِ
آخر:	فَإِنْ تَسَأَلْنِي عَنْ خِصَابِي فَإِنِّي	لَيْسْتُ عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ حِدَادًا
آخر:	دَعْنِي فَإِنَّ غَرِيمَ الشَّيْبِ لِأَزْمِنِي	وَذَا زَمَانِكَ فَأَمْرٌ فِيهِ لِأَزْمِنِي
	مَضَى الشَّبَابُ بِمَا أَحْبَبْتُ مِنْ مَنَحٍ	وَالشَّيْبُ وَافَى بِمَا أَبْغَضْتُ مِنْ مَحَنٍ
	فَمَا كَرِهْتَ ثَوِي عِنْدِي وَعَتَّفَنِي	وَمَا حَرِصْتُ عَلَيْهِ مُنْذُ عَنَّ فَنِي
آخر:	يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ بِالْحِنَاءِ تَسْتَرُهُ	سَلِ الْإِلَهَ سِتْرًا مِنَ النَّارِ
	لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبَ مِنْ دَارٍ يُلْمُ بِهَا	حَتَّى يَرْحَلَ عَنْهَا صَاحِبَ الدَّارِ

آخر: قَصَرَ اللَّيَالِي حَطْوَهُ فَتَدَانِي وَخَنَوْنَ قَائِمَ صُلْبِهِ فَتَحَانَا
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَكَأَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ سِوَانَا
آخر: لِأَمْرِ مَا بَكَيْتُ وَهَاجَ شَوْقِي وَقَدْ سَجَعْتُ عَلَى الْأَيْكِ الْحَمَامِ
لَأَنَّ بَيَاضَهَا كَبَيَاضِ شَيْبِي فَمَعْنَى شَجْوِهَا قُرْبُ الْحَمَامِ
آخر: لِلصَّيْفِ أَنْ يُقْرَأَ وَيُعْرَفَ حَقُّهُ وَالشَّيْبُ ضَيْفُكَ فَافْرِهِ بِخِصَابِ
وَافِي بِأَكْذَابِ شَاهِدٍ وَلَرَبَّمَا وَافِي الْمَشَيْبِ بِشَاهِدٍ كَذَابِ
فَأَفْسَحْ شَهَادَتَهُ عَلَيْكَ بِخِصْبِهِ تَنْفِي الظُّنُونِ بِهِ عَنِ الْمُرْتَابِ
فَإِذَا دَنَا وَقَتُ الْمَشَيْبِ فَحَلِّهِ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ فِيهِ كُلُّ ذَهَابِ
آخر: لَمَّا سَمَّمْتُ مِنَ الْمَشَيْبِ أَجَبْتُهُمْ قَوْلَ امْرَأَةٍ فِي أَمْرِهِ لَمْ يَمْدِقِ
طَحَنَ الزَّمَانَ بِرَبِيهِ وَصُرُوفِهِ عُمْرِي فَتَارَ غُبَارُهُ فِي مَفْرَقِي
آخر: لَمَّا رَأَتْ شَيْبِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَرَأَتْهُ مُحْتَجِبًا وَرَاءَ حِجَابِ
قَالَتْ خَصِيبَتْ فَقُلْتُ شَيْبِي إِنَّمَا لَسِ الْحِدَادَ عَلَى ذَاهَابِ شَبَابِي

وبالتالي فَإِنَّ الْغِشَّ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَفِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا الْوُزْرَ ، وَالْحِزْيَ الْعَاجِلَ
وَالْآجِلَ إِنْ لَمْ يَتُبْ ، وَالْعَارَ (ثَالِثًا) : أَنَّ الْغِشَّ يُضَيِّعُ الثَّقَّةَ ، وَأَنَّهُ مِمَّا يَجْلِبُ الْهَمَّ وَالْعَمَّ ، وَأَنَّهُ
حَجْرٌ فِي طَرِيقِ تَقَدُّمِ صَاحِبِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ النَّاسَ إِذَا عَرَفُوهُ بِذَلِكَ انصَرَفُوا عَنْهُ ، وَأُغْرِقَ فِي
وَجْهِهِ أَبْوَابُ الرَّيْحِ .

وَمِنْ جِنَايَاتِ الْغِشِّ عَلَى صَاحِبِهِ أَنَّ الْبِرْكَةَ تَذْهَبُ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ، وَرُبَّمَا دَارَتْ عَلَيْهِ أَوْ
عَلَى ذُرِّيَّتِهِ الدَّوَائِرُ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نَفْسَ صَاحِبِهِ خَبِيثَةٌ طَاطِيَةٌ .
وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَهُ يُعْتَبَرُ مِمَّنْ يَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ مَا عِنْدَهُ رَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ مَا يُجِبُّ لَهُمْ مَا يُجِبُّ لِنَفْسِهِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ سَبَبٌ لِقَطْعِ الصَّلَاتِ ، وَرَعَزَعَةِ الثَّقَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِإِنْتَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالْبُضْؤِ غَضَاءٍ بَيْنَ النَّاسِ وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِنَشْرِ الْفَسَادِ وَتَضْيِيعِ الْمَصَالِحِ .
وَأَنَّهُ مَانِعٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَمَتُّعِهِ بِحَقِّهِ كَامِلًا ، وَأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنْهُ ، مِنْ أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَخَاهُ مِنْ حَقِّهِ وَيُعَاوَنُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ .
وَأَنَّهُ مُنَاقِضٌ لِلنَّصِيحَةِ .

وَأَنَّهُ يُعْتَبَرُ مِنْ عِدَادِ الْكَذَّابِينَ الْخَوَنَةِ وَالظَّالِمَةِ وَأَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ .
وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَكُونُ مَرْمُوقًا بَعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ وَالْاَزْدِرَاءِ عَكْسَ الْمُخْلِصِ فِي عَمَلِهِ .
وَأَنَّ الْعِشَّ أَكْبَرُ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ لَا يُزَكِّي وَأَنَّهُ لَا يَتَسَخَّرُ مِنَ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ لِأَنَّ مَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ يَبْعِدُ جِدًّا أَنْ يُعْطِيَهُمْ .

وَأَنَّ الْعِشَّ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ عِنْدَ صَاحِبِهِ مِنَ الطَّمَعِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْهَلَعِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ بِدَلِيلِ عَدَمِ اكْتِفَائِهِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ .
وَأَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِ صَاحِبِهِ ، وَعَدَمِ احْتِرَامِهِ لِأَحَادِيثِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاكَسَتِهِ لَهَا مَعَ عِلْمِهِ بِهَا .

وَمِنْ جِنَايَاتِ الْعِشِّ أَنَّهُ يُوقِعُ صَاحِبَهُ فِي طُولِ الْمَوْقِفِ وَالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَثْرَةِ الْخُصَمَاءِ الَّذِينَ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بغيرِ حَقٍّ .

وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِإِضَاعَةِ حَسَنَاتِهِ ، أَوْ لِحِمْلِ سَيِّئَاتٍ غَيْرِهِ مِمَّنْ عَشَّهْمُ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ عَلَى وَجْهِ
الِاخْتِفَاءِ لِجَنَائِيهِ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعِشِّ .

وَمِنْ مَضَارِّ الْعِشِّ أَنَّ صَاحِبَهُ يُسِيءُ إِلَى أَوْلَادِهِ وَأُسْرَتِهِ إِذَا اشْتَهَرَ بِهِ ، لِأَنَّهُ يَلُوْثُهُمْ بِهَذِهِ
السُّمْعَةِ السَّيِّئَةِ ، وَالْفَائِئَةِ وَالْقَبِيحَةِ ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا لَهُمْ : عَائِلَةُ الْعَشَّاشِ ،
وَأَعْظَمُهَا مِنْ أَدْيَةِ لِلْمُسْتَقِيمِينَ ، وَأَدْيَةُ الْعَشَّاشِ لِأَوْلَادِهِ خَاصَّةً أَشَدُّ بِكَثِيرٍ مِنْ أَدْيَتِهِ لِبَاقِي
الْأُسْرَةِ الْبَعِيدِينَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْأَبْنََاءَ حَوْلَ أَبِيهِمْ يَأْخُذُونَ عَنْهُ ، وَيَنْشُتُونَ عَلَى أَخْلَاقِ أَبِيهِمْ غَالِبًا
فَإِنَّهُمْ إِذَا نَشُوا عِنْدَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ طَبَاعِهِ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ عَشَّاشِينَ بَعْدَ مَا
يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الرُّجُولَةِ ، فَيَكُونُ أَبُوهُمْ سَبَبًا فِي وَقُوعِهِمْ فِي ضَرَرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ تَحَرَّجُوا وَلَا
سَلَكُوا طَرِيقَةَ أَبِيهِمْ بِالْعِشِّ فَمَا مِنْ سَلَامَةٍ ، يُعَيِّرُهُمُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادَ الْعَشَّاشِ ،
وَهَذِهِ أَدْيَةٌ عَظِيمَةٌ ، تُؤَدِّي إِلَى التَّشَاخُرِ وَالتَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ وَتَبَادُلِ السَّبَابِ .

وَأَمَّا أَدْيَةُ الْعَشَّاشِ لِجَمَاعَتِهِ وَأَهْلِ بَلَدِهِ فَوَاضِحَةٌ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ قُدْوَةٌ سَيِّئَةً ، يُسْمُونَهُمْ
قَوْمَ الْعَشَّاشِ ، وَجَمَاعَةَ الْعَشَّاشِ ، وَالطَّبَاعُ سَرَّاقَةٌ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُ أَصْحَابُهَا وَمِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ ، فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ هَذَا الطَّبَعُ وَالخُلُقُ الَّذِي هُوَ الْعِشُّ ، فَإِنْ لَمْ يُصَبِّ الْجَمِيعَ تَأَثَّرَ بِهِ
الْبَعْضُ كَالْجَرَبِ .

وَهَذَا تُنْسَبُ الْجَمَاعَةُ وَالسَّاكِنُونَ فِي بَلَدِهِ إِلَى الْعِشِّ ، نَظَرًا لِذَلِكَ الْعَشَّاشِ ، وَيُقَالُ : بَلَدُ
الْعَشَّاشِ ، كَمَا يُقَالُ : بِلَادُ الْفَرَاعِنَةِ ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَدَاهِيَةٌ دَهِيًّا .

وَأَمَّا ضَرَرُ الْعَشَّاشِ وَأَدْيَتُهُ لِلدِّينِ ، فَيَالَهَا مِنْ مُصِيبَةٍ فَادِحَةٍ ، وَعَقَبَةٍ كَوُودٍ ضِدِّ الْقَائِمِينَ
بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَنَشْرِ مَحَاسِنِهِ ، وَالْحَثِّ

عَلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالتَّأْدِبِ بِأَدَابِهِمْ ، لِأَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ إِذَا نَظَرُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْعَشَّاشِينَ ، يَزْمُونَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ بِالنَّقْصِ ، وَلَا يَقُولُونَ : إِنَّ النَّقْصَ فِي النَّاسِ لِعَدَمِ تَمَسُّكِهِمْ بِالدِّينِ ، وَعَدَمِ تَطْبِيقِهِمْ لِأَحْكَامِهِ ، بَلْ يُلْصِقُونَ النَّقْصَ وَالْعَيْبَ بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَذَلِكَ صَدُّ عَنِ اتِّبَاعِ الدِّينِ الْحَقِّ ، وَهَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، مِمَّا يَنْشَأُ عَنِ الْغِشِّ مِنَ الْأَضْرَارِ وَالْأَذَايَا ، افْتَصَرْنَا عَلَيْهِ خَشِيَّةُ الْإِطَالَةِ ، وَإِلَّا هُوَ يَسْتَدْعِي مُصَنَّفًا وَحْدَهُ .

وبالتالي فَمَا الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ؟ أَهَوَّ الثُّوْتُ الَّذِي تَكْفُلُ بِهِ الْحَيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ . وَمَا رَأَيْنَا تَقِيًّا مَاتَ جَوْعًا ، أَوْ مُؤْمِنًا وَرِعًا قَضَى غَرْثَانًا طَاوِيًّا ، أَمْ هُوَ الْجَشْعُ وَالطَّمْعُ ، وَشَرُّهُ النَّفْسُ فِي جَمْعِ الْخُطَامِ الْفَانِي ؟ وَقَدْ أَمَرْنَا بِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ ، وَتَقْوِيمِهَا حَتَّى تَرْعَوِي وَتَسْتَقِيمَ ، أَمْ إِنَّ ذَلِكَ الْمُشْتَرِي قَدْ ارْتَكَبَ مِنَ الْوِزْرِ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ .

أَيُّهَا التُّجَّارُ مَا هَكَذَا يَكُونُ الرَّبْحُ ، وَمَا هَكَذَا يَكُونُ الْمَكْسَبُ وَمَا بِتِلْكَ الْأَسَالِيبِ تَتَكَوَّنُ الثَّرْوَةُ وَيَجْمَعُ الْمَالُ ، وَلَكِنَّ بِالصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَالذَّمَّةِ وَالشَّرْفِ ، وَالْعَمَّةِ عَنِ الْحَرَامِ ، فَكَّرُوا فِي مَصِيرِ مَا أَتَعَبْتُمْ نَفُوسَكُمْ وَأَبْدَانَكُمْ فِي جَمْعِهِ ، وَفَكَّرُوا فِي الْمُنَاقَشَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ ، وَأَنَّكُمْ مُفَارِقُوهُ عَن قَرِيبٍ رَعَمَ أَنْوْفِكُمْ لِأَنَّا يُضَيِّعُوهُ فِي الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ كَالْتَلْفِزِيُونَ وَالْفِيدِيُو وَالسِّيْنِمَاءِ وَالْمَدَائِيْعِ وَالسَّفَرِ لِبِلَادِ الْكُفْرِ . وَبَعْضُهُمْ يُنْفِقُونَهَا فِي دِرَاسَتِهِمْ عَلَى الْكُفْرَةِ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ ، وَيَأْتُونَ بِشَهَادَاتٍ مِنَ الْكُفَّارِ يَأْكُلُونَ بِهَا نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مِمَّا ابْتُلُوا بِهِ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ الْأَحْيَاءِ

منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شعراً: أَبْعَدَ بِيَاضِ الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَنْزِلًا

سِوَى الْقَبْرِ إِنِّي إِنْ عَمَرْتُ لِأَحْمَقُ

يُخْبِرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ

وَشَيْبًا فَيَنْعَانِي إِلَيَّ وَيَصْدُقُ

يُحْرِقُ عُمْرِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

فَهَلْ مُسْتَطَاعُ رَفْعُ مَا يَتَحَرَّقُ

كَأَنِّي بِجِسْمِي فَوْقَ نَعْشِي مُمَدًّا

فَمَنْ سَاكِتٌ أَوْ مُعْوِلٌ يَتَحَرَّقُ

إِذَا سُئِلُوا عَنِّي أَجَابُوا وَأَعْوَلُوا

وَأَدْمَعُهُمْ تَهَلُّ هَذَا الْمُؤَفَّقُ

وَعُيْتُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيِّقٍ

وَأُودِعْتُ لِحْدًا فَوْقَهُ الصَّخْرُ مُطَبَّقُ

وَيَحْشُو عَلَيَّ التُّرْبَ أَوْثَقُ صَاحِبِ

وَيُسَلِّمُنِي لِلْقَبْرِ مِنْ هُوَ مُشْفِقُ

فَيَا رَبَّ كُنْ لِي مُؤَنِّسًا يَوْمَ وَحْشَتِي

فَإِنِّي بِمَا أَنْزَلْتَهُ لِمَصْدُقُ

وَمَا ضَرَّرَنِي أَنِّي إِلَى اللَّهِ صَائِرُ

وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِي أَبْرُ وَأَرْفَقُ

آخر: نَرَضَى بِمَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَوْلَانَا

وَمَا يَكُونُ وَمَا مِنْ أَمْرِهِ كَانَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الْحَامِدِينَ لَهُ
 حَمْدًا كَثِيرًا كَمَا يُرْضِيهِ رِضْوَانًا
 أَلَا فَإِنَّا لَهُ مَاضٍ تَصَرُّفُهُ
 فِينَا لَعْمَرِي أَلَا إِلَيْهِ رُجْعَانَا
 قَضَى وَقَدَّرَ أَنَّ الْمَوْتَ دَائِرَةٌ)
 كُؤُوسُهُ فِي الْوَرَى لِمَ تَبُوقِ إِنْسَانَا
 فَأَيْنَ عَادٌ وَكَسْرَى وَابْنُ ذِي يَزِينِ
 وَمَنْ يُوَارِزُهُمْ وَمَنْ لَهُمْ عَانَا
 لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ عَنْهُمْ حَاجِبُونَ وَلَمْ
 يُبْقِ الْبَلَى لَهُمْ صَرْحًا وَإِيْوَانَا
 بَلْ أَيْنَ صَفْوَةٌ خَلَقَ اللهُ قَاطِبَةً
 وَأَرْجَحَ التَّاسِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا
 تَجَرَّعَ الْكُلُّ كَأْسَ الْمَوْتِ وَأَنْتَقِلُوا
 عَنْ هَذِهِ الدَّارِ شَيْبَانًا وَشُبَّانَا
 فَبِلَاكَ مَوْعِظَةٌ لَأَنْفُسٍ فُجِعَتْ
 أَضْحَتْ وَقَدْ لَقِيَتْ هَمًّا وَأَحْزَانَا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقُوفِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ
 اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَنَا وَأَكْفِنَا شَرَّ أَشْرَارِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُعْتَالَ
 مِنْ تَحْتِنَا وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّ نَوَاصِينَا بِيَدِكَ وَأُمُورُنَا تَرْجِعُ إِلَيْكَ وَأَحْوَالُنَا لَا تَخْفَى عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ مَلَجُوتُنَا وَمَلَادُنَا ،
 وَإِلَيْكَ نَرْفَعُ بَشْنَا وَحُزْنَنَا وَشِكَايَتَنَا ، يَا مَنْ يَعْلَمُ سِرَّنَا وَعَلَانِيَتَنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
 فَكَفَيْتَهُ وَاسْتَهْدَاكَ

فَهَدَيْتَهُ وَهَبْنَا لَنَا مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ وَجَدْنَا عَلَيْكَ الْإِحْسَانَ الْعَمِيمَ ، وَأَغْفِرُ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ فَتَشُوا قُلُوبَكُمْ بِتَأَنٍّ وَاتِّتَادٍ ، وَابْجُثُوا عَمَّا تَعَلَّلَ فِيهَا مِنَ الْأَضْعَانِ وَالْأَحْقَادِ ، فَإِذَا وَجَدْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَاجْتَهِدُوا وَاعْمَلُوا عَلَى سُرْعَةٍ إِرَالَتِهِ وَمَحْوِهِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَأَعْرِضُوا بِكُلِّيَّتِكُمْ عَنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ الْقَوِيِّ الْقَدِيرِ مِنْ هَمَزَاتِهِ وَهَوَاجِسِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا إِيقَاعَكُمْ فِي الْبَلَاءِ ، وَتَعْرِضَكُمْ لِسَخَطِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ الشَّدِيدِ ، مَاذَا يَضُرُّكُمْ إِنْ تَنَارَلْتُمْ عَنْ بَعْضِ حُقُوقِكُمْ ، وَتَجَاوَزْتُمْ وَصَفْحْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَقَصَدْتُمْ وَجْهَ اللَّهِ وَتَوَابِهِ فِي صَفْحِكُمْ وَتَنَارُلِكُمْ ، وَبِذَلِكَ تَكُونُونَ قَدْ أَرْضَيْتُمْ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَأَبْعَدْتُمْ شَبَحَ الشَّرِّ عَنْكُمْ وَعَنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ وَكُنْتُمْ أَصْحَابَ الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ ، يَشْكُرُ اللَّهُ وَالنَّاسُ لَكُمْ هَذَا الْخُلُقَ الطَّيِّبَ الْحَمِيدَ ، أَلَا فَاحْرِصُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَأَقْبَلُوا سِرَاعًا إِلَيْهِ ، وَاكْظِمُوا غَيْظَكُمْ ، وَابْدَلُوا جُهْدَكُمْ فِي التَّغَلُّبِ عَلَيْهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ ، فَاللَّهُ يَغْفِرُ مِنْ ذُنُوبِ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَيُمَجِّدُ الْكَاطِمِينَ الْعَيْظَ ، وَيَتَوَلَّاهُمْ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ ، وَيُرْوِّجُهُمْ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ مَا يَشَاءُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَدْعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ إِلَى تِلْكَ الْكَرَامَةِ لِيَعْلَمَ فَضْلَهُمْ ، وَيَشْهَدَ بِجَدِّهِمْ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ . فَإِذَا مَا عَلِمْتُمْ هَذَا فَقَارِنُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُعَامِلُ اللَّهُ بِهِ الْمَشَاحِرَ الْحُقُودَ الْحَسُودَ ، الَّذِي أَجَابَ دَاعِيَ الشَّيْطَانِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ نَصِيحَةِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، وَيَسَّرَ لَهُ أُمُورَهُ ، وَأَصْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ التَّقَاطُعِ وَالشَّحْنَاءِ وَالصُّدُودِ ، وَسَتَرُونَ أَنَّهُ بَعْنَادِهِ وَإِبَائِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَرَضَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا لِنَقْمِ اللَّهِ

الْمُتَعَاقِبَةِ ، وَأَبْقَى لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ جَهَنَّمَ يَلْقَى فِيهَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ الْمُتَهَاجِرِينَ الْمُتَشَاحِينَ يُعْرِضُ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَإِذَا أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ رَحْمَتَهُ كَانَ الْحَزْمَانُ نَصِيبَهُمَا وَلَا يَزَالَانِ هَكَذَا حَتَّى يُزِيلَا مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخِصَامِ وَيَعُودَا إِلَى مَا كَانَا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْوَيْثَامِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَفْوُ عَفْوَرٍ . تَفَهَّمُوا يَا إِخْوَانِي جَيِّدًا ، وَأَفْرَعُوا فُلُوبَكُمْ بِمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الزَّوْجِرِ وَالْعِظَاتِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَقْرَبَ الْمُتَصَافِينَ إِلَى اللَّهِ أَسْبَقُهُمَا إِلَى الصَّفْحِ وَتَنَاسِي مَا فَاتَ ، وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا مِنْ بَدَأَ بِالسَّعْيِ إِلَى إِزَالَةِ الْأَضْعَانِ وَالْأَحْقَادِ ، فَإِنْ اسْتَجَابَ خِصْمُهُ لِلصُّلْحِ وَلَمْ يَتَأَخَّرْ فِيهَا وَنِعِمَّتْ ، وَاسْتَحَقَّ نَصِيبَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ ، وَإِنْ أَبِي وَامْتَنَعَ فَقَدْ احْتَمَلَ الْإِثْمَ وَالْعِقَابَ فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَاعْمَلُوا بِهِدِهِ النَّصِيحَةِ ، وَسَارِعُوا بِالْإِعْتِدَارِ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَجِيبُوا إِلَى دَاعِيِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَهَلِّمُوا سِرَاعًا إِلَى مُصَافَاةِ مَنْ خَاصَمْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَبِذَلِكَ تَصُونُونَ بُيُوتَكُمْ مِنَ الْحَرَابِ ، وَتَحْفَظُونَ أَمْوَالَكُمْ مِنَ التَّلَاشِي وَالذَّهَابِ ، وَتَرْجُونَ رِضَا رَبِّكُمْ وَعَفْوَهُ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَجِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثِ ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِي الْأَجْرِ ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَخَرَجَ الْمُسَلَّمُ مِنَ الْهَجْرِ » . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْاِثْنَيْسِ ، فَمَنْ مُسْتَعْفِرٍ فَيُعْفِرُ لَهُ ، وَمَنْ تَائِبٍ فَيَتَّابُ عَلَيْهِ ، وَيُرَدُّ أَهْلُ الضَّعَائِنِ بِضَعَائِنِهِمْ حَتَّى يَتُوبُوا » . وَوَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ مَا شَاءَ » .

اللَّهُمَّ أَعِدْنَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدِّينِ وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: أَجِدُكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا

وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ

إِذَا نَالَ مِنْهَا طَالِبٌ مَا يَرُومُهُ

وَسَاعَدَهُ الْمَقْدُورُ فَالْمَرْءُ يَسْعَدُ

أَتَاهُ غَدًا مِنْ خَطِيئَتِهَا كُلِّ فَادِحِ

وَيَلْقَاهُ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ يُنْكَدُ

لِعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا عَجَائِبًا

وَصَاحِبِي فِيهَا مَسُودٌ وَسَيِّدُ

رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً

(وَقَدْ طَابَ عَيْشُ وَالسُّرُورُ يُجَدُّ)

فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا الرِّزَايَا تَوَابِتُ

عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَذَاهِمْ تُحَشُّدُ

وَأَسْقَتْهُمْ كَأْسًا مِنَ الدُّلِّ مُتْرَعًا

وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَفْعَدُ

وَدَامَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بَرْهَةٍ
 عَلَى نَكَدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ
 وَقَدْ شَاهَدَتْ عَيْنَاكَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ
 فَمَالِي وَوَصْفِي لِلَّذِي أَنْتَ تَشْهَدُ

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، أَنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ اجْتِنَابُهُ الْيَمِينُ
 الْعُمُوسُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ
 لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قِيلَ
 : نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضَيْعَةٍ ، فَهَمَّ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ
 أَنْ يَخْلِفَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَنَكَلَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ عَنِ الْيَمِينِ ، وَأَقَرَّ لِلْمُدَّعِي بِحَقِّهِ ، وَعَنْ
 أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ
 مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » . فَقَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى
 يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ » . إِذَا
 فَهَمَّتْ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ

اليمين العَمُوسَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ ، فَإِنَّهَا إِنَّمَا سُمِّيتْ عَمُوسًا لِأَنَّهَا تَعْمِسُ الْحَالِفَ فِي النَّارِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ يَتَقَدَّمُ بِلا اِكْتِرَاثٍ وَلَا مَبَالَاةٍ ، إِلَى أَحَدِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَيَحْلِفُ بِهَا ، مُؤَكِّدًا قَوْلَهُ عِنْدَ السَّمَاعِ بِهَذَا الْحَلْفِ وَلَا يُفَكِّرُ أَنَّ هَذَا الْقَسَمَ الْعَظِيمَ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ مِنْ ذَلِكَ تَوْبَةً نَصُوحًا ، وَيُقْلَعُ إِلَى اللَّهِ وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَعَلَ فَإِنَّهُ يَضُرُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَمَا ضَرَرُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَكُونُ سَبَبًا لِمَحَقِّ الْبَرَكَاتِ لَهُ فِيمَا يَتَعَاطَاهُ ، وَإِذَا انْتَرَعَتِ الْبَرَكَاتُ حَلَّ مَحَلَّهَا الْفَشْلُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « الْحَلْفُ مَنْفَعَةٌ لِلسَّلْعَةِ مَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَرَوَى الْبَزَّازُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُذْهِبُ الْمَالَ - أَوْ قَالَ - تَذْهَبُ بِالْمَالِ » وَإِذَا ذَهَبَ الْمَالُ خَرِبَ الْبَيْتُ وَأَصْبَحَ صَاحِبُهُ فِي عِدَادِ الْفُقَرَاءِ ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَحَسِبُ الْحَالِفِ أَنَّ يَسْمَعَ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «

الْكَبَائِرُ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْعَمُوسُ » ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَصَى اللَّهُ بِهِ هُوَ أَعْجَلُ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أُطِيعَ اللَّهُ بِهِ أَسْرَعَ ثَوَابًا مِنَ الصَّلَاةِ ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ » . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

ثُمَّ إِنَّ الْحَلْفَ بِاللَّهِ كَذِبًا اسْتِخْفَافًا بِاسْمِ اللَّهِ وَاسْتِهَانَةً بِهِ ، وَتَشْبُهًا بِحَالِ الْمِنَافِقِينَ ، الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ بِهَذَا الْحَلْفِ ، وَهَذَا الْكَذِبِ الَّذِي يُحْيِلُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ سَبِيلٌ لِلنَّجَاةِ عِنْدَ النَّاسِ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْحَقَّ وَيَكْشِفُهُ لِلنَّاسِ ، فَيَهْلِكُ الْكَاذِبُ فِي الدُّنْيَا بِكَذِبِهِ ، وَيَهْلِكُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ لَا يُفِيدُهُ إِنْكَارُهُ شَيْئًا ، وَكَفَى بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ شُؤْمًا وَلُؤْمًا أَنَّهُ فِعْلُ الْمَنَافِقِينَ ، وَأَنَّ فَاعِلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَفْعَلُ فِعْلًا يُشَابِهُ فِيهِ أَهْلَ النَّفَاقِ ، أَخْبَثَ الْكُفَّارِ ، الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَجَسٌ وَأَنَّهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَانْطَبَقَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

زَمَانُ كُلِّ حَبٍّ فِيهِ حَبٌّ وَطَعْمُ الْخَلِّ خَلٌّ لَوْ يُدَاقُ
لَهُمْ سُوقٌ بِضَاعَتُهُ النَّفَاقُ فَمَنْ نَاقَ يَكُونُ لَهُ نِفَاقُ
آخِرُ: أَمْسَى النَّفَاقُ دُرُوعًا يُسْتَجَنُّ بِهَا عَنِ الْأَذَى وَيُقْوَى سَرْدَهَا الْحَلْفُ

وَيَعْظُمُ الْإِثْمُ إِذَا كَانَ الْحَلْفُ الْكَاذِبُ تَرْتَبَ عَلَيْهِ اقْتِطَاعُ مَالِ عَبْدٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ » وَمَنْ يُطِيقُ أَنْ يَلْقَى خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ ، الَّذِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالآيَةُ الَّتِي قَرَأَهَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِثْرَ الْحَدِيثِ مُصَدِّقًا لِمَا أَخْبَرَ نَفِيذَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، فَإِنَّهَا تُخْبِرُ عَنِ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ، بَأَنَّهُ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الَّذِي لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ الْكَافِرُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، وَإِلَّا فَالَّذِي لَا عَمَلَ لَهُ إِلَّا الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ :

إِنَّهُ لَا خَلْقَ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَعَ أَنَّهُ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُرَكِّبُهُ وَلَا عَذَابٌ أَلِيمٌ فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ .

وَلَقَدْ بَلَغَ تَهَاوُنُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِالْإِيمَانِ الْكَاذِبَةِ إِلَى مَا تَفْشَعُرُ مِنْهُ الْجُلُودُ ، حَتَّى فِي حَدِيثِهِمْ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَفِي بَجَالِسِهِمْ الْخَاصَّةِ ، وَفِي أَسْوَاقِهِمْ ، وَفِي مُعَامَلَاتِهِمْ ، وَفِي أَوْعَادِهِمْ وَيَأْتِي بِالْمَسَمِّ بِهَذَا اللَّفْظِ (وَاللَّهُ الْعَظِيمُ) يُؤَيِّدُونَ مَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ مِنْ مَوَاعِيدٍ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَّهَمُونَ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ ، كَمَا قِيلَ :

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ مَا ذَلَّ أَنْكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّهَمٌ

وَاسْتَمِعَ لَهُمْ وَخُصُوصًا عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ ، لِيَبْعُوا مَا مَعَهُمْ بِسُرْعَةٍ مِنْ نَاحِيَةٍ ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى لِيَكْثُرَ رِيحُهُمْ فِي زَعْمِهِمْ ، فَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا مِنْهُمْ ، وَلَوْ حَلَفُوا أَمَامَهُ فَقَدْ أَصْبَحَ الْحَلْفُ عِنْدَهُمْ عَادَةً ، وَهَذَا أَكْثَرُ النَّاسِ إِذَا حَلَفُوا لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمْ يَخْلِفُونَ ، وَلَيَبْشِرُوا الْخَالِفِينَ عَلَى سَلْعِهِمْ كَذِبًا وَتَرْوِيحًا أَنَّ رِيحَهُمْ مَهْمَا كَثُرَ مَصِيرُهُ لِلزَّوَالِ ، فَإِنَّهُ لَا بَرَكَةَ فِيهِ ، وَكَيْفَ يُبَارِكُ فِي رِيحٍ لَمْ يَجِئْ إِلَّا مِنْ غِيْشٍ وَتَدْلِيْسٍ وَكَذِبٍ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ

مِرَاتٍ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ . خَابُوا وَحَسِرُوا يَا رَسُولَ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ « الْمُسِيْلُ وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » . وَلَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا بِكَعْبَةٍ وَلَا بِبَنِي وَلَا مَلِكٍ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْنُمْتُ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . ولما ورد عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ : وَالْكَعْبَةَ . فَقَالَ لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللَّهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ ، وابنِ حبانٍ في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهم ، ولا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِالْأَمَانَةِ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ بُرَيْدَةَ مَرْفُوعًا : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ » . وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

اللَّهُمَّ أَهْمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَامْتِنَالِ أَمْرِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللَّهِ يَنْفَعَكَ وَعَظُّهُ

فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَبْلَغُ وَأَعِظُ

وَبِالْعَيْنِ ثُمَّ الْقَلْبِ لِحِظُّهُ وَاعْتَبِرْ

مَعَانِيَهُ فَهُوَ الْهُدَى لِلْمَلَا حِظُ

وَأَنْتَ إِذَا اتَّقَنْتَ حَفِظَ حُرُوفِهِ

فَكُنْ لِحُدُودِ اللَّهِ أَقْوَمَ حَافِظُ

وَلَا يَنْفَعُ التَّجْوِيدُ لِأَفِظَ حُكْمِهِ

وَإِنْ كَانَ بِالْقُرْآنِ أَفْصَحَ لِأَفِظُ

وَيُعْرِفُ أَهْلُوهُ بِأَحْيَاءِ لَيْلِهِمْ

وَصَوْمُ هُجَيْرِي لِأَهْجِ الْقَيْضِ قَائِظُ

وَعَصَّهِمُ الْأَبْصَارَ عَنْ كُلِّ مَأْتَمٍ
 يَجْرُرُ بِتَكْرِيرِ الْعِيُونَِ اللَّوْاحِظِ
 وَكَضْمِهِمْوَا لِلْغَيْظِ عِنْدَ اسْتِعَارِهِ
 إِذَا عَزَّ بَيْنَ النَّاسِ كَظْمُ الْمَغَائِظِ
 وَأَخْلَاقُهُمْ مَحْمُودَةٌ إِنْ خَبَرْتَهَا
 فَلَيْسَتْ بِأَخْلَاقٍ فِظَاظٍ غَلَاظِ
 تَحَلَّوْا بِآدَابِ الْكِتَابِ وَأَحْسِنُوا التَّ
 فَكُّرِ فِي أَمْثَالِهِ وَالْمَوَاعِظِ
 فَفَاضَتْ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ نُفُوسُهُمْ سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الْفَوَائِضِ
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَعْصِي الرَّجُلُ مَوْلَاهُ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَجَبًا لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ
 يَتَيَقَّنُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا يَرَاهُ ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَبُخْوَاهُ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ
 يَسْتَحْيِي أَنْ يَفْعَلَ مَا يُعْضِبُ أَخَاهُ وَهُوَ يَرَاهُ ، وَمَعَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فِي هَذِهِ الدَّارِ
 ، وَلَا فِي دَارِ الْقَرَارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ مَعَ هَذَا الْمَخْلُوقِ فَعَجِيبٌ جِدًّا أَنْ لَا يَكُونَ أَشَدَّ
 احْتِرَامًا وَحَيَاءً مَعَ فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْعَدَمِ
 وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ الْحَيَاةَ وَهُوَ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْكَ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْكَ
 وَوَالَاهُ ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَأَحْلَلَ بِكَ كُلَّ نِعْمَةٍ ، وَجَعَلَكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ عِبْرَةً لِأُولِي
 الْأَبْصَارِ ، أَضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُمِيتُكَ ، وَيُعَامِلُكَ فِي قَبْرِكَ

بِمَا يُنَاسِبُ مَالِكَ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ، وَيَسْؤُفُكَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ
الَّذِي هَوَلُهُ يُشِيبُ الْأَطْفَالَ ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ فِي حَيَاتِكَ الْأُولَى مِنْ
الْأَفْعَالِ ، وَهُوَ الَّذِي يَأْمُرُ بِكَ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ، نَعَمْ إِنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ
يُجَاهِرَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، إِنَّ الْبُرْهَانَ الَّذِي لَا مَعَمَرَ فِيهِ
عَلَى أَنَّكَ تَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ ، أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا كُلَّ الْبُعْدِ دَائِمًا عَنْ مَعَاصِيِ اللَّهِ ،
فَتَحْسِبُ لِسَانَكَ عَنِ الْقَذْفِ وَالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْعَبِيَّةِ ، وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ ، وَعَنِ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ
وَالِاسْتِهْزَاءِ ، وَالسُّخْرِيَّةِ بِالنَّاسِ ، وَاللَّعْنِ وَالْفُحْشِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُحَرَّمٌ شَرْعًا أَوْ مَكْرُوهٌ ،
لَأَنَّ اللِّسَانَ إِنَّمَا خُلِقَ لِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ ، وَلِتُرْشَدَ بِهِ خَلْقَ اللَّهِ ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ
مِنْ حَاجَاتٍ ٍ ٍ ٍ ٍ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، وَتُدَافِعَ بِهِ عَنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ
فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ كَانَ وَبَالًا عَلَيْكَ ، وَتَحْسِبُ عَيْنَكَ ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَهْتَدِيَ فِي
الظُّلُمَاتِ ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَاتِ ، وَتَنْظُرُ بِهَا بَعَيْنَ الْاِعْتِبَارِ إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَعْتَبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ ؛ فَاحْفَظْهَا عَنِ النَّظْرِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ ،
مِنْ نَظَرٍ إِلَى غَيْرِ مُحَرَّمٍ مِنَ النِّسَاءِ ، أَوْ إِلَى مُسْلِمٍ بَعَيْنَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِزْدِرَاءِ ، أَوْ إِلَى تَلْفِزِيُونٍ أَوْ
إِلَى سِينِمَاءٍ ، أَوْ إِلَى صُورَةٍ مَلِيحَةٍ بِشَهْوَةٍ ، أَوْ تَطَّلِعَ بِهَا عَلَى عَيْبِ مُسْلِمٍ ، أَوْ إِلَى بَيْتِ جَارٍ
أَوْ غَيْرِ جَارٍ مِمَّنْ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ .
وَأَمَّا الْأُذُنُ فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى اسْتِمَاعِ الْمِلَاهِي وَالْمِنْكَرَاتِ ، أَوْ إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ إِلَى
غَيْبَةٍ أَوْ فُحْشٍ ، أَوْ قَذْفِ مُسْلِمٍ أَوْ

حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَا سِتْمَاعِكَ كَارِهُونَ ، أَوْ إِلَى الْخَوْضِ بِالْبَاطِلِ ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِي النَّاسِ ،
لَأَنَّهَا خُلِقَتْ لَكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ، وَمَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ وَلِتَتَوَصَّلَ
بِهَا إِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، الْمَوْصِلَةَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، الدَّائِمِ فِي جَوَارِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَإِذَا أَصْعَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ أَوْ الْمَكْرُوهَاتِ ، صَارَ مَا كَانَ عَلَيْكَ ،
وَأَنْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فَوْزِكَ سَبَبَ هَلَاكِكَ ، وَهَذَا غَايَةُ الْحُسْرَانِ ، وَلَا تَظُنُّ أَنَّ الْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ
الْقَائِلُ دُونَ الْمُسْتَمِعِ إِلَّا إِنْ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ ، أَوْ بَقَلْبِهِ إِنْ خَافَ ، وَإِنْ قَدِرَ عَلَى الْقِيَامِ وَالِابْتِعَادِ
عَنْهُمْ ، أَوْ قَدِرَ عَلَى قَطْعِ الْكَلَامِ بِكَلَامٍ آخَرَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ آثِمٌ ، وَكَذَلِكَ يَكْفُ الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ
عَنِ الْمَحْرَمَاتِ ، وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَحَاسَّةِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ .

شِعْرًا: أَحْبَابَنَا نُوبُ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَأَمْرٌ مِنْهَا رِفْعَةُ السُّفَهَاءِ
هَلْ يَسْتَفِيقُ النَّاسُ مِنْ سَكَرَاتِهِمْ وَنَرَى التُّدُولَ بِذِلَّةٍ وَبِلَاءِ
آخِر: وَقَائِلَةٌ شَبْتُمْ فَقُلْتُ لَهَا شَبْنَا

وَفِي هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ أَنْشَبْنَا
وَيَا لَيْتَنَا لَمَّا تَقَضَّى شَبَابُنَا
خَلَصْنَا وَأَخْلَصْنَا وَلَكِنَّا شَبْنَا
فِيَا عَجَبًا مَنَا عَلَى اللَّهِ نَجْتَرِي
وَتَهْوِي سَوَافِي الرِّيحِ أَرْوَاحَنَا جُبْنَا
وَكَيْفَ أَضْعَعْنَا بَاقِيَا لِمُعْجَلٍ
سَيَفِنِي لَقَدْ نَلْنَا بِصَفْقَتِنَا غَبْنَا
وَكَمْ صَرَفْتَنَا بَيْنَ مَلْهَى وَمَلْعَبٍ
فَمَا إِنْ نَكَّرْنَا فُبْحَ ذَاكَ وَمَا عَبْنَا

وَنَادِي سِفَاهٍ قَدْ حَضَرْنَا وَإِنَّمَا
 عَنِ الرَّشِيدِ وَالتَّوْفِيقِ يَوْمٍ غَبْنَا
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابَنَا
 إِذَا نَحْنُ فِي وَفْدِ الْقُبُورِ غَدًا أُنَا
 أَيْتَفَعُ إِنْكَارٌ وَذُو الْعَرْشِ عَالِمٌ
 بِمُودَعَةٍ صَدْرًا وَمُلَزَمَةٍ ضَبْنَا
 أَلَا لَيْسَ إِلَّا عَفْوُهُ عَن ذُنُوبِنَا
 فَإِنْ يَخِبُ التَّقْدِيرُ فِيهِ فَقَدْ خَبْنَا

اللَّهُمَّ ثَبَّنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ الَّذِينَ نَوَّرْتَ
 قُلُوبَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ ، وَأَهَلَّتْهُمْ لِحَدَمَتِكَ ، وَحَرَسَتْهُمْ مِنْ عَدُوِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصْلٌ فِي الْقَذْفِ

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لَمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّ الْقَذْفَ - هُوَ الرَّمْيُ بِالزَّنَا - مُحَرَّمٌ
 بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
 بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وَقَالَ
 تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ » وَعَدَّ مِنْهَا : «
 قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ » .

الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَلَمَّا عَظَّمَ جَلَّ وَعَلَا أَمْرَ الزَّانِي بِوُجُوبِ جَلْدِهِ ، وَكَذَا رَجْمِهِ إِنْ كَانَ مُحْصَنًا ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ مُقَارَنَتُهُ وَلَا مُخَالَطَتُهُ عَلَى وَجْهِ لَا يَسْلَمُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ ، بَيْنَ تَعَالَى تَعْظِيمِ الإِقْدَامِ عَلَى رَمِي الأَعْرَاضِ الْمُحْصَنَةِ الْعَفِيفَةِ بِالزَّانَا ، وَشَدَّدَ فِي عُقُوبَتِهِ ، فَأَوْجَبَ عَلَى القَازِفِ إِذَا لَمْ يُقِمِ البَيِّنَةَ عَلَى مَا قَالَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ .

(أَحَدُهَا) : أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً . (الثَّانِي) : أَنْ تُرَدَّ شَهَادَتُهُ ، فَيَكُونُ سَاقِطَ الإِعْتِبَارِ فِي النَّاسِ ، مُلْعَى القَوْلُ ، لَا تُسْمَعُ لَهُ كَلِمَةٌ ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ ، وَلَوْ حُدَّ لِلْقَذْفِ حَتَّى يَتُوبَ . (الثَّلَاثُ) : أَنَّهُ يَكُونُ فَاسِقًا ، لَيْسَ بِعَدَلٍ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ النَّاسِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَعْمَدُ إِلَى امْرَأَةٍ مُتَمَتِّعَةٍ بِالحِصَانَةِ وَالْعِقَّةِ وَالنِّزَاهَةِ ، بَعِيدَةً عَنِ الرِّيبَةِ ، رُبَّمَا أَنَّهَا لَا تَخْطُرُ لَهَا بَيْتَالٌ ، وَلَا تُحَدِّثُ بِهَا نَفْسَهَا ، وَرُبَّمَا كَانَتْ ذَاتَ دِينٍ ، غَافِلَةً عَنْهُ ، مُقْضِيَةً وَقْتَهَا فِي إِصْلَاحِ شَأْنِهَا ، وَتَدْبِيرِ بَيْتِهَا ، وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا ، وَتَطْهِيرِ نَفْسِهَا ، فَيَرْمِيهَا بِالزَّانَا الَّذِي يَثْلُمُ بِهِ عِرْضَهَا ، وَيَجْرَحُهَا ، وَيُشِيعُ الفَاحِشَةَ عَلَيْهَا ، وَيُشَوِّهُ بِه سُمْعَتِهَا وَتَسُوُّهُ بِه حَالُهَا ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ سَيِّئِ الآثَامِ مَا يُجْلِبُ الهُمُومَ وَالْعُمُومَ وَالْأَنْكَادِ وَالْأَحْزَانَ ، وَمَاذَا تَكُونُ نَظَرُهُ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى المُقْدُوفِ وَأُسْرَتِهِ ، وَمَاذَا يَكُونُ غَضَبُهُمْ عَلَى القَازِفِ وَمَنْ سَاعَدَهُ وَنَشَرَ مَعَهُ الفَاحِشَةَ . نَسَأَلُ اللَّهَ العَاقِبَةَ .

وَقَالَ سَيِّدُ قُطْبٍ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ : إِنَّ تَرْكَ الأَلْسِنَةِ تُلْقِي التُّهْمَ عَلَى المُحْصَنَاتِ - وَهِنَّ العَفِيفَاتِ الحَرَائِرُ نَبِيَّاتٍ أَوْ أَبْكَارًا - بِدُونِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ يَتْرُكُ المِجَالَ فِيسِيحًا لِكُلِّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَقْدِفَ بَرِيئَةً أَوْ بَرِيئًا بِتِلْكَ التُّهْمَةِ النَّكَرَاءِ ، ثُمَّ يَمْضِي آمِنًا فَتُصْبِحُ الجَمَاعَةُ وَتُمْسِي وَإِذَا أَعْرَاضُهَا

مُجَرَّحَةً ، وَسَمِعْتُهَا مُلَوَّثَةً ، وَإِذَا كُلُّ فَرْدٍ فِيهَا مُتَّهَمٌ أَوْ مُهَدَّدٌ بِالِاتِّهَامِ ، وَإِذَا كُلُّ زَوْجٍ فِيهَا شَاكٌ فِي زَوْجِهِ ، وَكُلُّ رَجُلٍ فِيهَا شَكٌّ فِي أَصْلِهِ ، وَكُلُّ بَيْتٍ فِيهَا مُهَدَّدٌ بِالِاتِّهَائِ . وَهِيَ حَالَةٌ مِنَ الشَّكِّ وَالْقَلَقِ وَالرَّيْبَةِ لَا تَطَاقُ ، ذَلِكَ إِلَى أَنَّ اطِّرَادَ سَمَاعِ التُّهْمِ يُوحِي إِلَى النُّفُوسِ الْمُتَحَرِّجَةِ مِنْ اِزْتِكَابِ الْفِعْلَةِ أَنَّ جَوَّ الْجَمَاعَةِ كُلُّهُ مُلَوَّثٌ ، وَأَنَّ الْفِعْلَةَ فِيهَا شَائِعَةٌ ، فَيُقَدِّمُ عَلَيْهَا مَنْ كَانَ يَتَحَرَّجُ مِنْهَا ، وَتَهْوُونَ فِي حِسِّهِ بِشَاعَتِهَا بِكَثْرَةِ تَرَدَادِهَا ، وَشُعُورِهِ بِأَنَّ كَثِيرِينَ غَيْرُهُ يَأْتُونَهَا ، وَمَنْ تَمَّ لَا بُحْدِي عُقُوبَةُ الزَّنَا فِي مَنْعٍ وَقُوعِهِ ، وَالْجَمَاعَةُ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ وَهِيَ تَتَنَفَّسُ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ الْمَلُوثِ الْمُوَحِّي بِاِزْتِكَابِ الْفَحْشَاءِ . لِهَذَا وَصِيَانَةٌ لِلْأَعْرَاضِ مِنَ التَّهَجُّمِ وَحِمَايَةٌ لِأَصْحَابِهَا مِنَ الْآلَامِ الْفِطْرِيَّةِ الَّتِي تُصَبُّ عَلَيْهِمْ شَدَدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عُقُوبَةِ الْقَذْفِ ، فَجَعَلَهَا قَرِيبَةً مِنْ عُقُوبَةِ الزَّنَا .. ثَمَانِينَ جِلْدَةً .. مَعَ إِسْقَاطِ الشَّهَادَةِ ، وَالْوَصْمِ بِالْفِسْقِ .. وَالْعُقُوبَةُ الْأُولَى : جَسَدِيَّةٌ . وَالثَّانِيَّةُ : أَدْبِيَّةٌ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ ، وَيَكْفِي أَنْ يُهْدَرَ قَوْلُ الْقَازِفِ فَلَا يُؤْخَذُ لَهُ بِشَهَادَةٍ ، وَأَنْ يَسْفُطَ اعْتِبَارُهُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ مُتَّهَمًا لَا يُوثِقُ لَهُ بِكَلَامٍ .

وَالثَّلَاثَةُ : دِينِيَّةٌ فَهِيَ مُنْحَرَفٌ عَنِ الْإِيمَانِ ، خَارِجٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .. ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْقَازِفُ بِأَرْبَعَةٍ يَشْهَدُونَ بِرُؤْيَا الْفِعْلِ ، أَوْ بِثَلَاثَةٍ مَعَهُ إِنْ كَانَ قَدْ رَأَهُ . فَيَكُونُ قَوْلُهُ إِذَا صَحِيحًا ، وَيُوقَعُ حَدُّ الزَّنَا عَلَى صَاحِبِ الْفِعْلَةِ . وَالْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةُ لَا تَحْسُرُ بِالسُّكُوتِ عَنْ تُّهْمَةٍ غَيْرِ مُحَقَّقَةٍ كَمَا تَحْسُرُ بِشَيْئٍ مِنَ الْإِتِّهَامِ وَالتَّرْخُصِ فِيهِ ، وَعَدَمِ التَّحَرُّجِ مِنَ الْإِدَاعَةِ بِهِ ، وَتَحْرِيزِ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْمُتَحَرِّجِينَ عَلَى اِزْتِكَابِ الْفِعْلَةِ

التي كانوا يستفقدونها ، ويظنونها ممنوعة في الجماعة أو نادرة . ذلك فوق الآلام الفظيعة التي
 تُصيب الحرائر الشريقات والأحرار الشرفاء ، وفوق الآثار التي تترتب عليها في حياة الناس
 وطمأنينة البيوت . انتهى .

اللَّهُمَّ اكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورٍ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ
 لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورِ الرَّحِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ : سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا يُؤَاخِذَ مُذْنِبًا بِذَنْبِ اقْتِرَفِهِ ، أَوْ جَرِيمةً اجْتَرَمَهَا ، أَوْ
 جَرِيرَةً ارْتَكَبَهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَّقُوهُ مِنْ مَحَارِمِهِ ، وَيَحْتَنِبُوهُ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ الْمُؤَدِّيَةِ
 بِهِمْ إِلَى هَوَّةِ الْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ
 الْكَرِيمَ ، ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ فِيهِ هُدًى وَتَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ ،
 فَاسْتَمْسَكَ الْمُسْلِمُونَ مِدَّةً مِنَ الدَّهْرِ بِهَدْيِهِ ، وَخَلَّفُوا بِآدَابِهِ ، فَكَانُوا فِي ذَلِكَ الْحِينِ أَهْلَ الْحَوْلِ
 وَالطَّوْلِ وَالقُوَّةِ وَالْمِنْعَةِ ، تَعْنُوا لَهُمُ الْوُجُوهُ ، وَتَخَضَّعَ لَهُمُ الرَّقَابُ فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ مُنَارِعٌ إِلَّا ابْتَرُوا
 مُلْكُهُ ، وَاسْتَبَاحُوا مَكَانَ الْعِزَّةِ مِنْهُ ، وَأَخَذُوا بِطَرْفِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ ، وَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
 لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، كَانُوا فِي تِلْكَ الْأَرْزَامِ يَعْمَلُونَ
 بِطَاعَةِ اللَّهِ وَيَتَّقُونَهُ ، وَيُحْسِنُونَ فِي عِبَادَتِهِ وَإِلَى عِبَادِهِ ، وَيَصْبِرُونَ عَنْ مَعَاصِيهِ ، وَعَلَى أَقْدَارِهِ ،
 فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُمْ بِعَوْنِهِ

وَتَوْفِيقِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، يَا عِبَادَ اللَّهِ كَانَ كُتْبَاءُ النَّاسِ وَسَادَتُهُمْ فِي الصِّدْرِ الْأَوَّلِ أَشَدُّ النَّاسِ ظُهُورًا بِالتَّمَسُّكِ بِالَّذِينَ تَقْتَدِي بِهِمُ الْعَامَّةُ فِي تَوْحِيدِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، فَأَنْعَكَسَتْ عَلَيْنَا الْآنَ الْقُضِيَّةُ ، وَصَارَ الْعَامَّةُ أَشَدُّ تَمَسُّكًا بِالَّذِينَ ، وَأَرْسَى عَقِيدَةً مِنْ أَوْلِيكَ ، وَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَّقُونَ ، يَحْمِلُونَ الْمُؤَهَّلَاتِ الْمَعْرُوفَةَ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدِّينِ ، وَأُبْعَدَهُمْ عَنِ تَعَالِيهِ ، نَبَذَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَمَا تُنْبِذُ النَّوَاهُ ، لَا لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا عَلَى عَيْبٍ فِي الدِّينِ ، أَوْ هَفَوَةَ فِي أَصُولِهِ ، وَلَكِنَّهُمْ مُقَدُّونَ فِي هَذَا الضَّلَالِ لِقَوْمٍ عَرَفُوا ﴿﴾
 ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿﴾ وَرَأَوْا تَكَالِيفَ الدِّينِ وَتَعَالِيَهُ لَا تَتَّفِقُ مَعَ شَهَوَاتِهِمْ وَمَلَذِهِمْ ، فَاتَّخَذُوا الْخُرُوجَ عَنْ تَكَالِيفِهِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَلَازِمِ الْحَيَاةِ ، ﴿﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿﴾ .

شِعْرًا: يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ يَصُدُّ ذَوْبَهُ عَنِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
 وَلَوْ كَانَ ذَا حَقًّا فَكَيفَ تَقَدَّمْتَ أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمِ جَهْلُهُ فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ
 هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ
 لَقَدْ أَيْقَظَ الْإِسْلَامَ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَا بِصَائِرِ أَقْوَامٍ عَنِ الْمَجْدِ نَوْمِ
 فَأَشْرَقَ نُورُ الْعِلْمِ مِنْ حُجْرَاتِهِ عَلَى وَجْهِ عَصْرِ بِالْجَهَالَةِ مُظْلِمِ
 وَذَكَ خُصُونِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْهُدَى وَقَوَّضَ أَطْنَابَ الضَّلَالِ الْمُخَيِّمِ
 وَأَنْشَطَ بِالْعِلْمِ الْعِزَائِمِ وَابْتَنَى لِأَهْلِيهِ مَجْدًا لَيْسَ بِالْمُتَهَدِّمِ
 وَأَطْلَقَ أَذْهَانَ الْوَرَى مِنْ قِيُودِهَا فَطَارَتْ بِأَفْكَارٍ عَلَى الْمَجْدِ حُومِ
 وَفَكَ أَسَارَ الْقَوْمِ حَتَّى تَحْفَظُوا نُهوضًا إِلَى الْعِلْيَاءِ مِنْ كُلِّ مَجْهِمِ
 فَخَلُّوا طَرِيقًا لِلْبَدَاوَةِ مَجْهَلًا وَسَارُوا بِنَهْجٍ لِلْحَضَارَةِ مُعْلِمِ

فَدَوَّتْ بِمُسْتَنِّ الْعَالَى نَهَضَاتُهُمْ كَزَعَزَعِ رِيحٍ أَوْ كَتَيَّارِ غَيْلِمِ
 وَعَمَّا قَلِيلٍ طَبَّقَ الْأَرْضَ حُكْمُهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى الْقِمِ
 وَقَدْ حَاكَتْ الْأَفْكَارُ عِنْدَ اصْطِدَامِهَا تَلَأَلُوْا بَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَرِّمِ
 وَلَا حَتَّ تَبَاشِيرِ الْحَقَائِقِ فَاَنْجَلَتْ عَنِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُكُوكَ التَّوْهِمِ
 فَلَيْسَ لِمُثَرِّ نَقْصُهُ حَقٌّ مُعْذِمِ وَلَا عَرَبِيٍّ بِخُسْهُ فَضْلٌ أَعْجَمِ
 وَلَا فَخْرٌ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِدِينِهِ وَلَا فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقَى وَالتَّكْرُمِ

آخر: هُوَ الْمَوْتُ فَاصْنَعِ كُلَّ مَا أَنْتَ صَانِعُ

وَأَنْتَ لِكَأْسِ الْمَوْتِ لَا بُدَّ جَارِعُ
 أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْمُخَادِعُ نَفْسَهُ
 رُوِيْدًا أَتُدْرِي مَنْ أَرَاكَ تُخَادِعُ
 وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَيْرِ بِلَاغِهِ
 سَتَسِرُّكَهَا فَانظُرْ لِمَنْ أَنْتَ جَامِعُ
 فَكَمْ قَدْ رَأَيْتَ الْجَامِعِينَ قَدْ أَصْبَحَتْ
 لَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الشَّرَابِ مَضَاجِعُ
 لَوْ أَنَّ ذَوِي الْأَبْصَارِ يَزَعُونَ كَلَمًا
 يَرَوْنَ لَمَا جَفَّتْ لِعَيْنِ مَدَامِعُ
 طَعَى النَّاسِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 فَقَدْ دَرَسَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ الشَّرَائِعُ
 وَصَارَتْ بُطُونِ الْمُرْمَلَاتِ خَمِيصَةً
 وَأَيَّتَامُهُمَا مِنْهُمْ طَرِيْدٌ وَجَائِعُ
 وَإِنَّ بُطُونِ الْمُكْتَبِرِينَ كَأَنَّمَا
 يُنْقِنِقُ فِي أَجْوَافِهِنَّ الصَّفَادِعُ

فَمَا يَعْرِفُ الْعَطْشَانَ مَنْ طَالَ رِيُّهُ
 وَلَا يَعْرِفُ الشُّبْعَانَ مَنْ هُوَ جَائِعٌ
 وَتَصْرِيفُ هَذَا الْخَلْقِ لِلَّهِ وَحْدَهُ
 وَكُلُّ إِلَيْهِ لَا مَحَالَةَ رَاجِعٌ
 وَاللَّهُ فِي الدُّنْيَا أَعَاجِيبُ جَمَّةٌ
 تَدُلُّ عَلَى تَذْيِيرِهِ وَبَدَائِعُ
 وَاللَّهُ أَسْرَارُ الْأُمُورِ وَإِنْ جَرَتْ
 بِهَا ظَاهِرًا بَيْنَ الْعِبَادِ الْمَنَافِعُ
 وَاللَّهُ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ يَعْلَمُ بِهِ
 أَلَا فَهُوَ مُعْطٍ مَا يَشَاءُ وَمَانِعٌ
 إِذَا ظَنَّ مَنْ تَرَجُّو عَلَيْكَ بِنَفْعِهِ
 فَدَعُوهُ فَإِنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
 وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مَنَاهُ وَهَمُّهُ
 سَابَتْهُ الْمَنَى وَأَسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ
 وَمَنْ عَقَلَ اسْتَحْيَى وَأَكْرَمَ نَفْسَهُ
 وَمَنْ قَنَعَ اسْتَغْنَى فَهَلْ أَنْتَ قَانِعٌ
 لِكُلِّ امْرِئٍ رَأْيَانٍ رَأْيِي يَكْفُهُ
 عَنِ الشَّرِّ أَحْيَانًا وَرَأْيِي يُنَانِعُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكْفِيَنَا مَا أَهْمَنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ ،
 وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ
 بِرَحْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وُجُوهُنَا عَنِ السُّجُودِ لِعَيْرِكَ فَصُنْ وُجُوهُنَا عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِعَيْرِكَ ، اللَّهُمَّ مَنْ كَانَ عَلَى هَوَى وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ فَرَدَّهُ إِلَى الْحَقِّ حَتَّى لَا يَظُنُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ اللَّهُمَّ لَا تَشْعَلْ قُلُوبَنَا بِمَا تَكْفَلْت لَنَا بِهِ وَلَا تَجْعَلْنَا فِي رِزْقِكَ خَوَلَاءَ لِعَيْرِكَ وَلَا تَمْنَعْنَا خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِشَرِّ مَا عِنْدَنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) وَصَرِيحُ الْقَذْفِ أَنْ يَقُولَ : يَا زَانِي ، أَوْ يَقُولَ لَهُ : يَا لُوطِي ، أَوْ يَا عَاهِرٌ ، أَوْ يَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ زَنَيْتَ ، أَوْ زَنَى فَرْجُكَ ، أَوْ يَا مُنْبُوكُ ، أَوْ يَا وَلَدَ الزَّانِي ، أَوْ يَا وَلَدَ الزَّانِيَةِ ، فَفِي الْأَوَّلِ قَذْفٌ لَهُ ، وَفِي الْأَخِيرَتَيْنِ قَذْفٌ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، أَوْ يَقُولُ لَابْتِهَاتِهَا : يَا ابْنَةَ الزَّانِيَةِ وَكَنَائَتِهِ أَيْ الْقَذْفُ أَنْ يَقُولَ : يَا قَحْبَهُ ، أَوْ يَا فَاجِرَهُ ، أَوْ يَا خَبِيثَهُ فَفِي الصَّرِيحِ - إِذَا اجْتَمَعَتِ الشُّرُوطُ - يُجَدُّ ثَمَانِينَ وَفِي الْكِنَايَةِ إِذَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ .

وَالشُّرُوطُ الْمَعْتَبَرَةُ لِإِقَامَةِ الْحَدِّ (أَحَدُهُمَا) مُطَابَقَةُ الْمُقْدُوفِ لِلْقَازِفِ بِحَقِّهِ وَاسْتِدَامَةِ الطَّلَبِ إِلَى إِقَامَةِ الْحَدِّ ، بِأَنْ لَا يَعْتَمِدَ ، (وَالثَّانِي) أَنْ لَا يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ عَلَى مَا قَدَفَهُ بِهِ لِمَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ وَالشُّرُوطُ (الثَّلَاثُ) أَنْ لَا يُصَدِّقَهُ الْمُقْدُوفُ ، فَإِنْ صَدَّقَهُ لَمْ يُقَمَّ عَلَيْهِ الْحَدُّ لِأَنَّ تَصَدِيقَهُ لَهُ أَبْلَغُ مِنْ إِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ وَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يُلَاعِنَ الْقَازِفُ الْمُقْدُوفَ إِنْ كَانَ الْقَازِفُ زَوْجًا ، فَإِنْ لَاعَنَ سَقَطَ عَنْهُ الْحَدُّ وَيُعَزَّرُ بِقَوْلِهِ : يَا كَافِرٌ ، يَا مُنَافِقُ ، يَا سَارِقُ ، يَا فَاسِقُ ، يَا فَاجِرٌ ، يَا حِمَارٌ ، يَا تَيْسٌ ، يَا زَافِضِي ، يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، يَا جَائِرٌ ، يَا شَارِبُ الْخَمْرِ ، يَا كَذَّابٌ أَوْ كَاذِبٌ ، أَوْ يَا ظَالِمٌ ، أَوْ يَا خَائِنٌ ، أَوْ يَا مُخَنَّثٌ ، أَوْ يَا قَوَادٌ ، أَوْ دَيْوُثٌ . وَالْدَيْوُثُ هُوَ الَّذِي يُقَرُّ الْفَاحِشَةَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَالْقَوَادُ هُوَ السَّمْسَارُ فِي الزَّانَا وَبِاللُّغَةِ الشَّعْبِيَّةِ الْجَرَّارُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَاقِعُونَ فِي الْقَذْفِ الَّذِي فِي الْحَقِيقَةِ عَلَيْهِمْ عُقُوبَتُهُ دُنْيَا وَأُخْرَى . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَا يُقِيمُونَ هَذَا الْقَوْلَ وَزَنَا فَلِهَذَا لَا يُسْمَعُ لَهُذَا الْحَدُّ ذِكْرٌ وَلَا لِلْمُطَابَقَةِ بِهِ ، وَهَذَا غَلَطٌ ، بَلْ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كِرَامَتِهِ ، وَيُطَالَ بِحَقِّهِ ، لِاسْتِدَامَةِ وَفِي الْمَطَابَقَةِ فِي مِثْلِ حَدِّ

الْقَذْفِ رَدْعٌ لِهَؤُلَاءِ الْمُطْلِقِينَ لِأَلْسِنَتِهِمْ الْعِنَانُ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ وَنَشْرِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَضُرُّهُمْ وَتَضُرُّ غَيْرَهُمْ فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . وَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : « ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ مُعَاذُ وَهَلْ يَكُتُبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ : مَا النَّجَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسْعُكَ بَيْتُكَ وَابْنُكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ » . « وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي » . إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَلامِ شُرُوطًا لَا يَسْلَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنَ الزَّلَلِ إِلَّا إِذَا عَمِلَ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَا يَعْرِى مِنَ النَّقْصِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَوْفِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ذَكَرَهَا الْعُلَمَاءُ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ .

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ لِدَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ أَمَّا الَّذِي لَا دَاعِيَ لَهُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ فَتَرْكُهُ أَوْلَى .

وَالشَّرْطُ (الثَّانِي) : أَنْ يَأْتِيَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ ، وَيَتَوَخَّى بِهِ إِصَابَةَ فُرْصَتِهِ ، بِأَنْ يَتَرَقَّبَهَا وَيَتَحَرَّاهَا .

وَالشَّرْطُ (الثَّلَاثُ) : أَنْ يَفْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ .

وَالشَّرْطُ (الرَّابِعُ) : أَنْ يَتَخَيَّرَ اللَّفْظَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَأَمَّا الَّذِي لَا دَاعِيَ لَهُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرَرٍ هَذِيانُ ، وَمَا لَا سَبَبَ لَهُ هَجْرٌ ، وَمَنْ سَامَحَ نَفْسَهُ فِي الْكَلَامِ إِذَا عَرَضَ لَهُ وَهَبَ فِي خَاطِرِهِ ، وَلَمْ يُرَاعِ صِحَّةَ دَوَاعِيهِ ، وَإِصَابَةَ مَعَانِيهِ ، كَانَ قَوْلُهُ مَرْدُودًا ، وَرَأْيُهُ مَعْلُودًا ، كَمَا حُكِيَ أَنَّ

شَابًا كَانَ يُجَالِسُ الْأَخْنَفَ وَيُطِيلُ الصَّمْتَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْأَخْنَفُ ، فَخَلَّتِ الْحَلَقَةُ يَوْمًا مِنْ
 الْمِتَكَلِّمِينَ ، فَقَالَ الْأَخْنَفُ : تَكَلَّمْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَقَالَ : يَا عَمَّ لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ شَرَفِ
 هَذَا الْمَسْجِدِ يَضْرِبُهُ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي لَيْتَنَا تَرَكْنَاكَ مَسْتُورًا .
 ثُمَّ تَمَثَّلَ الْأَخْنَفُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَايِنَ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبًا

زِيَادُتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانَ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَاللِّدْمِ

فَلِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينًا أَوْ دُنْيَا تَكَلَّمَ ،
 وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كَالْقَذْفِ وَالْكَذِبِ وَالتَّمِيمَةِ أَمْسَكَ فَلَا يُخْرِجُهُ ، وَقَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ،
 يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ ، فَالْعَاقِلُ يَتَفَكَّرُ وَيَزِنُ كَلَامَهُ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَرَى أَنَّ فِيهِ لَهُ مَصْلَحَةٌ ،
 وَلَا مَضَرَّةَ فِيهِ عَلَيْهِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ لَمْ يَعِدْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : أَحْسِنَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يَحْسِبَكَ أَوْ يُتْلِفَ نَفْسَكَ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ :
 « وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ كَثُرَ
 كَلَامُهُ كَثُرَتْ آثَامُهُ . فَعَلَيْكَ بِطَرِيقِ السَّلَفِ الَّذِينَ عَمَّرُوا أَوْقَاتَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ .

قُلُوبٌ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالذِّكْرِ تَعْمُرُ وَأَوْجُهُهُمْ بِالْقُرْبِ وَالْبِشْرِ تَرْهَرُ

يُنَاجُونَ مَوْلَاهُمْ بِفَرْطِ تَضَرُّعٍ وَأَدْمَعُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَقْطُرُ

آخر: صَلَّى إِلَيْهِ عَلَى قَوْمٍ شَهِدْتُهُمْ

كَانُوا إِذَا ذُكِّرُوا أَوْ ذُكِّرُوا شَهِقُوا

كَانُوا إِذَا ذَكَرُوا نَارَ الْجَحِيمِ بَكَوْا
 وَإِنْ تَلَا بَعْضُهُمْ تَخْوِيفَهَا صَاعِقُوا
 مِنْ غَيْرِ هَمَزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ يَأْخُذُهُمْ
 عِنْدَ التَّلَاوَةِ إِلَّا الْخَوْفُ وَالشَّقْفُ
 صَرَخَى مِنَ الْحُزَنِ قَدْ سَجَّوْا نِيَابَهُمْ
 بِقِيَّةِ الرُّوحِ فِي أَوْدَاجِهِمْ رَمَقُوا
 حَتَّى تَخَالَهُمْ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ
 مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْإشْفَاقِ قَدْ زَهَقُوا
 صَانُوا الْعُيُونَ عَنِ الْعَوْرَاتِ جُهِدَهُمْ
 وَفِي لُحُومِ الْوَرَى وَالْكَذِبِ مَا نَطَقُوا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَقِّنَا لِلْعَمَلِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
 وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ الْمُؤَبَّقَاتِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْبَشَارَاتِ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى
 وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللهِ لَقَدْ ضَاعَتْ أَعْمَارُنَا فِي الْقَيْلِ وَالْقَالِ ، وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ ، وَالْمَدَاهِنَةِ ، وَالْأَهْمَاكِ
 فِي الدُّنْيَا ، إِلَى أَنْ اسْتَلْحَقَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ جُزْءًا مِنَ اللَّيْلِ مُضَافًا إِلَى النَّهَارِ ، وَكَأَنَّنا لَمْ
 نُخْلَقْ إِلَّا لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ ، أَفَلَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ عَفَلَتِنَا ، وَنَحْفَظُ أَلْسِنَتِنَا عَنْ نَهْشِ أَعْرَاضِ الْعَوَافِلِ ،
 وَالطَّعْنِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ، وَنَصْرِفَ جَلَّ الْأَوْقَاتِ إِلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي هِيَ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّنَا ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ، وَنَذْكُرُ

مَوْلَانَا الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَيْنَا مِدْرَارًا ، فَإِنَّ الدَّكْرَ عَاقِبَتُهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكِرَامَةِ وَالْقَرَارِ ، مَعَ رِضَى رَبِّنَا
الَّذِي دُونَهُ كُلُّ ثَوَابٍ ، تَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُمْ قِيَمَةَ النَّصِيحَةِ لَبَادَرْتُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلَّ الْبَدَارِ ، فَإِنَّكَ
وَأَنْتَ تَذَكُرُ اللَّهَ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَسَائِرَ الْأَمْوَالِ ، وَأَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُجَاهِدَ الْعُدُوَّ
فَيَضْرِبَ عُنُقَكَ أَوْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْأَبْرَارِ ، كَيْفَ لَا وَالذَّكْرُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ
وَأَزْكَاهَا ، وَأَزْفَعَهَا لِلدَّرَجَاتِ عِنْدَ مَوْلَانَا الْوَهَّابِ حَسْبُ الدَّاكِرِ : أَنْ تَحْمَهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنْزِلُ
عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ، وَتَعْشَاهُ الرَّحْمَاتُ ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الدَّاكِرِ ، وَهُوَ وَقْتُ ذِكْرِهِ لِلَّهِ يَذْكُرُهُ
بَارِئُ الْكَائِنَاتِ ، وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ بِالذَّكْرِ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ ، يَحْفَظُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ
وَوَسَاوِسِهِ الْفَاتِنَاتِ ، وَمَنْزِلَةُ الدَّاكِرِ بَيْنَ الْغَافِلِينَ كَمَنْزِلَةِ الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ ، وَذَكَرَ اللَّهُ يُبِيرُ
الْقَلْبَ ، وَيُوقِظُهُ وَيُحْيِيهِ ، وَيُرِيْلُ رَأْيَهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ .

شِعْرًا: وَإِنَّ أَحْسَنَ قَوْلٍ أَنْتَ سَامِعُهُ قَوْلٌ تَضَمَّنَ تَوْحِيدَ الَّذِي خَلَقَا
آخِر: لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ فَطِنٌ يُرِضِي الْإِلَهَ بِإِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ
آخِر: لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا مُخْلِصٌ فَطِنٌ يُرِضِي الْإِلَهَ بِإِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ
آخِر: رَجَاءُ إِلَهِ الْخَلْقِ عِنْدِي ذَخِيرَةٌ وَلِشِدَّةِ الْعُظْمَى تُعَدُّ الدَّخَائِرُ
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذْكُرُ
وَصَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنْامِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ مَا دُمْتَ تَقْدِرُ
شِعْرًا: وَالذَّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادَ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمَطَرُ
وَقَالَ الْآخِر:

وَخَيْرُ مَقَامٍ قُمْتَ فِيهِ وَخَصْلَةٌ تَحَلَّيْتَهَا ذَكَرُ الْإِلَهِ بِمَسْجِدِ
آخِر :

(أَحْسَنُ اشْتِيَاقًا لِلْمَسَاجِدِ لَا إِلَى) قُصُورٍ وَفُرْشٍ بِالطَّرَازِ مُوشَّحُ

وَأَمْنَحُ وَدِّي لِلْمَسَاكِينِ صَافِيًا
 أُجَالِسُهُمْ وَالْهَجْرَ لِلْغَيْبِ أَمْنَحُ
 فَفِي ذُلِّ نَفْسِي عِزُّهَا وَبِمَوْتِهَا
 حَيَاةٌ لِأَجْلِ الْعَالِي بِاللَّدُونِ أَسْمَحُ
 (لَنَا بِاعْتِزَالِ لَدِّ فِي جَانِبِ الْهَوَى
 مُجَاوِرَةٌ الْأَسْفَارِ لِلصَّادِرِ تَشْرَحُ)
 (فَإِنْ شِئْتَ تَفْسِيرًا مُرَادَ مُحَقِّقٍ
 وَإِنْ شِئْتَ تَوْجِيحًا بِهِ الْمَرْءُ يُفْلِحُ)
 (وَإِنْ رُمْتَ كُتُبًا لِلْحَدِيثِ وَشَرْحِهِ
 وَجَدْتَ وَلَمْ يَعْدُوكَ أَنْسٌ وَمَرِيحُ)
 (وَإِنْ رُمْتَ آدَابًا وَتَارِيخًا مَنْ مَضَى
 وَجَدْتَ وَفَاتِ الْوَقْتِ وَالْفِكْرُ يَسْرَحُ
 (وَإِنْ رُمْتَ كُتُبَ الْفِقْهِ أَوْ كُتُبَ أَصْلِهِ
 تَنَاوَلْتَ أَحْكَامًا بِهَا الْقَلْبُ يَفْرَحُ)
 وَتَسْلَمُ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ وَمَنْ أَدَى
 جَلِيسٍ وَمَنْ وَاشٍ يَنْبَغُ وَيَجْرَحُ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ فِيهَا مَحَبَّتَكَ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَوَقِّفْنَا لِلْعَمَلِ
 بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَجَنِّبْنَا جَمِيعَ الْمُؤَبَقَاتِ وَلَا تُرِعْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
 إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ .
 اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّؤْمِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا
 بِرَجَائِكَ وَاقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ

تَعْلَمَ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمَ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا .

(فَصْلٌ) : عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَخْبَرَ رُبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّ حَيَاةَ أُخْرَى تُجَازَى فِيهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ
أَعْمَالٍ ، وَلَا شَكَّ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهَا فِي كِتَابِهِ ، وَأَخْبَرَ بِهَا جَمِيعَ
الرُّسُلِ ، وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَلَامَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى إِفْتِرَاقِهَا ، يَزِدَادُ بِهَا إِيمَانًا ذُو الْقَلْبِ
السَّلِيمِ ، وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : قِسْمٌ ظَهَرَ وَانْقَضَى ، وَهِيَ الْأَمَارَاتُ
الْبُعِيدَةُ ، وَقِسْمٌ ظَهَرَ وَلَمْ يَنْقُضْ ، بَلْ لَا يَزَالُ فِي زَيْدَادٍ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْعَايَةَ ظَهَرَ ، وَالْقِسْمُ
الثَّلَاثُ وَهِيَ الْأَمَارَاتُ الْقَرِيبَةُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي تَعْقِبُهَا السَّاعَةُ ، فَإِنَّهَا تَتَابَعُ كَنْظَامِ خَرَزَاتٍ انْقَطَعَ
سِلْكُهَا .

فَالأُولَى الَّتِي ظَهَرَتْ وَمَضَتْ ، مِنْهَا : بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْتُهُ ، وَفَتْحُ
الْمَقْدِسِ ، وَقَتْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْهَا وَقَعَةُ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ ، فَقَدْ صَحَّ
عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ ، يَكُونُ
بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، دَعْوَاهَا وَاحِدَةٌ » . وَمِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ ابْنِي هَذَا
سَيِّدٌ ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَمِنْهَا : مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَمَا
جَرَى عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فِي أَيَّامِهِمْ مِنَ الْأَذِيَّةِ ، كَقَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَرَمِي الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ ، وَنَارُ
الْحِجَازِ الَّتِي أَضَاءَتْ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى ، وَمِنْهَا خُرُوجُ كَذَّابِينَ كُلِّ مِنْهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ ،
وَمِنْهَا كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَكَثْرَةُ الزَّلَازِلِ .

الثَّانِيَةُ : الْعَلَامَاتُ الْمُتَوَسِّطَةُ ، مِنْهَا : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى
يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْدُّنْيَا لُكْعُ بَنِ لُكْعٍ » . وَاللُّكْعُ الْعَبْدُ

الأحمق واللئيم ، والمعنى : لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان الصابير على دينه كالقابض على الجمر » . رواه الترمذي عن أنس ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « يكون في آخر الزمان عباءة وجهال وقرأء فسقة » . وفي لفظ : « فساق » . رواه أبو نعيم ، والحاكم عن أنس . ومنها : أن يرى الهلال ساعة يطلع ، فيقال : ليلتين لكيره ، روى معناه الطبراني عن ابن مسعود ، وفي لفظ : « من أشرط الساعة انتفاح الأهلة » . أي : عظمها .

ومنها انحسار الفرات عن جبل من ذهب ، فعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : كنت واقفا مع أبي بن كعب رضي الله عنه فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا . قلت : أجل ، قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهب به كله » . قال : « فيقتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون » . رواه مسلم . ومنها ما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة ، وفشو التجارة ، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة » . رواه أحمد ، والبخاري . وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة » . رواه الطبراني ، وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقترب الساعة شاركته المرأة زوجها في التجارة ، والتسليم للمعرفة » . أخرجه أبو نعيم ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه

قُلْتُ : وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ الْيَوْمِ يَتَعَلَّمُونَ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى شَهَادَةِ الْمَاجِسْتِيرِ أَوْ الدِّكْتُورَاهِ أَوْ الْبِكَارِيُوسِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ لَا لِأَجْلِ إِزَالَةِ الْجَهْلِ عَنِ نَفْسِهِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ بِتَعْلِيمِهِمْ بَلْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَهَوَ تَعَلُّمٌ لِعَيْبِ الدِّينِ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَهَوَلاءِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا تَعُدُّ شَهَادَتُهُمْ جَوَازَ سَفَرٍ إِلَى نَيْلِ الْوَرِيَقَاتِ

فَهَذَا الْحَدِيثُ عِلْمٌ مِّنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ فَقْرَةٍ مِّنْ فِقْرَاتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ عَصْرِ الْمِلاهِبِ وَالْمِنْكَرَاتِ وَالْفِتَنِ وَالشُّرُورِ ، وَالسُّفُورِ وَالتلفزيونِ وَالفِيدِيُوتِ وَالْمَدَائِيعِ وَالْكُرَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَهَى وَأَشَعَلَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ .

شِعْرًا: يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ إِشْتِغَلَ

قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلِ

الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً

وَالصَّادِرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلِ

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ سُلَيْمَانَ مَوْقُوفًا ، وَالْحَسَنُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ مَرْفُوعًا : « إِذَا ظَهَرَ الْقَوْلُ ، وَخُزِنَ الْعَمَلُ ، وَاتْتَلَفَتِ الْأَلْسُنُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ ، وَقَطَعَ كُلُّ ذِي رَحْمٍ رَحْمَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ » . وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْحَاكِمُ ، وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَرْفُوعًا : « إِذَا كَانَتْ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ ، وَالْمَلِكُ فِي صِعَارِكُمْ ، وَالْعِلْمُ فِي مُرَادِكُمْ ، وَالْمَدَاهِنَةُ فِي خِيَارِكُمْ » ، يَعْنِي فَتَقَرَّبُ إِقَامَةُ السَّاعَةِ .

وَمِنْهَا مَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَعَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَحْدِثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ ، وَيَكْثُرَ الرَّبَا ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْحَمْرِ ، وَيَقِلُّ الرَّجَالُ ، وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِحَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ » وَمِنْ أَمَارَاتِهَا تَضْيِيعُ الْأَمَانَةِ ، وَإِضَاعَتُهَا تَوْسِيدُ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَمِنْهَا فُشُوُّ الرَّبَا وَقَدْ عَمَّ .

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَعْرُضِ كَلَامِ لَهُ :

وَإِنْ تَشَوَّفْتُمْ إِلَى سِمَاعِ الْأَعْدَارِ ، وَتَشَوَّقْتُمْ إِلَى جَمَاعِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ لِقَوْلِي حَدَارِ حَدَارِ ، فَأَلْفُوا السَّمْعَ لِمَا أَقُولُ وَتَدَبَّرُوا مَا أوردُهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ وَالتُّقُولِ ، أَلَيْسَ هَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ ، الصَّابِرِ فِيهِ كَفَارِضٌ عَلَى الْجَمْرِ ، رَأَيْنَا فِيهِ مَا أَنْدَرُ بِهِ الرَّسُولَ ρ وَصَحَّتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ وَالتُّقُولُ لِكُلِّ سَأُولٍ ، آيَاتٍ وَعَلَامَاتٍ مَا كَانَتْ تَفْعُ فِيهَا مَضَى مَنَامَاتٍ ، وَيَبُودُ كُلُّ أَنَّهُ عِنْدَ الْمَتَى مَاتَ ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ρ بِأَنْ يَلْزَمَ الْعَالِمُ عِنْدَهَا خَاصَّةً نَفْسِهِ وَيَدْعِ الْعَوَامَ ، مِنْ ذَلِكَ الشُّحُّ الْمَطَاعُ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ ، وَهَوَى لَهُ ذُو اتِّبَاعٍ ، وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ وَذَلِكَ عَيْنُ الْإِبْتِدَاعِ ، قَدْ مَرَجَّتِ الْأَمَانَاتُ وَالْعُهُودُ ، وَكَثُرَ الْقَائِلُونَ بِالزُّورِ وَالشُّهُودِ ، وَجَمَّ الْإِخْتِلَافُ ، وَقَلَّ الْإِئْتِلافُ ، وَكُذِّبَ الصَّادِقُ ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ ، وَخُوِّنَ الْأَمِينُ ، وَاتُّمِنَ الْخَائِنُ ، وَنَطَقَ الرُّوَيْبِضَةُ ، وَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ النَّافِي فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ، وَتَعَلَّمَ الْمُتَعَلِّمُ لِعَبْرِ الْعَمَلِ ، وَكَانَ التَّفَقُّهُ لِلدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَمَلٌ ، وَأُهِنَ الْكَبِيرُ ، وَقَدَّمَ الصَّغِيرُ ، وَرَفَعَتِ الْأَشْرَارُ ،

وَوُضِعَتِ الْأَخْيَارُ فَلَا يُتَّبَعُ الْعَلِيمُ ، وَلَا يُسْتَحَى مِنَ الْحَلِيمِ ، وَاتُّخِذَتِ الْبِدْعَةُ سُنَّةً فَلَا يُعَيَّرُهَا مِنْ مَرٍّ ، وَصَارَ الْمَوْتُ إِلَى الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ، وَاسْتَعْلَى الْجُهَالُ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَقَهَرَ السُّفَهَاءُ الْحُلَمَاءَ ، وَوَلِيَ الدِّينُ غَيْرَ أَهْلِهِ ، وَظَهَرَ الْفُحْشُ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ عَلَى قَدْرِ جَهْلِهِ . انتهى .

اللَّهُ أَكْبَرَ فِي الدَّفَاعِ سَأَبْتَدِي
 وَهُوَ الَّذِي نَصَرَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
 وَبِهِ أَصُولٌ عَلَى جَمِيعِ خُصُومِنَا
 سَأَسْأَلُ سَهْمًا فِي كِنَانَةِ وَحْيِهِ
 وَبِهِ سَأَجِدُ أَنْفَ كُلِّ مُكَابِرٍ
 وَسَأَسْتَجِيرُ بِذِي الْجَلَالِ وَذِي الْعُلَا
 وَسَأَسْتَمِدُّ الْعَوْنَ مِنْهُ عَلَى الَّذِي
 حَتَّى أَشَتَّ شَمْلَهُمْ بِأَدْلَةٍ
 وَبُنُورِ وَحْيِ اللَّهِ أَكْشِفُ جَهْلَهُمْ
 لَا تَلْمِزُونَا يَا خَفَافِشَ الدُّجَا
 لَا تَقْذِفُونَا بِالشُّذُودِ فَإِنَّا
 وَلِكُلِّ قَوْلٍ نَسْتَدِلُّ بِآيَةٍ
 وَالتَّسْخِخَ نَعْرِفُ وَالْعُمُومَ وَإِنَّا
 وَنُصُوصُ وَحْيِ اللَّهِ نُتَقِنُ فَهَمَهَا
 وَإِذَا تَعَارَضَتِ النُّصُوصُ فَإِنَّا
 وَنَحَارِبُ التَّقْلِيدَ طُولَ زَمَانِنَا
 وَكَذَا الْأَيْمَةَ حُبُّهُمْ مُتَمَكِّنٌ
 وَتَرِقُ أَنْفُسُنَا لِرُؤْيَا مَنْ غَدَا
 وَهُوَ الْمُعِينُ عَلَى نَجَاحِ الْمُقْصِدِ
 وَسَيَنْصُرُ الْمُتَعِينِ لِأَحْمَدَ
 وَأَعُدُّهُ عَوْنًا عَلَى مَنْ يَعْتَدِي
 وَبِهِ أَشَدُّ عَلَى كِتَابِ حُسَيْدِي
 وَبِهِ سَأَرْصُدُ لِلْكَفُورِ الْمُحَادِ
 فَلَنْ أَضَامَ إِذَا اسْتَجَرْتُ بِسَيْدِي
 لَمَزَ الْأَجْبَةَ بِالْكَلامِ الْمُفْسِدِ
 مِثْلَ الصَّوَاعِقِ فِي السَّحَابِ الْأَسْوَدِ
 حَتَّى يُبَيِّنَ عَلَى رُؤُوسِ الْمَشْهَدِ
 بِتَطْرُفٍ وَتَسْرِعٍ وَتَشَادُّدِ
 سِرْنَا عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
 أَوْ بِالْحَدِيثِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُسْنَدِ
 مُتَقَطِّبُونَ لِمُطْلَقٍ وَمُقَيَّدِ
 لَا تَحْسِبُونَ الْفَهْمَ كَالرَّأْيِ الرَّدِّي
 بِأَصُولِ سَادَتِنَا الْأَيْمَةِ نَهْتَدِي
 مَعَ حُبِّنا لِلْعَالَمِ الْمُتَجَرِّدِ
 مِنْ كُلِّ نَفْسٍ يَا بَرِيَّةُ فَاشْهَدِي
 فِي رِنْقَةِ التَّقْلِيدِ شِبْهَ مُقَيَّدِ

إِنَّا نَرَى التَّقْلِيدَ دَاءً قَاتِلًا
 جَعَلَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمُقْلَدِ حَالِكًا
 فَلِذَا بَدَأْنَا فِي اجْتِهَاتِ جُدُورِهِ
 وَلَسَوْفَ نَدْمُلُ دَاءَهُ وَجِرَاحَهُ
 نَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ طُولَ حَيَاتِنَا
 وَنُحَارِبُ الشُّرْكَ الخَيْثَ وَأَهْلَهُ
 وَكَذَلِكَ الْبِدْعُ الخَيْثَةُ كُلُّهَا
 هَذِي طَرِيقَتُنَا وَهَذَا نَهْجُنَا
 لِمَا تَطْعُنُونَا وَتَلْمِزُونَا كَأَنَّا
 أَلْمَذُوبُ وَلِعَادَةِ وَحُكُومَةِ
 هَذَا الْحَدِيثِ تَلَالَاتُ أَنْوَارِهِ
 إِنْ كُنْتُمْ تَتَضَرَّرُونَ بِنُورِهِ
 بِاللَّهِ قُولُوا مَا الَّذِي أَنْكَرْتُمُوا
 هَدَدْتُمُونَا بِالْمَذَاهِبِ بَعْدَ مَا
 وَيَهْتُمُونَا بِالْقَبَائِحِ كُلِّهَا
 وَرَفَعْتُمُونَا لِلْوُلَاةِ تَشْفِيًّا
 لَأَكِنَّنَا لُدْنَا بِبَابِ الْهِنَا
 وَجَلَا الْحَقِيقَةَ لِلْمَالِ فَخَسَأْتُمُوا
 يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ سِيرُوا
 وَلْتَعْلِنُوها لِلْبِرِّيَّةِ كُلِّهَا
 لَا نَطْلُبُ الدُّنْيَا وَلَا نَسْعَى لَهَا
 لَيْسَ الْمَنَاصِبُ هَمَّنَا وَمُرَادُنَا
 إِنَّا لَنَسْعَى فِي صَلَاحِ نُفُوسِنَا

حَجَبَ الْعُقُولَ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَرْشَدِ
 فَتَرَى الْمُقْلَدَ تَائِهًا لَا يَهْتَدِي
 مِنْ كُلِّ قَلْبٍ خَائِفٍ مُتَرَدِّدٍ
 بِمَرَاهِمِ الْوَحْيِ الشَّرِيفِ الْمُرْشِدِ
 فِي كُلِّ حِينٍ فِي الْخَفَا وَالْمَشْهَدِ
 حَرْبًا ضَرُوسًا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ
 نَقْضِي عَلَيْهَا دُونَ بَابِ الْمَسْجِدِ
 فَعَلَامَ أَنْتُمْ دُونَنَا بِالْمَرْصَدِ
 جِنًا بِرَأْيٍ لِلْعَقِيدَةِ مُفْسِدِ
 تَتَهَرَّبُونَ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ
 رَغَمَ الْجَهُولِ وَرَغَمَ كُلِّ مُقْلَدِ
 فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ رَغَمَ أَنْفِ الْأَرْمَدِ
 عَلَى الْبِرِّيَّةِ لِلْحَقِيقَةِ تَهْتَدِي
 وَضَحَ الدَّلِيلِ فَبَسْ مِنْ مُتَهَدِّدِ
 وَعَرَضْتُمُونَا بِالْقَنَاعِ الْأَسْوَدِ
 وَفَرَحْتُمُوا بِتَهَادُّدِ وَتَوَعُّدِ
 فَأَرَاخَنَا مِنْ كُلِّ حِصْمٍ مُعْتَدِ
 وَالسُّوءُ يَظْهَرُ مِنْ خَيْثِ الْمَقْصَدِ
 وَأَبْشَرُوا وَتَقَوَّا بِنَصْرِ الْوَاحِدِ الْمُتَفَرِّدِ
 إِنَّا بِغَيْرِ مُحَمَّدٍ لَا نَقْتَدِي
 اللَّهُ مَقْصَدُنَا وَنَعَمَ الْمَقْصَدِ
 كَلَّا وَلَا ثُوبَ الْخَدِيعَةِ نَرْتَدِي
 بِعِلَاجِ أَنْفُسِنَا الْمَرِيضَةِ نَبْتَدِي

وَنُحِبُّ أَنْ نَهْدِيَ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا
 وَيُوجِبِ الْمَعْرُوفِ نَأْمُرُ قَوْمَنَا
 لَوْ تَبَصَّرُ الْإِخْوَانَ فِي حَلَقَاتِنَا
 لَرَأَيْتَ عِلْمًا وَاتِّبَاعًا صَادِقًا
 أَنْعَمَ بَطَلَابِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِيهِ
 هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا مَصَابِيحُ الْهُدَى
 وَرَثُوا النَّبِيَّ فَأَحْسَنُوا فِي إِرْثِهِ
 سَعِدُوا بِهِدْيِ مُحَمَّدٍ وَكَلَامِهِ
 وَالِدَيْنِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 وَالْفَقْهُ فَهُمْ النَّصِّ فَهَمَّا وَاضِحًا
 لَا تَحْسَبَنَّ الْفَقْهَ مَتْنًا خَالِيًا
 فَعَلَيْكَ بِالْوَحْيَيْنِ لَا تَعْدُوهُمَا
 فَإِذَا تَعَدَّرَ فَهْمُ نَصِّ غَامِضٍ
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُورِ فَإِنَّهُ
 وَعَلِمَ بَأَنَّ مَنْ اقْتَدَى بِمُحَمَّدٍ
 وَيَذُوقُ أَنْوَاعَ الْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
 فَاصْبِرْ عَلَيْهِ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَاتَّقَا

مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ انْتَبَهُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، فَإِنَّ أَعْمَارَكُمْ سَرِيعَةٌ الْإِنْصِرَامِ ، وَالْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي تَمُرُّ بِكُمْ
 مَرَّ السَّحَابِ ، وَالدُّنْيَا إِذَا تَأَمَّلَهَا اللَّيْبُ رَأَاهَا كَالسَّرَابِ ، وَصَدَقَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِهَا حَيْثُ قَالَ :
 حَيَاةٌ وَمَوْتٌ وَانْتِظَارُ قِيَامَةٍ ثَلَاثٌ أَفَادَتْنَا أُلُوفَ مَعَانِ
 فَلَا تَمَهَّرَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ إِنَّهَا تُفَارِقُ أَهْلِيهَا فِرَاقَ لِعَانِ

وَلَا تَطْلُبَاهَا مِنْ سَنَانٍ وَصَارِمٍ يَوْمَ ضِرَابٍ أَوْ يَوْمِ طِعَانٍ
فَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ تَخْلَصَا مِنْ أذَاتِهَا مُحِطًا بِهَا الْأَثْقَالُ وَاتَّبِعَانِ

وقال آخر:

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٍ وَابْنُ هَالِكٍ

وَدُوٌّ نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ

لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

آخر: هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمَلْءِ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ فَتْكِ وَبَطْشِي

فَلَا يَغْرُوكُمَا مِنِّْي ابْتِسَامٌ فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكَي

آخر: أَقُولُ وَيَقْضِي اللَّهُ مَا هُوَ قَاضِي وَإِنِّي بِمَا يَقْضِي إِلَّاهُ لِرَاضِي

أَرَى الْخَلْقَ يَمْضِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَيَا لَيْتَنِي أُدْرِي لِمَا أَنَا مَاضِي

كَأَنَّ لَمْ أَكُنْ حَيًّا إِذَا حُثَّ غَاسِلِي وَأَسْرَعُ لَقِي ثِيَابِ بِيَاضِي

أَعْوَامٌ سَرِيعَةُ الْمُرُورِ ، وَشُهُورٌ تَقْتَفِي إِثْرَ شُهُورٍ وَعَبِيرٌ بَيْنَ ذَلِكَ تَتْرَى ، فَعَلَامَ الْعُرُورِ ، فَلَا تَعْتَرُوا بِالدُّنْيَا فَقَدْ نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِهَا وَضَرَبَتْ لَكُمْ بِأَخْذِ أَمْثَالِكُمْ الْأَمْثَالَ ، أَرْتَكُمُ عِيَانًا كَيْفَ تَقَلَّبْتِ بِأَهْلِهَا الْأَحْوَالَ ، وَخَدَعْتُهُمُ الْاِمَالَ ، حَتَّى انْتَهَتْ لَهُمُ الْاِجَالَ ، قَبْلَ أَنْ يَحْضُلُوا عَلَى مَا سَيَتَمَنُّونَهُ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، فَاسْتَيْقَظُوا مِنْ نَوْمِكُمْ ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا اِكْتَسَبْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي الثَّقَالِ ، فَأَيُّ نَفْسٍ مِنَّا لَمْ تَحْمِلْ ظُلْمًا ، وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِنَا لَمْ تَعْتَرِفْ إِثْمًا ، وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِنَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ ، وَأَيُّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِنَا تَمَحَّضَ لِلطَّاعَةِ وَخَلَا مِنَ الْاِثْمِ ، لَقَدْ جَنَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا بِالذُّنُوبِ جِنَايَةَ عَظِيمَةً ،

فَلْيَنُورُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ ، لَعَلَّهَا تَلِينُ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ فَإِنَّهُمَا لِحَقِّ الْيَقِينِ ،
 وَذَكَّرُوهَا ﴿ يَوْمَ يَتُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
 شِعْرًا: وَفِي دُونَ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا

إِلَى دَفْعِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرُ
 فَجُدَّ وَلَا تَغْفَلْ وَكُنْ مُتَّقِظًا
 فَعَمَّ مَا قَلِيلٍ يَتِرُكَ الدَّارَ عَامِرُ
 وَشَمَّرْ وَلَا تَفْتُرْ فَعَمْرُكَ زَائِلٌ
 وَأَنْتَ إِلَى دَارِ الْإِقَامَةِ صَائِرُ
 وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ نَعِيمَهَا
 وَإِنْ نَلْتَ مِنْهَا غِبَّهْ لَكَ ضَائِرُ
 أَمَا قَدْ نَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبَلَاءِ
 يَرُوحُ عَلَيْنَا صَارْفُهَا وَيُبَاكِرُ
 تَعَاوَرْنَا آفَاتَهَا وَهَمُومَهَا
 وَكَمْ قَدْ نَرَى يَبْقَى لَهَا الْمُتَعَاوِرُ
 فَلَا هُوَ مَعْبُوطٌ بِدُنْيَاهُ آمِنٌ
 وَلَا هُوَ عَنِ تَطْلَابِهَا النَّفْسَ قَاصِرُ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِإِعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهْلَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَكَلِّكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَبِمَا صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُنْتَفِعِينَ ، وَإِلَى
 لَذِيذِ خِطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ ، وَلَا أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ

خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَأَعْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ) : وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَقَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ ، وَيَلِيَسُ بِهِ الدَّيْنُ إِلَّا الْبَلَاءُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرًا : يَبْكِي رَجَالٌ عَلَى الْحَيَاةِ وَقَدْ اشْتَقْتُ يَا قَوْمِي إِلَى قُرْبِ الْأَجَلِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ تَعْرِضَ لِقَلْبِي فَنَنَّةٌ فَتَصْرِفُهُ عَنِ طَاعَةِ الْمَوْلَى الْأَجَلِ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ ، وَلَا الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ » ، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ : هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكَوْفَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هُجَيْرٌ إِلَّا : يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ ، قَالَ : فَفَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِنًا ، فَقَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا ، وَنَحَاهَا نَحْوَ الشَّامِ ، فَقَالَ : عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَيَجْمَعُ هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ . قُلْتُ : الرَّوْمُ تَعْنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةً شَدِيدَةً ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَمْسُوا ،

فَيَفِيءُ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرٍ غَالِبٍ ، وَنَفَى الشَّرْطَةَ ، فَإِذَا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً ، إِمَّا قَالَ : لَا يُرَى مِثْلَهَا ، وَإِمَّا قَالَ : لَمْ يُرَ مِثْلَهَا ، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخْلِفُهُمْ حَتَّى يَخْرَ مَيْتًا ، فَيَتَعَادُ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً ، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلَ الْوَاحِدَ ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ، أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبِئْسَ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِيَّيَّيْ لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَاللَّوَانَ خِيُولِهِمْ ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

شِعْرًا:

نَسَى الْمَنَايَا عَلَى أَنَا لَهَا غَرَضُ
فَكَمْ أَنَسَ رَأْيَنَاهُمْ قَدْ انْقَرَضُوا
إِنَّا لَنَرْجُو أُمُورًا نَسْتَعِدُّ لَهَا
وَالْمَوْتُ دُونَ الَّذِي نَرْجُوهُ مُعْتَرِضُ
لِلَّهِ دُرُّ بَنِي الدُّنْيَا لَقَدْ غُبُوا
لَمَّا اطْمَأَنَّنُوا بِهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَرَضُوا
مَا أَرَبَحَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا تِجَارَةً إِنْ
سَانَ يَرَى أَنَّهَا مِنْ نَفْسِهِ عِوَضُ
لَبَسَتِ الدَّارُ دَارًا لَا نَرَى أَحَدًا
مِنْ أَهْلِهَا نَاصِحًا لَمْ يَعُدْهُ غَرَضُ

مَا بَالُ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ لَا
 يَنْكَفُ عَنْ عَرْضِ الدُّنْيَا وَيَنْقَبِضُ
 تَصِيحُ أَقْوَالٍ أَقْوَامٍ بِوَصْفِهِمْ
 وَفِي القُلُوبِ إِذَا كَشَفْتَهَا مَرَضُ
 وَالنَّاسِ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ
 وَكُلُّهُمْ عَنْ جَدِيدِ الأَرْضِ مُنْقَبِضُ
 وَالحَادِثَاتُ بِهَا الأَقْدَارُ جَارِيَةٌ
 وَالمَرُءُ مُرْتَفِعٌ فِيهَا وَمُنْحَفِضُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا
 حَتَّى مَتَى نَحْنُ فِي الغِرَاتِ نَرْتَكِضُ
 نَفْسُ الحَكِيمِ إِلَى الخَيْرَاتِ سَاكِنَةٌ
 وَقَلْبُهُ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ مُنْقَبِضُ
 اصْبِرْ عَلَى الحَقِّ تَسْتَعِذِبْ مَعْبَتُهُ
 وَالصَّبْرُ لِلحَقِّ أَحْيَانًا لَهُ مَضَضُ
 وَمَا اسْتَرَبْتَ فَكُنْ وَقَافَةً حَذِرًا
 قَدْ يُرْمُ الأَمْرُ أَحْيَانًا فَيَنْتَقِضُ
 مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يُعْلَقَ عَنْكُمْ البَابُ ، وَابْتَدِرُوا الأَوْبَةَ قَبْلَ أَنْ يُرْخِيَ
 دُونَكُمْ حِجَابُهَا ، وَانْتَهَرُوا فُرْصَ الحَيَاةِ فَقَدْ افْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَتَضَاعَفَ افْتِرَابُهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرِضُونَ ﴾ ﴿ فَيَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَكَّرُوا مَوَاقِفَ الحَلَائِقِ بَيْنَ
 يَدَيِ العَزِيزِ الجَبَّارِ فِي يَوْمٍ يُحْزَرُ فِيهِ الحِسَابُ ، وَأَعِدُّوا لِلحِسَابِ صَوَابَ الجَوَابِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ
 يُطْلَبَ مِنْكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ جَوَابُهَا ،

وَاجْتَنِبُوا التَّسْوِيفَ فَإِنَّ سَيْوْفَ الْمُنِيَةِ قَاطِعَةٌ ، يَا مَعْشَرَ الْمَسْوِفِينَ أَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الدُّنْيَا مُخْلَدُونَ ، وَأَنْتُمْ مَعَ الْعَاصِينَ قَاعِدُونَ ، كَمْ مَرَّتْ بِكُمْ مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَنِ اسْتِعْلَاهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ رَاقِدُونَ ، فَمَا بَالُكَ أَيُّهَا الْعَافِلُ تُسَارِعُ فِي مُتَابَعَةِ هَوَاكَ ، مَعَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ مُتَكَاسِلٌ ، وَتُثَلِّى عَلَيْكَ آيَاتُ مَوْلَاكَ وَأَنْتَ عَنْهَا مُعْرِضٌ إِعْرَاضَ الْجَاهِلِ تَسْمَعُ الْمَلَاهِي فَتَمِيلُ إِلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتُبْصِرُ الْمَنَاهِي مِنْ تَلْفِزِيُونَ وَفِدْيُو وَسِينِمَاءِ وَسَافِرَاتٍ وَصُورٍ فَلَا تَتَحَرَّكَ وَلَا تَتَمَعَّرُ ، هَلْ أَنْتَ مُكَذِّبٌ بِالتَّحْرِيمِ ، أَوْ مُتَشَكِّكٌ فِي الْبَعْثِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَالْحِسَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ ، فَيَا مُؤْمِنًا بِيَوْمِ الْحِسَابِ تَهَيَّأْ لِلْمُحَاسَبَةِ ، وَيَا مُدْعِنًا بِحُفُوقِ الرَّبِّ اسْتَعِدَّ لِلْمُطَابَعَةِ وَيَا طَوِيلَ الْأَمَلِ كَمْ آمَالٍ أَصْبَحَتْ خَائِبَةً ، فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكَ وَنَزَلَتْ فِي الْقَبْرِ مَعَ عَمَلِكَ وَخُشِرَتْ وَعُرِضَتْ عَلَى عَالَمِ سِرِّيرَتِكَ وَعَلَائِيَّتِكَ وَكَأَنَّكَ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَأَنَّكَ بِالْأَهْوَالِ وَالْمِخَاوِفِ وَقَدْ أَحَاطَتْ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ وَكَأَنَّكَ بِالْجَحِيمِ وَقَدْ سُعِرَتْ وَقَدْ أُزْلِفَتْ ، فَالْبِدَارَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَعْمَارِ .

شِعْرًا: يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْئُهُ وَهُوَ عَلَى غَيِّ الصَّبَا مُنْكَمِشٌ
يَعْتَشُوا إِلَى نَارِ الْهَوَى بَعْدَمَا أَصْبَحَ مِنْ ضِعْفِ الْقَوَى يَرْتَعِشُ
لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى نُجُومَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا ارْتَعِشُ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقًا لَهُ وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَمَنْ لَمْ يَعِشْ
فَهَاكَ كَأْسُ التُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ بِفَضْلِهِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ
آخِر: تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ
وَتُبَّ مِنْ ذُنُوبٍ مُوَبَقَاتٍ جَنَيْتَهَا فَمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ هَذَا مُخْلَدُ
آخِر: وَمَنْ عَجَبِ الدُّنْيَا كُونِي وَصَبُوتِي إِلَيْهَا عَلَى سِنِّي كَأَنِّي وَلِيْدُهَا
أَجَارِي اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ مُشِيحًا كَأَنِّي تَرْتُهَا وَطَرِيْدُهَا

اللَّهُمَّ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَوَفِّقْنَا لِلْفَهْمِ فِي دِينِكَ الْقَوِيمِ ،

واجعلنا من العالمين به قولاً وفعلاً الداعين إليه ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

موعظة : عباد الله ما ندم من أطاع الله في أي وقت كان ، ولا عادت الطاعات على صاحبها إلا بالخير والبركة في كل آن ، والعصاة في كل زمن هم الممقتون مهما ابتسمت لهم الدنيا وقضوا فيها بعض مآربهم ، ومهما هأموا بحبها وأحكموا أساليب جمعها ، فإن الدنيا لا تبتسم لفاسق إلا لسحقه ، ولا تفتح ذراعها لمقبل عليها إلا لئحرقه ، قال الله تعالى : ﴿ فَا لَا تَعْرَتِكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴾ فَمَادَا عَرَكَ فِيهَا أَيُّهَا الْمُسْكِينُ ، إِنْ كَانَ الَّذِي عَرَكَ فِيهَا كَثْرَةُ النَّقْدَيْنِ أَوْ مَا نَابَ مَنَابَهُمَا مِنْ أَوْرَاقٍ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ حَصْبًا وَهِيَ اللَّوْلُؤُ ، وَتُرَابُهَا الرَّعْفَرَانُ ، وَبِنَاؤُهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ، وَالذُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَرَكَ مِنْهَا فَوَاكِهُهَا وَمَطْعُومَاتُهَا وَمَا حَوَتْ مِنْ مَتَاعٍ ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَرَكَ جَمَالَ نِسَائِهَا ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ : ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ ، ﴿ وَكَوَاعِبٌ أَثْرَابًا ﴾ لَوْ ظَهَرَ بِنَانُ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنْيَا لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، وَتُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهَا سُورًا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ ، لَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهَا وَلَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْكَ ، لَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ ، تَأْمُرُهَا فَتَخْضَعُ ، وَتُحَدِّثُهَا فَتَسْمَعُ ، إِذَا تَكَلَّمْتَ أَطْرَبْتَ ، لَا تَفْتَخِرُ عَلَيْكَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، وَلَا تَمُنُّ بِجَمِيلِ صُنْعِهَا ، لَا تَنْفُرُ مِنْكَ وَلَا تَعْضَبُ ، وَلَا تَلْهُو عَنْكَ وَلَا تَصْحَبُ ، الْجَمَالَ كِسَاؤُهَا ، وَالْكَمَالَ رِدَاؤُهَا ، وَالْوُدَّ وَالْوَفَاءَ مِنْ طَبْعِهَا ، لَا يَعْلُو صَوْتُهَا عَلَى صَوْتِكَ ، وَلَا يَجْتَهِدُ إِلَّا فِي مَرْضَاتِكَ ، هَادِيَةٌ ، سَاكِنَةٌ رَاضِيَةٌ . تِلْكَ وَأَمْثَالُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَعْلُومِينَ ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أيها المسلمون ، لقد فازَ بالله من اجتهدَ فيما يُنحِيهِ ، وخابَ من أتعبَ نفسه فيما يُخْزِيهِ ، وأنتم الآن في فسحةٍ من أجلِكُم ، وصحةٍ من أبدانِكُم ، واكتِمَالٍ من عُقولِكُم ، وآخرِ الأجلِ غائبٌ عنكُم ، ولا تدرون كيفَ حالِكُم بعدَ يومِكُم فسارعوا ﴿ إلى مغفرةٍ من ربكُم وجنته عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ من قبل أن يفقدَ البدنُ صحتهُ ، ويقولَ الحقُّ كلمتهُ ، فينقضي الأجلُ ، ويختتمَ على العملِ ، فلا يُنقِصُ فيه ولا يُزَادُ ، ولا يُعدّلُ فيه شيءٌ إلى المعادِ ، تقولُ : ليّني أطعتُ ، وما هي بنافعةٍ ، وليّني ما عصيتُ ، وليستَ بدافعةٍ ، إذا فأضيعُ الناسَ وأخسرهم صفةً من سوفَ في طاعةِ ربِّه ، وأشدُّهم خسراناً من لم يُبادرِ في التوبةِ من ذنبه ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وفي الحديثِ : « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ » . رواه البخاري .

إلى الله تُبِّ قَبْلَ انْقِضَا زَمَنِ الْعُمْرِ

أَخِي وَلَا تَأْمَنْ مَسَاوِرَةَ الدَّهْرِ

لَقَدْ حَدَّثَكَ الْحَادِثَاتِ نَزُولَهَا

وَنَادَتْكَ إِلَّا أَنْ سَأَمَعَكَ ذُو وَقْرِ

تُحُوتُ وَتَبْكِي لِلْأَحْبَبَةِ أَنْ مَضُوا

وَنَفْسَكَ لَا تَبْكِي وَأَنْتَ عَلَى الْأَثْرِ

آخر: وَمَا حَالَاتُنَا إِلَّا ثَلَاثُ شَبَابٌ ثُمَّ شَيْبٌ ثُمَّ مَوْتُ

وَأَخِرُ مَا يُسَمَّى الْمَرْءُ شَيْخًا وَيَتَلَوُّهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَيِّتٌ

آخر: إِنِّي أَبُتُّكَ مِنْ حَدِيثِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شُجُونٌ

غَيْرُتُ مَوْضِعَ مَرْقَدِي لَيْلًا فَفَارَقَنِي السُّكُونُ

فُل لِي فَأَوَّلُ لَيْلَةٍ فِي الْقَبْرِ كَيْفَ تَرَى تَكُونُ
 آخِرُ: فَبَادِرُ إِلَى الْخَيْرَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا
 سَتَبْكِي نَفُوسٌ فِي الْقِيَامَةِ حَسْرَةً عَلَى فَوْتِ أَوْقَاتِ زَمَانِ حَيَاتِهَا
 فَلَا تَغْتَرِرُ بِالْعِزِّ وَالْمَالِ وَالْمُنَى فَكَمْ قَدْ بُلِينَا بِانْقِلَابِ صِفَاتِهَا
 آخِرُ: إِذَا مَرَضْنَا نَوِينَا كُلَّ صَالِحَةٍ

وَإِنْ شُفِينَا فَمِنَّا الزَّيْبُغُ وَالزَّلُّ
 نُرْضِي الْإِلَهَ إِذَا خَفْنَا وَنُسْخِطُهُ

إِذَا أَمِنَّا فَمَّا يَزُكُّوْنَا لَنَا عَمَلٌ

اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ ، وَتَبَتْنَا عَلَى إِتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ
 وَأَضَاعَهُ ، وَاخْتِمَ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في ذكر بعض الأحاديث التي وردت في الفتن وما يقع في آخر الزمان

عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتَهُ الْفِتْنَةَ أَمْ لَا ؟
 فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ رَأَى حَلَالًا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ ، وَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا يَرَاهُ
 حَلَالًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

وَعَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا
 فَرِعًا ، مُحْمَرًا وَجْهُهُ ، يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ
 رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » وَحَلَّقَ بِأَصْبُعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ

أَنهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَمُتَمَسِّبًا كَافِرًا ، يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » . رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَتَكُونُ فِتْنٌ يُفَارِقُ فِيهَا الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ ، تَطِيرُ الْفِتْنَةُ فِي قُلُوبِ رِجَالٍ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُعَيِّرَ الرَّجُلُ فِيهَا بِصَلَاتِهِ ، كَمَا تُعَيِّرُ الزَّانِيَةُ بِنِزَاهَا » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

قُلْتُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ مَا ذُكِرَ فَفَارَقَ رِجَالٌ آبَاءَهُمْ بِسَبَبِ فِتْنَةِ التَّلْفِيزِ ، وَبِسَبَبِ فِتْنَةِ الْكُفْرِ ، فَارَقَ رِجَالٌ آبَاءَهُمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَزَوْجَاتِهِمْ ، نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْهَا ، وَوَقَعَ فِي زَمَانِنَا أَيْضًا أَنْاسٌ يَتَهَكَّمُونَ وَيَسْخَرُونَ بِالمُصَلِّينَ ، وَمَنْ عَلَيَهَا سَيِّمًا الصَّالِحِينَ مِنْ إِعْفَاءِ لِحْيَةٍ ، وَاقْتِنَاءِ كُتُبِ السَّلَفِ ، وَكَثْرَةَ تَلَاوَةِ لِكَلَامِ اللَّهِ ، وَالبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَيَرْمُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ رَجَعِيُونَ وَمُتَأَخَّرُونَ وَمُنْحَطُونَ ، وَضِدَّهُمْ مِمَّنْ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ ، حَالِقِي اللَّحَى ، شُرَابِ الدُّخَانِ ، أَهْلِ الخِنَافِسِ وَالتَّوَالِيَةِ ، يُسْمُونَهُمُ المِتَمَدِّينَ المِتَّقِينَ ، وَهَذَا انْعِكَاسٌ نَسَأُ اللَّهُ العَافِيَةَ وَالتَّيَّبَاتِ عَلَى الإِسْلَامِ ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ فِي غَنَمٍ لَهُ
عَدَا عَلَيْهِ الذُّبُّ فَأَخَذَ شَاهًا مِنْ غَنَمِهِ ، فَأَذْرَكَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَاسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ وَهَجَّهَجَهُ فَعَانَدَهُ
الذُّبُّ يَمْشِي ، ثُمَّ أَفْعَى مُسْتَنْفِرًا بِذَنْبِهِ يُخَاطِبُهُ ، فَقَالَ : أَخَذْتَ رِزْقًا رَزَقْنِيهِ اللَّهُ ، قَالَ : وَاعْجَبًا
مِنْ ذَنْبٍ مُفْعٍ مُسْتَنْفِرٍ بِذَنْبِهِ يُخَاطِبُنِي ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَتْرُكُ أَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : وَمَا
أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّخْلَتَيْنِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ، يُحَدِّثُ
النَّاسَ عَنْ نَبَأٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَتَعَقَّ الْأَعْرَابِيُّ بِغَنَمِهِ ، حَتَّى الْجَأَهَا إِلَى
بَعْضِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ مَشَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَيْنَ الْأَعْرَابِيُّ صَاحِبُ الْغَنَمِ » فَقَامَ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَدَّثَ النَّاسَ بِمَا سَمِعْتَ ، وَمَا رَأَيْتَ » فَحَدَّثَ الْأَعْرَابِيُّ النَّاسَ بِمَا رَأَى مِنْ
الذُّبِّ ، وَمَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : « صَدَقَ آيَاتُ تَكُونُ
قَبْلَ السَّاعَةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَتُخْبِرُهُ نَعْلُهُ أَوْ
سَبُوطُهُ أَوْ عَصَاهُ بِمَا أَحَدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَرِوَاؤُهُ ثِقَاتٌ ، وَعَنْ سَهْلِ بْنِ
سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكُنِي
زَمَانٌ أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتَّبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ ، وَلَا يُسْتَحْيَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ
الْأَعَاجِمِ ، وَاللِّسَنَةُ الْعَرَبِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تُعْرَضُ الْقُلُوبُ عَلَى الْقُلُوبِ
كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا

نُكِتَ فِيهِ نُكُتَةٌ سَوْدَاءٌ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكُتَةٌ بَيْضَاءٌ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّعَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادٌ كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَهُ مِنْ هَوَاهُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كُنَّا قُوعِدًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْفِتْنَ فَاكْتَفَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَخْلَاسِ قَالَ : « هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ » ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ : « دَخْنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ قَرَيْبِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي ، وَإِنَّمَا أَوْلِيَايَ الْمُتَّقُونَ ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَزِكٍ عَلَى ضَلَعٍ ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ : « لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطِمْتَهُ لَطْمَةً ، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَمُؤْمِسِي كَافِرًا ، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ عَلَى فِسْطَاطَيْنِ ، فِسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ ، وَفِسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمُ فَانْتَظِرُوا الدَّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالحَاكِمُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، وَتَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نَنْقُلُ لَبِنَ الْمَسْجِدِ لَبِنَةً لَبِنَةً ، وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْعُبَارَ وَقَالَ : « وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَيَدْعُوْنَهُ إِلَى النَّارِ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وعن حَبَّةِ الْعَرِينِي قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عَلَى حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْفَتَنِ فَقَالَ : دُورُوا مَعَ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ مَا دَارَ ، وَانظُرُوا الْفِتَّةَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ سُمَيَّةَ فَاتَّبِعُوهَا ، فَإِنَّهُ يَدُورُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ مَا دَارَ ، قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : وَمَنْ ابْنُ سُمَيَّةَ ؟ قَالَ : عَمَّارٌ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَقْتُلَكَ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَةُ ، تَشْرَبُ شَرْبَةَ ضِيَاحٍ تَكُنْ آخِرَ رِزْقِكَ مِنَ الدُّنْيَا » . رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَقَالَ : صَحِيحٌ .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فَأَبْنُ سُمَيَّةَ مَعَ الْحَقِّ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ، وَالْبَيْهَقِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَبْشِرْ يَا عَمَّارُ ، تَقْتُلُكَ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَةُ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

قُلْتُ : وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ ، وَمَزِيَّةِ لَعَلِّي وَلِعَمَّارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُوَ أَنَّهُمَا مَعَ الْحَقِّ . وَعَنْ إِسْرَائِيلَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ - يَعْنِي الْبَصْرِيَّ - يَقُولُ : اسْتَقْبَلَ وَاللَّهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبِ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُؤَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ - وَكَانَ وَاللَّهُ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ - : أَيُّ عَمْرُوٍ إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ ، مَنْ لِي بِنَسَائِهِمْ ، مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سُمَيْرَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، فَقَالَ : اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ

فَاعْرَضَا عَلَيْهِ ، وَفُولا لَهُ ، واطلبنا إليه ، فَأَتَيْاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا وَقَالَا لَهُ ، وَطَلَبْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاشَتْ فِي دِمَائِهَا ، قَالَا : فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا ، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ ، قَالَ : فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ . فَصَالَحَهُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ - أَيُّ الْبَصْرِيِّ - : وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى ، وَيَقُولُ : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ . وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أَيْضًا مُعْجَزَةٌ حَيْثُ وَقَعَ مِصْدَاقُهُ بِمَا كَانَ مِنْ إِصْلَاحِ الْحَسَنِ بْنِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ .

شِعْرًا: نَهَارُكَ فِي بَحْرِ السَّفَاهَةِ تَسْبُحُ

وَلَيْلُكَ عَن نَوْمِ الرَّفَاهَةِ يُضْبِحُ

وَفِي لَفْظِكَ الدَّعْوَى وَلَيْسَ إِزَاؤُهَا

مِنَ الْعَمَلِ الزَّكَاةِ دَلِيلٌ مُصَحِّحُ

إِذَا لَمْ تُوَافِقْ قَوْلَهُ مِنْكَ فِعْلَةٌ

فَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ حَدِيثِكَ تَفْضَحُ

تَنْحَ عَنِ الْغَايَاتِ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا)

طَرِيقُ الْهُوبِنَا فِي سُؤْلُوكَ أَوْضَحُ

إِذَا كُنْتَ فِي سِنِّ النَّهْيِ غَيْرَ صَالِحٍ

فَفِي أَيِّ سِنٍّ بَعْدَ ذَلِكَ تَصَلِّحُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ ، وَارزُقْنَا صِدْقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ الْإِنَابَةِ ، وَيَسِّرْنَا لِلْيُسْرَى وَجَنِّبْنَا الْعُسْرَى ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

خطبة في ذمّ الفتن لأحد العلماء رحمة الله عليه

الحمد لله الذي ألبس من شاء من عباده ملابس الهداية والتوفيق وألزمهم كلمة التقوى فصارت الطاعة لهم خير أنيس ورفيق . وألهمهم شغل أوقاتهم بالخير فصرفوا كل وقت لما هو به خليق . أحمده سبحانه وتعالى حمداً تفرج به الكروب ويتسع به المضيق ، وأشكره شكر عبد إذا سمع المواعظ يفيق .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد لاذ بجنابه فنجاه من كل كرب وضيق ، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل الخلق ذا النسب العريق اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير عشيرة ورفيق .

أما بعد : أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن الفتنة نار شديد حزامها جائرة أحكامها ، مسمومة سهامها ، ممقوتة أيامها ، داعية إلى الشرك أعلامها ، تغير النعم وتعجل النقم وتقطع التواصل وتُصَيِّرُ أَهْلَهَا إِلَى التَّبَاغُضِ وَالتَّدَابِرِ أَوْ التَّخَاذُلِ يُطْلِعُ الشَّيْطَانَ فِيهَا رَأْسَهُ ، وَبَيَّتُ بِهَا فِي الْقُلُوبِ وَسْوَاسَهُ فَيَجْعَلُ الْآرَاءَ حَائِرَةً وَالْأَحْكَامَ جَائِرَةً

وَالْأَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً وَالْأَحْقَادَ مُكْتَنِفَةً وَجَمْرَاتِ الْفُؤَادِ مُوقَدَةً وَطُرُقَاتِ الرَّشَادِ مُؤَصَّدَةً حَتَّى يَكُونَ الْقَرِيبَ بَعِيدًا وَذُو الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةَ وَحِيدًا .

وهل هي إلا نار وقودها الغضب ومذكيها الهوى وطاعة الشيطان والصخب وقادحها الجهل واللعب ومؤججها العناد والكذب وموقدها الأديان والأنفس والأموال ومآل أهلها أشر مآل تصير الديار بلا وقع وتعجز خروقتها الراقع موقظها ملعون وقاتلها ومقتولها إلى النار والهون تطمع العدو في أهلها وتقطع المودة من أصلها تقطع سبل الولد والمال وتصير أهلها إلى سوء حال ليلهم سهر ونهارهم كدر .

فالله عباد الله أن يوري الشيطان بينكم زنادها أو يورد قلوبكم أقبح ميرادها فيظفر منكم بخبث السرائر ويطحنكم بدواهي الجوائر ، ثم تبوءوا في الدنيا بعارها وشارها وفي الآخرة بخسارتها ونارها ، ولا تلتذوا في العاجلة بشرب عقارها فتندموا في الآخرة غب إخمارها واحذروا أن تَسْلُكُوا مِنَ الْفِتَنِ سَبِيلَهَا وَأَلْزَمُوا كَلِمَةَ التَّقْوَى .

وكونوا أحق بها وأهلها وذروا نخوة الحمية ودعوة الجاهلية فقد جعلكم الله بالإسلام إخواناً وأمركم أن تكونوا على البر والتقوى أعاوناً ولا تكونوا كالذين أرجأوا العمل بسوف وحتى بأسهم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى فَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَهُ الْمُخْتَارَ وَأَصْحَابَهُ الْخَيْرَةَ الْأَبْرَارَ حِينَ ضَرَبَ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِثْلًا وَأَمْرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .. إلخ الآية .

وقال ρ : « إن من الناس أناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، ومن الناس أناسًا مغاليق للخير مفاتيح للشر ، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير وويل لمن كان مغلقًا للخير مفتاحًا للشر » . وقال ρ : « الفتنة راقدة لعن الله موقظها » ، وقال ρ :

« إذا التقى المسلمون بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » ، قالوا : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « إنه كان حريصًا على قتل صاحبه » .

وقال ρ : « يأتي المقتول يوم القيامة تشخب أوداجه دمًا متعلقًا بالقاتل يقول : يا رب سل عبدك هذا فيم قتلتني » .

وقال ρ في حديث أبي موسى الأشعري : « يكون في آخر الزمن فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا ، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا » .
إن الفتنة أشد من القتل فهي داء ممزوج بالمرارة شاربها وسفينة غارقة في الهلاك راكبها ونار محرقة بلهيبها موقدها ما تحملها قوم إلا ندموا عليها ولا أضرم نارها أحد إلا وقع فيها وهل يضرها إلا كل سفيه جاهل ولا يصطليها إلا كل حليم عاقل .

فتأكل بلهبها أموالهم وتسلم إلى المقابر أبطاهم يهرع إلى أهلها من كل دار شيطانها ويصبح لهم في كل رأس أجواؤها فحينئذ تكون الغلبة للشياطين وتكون الظلمة عليهم سلاطين فيؤمرون سفهاءهم فيضلون ويخالفون رأي عقلمهم فيهلكون أو يَضْمَحِلُّون .

جعلني الله وإياكم ممن أفاق لنفسه وفاق بالتحفظ أبناء حسنه وأعد عدة تصلح لرمسه واستدرك في يومه ما ضيعه في أمسه إن أحلى ما وعظ به الواعظون وتلذذ لخطابه المستمعون كلام من نحن لعفوه وكرمه مؤملون والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ الآيات بارك الله لي ولكم .

اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا وَقَدْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ مِنَّا وَاجْعَلْنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَهْمُهُمْ عِنْدَهُمْ بِكَثِيرٍ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ مَشْغُولِينَ شُغْلَ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَعْرِقِينَ كَأَنَّهُمْ مَا خَلِقُوا إِلَّا
لَهَا ، وَأَمَّا الدِّينُ فَلَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِمْ وَإِنْ خَطَرَ فَطَيْفٌ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أَثَرَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ فِي هَذَا الْإِهْمَاكِ الْعَظِيمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ بَلَغَ فِي تَهْوِينِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ الْعَايَةَ وَمِمَّا
يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّخْصَ يَرْتَدُّ عَنِ الدِّينِ فَلَا يُسْأَلُ وَلَا يُنَاقَشُ ، وَلِذَلِكَ نُرْعَثُ
الْبِرْكَهَ مِنْ أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا ، وَأَصْبَحْنَا وَقَدْ ضَرَبَ الدُّلُّ عَلَيْنَا سُرَادِقَهُ وَنَحْنُ كَأَنَّا
لَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ ، أَمَّا عَدَمُ الْبِرْكَهَ فِي أَعْمَارِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالْعَامُ لَا تَرَى لِحَيَاتِهِ
مِنْ أَثَرٍ فِي الْإِصْلَاحِ وَتَوَجِيهِ الْمُنْحَرِفِينَ ، وَالْقِيَامِ التَّامِ الْمُثْمِرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالسَّعْيِ فِي إِزَالَةِ مَا يَمَسُّ الدِّينَ مِمَّا حَلَّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَفَاسِدِ وَالشُّرُورِ ، وَلَوْ
سَأَلْتَ أَحَدَنَا هَلْ لَكَ مِنْ حَيَاتِكَ أَثَرٌ نَافِعٌ لَتَلَجَّجَ فِي الْكَلَامِ يَنْظُرُ وَرَاءَهُ فَلَا يَرَى أَثَرًا ،
وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْأَيَّامَ مَرَّتْ سُدًى تَتْلُوهَا الْأَيَّامُ هَذَا مِنْ عَدَمِ الْبِرْكَهَ فِي أَعْمَارِنَا ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبِرْكَهَ
فِي أَعْمَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا مَا دَامَ مُسْتَيْقِظًا يَتَحَرَّكُ وَلَا تَنْقَطِعُ أَقْوَالُهُ وَلَا أَعْمَالُهُ وَلَكِنَّهَا تَدُورُ بَيْنَ
حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ عَبَثٍ لَا يَلِيْقُ أَنْ يَصْدُرَ مِنَ الرَّجَالِ ، فَتَجِدُ الْكَذِبَ وَالنَّمِيمَةَ وَالْقَذْفَ
وَالغِيْبَةَ وَالتَّمَلُّقَ وَالنَّفَاقَ وَالرِّيَاءَ وَتَعْظِيمَ الْعِصَاةِ الْمُجَاهِرِينَ بِهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبِرْكَهَ فِي
أَمْوَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَكُونُ عِنْدَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ فَتَرَاهُ يُبِعْتَرُهُ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهِ وَمَلَذَاتِهِ الْفَاجِرَةِ أَوْ
يَكْبِرُهُ وَلَا يُخْرِجُ

مِنْهُ الزَّكَاةَ ، وَإِنْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَشْرُوعًا دِينِيًّا فَرَّ مِنْكَ مَدْعُورًا فَأَيُّ بَرَكَةٍ تَكُونُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَالِ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَوْلَادِنَا فَلَا تَنَّهُمْ فِي صِغَرِهِمْ يَكُونُونَ شَيَاطِينَ يُتَعَبُونَ فِي التَّرْيِيَةِ آبَاءَهُمْ ، وَأُمَّهَاتِهِمْ ، فَإِذَا شَبُّوا شَعِلُوا بِشَهْوَاتِهِمْ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ لِلْوَالِدَيْنِ مِنْ صُنُوفِ الْبِرِّ وَأَكْثَرُهُمْ يَكُونُ طُولَ حَيَاتِهِ حَرَبًا عَلَى وَالِدَيْهِ يُرِيهُمَا أَنْوَاعَ الْإِهَانَاتِ وَالْأَذَايَا وَأَيُّ بَرَكَةٍ فِي أَوْلَادٍ هَذَا حَالُهُمْ مَعَ وَالِدَيْهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ نَزَعَ الْبَرَكَةِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَنَا عَلَى إِقْبَالِنَا عَلَى الدُّنْيَا وَإِعْرَاضِنَا عَنِ الدِّينِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

شِعْرًا: زَمَانُ كُلِّ حَبِّ فِيهِ حَبٌّ وَطَعْمُ الْخَلِّ خَلٌّ لَوْ يُذَاقُ

لَهُمْ سُوقٌ بَضَاعَتُهُ النَّفَاقُ فَمَنْ نَاقَ يَكُونُ لَهُ نَفَاقٌ

آخر: خَمْسُونَ عَامًا تَوَلَّتْ فِي تَصَرُّفِهَا عُسْرٌ وَيُسْرٌ عَلَى الْحَالِينَ أَشْهَدُهُ

لَمْ أَبْكِ مَنْ زَمَنِ صَعْبٍ فُجِعْتُ بِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ أَفْقَدُهُ

وَمَا جَزَعْتُ عَلَى مَيِّتٍ فُجِعْتُ بِهِ إِلَّا ظَلَلْتُ لِسِتْرِ الْقَبْرِ أَحْسَدُهُ

وَمَا دَمَمْتُ زَمَانًا فِي تَقَلُّبِهِ إِلَّا وَفِي زَمَنِي قَدْ صِرْتُ أَحْمَدُهُ

آخر: أَحْنُ إِلَى وَقْتِ مَضَى بِغَضَارَةِ إِذِ الْعَيْشِ رَطْبٌ وَالزَّمَانُ مُوَاتِي

وَأَبْكِي زَمَانًا صَالِحًا قَدْ فَقَدْتُهُ يُقَطِّعُ قَلْبِي ذِكْرُهُ حَسَرَاتٍ

آخر: هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَاذِرُهُ

فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ

وَقْتُ بِهِ الْحَقُّ مَرْدُودٌ بِأَجْمَعِهِ

وَالظُّلْمُ وَالْبَغْيُ فِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ غَيْرٌ

لَمْ يُبْكِ مَيِّتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودٍ

زَعُمُوا لُبَيْدًا قَالَ فِي عَصْرِ لَه
 وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجَلْدِ الْأَجْرِبِ
 وَأَرَاهُ أَعْدَى خَلْفِهِ مِنْ خَلْفِهِ
 جَرَبًا وَأَعْيَا الدَّاءِ كُلِّ مُجْرِبِ
 وَتَضَاعَفَ الْجَرِبُ الَّذِي عَدَاؤُهُ لَا
 تَنْفَكُ عَنْ مَاضٍ وَلَا مُتَعَقِّبِ
 وَتَضَاعَفَ الدَّاءُ الْعُضَالُ فَخَلَفْنَا
 بَلَغَ الْجُذَامَ وَعَصْرُنَا عَصْرٌ وَبِي

اللَّهُمَّ أَشْرِبْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَوَقِّفْهَا لِلتَّفَكُّرِ فِي عَظِيمِ نِعَمِكَ عَلَيْنَا لِتَقْوَى وَتَزْدَادَ وَارزُقْنَا
 حُبَّ أَحِبَابِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ . اللَّهُمَّ وَثِّبْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَلَا تُزَعِّجْنَا بِعَدَاؤِهَا إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
 لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ - يَعْنِي ابْنَ رُمَّانَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِيَزِيدَ
 بْنِ مُعَاوِيَةَ : قَدْ وَطَّأَتْ لَكَ الْبِلَادَ ، وَفَرَشَتْ لَكَ النَّاسَ وَكَسَتْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا أَهْلَ الْحِجَازِ
 فَإِنَّ رَبَّكَ مِنْهُمْ رَبُّ فَوْجِهِ إِلَيْهِمْ مُسْلِمٌ بِنُ عُقْبَةَ الْمُرِّيِّ ، فَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ أَجِدْ لَهُ
 مَثَلًا لِطَاعَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ يَزِيدُ خِلَافُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَدُعَاؤُهُ إِلَى نَفْسِهِ دَعَا مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ
 الْمُرِّيِّ - وَقَدْ أَصَابَهُ الْقَالِجُ - وَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ فِي مَرَضِهِ : إِنْ رَأَيْتَنِي مِنْ أَهْلِ
 الْحِجَازِ رَأَيْتَنِي أَنْ أُوجِّهَكَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَيْتَنِي فَقَالَ : إِنِّي كَمَا ظَنَنْتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اعْتَقَدْتُ لِي ، وَعَبَّ
 الْجِيُوشَ ، قَالَ : فَوَرَدَ الْمَدِينَةَ فَأَبَاحَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ،

أَنَّهُمْ أَعْبُدُ لَهُ قِرْنٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ قُرَيْشٍ أُمُّهُ أُمُّ
وَلَدٍ فَقَالَ لَهُ : بَايِعْ يَزِيدَ عَلَى أَنَّكَ عَبْدٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ قَالَ : لَا بَلْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَأَبَى
أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُ وَقَتَلَهُ ، فَأَقْسَمَتْ أُمُّهُ فَسَمَّا لِعَيْنِ أَمَكْنَهَا اللَّهُ مِنْ مُسْلِمٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا أَنْ تُحْرِقَهُ
بِالنَّارِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ عُقْبَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ فَمَاتَ ، فَخَرَجَتْ أُمُّ الْقُرَيْشِيِّ بِأَعْبُدٍ
لَهَا إِلَى قَبْرِ مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ ، فَأَمَرَتْ أَنْ يُنَبَّشَ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ إِذَا تُعْبَانُ قَدِ
التَوَى عَلَى عُنُقِهِ قَابِضًا بِأَرْزَبَةِ أَنْفِهِ يَمْصُهَا ، قَالَ : فَكَاعَ الْقَوْمُ عَنْهُ . وَقَالُوا : يَا مَوْلَاتِنَا انصِرْفِي
فَقَدَّ كِفَاكِ اللَّهِ شَرُّهُ وَأَخْبَرُوهَا ، قَالَتْ : لَا أَوْ أُوفِي لِرَبِّهِ بِمَا وَعَدْتُهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : انبَشُوا مِنْ عِنْدِ
الرَّجُلَيْنِ ، فَنَبَشُوا فَإِذَا التُّعْبَانُ لَاوِيًّا ذَنْبَهُ بِرِجْلَيْهِ ، قَالَ : فَتَنَحَّتْ فَصَلَّتْ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَتْ :
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ إِيمًا غَضِبْتُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ الْيَوْمَ لَكَ فَحَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلَتْ
عُودًا فَمَضَتْ إِلَى ذَنْبِ التُّعْبَانِ فَانْسَلَّ مِنْ مُؤَخَّرِ رَأْسِهِ فَخَرَجَ مِنَ الْقَبْرِ ثُمَّ أَمَرَتْ بِهِ فَأَخْرَجَ مِنَ
الْقَبْرِ فَأَحْرَقَ بِالنَّارِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ
فِي تَقْيِيفِ كَذَّابًا وَمُيْبِرًا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ : اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمِرَادَ بِالْكَذَّابِ هُنَا : الْمُخْتَارُ بِنُ أَبِي عُبَيْدٍ . وَبِالْمُيْبِرِ
: الْحِجَاجُ بِنُ يُونُسَ .

وَعَنْ أَبِي نُوفَلٍ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى عَقْبَةِ الْمَدِينَةِ ، قَالَ :
فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ تَمُرَّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَوَقَفَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا حُبَيْبٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا حُبَيْبٍ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أبا حُبَيْبٍ ، أَمَا
وَاللَّهِ لَقَدْ

كُنْتُ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ مَا عَلِمْتُ صَوَامًا قَوَامًا ، وَصَوْلًا لِلرَّحِمِ ، أَمَا وَاللَّهِ
لَأُمَّةٌ أَنْتَ شَرُّهَا لِأُمَّةٍ خَيْرٍ ، ثُمَّ نَعَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَبَلَغَ الْحَجَّاجُ مَوْقِفُ عَبْدِ
اللَّهِ وَقَوْلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، فَأُنزِلَ عَنْ جِدْعِهِ ، فَأُلْقِيَ فِي قُبُورِ الْيَهُودِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ لَتَأْتِيَنِّي أَوْ لَا لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ
يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ ، قَالَ : فَأَبَتْ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَى مَنْ يَسْحَبُنِي بِقُرُونِي ،
قَالَ : فَقَالَ : أُرُونِي سَبْتِي فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : كَيْفَ
رَأَيْتَنِي صَنَعْتُ بَعْدُ وَاللَّهِ ، قَالَتْ : رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، بَلَغَنِي
أَنَّكَ تَقُولُ : يَا ابْنَ ذَاتِ النَّطَاقَيْنِ . أَنَا وَاللَّهِ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ . أَمَا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَمَا الْآخِرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا
تَسْتَعْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا : « أَنْ فِي تَقْيِفِ كَذَّابًا وَمُبِيرًا » ،
فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ ، قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا . رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَعَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِي قَالَ : لَمَّا ظَفَرَ الْحَجَّاجُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَتَلَهُ وَمَثَلَ بِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى
أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَتْ : كَيْفَ تَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ وَقَدْ
قَتَلْتَ ابْنِي ؟ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَكَ أَلْحَدَ فِي حَرَمِ اللَّهِ ، فَقَتَلْتَهُ مُلْحِدًا عَاصِيًا حَتَّى أَذَاقَهُ اللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمًا ، وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ ، فَقَالَتْ : كَذَّبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّ الْمُسْلِمِينَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلْتَ صَوَامًا
قَوَامًا بَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، حَافِظًا لِهَذَا الدِّينِ ، وَلَعِنَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ لَقَدْ أَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ،
وَلَقَدْ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ تَقْيِفِ كَذَّابَانِ الْآخِرُ مِنْهُمَا أَشْرُّ
مِنَ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ الْمُبِيرُ » ، وَمَا

هُوَ إِلَّا أَنْتَ يَا حَجَّاجُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَالْحَاكِمُ وَهَذَا لَفْظُهُ ، وَقِيلَ : إِنَّ الْحَجَّاجَ قَالَ لَهَا : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَدَقْتَ أَنَا الْمَيِّرُ .

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ : اللَّهُمَّ كَمَا أَيْتَمْتُهُمْ فَخَانُونِي ، وَنَصَحْتُ لَهُمْ فَعَشُونِي ، فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ فَتَى تَقْيِفِ الذِّيَالِ الْمِيَالِ يَأْكُلُ خُضْرَتَهَا ، وَيَلْبَسُ فَرَوْتَهَا وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ الْحَسَنُ : وَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْحَجَّاجَ يَوْمَئِذٍ . رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ وَهُوَ مُنْقَطِعٌ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَلَا يَقُولُ عَلِيٌّ ذَلِكَ إِلَّا تَوْفِيغًا .

وَعَنِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ : أَحْصُوا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا ، فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفٍ قَتِيلًا . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ عَبْدِ بَنِ كَثِيرٍ عَنْ فَحْدَمٍ قَالَ : أَطْلَقَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي عِدَاةٍ وَاحِدَةٍ وَاحِدًا وَثَمَانِينَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفَ امْرَأَةٍ ، وَعُرِضَتْ السُّجُونُ بَعْدَ الْحَجَّاجِ فَوَجِدُوا فِيهَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا لَمْ يَجِبْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطْعٌ وَلَا صَلْبٌ . وَقَالَ الرَّيَّاشِيُّ : حَدَّثَنَا عَبَّاسُ الْأَزْرُقِيُّ عَنِ السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى قَالَ : مَرَّ الْحَجَّاجُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَسَمِعَ اسْتِعَاثَةً ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ : أَهْلُ السُّجُونِ يَقُولُونَ : قَتَلْنَا الْحُرَّ ، فَقَالَ : قُولُوا لَهُمْ : ﴿ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ قَالَ : فَمَا عَاشَ بَعْدَهَا إِلَّا أَقَلٌّ مِنْ جُمُعَةٍ حَتَّى قَصَمَهُ اللَّهُ فَاصْمَ كُلِّ جَبَّارٍ .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : لَوْ أَنَّ الْأُمَّمَ تَخَابَثَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَخْرَجَتْ كُلُّ أُمَّةٍ خَبِيثَهَا ثُمَّ أَخْرَجْنَا الْحَجَّاجَ لَعَلَبْنَاهُمْ . رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ .
وَقَالَ فِي الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ شَرْحُ الدَّرَةِ الْبَهِيَّةِ : وَقَدْ أَحْصِيَ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الْحَجَّاجُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَبَلَّغُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا (١٢٠٠٠٠) .

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلُمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَّيَّةٍ يُقَالُ لَهُ : يَزِيدُ » . رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى ، وَالبَرَّازُ .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ غُلَامٌ فَسَمَّوْهُ الْوَلِيدُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « سَمَّيْتُمُوهُ بِأَسْمَاءٍ فَرَاعَتِكُمْ ، لِيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ هُوَ أَشْرُّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ » . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ . قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : وَاسْنَادُهُ حَسَنٌ . وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : رَجَالُهُ ثِقَاتٌ .

شِعْرًا: حَفَّ اللَّهُ فِي ظُلْمِ الْوَرَى وَحَفَّ يَوْمَ غَضِّ الظَّالِمِينَ
وَلَا تَحَسِّنَنَّ اللَّهُ عَنْ ذَاكَ وَلَكِنَّهُ يُمَلِّي لِمَنْ شَاءَ إِلَى
فَلَا تَغْتَرِرْ بِالْحِلْمِ عَنْ ظُلْمِ سَيَأْخُذُهُ أَخْذًا وَبِيلاً وَعَنْ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَنَا رَغَدًا ، وَلَا تُشْمِتْ بِنَا أَحَدًا . اللَّهُمَّ رَعْبْنَا فِيمَا بَيَّنَّقَى ، وَزَهْدَنَا فِيمَا يَفْنَى ، وَهَبْ لَنَا الْيَقِينَ الَّذِي لَا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُعْوَلُ فِي الدِّينِ إِلَّا عَلَيْهِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بَعْزِكَ الَّذِي لَا يَرَامُ وَمَلِكِكَ الَّذِي لَا يَضَامُ ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِينَا مَا أَهْمَنَا وَمَا لَا نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تَعِيدَنَا

من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . اللَّهُمَّ يا عليم يا حلِيم يا قوي يا عزيز يا ذا المن والعطا والعز والكبرياء يا مَنْ تَعَنُوا له الوجوه وتخشع له الأصوات وفقنا لصالح الأعمال واكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك إنك على كل شيء قدير . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة : عِبَادَ اللهِ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَقْدِرُوا اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَوْ عَرَفُوهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ وَقَدَّرُوهُ مَا صَدَّقَ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ ، إِنَّ الْعَارِفَ بِاللهِ تَعَالَى يَخْشَاهُ ، فَتَعَقَّلُهُ هَذِهِ الْحَشِيَّةُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَفْعَالِ كَيْفَ لَا وَهَذَا الْقُرْآنُ يَقُولُ اللهُ فِيهِ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ الْعِبَادِ الْعُلَمَاءُ ﴾ الْعَارِفُ بِاللهِ تَعَالَى لَا يَجْرؤُ أَنْ يُحْرِكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللهُ تَعَالَى يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى ، وَلَا يَجْرؤُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللهُ تَعَالَى يَرَاهُ مَهْمَا اخْتَفَى وَاجْتَهَدَ فِي الْاِخْتِفَاءِ وَكَذَلِكَ لَا يُقَدِّمُ وَيَعْزِمُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَعِيدِ اللهِ عَلَى مَنْ اجْتَرَأَ وَأَنْتَهَكَ الْمِحْطُورَاتِ ، الْعَارِفُ بِاللهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَا يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكَبِيرِ وَالْعُجْبِ وَالْحِقْدِ وَالنَّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمَمْقُوتَاتِ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، فَلَا يَسْتَرْيِحُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا وَيَبْتَعِدُ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الرِّبَا وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِهِ عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَاءِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ ، أَوْ مَرَضٍ شَدِيدٍ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ اللَّطِيفِ

الخبير ، ولا يصدُر من العارِف بالله حسدٌ لخلقِ الله على ما أولاهم من نعمةٍ لأنّه يؤمنُ أنّ الله قَسَمَ النعمَ بينَ عباده وليسَ لقسَمَتِهِ رادٌ ، وكذلك العارِف لا ييأسُ من زوالِ شدّةِ مَهْمَا تَعَقَّدَتْ واستَحَكَمَتْ ، ولا ييأسُ من حصولِ خيرٍ مَهْمَا سَمَا وانتَعَدَ ، لأنّه يؤمنُ أنّ الأمورَ كُلَّهَا بيدِ الله الذي إذا أرادَ شيئًا قالَ له : كُنْ فَكَانَ ، العارِفُ بالله لا يُقنَطُ المؤمنُ العاصي من رَحْمَةِ الله ، ولا يؤمنُ المحسِنُ ، لكنّه يَرْجُو للمُحسِنِ وَيَخَافُ عَلَى المَسيءِ ، العارِفُ بالله لا يَعُشُّ مُؤْمِنًا ، ولا يُسيءُ إِلَى الجارِ العارِفُ بالله يُمَيِّزُ بَيْنَ الأَصْدِقَاءِ المُخْلِصِينَ مِنَ المِبْهَرِجِينَ المُرَيِّفِينَ لكثرةِ تفرسه فيهم قال بَعْضُهُمْ :

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنِّي صَيْرَفِي أَحُكُ الأَصْدِقَاءَ عَلَى مَحَاكِّ
فَمِنْهُمْ بَهْرَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَجْوَزُهُ بِشَاكِّ
وَمِنْهُمْ خَالِصُ الذَّهَبِ المُصَفَّى بِتَرْكِيَّتِي وَمِثْلِي مَنْ يُزَكِّي

اللَّهُمَّ أَعِدْنَا بِمَعَاذِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ واحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَجَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّةَ الوُدَاعِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِحَلَقَةِ بَابِ الكَعْبَةِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَخْبِرْنَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِضَاعَةُ الصَّلَاةِ ، وَالْمِيلُ مَعَ الهَوَى ، وَتَعْظِيمُ رَبِّ المَالِ » ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَيَكُونُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ تَكُونُ الزَّكَاةُ مَعْرَمًا ، وَالْفَيْءُ مَغْنَمًا ، وَيُصَدَّقُ الكَاذِبُ ، وَيُكذَّبُ الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ الحَائِنُ ، وَيَجُونُ الأَمِيئُ ، وَيَتَكَلَّمُ الرُّؤْيِيضَةُ » ، قَالُوا :

وَمَا الرَّوِيضَةُ ؟ قَالَ : « يَتَكَلَّمُ فِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ ، وَيُنْكِرُ الْحَقَّ تِسْعَةَ أَعْشَارِهِمْ ، وَيَذْهَبُ الْإِسْلَامُ فَلَا يَبْقَى إِلَّا اسْمُهُ ، وَيَذْهَبُ الْقُرْآنُ فَلَا يَبْقَى إِلَّا رِسْمُهُ ، وَتُحَلَّى الْمَصَاحِفُ بِالذَّهَبِ ، وَتَتَسَمَّنُ دُكُورُ أُمَّتِي ، وَتُكُونُ الْمَشُورَةُ لِلْإِمَاءِ ، وَيَخْطُبُ عَلَى الْمَنَابِرِ الصَّبِيَّانُ ، وَتَكُونُ الْمُخَاطَبَةُ لِلنِّسَاءِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تُزَخَرُ الْمَسَاجِدُ كَمَا تُزَخَرُ الْكِنَائِسُ وَالْبَيْعُ ، وَتَطْوَرُ الْمَنَابِرُ ، وَتَكْثُرُ الصُّفُوفُ مَعَ قُلُوبٍ مُتْبَاعِضَةٍ ، وَالْأَسْنِ مُخْتَلِفَةٍ ، وَأَهْوَاءٍ جَمَّةٍ » . قَالَ سَلْمَانُ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ أَدَلَّ مِنَ الْأَمَةِ ، يَذُوبُ قَلْبُهُ فِي جَوْفِهِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ بِمَا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ ، وَيَكْتَفِي الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ ، وَيُعَارُ عَلَى الْعُلَمَانِ كَمَا يُعَارُ عَلَى الْجَارِيَةِ الْبَكْرِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَكُونُ أَمْرًا فَسَقَةً ، وَوُزْرَاءَ فَجْرَةً ، وَأَمْنَاءَ خَوْنَةً يُضِيْعُونَ الصَّلَاةَ ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُمْ فَصَلُّوا صَلَاتِكُمْ لَوْ قَتَلْتُمْ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَجِيءُ سَبِيٌّ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَسَبِيٌّ مِنَ الْمَغْرِبِ جُنَاؤُهُمْ جُنَاءَ النَّاسِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ ، لَا يَرْحَمُونَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُونَ كَبِيرًا ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَحْجُجُ النَّاسُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، تَحْجُجُ مَلُوكُهُمْ هُمَا وَتَنْزُهُمَا ، وَأَعْيَانُهُمْ لِلتَّجَارَةِ ، وَمَسَاكِينُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ وَقُرَاؤُهُمْ رِيَاءً وَسُمْعَةً » . قَالَ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَفْشُو الْكَذِبُ ، وَيَظْهَرُ الْكُوكَبُ لَهُ الذَّنْبُ ، وَتُشَارِكُ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التَّجَارَةِ ، وَتَتَقَارَبُ الْأَسْوَاقُ » . قَالَ : وَمَا تَقَارُبُهَا ؟ قَالَ : « كَسَادُهَا ، وَقَلَّةُ أَرْيَاحِهَا ، عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا فِيهَا حَيَاتٌ صُفْرٌ فَتَلْتَقِطُ رُؤَسَاءُ الْعُلَمَاءِ لَمَّا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ » . قَالَ : وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ » . رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّ عَشِيَّةٍ حَمِيسٍ : سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَمَاتُ فِيهِ الصَّلَاةُ ، وَيُشْرَفُ فِيهِ الْبُنْيَانُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الْحَلْفُ وَالتَّلَاعُنُ ، وَيَعْفَشُوا فِيهِ الرُّشَا وَالزَّنَا ، وَتُبَاعُ الْأَحْرَةُ بِالدُّنْيَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَالْنَجَا النَّجَا . قِيلَ : وَكَيْفَ النَّجَا ؟ قَالَ : كُنْ حَلَسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ ، وَكُفَّ لِسَانَكَ وَيَدَكَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ سُوءُ الْجَوَارِ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ ، وَأَنْ يُعْطَلَ السَّيْفُ مِنْ الْجِهَادِ ، وَأَنْ تُحْتَلَّ الدُّنْيَا بِالدِّينِ » . رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالدَّيْلَمِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ الصَّلَاةِ فِيهِ طَوِيلَةٌ ، وَالْحُطْبَةُ فِيهِ قَصِيرَةٌ ، وَعُلَمَاؤُهُ كَثِيرٌ ، وَخُطْبَاؤُهُ قَلِيلٌ ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ الصَّلَاةِ فِيهِ قَصِيرَةٌ وَالْحُطْبَةُ فِيهِ طَوِيلَةٌ ، خُطْبَاؤُهُ كَثِيرٌ ، وَعُلَمَاؤُهُ قَلِيلٌ ، يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ ، صَلَاةَ الْعَشِيِّ إِلَى شَرْقِ الْمَوْتَى ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَلِيَجْعَلْهَا مَعَهُمْ تَطَوُّعًا . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ قَالَ الْهَيْثَمِيُّ : وَرِجَالَهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ . وَرَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي مُوطَّئِهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ قَلِيلٌ قِرَاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ ، وَتَضَيِّعُ حُرُوفُهُ ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ ، كَثِيرٌ مَنْ يُعْطَى ، يُطِيلُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ ، وَيُقْصِرُونَ الْحُطْبَةَ ، يُبْدُونَ أَعْمَالَهُمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ .

وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ ، كَثِيرٌ قِرَاؤُهُ ، تُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ ، وَتَضَيِّعُ حُدُودُهُ كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ قَلِيلٌ مَنْ يُعْطَى يُطِيلُونَ فِيهِ الْحُطْبَةَ ، وَيُقْصِرُونَ الصَّلَاةَ ، يُبْدُونَ فِيهِ أَهْوَاءَهُمْ ، قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ .

قُلْتُ : وَفِي هَذَا الْخَبَرِ أُمُورٌ وَقَعَتْ فِي زَمَنِ نَا ، مِنْهَا قَلَّةٌ الْفُقَهَاءِ بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ ، أَمَّا الْمَتَسْمُونَ فَمَوْجُودُونَ بَدُونَ مَعْنَى ، وَمِنْهَا مَا وَجَدَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُجِيدِينَ لِلْقِرَاءَةِ ، الْمُضِيِّينَ لِلْعَمَلِ ، تَسْمَعُهُ مِنْهُمْ غَضًّا طَرِيًّا بِتَجْوِيدٍ وَفَصَاحَةٍ ، وَمِنْهَا إِطَالَةُ الْخُطْبَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا وَتَقْصِيرِ الصَّلَاةِ ، وَهَذَا خِلَافُ السُّنَّةِ ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَقَلَّةُ إِعْطَائِهِمْ ، فَهَؤُلَاءِ طَرِيقَتُهُمْ ضِدُّ طَرِيقَةِ السَّلَفِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِنْتِكَاسِ ، وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اْعْمَلُوا بِهِ ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ ، وَوَأَفَقَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عِلْمَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حَلَقًا فَيَبْهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدْعُهُ أَوْلِيكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي بَحَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ . رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَهَذَا الْأَثَرُ لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ غَيْبِيِّ فَلَا يُقَالُ إِلَّا عَنْ تَوْقِيفٍ .

وَعَنْ أَبِي الرَّاهِرِيِّ - وَاسْمُهُ حُدَيْرُ بْنُ كُرَيْبٍ - يَرْفَعُ الْحَدِيثَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : أُبْتُ الْعِلْمَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِمْ ، أَخَذْتُهُمْ بِحَقِّي عَلَيْهِمْ » . رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ قُلْتُ : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ وَقَعَتْ طَبَقَ مَا ذَكَرَ .

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ تَعْلِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ ، وَيَظْهَرَ

الْقَلَمُ « . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ .

شِعْرًا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ يُودِي شَبَابَهُ

وَأَنَّ الْمَنَائِمَ لِلرَّجَالِ تُشْعَبُ

فَمِنْ ذَائِقِ كَأْسٍ مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً

وَأَخْرُرُ أُخْرَى مِثْلَهَا يَتَرَقَّبُ

لَهَا مِنْهُمْ زَادٌ حَيْثُ وَسَائِقُ

وَكُلُّ بِكَّاسِ الْمَوْتِ يَوْمًا سَيْشَرِبُ

وَمَا وَاثَرُ إِلَّا سَيُورَثُ مَالَهُ

وَلَا سَالِبٌ إِلَّا قَرِيبًا سَيْسَلِبُ

وَلَا آلِفٌ إِلَّا سَيَتَّبِعُ الْفُتَى

وَلَا نِعْمَةٌ إِلَّا تَيِّدُ وَتَذُوبُ

وَمَا مِنْ مُعَانٍ فِي الْمَصَائِبِ جَمَّةٌ

يُعَاوِرُهَا الْعَصْرَانِ إِلَّا سَيَعْطَبُ

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا أَقَامُوا بِغُرْبَةٍ

تُقَلِّبُهُمْ أَيَّامُهَا وَتَقَلِّبُ

بَدَارِ غُرُورٍ حُلُوءَةٍ يَعْمُرُونَهَا

وَقَدْ عَايَنُوا فِيهَا زَوَالًا وَجَرَبُوا

يَذُمُونَ دُنْيَا لَا يَرِيحُونَ دَرَّهَا

فَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا تُذَمُّ وَتُحْلَبُ

تَسْرُهُمْ طَوْرًا وَطَوْرًا تُذِيقُهُمْ مَضِيضَ مَكَا وَحَرَّهَا يَتَلَهَّبُ

اللَّهُمَّ اعْتِنْنَا مِنْ رِقِّ الدُّنُوبِ وَحَلِّصْنَا مِنْ شَرِّ النُّفُوسِ ، وَأَذْهِبْ عَنَّا وَحْشَةَ الإِسَاءَةِ ،

وَطَهِّرْنَا مِنْ دَنَسِ الدُّنُوبِ ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الحُطَايَا وَأَجِرْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللَّهُمَّ رَضْنَا بِقَضَائِكَ وَأَعِنَّا عَلَى الدُّنْيَا بِالْعِقَّةِ وَالرُّهْدِ وَالْفَنَاعَةِ وَعَلَى الدِّينِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
وِطَهَّرْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الْكُذْبِ وَقُلُوبَنَا مِنَ التَّفَاقِ وَأَعْمَالَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَاحْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الْحِيَانَةِ
فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَالشَّيْطَانِ وَالِدُّنْيَا وَالْهَوَىٰ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ،
وَقَالَ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ يَعِيشُ ابْنُ آدَمَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعْيشَ
وَيَمُتْ فِي الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَيَتَقَلَّبُ فِيهَا وَيَرَى حُلُوهَا وَمُرَّهَا وَسُرُورَهَا وَأَحْزَانَهَا ، وَيَأْخُذُ
فِيهَا حَظَّهُ مِنَ الشَّقَاءِ وَحَظَّهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، بِمِقْدَارِ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ وَمَا قَدَّرَهُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ
هَذَا نِهَآيَةٌ وَلِكُلِّ ذَلِكَ غَايَةٌ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ * كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ ﴾ فَسَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ ،
وَالْخُلُودُ فِي دَارِ الْفَنَاءِ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحِبِّ مَا شِئْتَ
فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ .

شِعْرًا: قال بعضهم في ابن له مات :

آخر: وَهَوْنٌ مَا أَلْقَىٰ مِنَ الْوَجْدِ أَنِّي أَجَاوِرُهُ فِي دَارِهِ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ الْبَصِيرِ غَطَاؤُهَا
آخر: كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَنْسٍ هَلَكُوا وَبَكَى أَحْبَابُهُمْ ثُمَّ بُكُوا

تَرْكُوا الدُّنْيَا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ وَدُهُمَ لَوْ قَدَّمُوا مَا تَرْكُوا
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ مُلُوكٍ سُوقَةً وَرَأَيْنَا سُوقَةً قَدْ مَلَكَوا
 آخِر: وَكُلُّ أُمَّ وَإِنْ سُرَّتْ بِمَا وَلَدَتْ يَوْمًا سَتُشْكَلُ مَا رَبَّتْ مِنَ الْوَلَدِ
 آخِر: وَكَيْفَ بَقَاءِ النَّاسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا
 آخِر: حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْيِ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِالِي
 سَلَامٍ عَلَى دَارِ الْغُرُورِ فَإِنَّهَا مُنْغَصَّةٌ لِذَاتِهَا بِالْفَجَاعِ
 فَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ سَاعَةً فَعَمَّا قَلِيلٍ أُرْدَفَتْ بِالْمَوَانِعِ
 آخِر: عَلَى مِثْلِ هَذَا كُلِّ جَمْعٍ مَالِهِ وَصَالٌ وَتَفْرِيقٌ يَسُرُّ وَيُؤْلَمُ
 وَإِنْ مُنِعَ الْغِيَابُ أَنْ يَقْدَمُوا لَنَا فَإِنَّا عَلَى غِيَابِنَا سَوْفَ نَقْدَمُ

فَالْبَقَاءُ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا جَسْرٌ ، هَذِهِ الدُّنْيَا مَمْرٌ وَمَعْبَرٌ وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَمَنْ
 النَّاسِ مَنْ يَتَخَبَّطُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ وَيَتَعَتَّرُ فِيهَا وَلَا يَهْتَدِي ، وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُوقِّفُهُ اللَّهُ فَيَسْأَلُهَا
 مُسْتَقِيمًا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى زَادِ الْآخِرَةِ ، وَأَمَلٍ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ ، فِي تِلْكَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ ،
 ذَلِكَ الْهَدَفُ هُوَ رِضَى رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ نَعِيمٍ الَّذِي فِيهِ الْهُدُوءُ وَالْإِطْمِئْنَانُ
 وَالَّذِي فِيهِ الْفَوْزُ وَالنَّجَاهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، تِلْكَ حَالٌ مَنْ اتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ فَنَفَعَتْهُ الْعِبْرَةُ وَلَمَسَ
 الْمَوْعِظَةَ مِنْ دُرُوسِ الْحَيَاةِ وَأَحْدَاثِهَا فَاهْتَدَى ، وَزَادَهُ اللَّهُ هُدًى ، تِلْكَ حَالٌ مَنْ اعْتَبَرُوا
 فَنَفَعَتْهُمْ الْعِبْرَةُ ، وَجَعَلُوا التَّقْوَى إِلَى اللَّهِ أَمَامَهُمْ لَا يَجِيدُونَ عَنْهَا ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ وَيَخْشَوْنَ سُوءَ
 الْحِسَابِ ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَاتٍ ، وَسَتَنْتَهِي إِلَى ظُلْمَاتٍ خَرَجْتَ مِنْ ظُلْمَاتٍ
 الْأَرْحَامِ ، وَتَنْتَظِرُكَ ظُلْمَاتُ الْقُبُورِ ، خَرَجْتَ مِنْ

أَحْشَاءِ أُمَّكَ ، وَاسْتَقْبَلَكَ أَحْشَاءُ أُخْرَى أَقْوَى وَأَعْظَمُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ دَفَعَكَ جَوْفٌ يَجُنُّ عَلَيْكَ إِلَى جَوْفِ الْأَرْضِ ، وَبَيْنَ الْجَوْفَيْنِ أُمُورٌ وَأُمُورٌ فَفِي الدُّنْيَا السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ إِنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ شِدَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ ، وَمِنْ رَخَاءٍ إِلَى بَلَاءٍ ، وَتُصَادِفُكَ عَقَبَاتٌ فِي طَرِيقِكَ بَعْدَ عَقَبَاتٍ ، وَتَتَعَيَّرُ أَحْوَالُكَ مِنْ حَالَاتٍ إِلَى حَالَاتٍ ، فَمِنْ ذُلٍّ إِلَى عِزٍّ ، وَمِنْ عِزٍّ إِلَى ذُلٍّ ، وَمِنْ غِنَى إِلَى فَقْرٍ ، وَمِنْ فَقْرٍ إِلَى يُسْرٍ ، وَمِنْ صِحَّةٍ إِلَى مَرَضٍ ، وَمِنْ مَرَضٍ إِلَى عَافِيَةٍ ، وَمِنْ رَاحَةٍ إِلَى تَعَبٍ . هَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَهَذِهِ هِيَ أَحْوَالُهَا عِزُّهَا لَا يَدُومُ ، وَرَخَاوُهَا لَا يَبْقَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فَحَاسِبْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبَ ، وَزِنْ أَعْمَالَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكَ ، وَرَاقِبْ مَوْلَاكَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَتُبْ إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

تَوَرَّعَ وَتُبَّ وَازْهَدُ وَصَلَّ وَصُمَّ وَلَا	تَوَرَّعَ وَتُبَّ وَازْهَدُ وَصَلَّ وَصُمَّ وَلَا
عَلَى الصَّدَقِ وَالْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ	وَكُنْ دَائِمًا فِي الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ قَائِمًا
وَيَزْهَدُ فِيهِ الْأَلْمَعِيُّ الْمُحَصَّلُ	آخِرُ: يَلْدُ بِهَذَا الْعَيْشِ مَنْ لَيْسَ يَعْقِلُ
عَجِيَّةُ نَفْسٍ مُقْتَضَى الرَّأْيِ تَفْعَلُ	وَمَا عَجَبَ نَفْسٌ تَرَى الرَّأْيَ إِنَّمَا أَلْ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو هَمَّةً دُنْيَوِيَّةً	إِلَى اللَّهِ أَشْكُو هَمَّةً دُنْيَوِيَّةً
يَبْدُو ضَعِيفًا ضَعِيلًا ثُمَّ يَتَسَقُّ	آخِرُ: وَالْمَرْءُ مِثْلُ هَالِلٍ حِينَ تَبْصِرُهُ
كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ	يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا لَمْ تَمَّ أَعْقَبَهُ

يُنْهِنَهَا مَوْتُ النَّبِيِّ فَتَرْعَوِي
 وَيَخْرُدُ دَعْوَاهَا رُوحَ الْحَيَاةِ فَتَعْفُ لُ
 وَفِي كُلِّ جُزْءٍ يَنْقُضِي مِنْ زَمَانِهَا
 مِنْ الْجِسْمِ جُزْءٌ مِثْلُهُ يَتَمَلَّمُ لُ

شِعْرًا: أَمَامَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ يَوْمٌ تَشِيبُ لَهُوْلَهُ سُودُ النَّوَاصِي
 وَأَنْتَ كَمَا عَهْدْتِكَ لَا تُبَالِي بِغَيْرِ مَظَاهِرِ الْعَيْثِ الرَّحَاصِ
 آخِر: عِشْ مَا بَدَا لَكَ هَلْ تَرَكَ تَعِيشُ أَتَظُنُّ سَهْمَ الْحَادِثَاتِ يَطِيشُ
 عِشْ كَيْفَ شِئْتَ لِتَأْتِيَنَّكَ وَقْعَةٌ يَوْمًا وَلَا لِجَنَاحِ جِسْمِكَ رِيشُ
 آخِر: إِذَا الشَّيْبُ لَاحَتْ لَمَحَةٌ مِنْ ثَغَامِهِ فَعَصْرُ الصَّبَا لَمْ يَبْقَ غَيْرُ رِسَامِهِ
 أَلَا كُلُّ إِنْسَانٍ وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ إِلَى الْحَتْفِ مَأْخُودٌ بِفَضْلِ زَمَامِهِ
 أَلَا كُلُّ حَيٍّ لِلْحَمَامِ طَرِيدَةٌ وَكُلُّ فَقِيدٍ مِنْ رَمَايَا سِهَامِهِ
 تَمُرُّ اللَّيَالِي بُؤْسَهَا وَنَعِيمُهَا كَطَيْفٍ يَرَاهُ حَالِمٌ فِي مَنَامِهِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْ فَتَحَ بَابَهُ لِلطَّالِبِينَ ، وَأَظْهَرَ غِنَاهُ لِلرَّغْبِيِّينَ نَسَأَلُكَ أَنْ تَسَلِّكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ
 الصَّادِقِينَ ، وَأَنْ تَلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، اللَّهُمَّ أَحْيِ قُلُوبَنَا أَمَانَتَهَا الْبُعْدَ عَنْ بَابِكَ ، وَلَا
 تُعَذِّبْنَا بِأَلِيمِ عِقَابِكَ ، يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، يَا مَنْ جَادَ عَلَيَّ عِبَادِهِ بِالْأَنْعَامِ وَالْأَفْضَالِ ، اللَّهُمَّ
 أَيْقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ وَتَجَاوَزْ عَن جَرَائِمِنَا بِعَفْوِكَ وَعُفْرَانِكَ ، وَارزُقْنَا مَا رَزَقْتَ
 أَوْلِيَاءَكَ مِنْ نَعِيمِ قُرْبِكَ وَلَذَّةِ مُنَاجَاتِكَ وَصِدْقِ حُبِّكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَحْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الصُّنَانِ مِنْ اللِّينِ ، أَلْسِنَتَهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ ، يَقُولُ اللَّهُ : أَبِي تَعْتَرُونَ أَمْ عَلَيَّ تَحْتَرُونَ ، فَبِي حَلَفْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ ، وَالدَّارِمِيُّ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَتَكُونَنَّ بَعْدِي فِتْرَةٌ فِي أُمَّتِي يُبْتَعَى فِيهَا الْمَالُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَتُسْفَكَ فِيهَا الدِّمَاءُ وَيُسْتَبَدَلُ فِيهَا الشَّعْرُ بِالْقُرْآنِ » . رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ .

وَعَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا ، فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَزَالُ الْأُمَّةُ عَلَى الشَّرِيعَةِ مَا لَمْ تَظْهَرَ فِيهِمْ ثَلَاثٌ : مَا لَمْ يُقْبَضْ مِنْهُمْ الْعِلْمُ ، وَيَكْتَفَرُ فِيهِمْ وَلَدُ الْحَنْثِ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ الصِّقَاوُونَ » ، قَالُوا : وَمَا الصِّقَاوُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَشْءٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، تَكُونُ نَحِيَّتُهُمْ بَيْنَهُمُ التَّلَاعُنُ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالبُخَارِيُّ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ إِخْوَانُ الْعِلَانِيَةِ ، أَعْدَاءُ السَّرِيرَةِ » ، فَقِيلَ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ بِرَغْبَةِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ وَرَهْبَةِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ » . رواه الإمام أحمد ، والبخاري ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » . أخرجه أبو داود .

وعن طارق بن زياد قال : خرجنا مع علي رضي الله عنه إلى الخوارج فقتلهم ثم قال : انظروا فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنه سيخرج قوم يتكلمون بالحق لا يجاوز حلقهم يخرجون من الحق كما يخرج السهم من الرمية ، سيماهم إن منهم رجلاً أسود مخدج اليد ، في يده شعرات سود ، إن كان هو فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن هو فقد قتلتم خير الناس » فبكينا . ثم قال : اطلبوا ، فطلبنا فوجدنا المخدج ، فحرزنا سجوداً ، وحرر علي رضي الله عنه معنا ساجداً . رواه أحمد ، والنسائي .

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قال علي رضي الله عنه حين فرغ من الحزورية : إن فيهم رجلاً مخدج اليد ، ليس على عضده عظم ، في عضده حلمة كحلمة الثدي ، عليها شعرات طوال عطف ، فالتمس فلم يوجد ، قال : وأنا فيمن يلتمس ، فما رأيت علياً رضي الله عنه جزع قط أشد من جزعه يومئذ ، قالوا : ما بجده يا أمير المؤمنين . قال : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا : النهروان . قال : كذبتم إنه لفيهم فالتمسوه . قالوا : فتورنا القتل فلم نجد ، فعدنا إليه ، فقلنا : يا أمير المؤمنين ما بجده ، قال : ما اسم هذا المكان ؟ قلنا : النهروان . قال :

صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَكَذَبْتُمْ ، إِنَّهُ لَفِيهِمْ فَالْتَمِسُوهُ ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ فِي سَاقِيَةٍ ، فَجِئْنَا بِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى عَضُدِهِ لَيْسَ فِيهَا عَظْمٌ ، وَعَلَيْهَا كَحَلْمَةِ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ طَوَالٌ عُمْفُفٌ .
رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونُ السُّنَّةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ ، يُصَدِّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذِّبُ فِيهَا الصَّادِقُ ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ » ، قِيلَ : وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ ؟ قَالَ : « الرَّجُلُ التَّافَهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ » . وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، وَلَا الْمَهْدِي إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ » . رَوَى الْحَدِيثَيْنِ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ زِيَادِ بْنِ لُبَيْدٍ قَالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَقَالَ : « ذَاكَ عِنْدَ أَوَانٍ ذَهَابِ الْعِلْمِ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَنُقْرُؤُهُ أَبْنَاءَنَا ، وَيُقْرَؤُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا زِيَادُ ، إِنَّ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ ، أَوْ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يَقْرَؤُونَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا » ؟ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ سَلَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَشْرَاطِ

السَّاعَةِ أَنْ يَتَدَفَعَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَلَا يَجِدُونَ إِمَامًا يُصَلِّي بِهِمْ . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ . قُلْتُ :
وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَّمَ مِنْ أَعْلَامِ النَّبِيِّ بُوَّةً وَصِدْقَ الرَّسَالَةِ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ
يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ أَذَلَّ مِنَ الْأَمَةِ ، يَذُوبُ قَلْبُهُ فِي جَوْفِهِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ مِمَّا يَرَى مِنْ
الْمُنْكَرِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَيِّرَهُ . رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ) : وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ
زَمَانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمَنَافِقُ فِيكُمْ » . رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَسْجِدِ فَلَا
يَرْكَعُ رَكَعَتَيْنِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ حُدَيْقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « يَا أَيُّهَا دُعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ
جَهَنَّمَ » ، وَوَصَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ : « مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّتِنَا
» ، قَالَ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » ، قَالَ :
« فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ » ، قَالَ : « اعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ
شَجَرَةٍ حَتَّى يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

شِعْرًا: إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا بِهَا إِنَّهَا الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى دَانَا

اللَّهُ يَدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانًا

لَوْلَا الْمُهَيِّمِينَ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلًا وَكَانَ أَضْعَفْنَا نَهَبًا لِأَقْوَانَا

وَعَنْ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْأَحَادِيثُ حَتَّى يَبْتِمَى الْمُصْحَفُ
عَلَيْهِ الْعُبَارُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . قُلْتُ : وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ وَقَعَتْ فَإِنَّ الْمُصْحَفَ مَهْجُورٌ ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى
الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْجَرَائِدِ وَالْمِجَلَاتِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ .

فصل

وَعَنْ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ : مَتَى تَكُونُ أَيَّامُ الْمَرْحِ ؟
قَالَ : حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ . قَالَ : فَمَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ ، وَاذْخُلْ
دَارَكَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « يَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الْإِسْلَامِ سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ ، - أَوْ قَالَ -
أَحْدَاثٌ يُقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ بِاللِّسَانِ لَا يَعْدُونَ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْزُقُونَ مِنَ
الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا عِنْدَ
اللَّهِ » . قُلْتُ : هَذَا الْحَدِيثُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِيهِمَا عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ
اِفْتِرَابِ السَّاعَةِ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ ، وَالشَّهَادَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ ، وَكَثْرَةُ الطَّلَاقِ ، وَمَوْتُ
الْفُجَاءَةِ » . أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ ، قُلْتُ : وَهَذَا الْحَدِيثُ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، وَصَدَقَ
الرِّسَالَةَ ، فَإِنَّ كُلَّ فَقْرَةٍ مِنْ فَقَرَاتِهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ ، فَتَأَمَّلْهُ بِدِقَّةٍ .

فَإِنَّ الْحَلْفَ بِغَيْرِ اللَّهِ قَدْ كَثُرَ جِدًّا ، وَكَذَلِكَ الشَّهَادَةُ يَبْدُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِدُونِ طَلَبِ ،
وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الطَّلَاقِ وَهَذِهِ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِ هَؤُلَاءِ ، وَأَمَّا مَوْتُ الْفُجَاءَةِ فَكَثِيرٌ ، فَمِنْهُ
السَّكْتَةُ الْقَلْبِيَّةُ ، وَالْجَلْطَةُ الدَّمَوِيَّةُ ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ انْقِلَابِ السِّيَارَاتِ وَتَصَادُمِهَا ، وَسُقُوطِ
الطَّائِرَةِ وَالانْفِجَارَاتِ ، فَكُلُّهَا يَصُدُقُ عَلَيْهَا مَوْتُ الْفُجَاءَةِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَنْ لَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَى ، وَكُلُّ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ وَالَّتِي تَأْتِي تَأَمَّلْهَا وَطَبِّقْهَا ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى شَرْحِهَا
لَأَنَّ شَيْءٌ وَاضِحٌ وَقَعَّ ، وَلَكِنَّ

النَّاسِ فِي عَقْلَةٍ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَمُنْهَمِكُونَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالتَّكَاتُرِ فِيهَا ، وَالْاِسْتِعَالَ بِمَا يُلْهِي وَيَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَأْمَلَنَّ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ هَرَبَ بِدِينِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرِ إِلَى جُحْرِ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تُنَلِّ الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِسَخَطِ اللَّهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ - كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ كَانَ هَلَاكُهُ عَلَى يَدَيْ قَرَاتِبِهِ أَوْ الْجِيرَانِ » ، قَالُوا : كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُورِثُ نَفْسَهُ الْمَوَارِدَ الَّتِي يُهْلِكُ فِيهَا نَفْسَهُ » . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ كَمَا فِي كِتَابِ الرَّهْدِ (ج ٣ ، ص ٤٤٤) مِنْ كِتَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْإِيْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بَيْعُ الْحُكْمِ ، وَكَثْرَةُ الشَّرْطِ » . أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحَلِيَّةِ . قُلْتُ : هَذَا الْحَدِيثُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِيهِمَا أَعْلَامٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ فَتَأْمَلَنَّ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ظُهُورُ شَهَادَةِ الرُّورِ ، وَكِثْمَانِ الْحَقِّ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ خَرِيٍّ . قُلْتُ : هَذَا حَدِيثٌ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ .

شِعْرًا: تَخَيَّرْ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ إِنَّمَا

يَزِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ فَلَا تُكُنْ

بِعَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تَشْغَلُ

فَلَا بُدَّ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعَدَّهُ

لِيَوْمٍ يُنَادِي الْمَرْءُ فِيهِ فَيُسْأَلُ

فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ
 وَلَا قَبْلَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
 أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَعِيفٌ لِأَهْلِهِ
 يُقِيمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ
 آخر: مَا دُمْتَ حَيًّا فَطِعْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْعِبَادَاتِ
 وَأَكْثَرُ الذِّكْرِ لِلْمَوْلَى وَكُنْ حَذِرًا مَنْ غَفَلَةَ النَّفْسِ عَنْ ذِكْرِ الْمَنِيَّاتِ
 فَالْمَوْتُ يَأْتِي بِوَقْتٍ لَسْتَ تَعْلَمُهُ فَكُنْ لَهُ مُسْتَعِدًّا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ
 كَمْ مِنْ صَاحِبِ عَدَا مِنْ بَيْتِهِ سَحْرًا وَبِالْمَسَاءِ عَدَا جَارًا لِأَمْوَاتِ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

الأَمَارَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَالِ ، وَقَدْ أُنذِرْتُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَوْمَهَا ، وَحَدَّرْتُ مِنْهُ أُمَّهَا ،
 وَنَعَنْتُهُ بِالنُّعُوتِ الظَّاهِرَةِ ، وَوَصَفْتُهُ بِالْأَوْصَافِ الْبَاهِرَةِ ، وَحَدَّرْتُ مِنْهُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ وَأَنْذَرْتُ ، وَنَعَنْتُهُ لِأُمَّتِهِ نُعُوتًا لَا تَخْفَى عَلَى ذِي بَصَرٍ ، فَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَيْنِي النَّاسِ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرٍ ،
 أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِقَةٌ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ،
 وَأَحْمَدٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أُنذِرَ
 أُمَّتَهُ الدَّجَالَ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعْوَرٌ ، وَإِنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ
 كَافِرٌ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّيَّيَّ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ ، أَعْوَرٌ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ ، لَيْسَ بِنَابِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ ، فَإِنَّ أُلْبَسَ عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . »

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ أَعْوَرَ الْعَيْنِ ، أَجَلَى الْجُبْهَةِ ، عَرِيضَ النَّحْرِ فِيهِ دَفَأٌ كَأَنَّهُ قَطَنٌ بِنِ الْعَرِيِّ » ، فَقَالَ قَطَنُ : هَلْ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ ؟ قَالَ : « لَا ، أَنْتَ مُسْلِمٌ وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ الدَّجَالَ فِي صُورَتِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ لَيْسَ رُؤْيَا مَنْامٍ » ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : « أَقَمَرٌ هَجَانًا فَيْلَمَانِيًّا ، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، كَأَنَّ شَعْرَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا : خُرَّاسَانُ ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْحَاكِمُ .

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ فِي حِفِّهِ مِنْ الدِّينِ ، وَإِدْبَارِ مِنَ الْعِلْمِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ خُرَيْمَةَ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ ، يَقْرؤها كُلُّ مُؤْمِنٍ ، كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بِهَذَا اللَّفْظِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ ؟ إِنَّهُ أَعْوَرٌ ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي الدَّجَالِ : « إِنَّ مَعَهُ نَارٌ وَمَاءٌ ، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَمَاؤُهُ نَارٌ ، فَلَا تَهْلِكُوا » ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارٌ ، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ » ، فَقَالَ عُتْبَةُ : وَأَنَا سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ حُدَيْفَةَ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ، أَحَدُهُمَا رَأْيُ الْعَيْنِ : مَاءٌ أَبْيَضٌ ، وَالْآخَرُ : رَأْيُ الْعَيْنِ نَارٌ تَأْجَجُ فَأَمَّا إِنْ أَدْرَكَ أَحَدًا فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا ، وَلْيُعْمِضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبْ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ ، وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةٍ

النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَعُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْعِدَاةَ فَخَفَضْتَ فِيهِ ثُمَّ رَفَعْتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ، قَالَ : « غَيْرُ الدَّجَالِ أَحْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُو حَاجِبِ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، إِنَّهُ شَابُّ قَطَطٍ ، عَيْنُهُ قَائِمَةٌ » الحديث . وفيه : قَالَ « يَا أَيُّ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُوا لَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، يَا أُمَّرُ السَّمَاءِ أَنْ تُمْطِرَ وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتُ ، وَتَرْوِحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرَى وَأَسْبَعَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ ، ثُمَّ يَا أَيُّ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيَزِدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمَحِلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ يَمُرُّ الْحَرَبَةَ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكَ . فَيَنْطَلِقُ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيِبِ النَّخْلِ » . الحديثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . اللَّهُمَّ اعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ ، وَأَدِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَى مَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ ، وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ ، وَأَيِّقْظُنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا ، وَأَهْمِنَا رُشْدَنَا ، وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمرَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَدْرَكَ الدَّجَالَ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ حَفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلَيْنًا عَنْهُ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَعَنْ أُمِّ شَرِيكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ » ، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ : يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « هُمْ قَلِيلٌ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَأَمَّا قَدْرُ لُبُّهُ فِي الأَرْضِ فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لُبُّهُ - أَيِ الدَّجَالِ - فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « لا ، اقْدُرُوا لَهُ » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : « كَالْعَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَابْنُ مَاجَةَ .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ زَيْدٍ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَمُكُّ الدَّجَالُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، السَّنَةُ كَالشَّهْرِ ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ ، وَالْيَوْمُ كَالضَّرَامِ السَّعْفَةِ فِي النَّارِ » . رَوَاهُ البَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِيقٍ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ حَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نُقَاتِلُهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللَّهِ لَا نُحَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيَقَاتِلُوهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَبَدًا ، وَيُقْتَلُ ثُلُثٌ هُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَفْتَسِمُونَ الْعَنَائِمَ وَقَدْ عَلَّمُوا سُيُوفَهُمْ بِالرَّيْتُونَ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسْوُونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَلَوْ تَرَكْتَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ ، وَلَكِنْ يَفْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ » . رواه مسلم . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ صَافِينَ تَحْرُسُهَا ، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْحَةِ فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ » . رواه مسلم .

اللَّهُمَّ أَكْتُبْ فِي قُلُوبِنَا الْإِيمَانَ وَأَيِّدْنَا بِنُورٍ مِنْكَ يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللَّهُمَّ وَافْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا .
اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَارْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ ، وَجَنِّبْنَا مَا يُسْحِطُكَ ، وَأَصْلِحْ نِيَاتِنَا وَدُرِّيَاتِنَا وَأَعِدْنَا مِنْ شَرِّ نَفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، وَأَعِدْنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآله وصحبه أجمعين .

إِنْ أَبْطَأَتْ صِلَةَ الْأَرْحَامِ وَأَبْتَعِدَتْ
لَا يُرْتَجَى كَشْفُ ضَرَاءِ وَنَازِلَةٍ
فَتَقِ بِرَبِّكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا
لَهُ عَلَيْنَا جَزِيلَ الشُّكْرِ مُنْتَشِرًا
كَمْ مِنْ لَطَائِفِ أَوْلَاهَا الْعِبَادَ وَكَمْ
فَاضْرَعُ بِقَلْبٍ كَتِيبٍ مُخْبِتٍ وَجِلٍ
وَقُلْ إِذَا ضَاقَتِ الْحَالَاتُ مُبْتَهَلًا
مَا لِي مَلَاذٌ وَلَا ذُخْرٌ أَلُوذُ بِهِ
رَبِّ تَفَرَّدَ فِي مُلْكٍ لَهُ وَعَلَا
أَرْجُوهُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يُخَيِّبَ لِي
فَقُمْ وَحُثِّ التَّمَادِي كَمْ عَسَى وَمَتَى
آه عَلَى زَمَنِ مَنِّي مَضَى فُرْطًا
أَفْرَحُ لِنَفْسِي وَقَلْبِي كُلَّمَا رَجَعَا
وَرُبَّمَا بَكِيَا خَوْفَ الذُّنُوبِ وَمَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ سَيِّدِنَا
عَنَّا فَأَقْرَبُ شَيْءٍ رَحْمَةً اللَّهِ
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ إِلَّا مِنْ اللَّهِ
تَجْعَلُ يَقِينَكَ يَوْمًا إِلَّا بِاللَّهِ
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
أَشْيَا لَا تَنْحَصِي فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
مُسْتَعْطِفٍ خَائِفٍ مَنْ خَشِيَةَ اللَّهِ
يَا رَبِّ يَا رَبَّ وَاسْأَلْ رَحْمَةَ اللَّهِ
وَلَا عِمَادٌ وَلَا زَكْنٌ سِوَى اللَّهِ
وَفَضْلُهُ وَاسِعٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
ظَنَّا فَحَسْبِي مَا أَرْجُوهُ مِنَ اللَّهِ
كَمْ أَيُّهَا النَّفْسُ إِعْرَاضٌ عَنِ اللَّهِ
سَبَهَلًا لَمْ يَكُنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ
عَنِ الْمَعَاصِي بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ
قَدْ أَسْلَفَا مِنْ خَطِيئَاتٍ إِلَى اللَّهِ
مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى الْمُرْسَلِ مِنَ اللَّهِ

(خطبة عظيمة كلها أمثالٌ وحكمٌ للنبي صلى الله عليه وسلم)

فَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى ، وَخَيْرَ الْمَلَلِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَخَيْرِ السُّنَنِ سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ، وَأَشْرَفُ
الْحَدِيثِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَأَحْسَنَ الْقَصَصِ هَذَا الْقُرْآنُ ، وَخَيْرِ الْأُمُورِ عَوَازِمُهَا وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخْدَتَاتُهَا ،
وَأَحْسَنَ الْهُدَى هُدَى الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفُ الْمَوْتِ قَتْلُ الشَّهِيدِ ، وَأَعْمَى

الْعَمَى الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا نَفَعَ ، وَخَيْرُ الْهُدَى مَا أَتْبَعَ ، وَشَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ ، وَإِلِيدِ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ إِيْدِ السُّفْلَى ، وَمَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى ، وَشَرُّ الْمَعْدِرَةِ حِينَ يَحْضُرُ الْمَوْتُ ، وَشَرُّ النَّدَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا يَأْتِي الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا هَجْرًا ، وَأَعْظَمُ الْخَطَايَا اللَّسَانُ الْكَذُوبُ ، وَخَيْرُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ، وَالْأَرْتِيَابُ مِنَ الْكُفْرِ ، وَالنِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْعُلُولُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ ، وَالْكَنْزُ كَيْ مِنْ النَّارِ ، وَالشُّعْرُ مِنْ مَزَامِيرِ إِبْلِيسَ ، وَالْحَمْرُ جَمَاعُ الْإِثْمِ ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ ، وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ ، وَشَرُّ الْمِكَاسِبِ كَسْبُ الرَّبَا ، وَشَرُّ الْمَاكِلِ مَالُ الْيَتِيمِ ، وَالسَّعِيدُ مِنْ وَعِظَ بَعِيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى مَوْضِعِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعَ ، وَالْأَمْرُ بِأَخْرِهِ ، وَمَلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِمُهُ ، وَسَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُ الْمُؤْمِنِ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ ، وَمَنْ يَتَأَلَّ عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ ، وَمَنْ يَعْفِرُ يَعْفِرُ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ يَعْفُ يُعْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَنْ يَكْظُمُ الْعَيْظَ يَأْجُرُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَصْبِرُ عَلَى الرَّزِيَّةِ يُعَوِّضُهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّمْعَةَ يُسْمِعُ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يَصْبِرُ يُضْعِفُ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَا تُمِتِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَا تُمِتِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَا تُمِتِّي ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . . . انْتَهَى .

شِعْرًا: سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ

وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنٌ

تَعَنَّى بِمَا تَكْفَى وَتَتْرُكُ مَا بِهِ

تُعَنَّى كَأَنَّكَ لِلْحَادِثِ آمِنٌ

أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَمَصْرَعِ أَهْلِهَا
 فَأَعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَافِهِهَا يَا خَائِنُ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا أَبَا لَكَ فِي الَّذِي
 أَصْصَبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِعَيْسَى خَازِنُ
 يَا عَامِرَ الدُّنْيَا أَتَعْمُرُ فِي الَّذِي
 لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَعَ الْمَنِيَّةِ سَاكِنُ
 الْمَوْتُ شَيْءٌ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ
 حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَانُونَ
 إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تُؤَامِرُ مِنْ أَتَتْ
 فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَسْتَأْذِنُ

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ ، وَوَفِّقْنَا لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْإِنَابَةِ وَثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي
 قُلُوبِنَا تَثْبِيتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ
 الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى الْمَسِيحُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَنُزُولُهُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
 مَوْتِهِ ﴾ أَي لِيُؤْمِنَنَّ بِعَيْسَى قَبْلَ مَوْتِ عَيْسَى ، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ آخِرَ الزَّمَانِ ، حَتَّى
 تَكُونَ الْمَلَّةُ وَاحِدَةً مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَبِالِصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخَنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجُزْيَةَ ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نُزُولِهِ وَلَمْ يُخَالِفْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ ، وَقَدْ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ يَنْزِلُ وَيَحْكُمُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ ، ثُمَّ يَمُكُّ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَادِلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ ، وَأَبُو يَعْلَى .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (يَمُكُّ عِيسَى أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَيُدْفَنُ عِنْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ حِبَّانَ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيَهْلِكَنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمَرَةِ أَوْ لَيُثْنِنَهُمَا جَمِيعًا » ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْثَمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُصْرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ

الْحَنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجُرَيْبَةَ ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللَّهَ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ ، ثُمَّ تَفْعُ الْأَمَانَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنَّمَازُ مَعَ الْبَقْرِ ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْعَنْمِ ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ لَا تَضُرُّهُمْ « الْحَدِيثُ

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُوَ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ * وَافْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿ ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوحِي إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَتْلِهِ لِلدَّجَالِ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ يَقْتَالُهُمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوْهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَاءٌ ، وَيَحْضُرُونَ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالذُّخَانُ ، وَالذَّابَّةُ ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفَاتٍ ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ » الْحَدِيثُ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ، وَهُوَ فِي مُسْلِمٍ وَذَكَرَ فِيهِ : « خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ » .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِيُحَجَّ هَذَا الْبَيْتَ وَلِيَعْتَمِرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ » . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الْعُظْمَى هَدْمُ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ . أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يُحْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ » ، وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ وَزَادَ : « وَيَسْلُبُهَا حُلِيِّهَا ، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا ، فَلِكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصِيلِعُ أُفِيدِعَ يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ أَوْ مَعُولِهِ » ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ - يَعْنِي ذَا السُّوَيْقَتَيْنِ - أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَنْقُضُهَا حَجْرًا حَجْرًا » يَعْنِي الْكَعْبَةَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُخْرَجُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الْكَعْبَةِ » ، قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : « فَيَهْدِمُهَا » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .
وَرَوَى الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ » .

وَمِنَ عِلْمَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى : الدُّخَانُ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : آيَةُ الدُّخَانِ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : هُوَ دُخَانٌ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ يَدْخُلُ فِي أَسْمَاعِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَيَعْتَرِي الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ ، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كُلُّهَا كَبَيْتٍ

أَوْفَدَ فِيهِ ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ ، فَقَالَ : « مَا تَذَاكُرُونَ » ؟ قَالُوا : السَّاعَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « إِنَّهَا لَنْ تَعُومَ حَتَّى تَرَوْهَا فِيهَا آيَاتٍ » فَذَكَرَ مِنْهَا الدُّخَانَ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَأَنَّهُ يَمُكُّثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي حَدِيثِ حَدِيفَةَ بْنِ إِيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ دُخَانًا يَمَلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، يَمُكُّثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ شَبَهُ الرِّكَامِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فِيهِ وَمِنْخَرِيهِ ، وَعَيْنِيهِ وَأَذْنِيهِ وَدُبُرِهِ » . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْعُظْمَى رَفَعَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمُ مِنَ الصُّدُورِ وَالسُّطُورِ ، وَهِيَ مِنْ أَشَدِّ مُعْضَلَاتِ الْأُمُورِ ، فَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « يُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ لَيْلًا فَيُصْبِحُ النَّاسُ وَلَيْسَ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا حَرْفٌ فِي جُوفٍ إِلَّا نُسِخَتْ » ، وَعِنْدَ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « لَا تَعُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْجِعَ الْقُرْآنُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، لَهُ دَوِيٌّ حَوْلَ الْعَرْشِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مِنْكَ خَرَجْتُ وَإِلَيْكَ أَعُودُ ، أَتْلَى فَلَا يُعْمَلُ بِي » ، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ حَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : « يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ حَتَّى لَا يَدْرُونَ مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ » .

فَعَلَيْكَ يَا أَحْيَى بِالْإِكْتَارِ مِنْ تَلَاوَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ .

شِعْرًا : أَعَزُّ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا بَيْتُ رَبِّنَا وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُهُ
آخِرُ : عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيْمِنِ يَذُكُرُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظُنَا مِنْ سِنَةِ الْعَفْلَةِ وَالنُّومِ وَارْزُقْنَا الاستِعْدَادَ لِذَلِكَ
اليوم الذي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ ، اللَّهُمَّ عَامِلْنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا
مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ وَاجْعَلْ رَغَبَتَنَا
فِيمَا لَدَيْكَ وَلَا تَحْرِمْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا . قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : طُلُوعُ
الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا
يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عِدَّةُ أَحَادِيثَ ، مِنْهَا مَا
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَفِظْتُ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ،
وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى ، وَأَيُّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا فَالْأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيبًا مِنْهَا
» ، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرِّ الْعَقَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا :
« أَتَذُرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ » ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخْرُجُ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ
حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَرْجِعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى
مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَيُقَالَ لَهَا : ارْجِعِي

ارتفعي ، أصبِحي طالعةً من مغربِك ، فتصبح طالعةً من مغربِها » ، فقال عليه السلام : « أتدرون متى ذلكم ؟ حين ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ الآية .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعاً ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها » . أخرجه البخاري .

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضُهُ سبعمون سنةً ، فلا يزال ذلك مفتوحاً للتوبة ، حتى تطلع الشمس من نحوهِ فإذا طلعت من نحوهِ ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ أخرجه ابن ماجه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين ، فذلك حين ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ » فقرأ الآية . أخرجه أبو داود .

والمقصود أنّ من لم يؤمن من قبل أن يأتي بعض الآيات لا ينفعه إيمانه إن آمن بعد إتيانها ، ولا يحصل للمؤمن المقتصر أن يزداد خيره بعد ذلك ، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك ، وما كان له من الخير الموجود قبل أن يأتي بعض الآيات والحكمة ظاهرة ، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان بالغيب وكان اختياراً من العبد ، فأما بعد وجود الآيات فيصير الأمر شهادةً ، ولم يبق للإيمان فائدةً لأنه يشبه الإيمان الصروري ولهذا لما أدرك فرعون العرق ، وجزم بالهلاك ،

﴿ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّ هَذَا الْإِيمَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ غَيْرُ نَافِعٍ ﴿ آيَاتُ اللَّهِ وَكُنْتُمْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَمْثَالِ فِرْعَوْنَ يَمُنُّ عَيْنُوهَا بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَأَدْرَكُوا الْعُرُورَ وَاعْتَرَفُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ، وَأَقْرَبُوا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ ، وَكَفَرُوا بِشُرَكَائِهِمْ مِنْ دُونِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَوَانَ كَانَتْ قَدْ فَاتَتْ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ ذَلِكَ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ عَلَى أَنْ لَا تُقْبَلَ التَّوْبَةُ بَعْدَ ظُهُورِ بَأْسِ اللَّهِ فَهِيَ تَوْبَةُ فَرْعٍ وَخَوْفٍ ، لَا تَوْبَةُ إِيمَانٍ صَحِيحٍ .

شِعْرًا: وَلَمَّا دَنَى مِنِّي السَّيَاقُ تَعَطَّفْتُ

عَلَيَّ وَعِنْدِي عَنِ تَعَطُّفِهَا شُغْلُ

أَنْتَ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَجَادَتْ بِوَصْلِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ ، إِذَا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْإِضْطِرَّارِيَّةِ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ الْإِيمَانُ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ صَارَ مُشَاهِدًا كِإِيمَانِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْقِيَامَةِ ، وَالَّذِي يَنْفَعُ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ فَالشَّأْنُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي لَمْ يَرَوْا وَلَمْ يُشَاهِدُوا وَإِنَّمَا نُؤْمِنُ بِهِ لِخَبَرِ اللَّهِ وَخَبَرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، قَالَ : يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَحَتَّتِهِ وَنَارِهِ ، وَلِقَائِهِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبِالْبَعْثِ فَهَذَا غَيْبٌ كُلُّهُ . أ . ه . قَالَ فِي لَوَائِحِ الْأَنْوَارِ : فَيَتَحَلَّصُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا

فِي مَعْنَاهَا بِمَا هُوَ مُسَطَّرٌ فِي الدُّرِّ الْمُنْتَوِرِ لِلْسُّيُوطِيِّ : أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانَ الْمِحْدَثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِمَنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا ، وَلَا التَّوْبَةُ الْمِحْدَثَةُ فِيهِ لِمَنْ كَانَ مُخْلَطًا ، وَلَا أَعْمَالُ الْبِرِّ الْمِحْدَثَةِ فِيهِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْمَلُهَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنًا فَإِنَّ الْإِيمَانَ الْمِجْرَدَ عَنِ الْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ عَلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ ، لِأَجْلِ بَحَاتِهِ وَإِيمَانِهِ الْمَتَّجِدِ يَوْمَئِذٍ يَنْفَعُهُ أَيْضًا لِأَنَّهُ نُورٌ عَلَى نُورٍ ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ السَّابِقَ مَعَ التَّخْلِيطِ يَنْفَعُهُ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانَ يَعْمَلُهَا ، وَإِنَّمَا الْمِنْتَوَعُ قُبُولُ تَوْبَتِهِ عَنْ تَخْلِيطِهِ ، وَقَبُولُ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَالضَّابِطُ أَنَّ كُلَّ بَرٍّ مُحْدَثٍ يَكُونُ السَّبَبُ فِي إِحْدَاثِهِ رُؤْيَا الْآيَةِ ، وَلَمْ يَسْبِقْ مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلُهُ ، لَا يَنْفَعُ سِوَاءَ كَانَ مِنَ الْأَصُولِ أَوْ الْفُرُوعِ ، وَكُلُّ بَرٍّ لَيْسَ كَذَلِكَ ، لِكَوْنِ صَاحِبِهِ كَانَ عَامِلًا بِهِ قَبْلَ رُؤْيَا الْآيَةِ يَنْفَعُ ، وَهَذَا التَّحْقِيقُ نَبَّهَ عَلَى مِثْلِهِ الْإِمَامُ الْمِحَقُّ الْعَلَامَةُ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي الْأَدَابِ ، قَالَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ ، وَكَفَى النَّاسَ الْعَمَلُ » : لَيْسَ الْمِرَادُ بِهَذَا الْخَبَرِ تَرْكُ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ - أَيْ وَكَذَا مِنَ النَّوَافِلِ - قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَيَجِبُ الْإِتْيَانُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنَ الْفَرَائِضِ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَيَنْفَعُهُ مَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ يَأْتِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ وَكَفَى النَّاسَ الْعَمَلُ ، أَيْ : عَمَلًا لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَهُ . وَحَكَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ مَنْ أَدْرَكَهُ بَعْضُ الْآيَاتِ وَهُوَ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ مَعَ إِيمَانِهِ قَبْلَ مِنْهُ كَمَا يُقْبَلُ مِنْهُ قَبْلَ الْآيَةِ . قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ : فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي سَبَبَهُ ظُهُورُ الْآيَةِ اضْطَرَّتْهُ إِلَيْهِ ، وَأَمَّا مَا كَانَ يَعْمَلُهُ فَظُهُورُ الْآيَةِ لَا تَأْتِي لَهَا فِيهِ ، فَبَقِيَ الْحُكْمُ كَمَا قَبْلَ الْآيَةِ .

اللَّهُمَّ قُوْ إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . اللَّهُمَّ
ثَبَّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
شِعْرًا: كُلُّ يَزُولُ وَكُلُّ هَالِكٌ فَان

إِلَّا الْإِلَهَ وَمَا لِلَّهِ مِنْ ثَنَانٍ
قَضَى وَقَدَّرَ تَقْدِيرًا فَاتَّقَنَّهُ
سُبْحَانَهُ هُوَ ذُو عِزٍّ وَسُلْطَانٍ
فَارْضُوا بِمَا قَدَّرَ الْجَبَّارُ وَاحْتَسِبُوا
إِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَا حَاقٌّ لِـلِدَيَانِ
وَبَادِرُوا بِشَاءِ اللَّهِ وَارْتَجِعُوا
عِنْدَ الْمَصَائِبِ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عَرْضٍ
فَالرَّبُّ يَخْلِفُهُ فَضْلًا يَاحْسَنَانِ
هَذِي الْحَيَاةُ وَرَبِّي صَفْوُهَا كَدْرٌ
لَا بُدَّ زَائِلَةٌ عَنْ كُلِّ إِنْسَانِ
يَشْقَى اللَّيْبُ وَيُمْسِي فِيهَا ذَا عَطْبٍ
تَبَّأ لَهَا دَارُ أَكْـدَارٍ وَأَحْـزَانِ
إِنَّ الْمَصَابَ الَّذِي يَأْتِي بِلا عَمَلٍ
يَوْمَ الْمَعَادِ وَمَنْ يُجْزَى بِحِرْمَانِ
وَمَا أَصَابَ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ ضَرِرٍ
إِلَّا بِظُلْمِهِمْ وَاشْتِؤْمٍ وَعِصْيَانِ

نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قَدْ بَانَتْ جَرَائِدُنَا
 عَلَى إِلَّا إِلَهَ وَلَمْ نَسْخَطْ لِشَيْطَانِ
 نَحْنُ الْمُسِيئُونَ نَحْنُ التَّابِعُونَ هَوَى
 نَحْنُ الْأَلَى خَلَطُوا ذَنْبًا بَعْضِيَانِ
 وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا أُرِيدَ بِنَا
 وَالْكُلُّ فِي سَكْرَةٍ وَيَحَا لِسَكْرَانِ
 وَلَمْ نُرَاقِبْ إِلَهَ الْعَرْشِ فِي عَمَلِ
 وَذَا وَرَبِّكَ مَنَّا ضَعُفُ إِيْمَانِ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَوَفِّقْنَا لِشُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَارْزُقْنَا التَّأَهُبَ وَالِاسْتِعْدَادَ
 لِلْقَائِكَ وَاجْعَلْ خَتَامَ صَحَائِفِنَا كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وَاغْفِرْ لَنَا .

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ وَمَحَبَّةَ كُتُبِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ فِي قُلُوبِنَا ثُبُوتَ الْجِبَالِ
 الرَّاسِيَاتِ وَنَوَّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا خُرُوجُ الدَّابَّةِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوجُهَا ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ
 كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ تَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ ، وَتَرْكِهِمْ أَوْامِرَ اللَّهِ
 ، وَتَبْدِيلِهِمُ الدِّينَ الْحَقَّ وَتُكَلِّمُهُمْ ، وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ مَا وَرَدَ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ » فَذَكَرَ مِنْهَا الدَّابَّةَ
 . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا » فَذَكَرَ : «
 وَدَابَّةَ الْأَرْضِ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُمَرَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ جَاءَ فِيهِ : قَالَ :
 ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّابَّةَ فَقَالَ : « لَهَا ثَلَاثُ خَرَجاتٍ فِي الدَّهْرِ ، فَتَخْرُجُ
 خَرْجَةً مِنْ أَقْصَى البَادِيَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ ، أَعْيَى مَكَّةَ ، ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَنًا طَوِيلًا ، ثُمَّ
 تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ تِلْكَ ، فَيَعْلَمُوا ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ البَادِيَةِ ، وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ » ، يَعْنِي
 مَكَّةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ وَأَكْرَمِهَا
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لَمْ يَرْعُهُمْ إِلَّا وَهِيَ تَرْعُوا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمِقَامِ ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ فَارْفُضُ
 النَّاسُ عَنْهَا شَيْئًا وَمَعًا ، وَتَثْبُتُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعْجِرُوا اللَّهَ ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ
 فَجَلَّتْ وُجُوهُهُمْ حَتَّى جَعَلَتْهَا كَالْكُوبِ الدَّرِيِّ ، وَوَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ ، وَلَا يَنْجُو
 مِنْهَا هَارِبٌ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا فِي الصَّلَاةِ ، فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ : يَا فُلَانُ الْآنَ
 تُصَلِّي ، فَيُقْبَلُ عَلَيْهَا فَتَسْمُهُ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الْأَمْوَالِ وَيَصْطَحِبُونَ
 فِي الْأَمْصَارِ ، يُعْرِفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَقُولُ : يَا كَافِرُ أَفْضِنِي حَقِّي ، وَحَتَّى
 إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ : يَا مُؤْمِنُ أَفْضِنِي حَقِّي » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَخْرُجُ الدَّابَّةُ
 وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا ،
 وَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ ، فَيَقُولُ هَذَا : يَا مُؤْمِنُ ، وَيَقُولُ
 هَذَا : يَا كَافِرُ » . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَأَحْمَدُ .

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ خُرُوجُ النَّارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَعْرِ عَدَنِ تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ،
تَبِيْتُ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ حَيْثُ قَالُوا ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ بِالسُّنَّةِ ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ : رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ
، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ ، وَتَحْشُرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ
حَيْثُ قَالُوا ، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا ، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ
أَمْسُوا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَنْ
تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ » ، وَمِنْهَا : « نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُقُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ
» . رَوَاهُ السُّنَّةُ إِلَّا الْبُخَارِيُّ ، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوَّلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . فَقَالَ : « نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ
حَضْرَمَوْتِ ، أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا
تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : ((عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)) . أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

تَنْبِيهُ :

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ
الإمامُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُجِيءُ بَعْدَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِيحٌ بَارِدَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلَا تُبْقِي عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ

فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي حِقَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُونَ مَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ « . وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ أَيْضًا ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ : « فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُ تَحْتَ آبَاتِهِمْ ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارِجَ الْحُمُرِ » - أَيُّ يَتَسَافِدُونَ تَسَافِدَ الْحُمُرِ جَمْعُ حِمَارٍ - : « فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ الْحَاكِمِ : « أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنْ الْيَمَنِ أَلِينُ مِنَ الْحَرِيرِ فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ » .

وَقَالَ السَّفَارِينِي نَاطِمًا لِلْعَلَامَاتِ الْعِظَامِ ، وَالْأَشْرَاطِ الْجِسَامِ الَّتِي تَعْقِبُهَا السَّاعَةُ :

وَمَا أَتَى بِالنَّصِّ مِنْ أَشْرَاطٍ

فَكُلُّهُ حَقٌّ بِإِسْلَامِ طَاطِ

مِنْهَا الْإِمَامُ الْخَاتِمُ الْفَصِيحُ

مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَسِيحُ

وَأَنَّهُ يُقْتُلُ لِلدَّجَالِ

بِبَابِ لِدُخْلٍ عَن جِدَالِ

وَأَمْرٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَتْبَتِ

فَإِنَّهُ حَقٌّ كَهَذَمِ الْكَعْبَةِ

وَأَنَّ مِنْهَا آيَةُ الدُّخَانِ
وَأَنََّّهُ يُدْهَبُ بِـالْقُرْآنِ
طُلُوعِ شَمْسِ الأفقِ مِنْ دُبُورِ
كَذَاتِ أَجْيَادِ عَلَى المَشْهُورِ
وَآخِرُ الآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ
كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ
فَكُلُّهَا صَحَّتْ بِهَا الأَخْبَارُ
وَسَطَّرَتْ آثَارَهَا الأَخْيَارُ

وَقَالَ القَحْطَانِي :

أَيُّقِن بِأَشْرَاطِ القِيَامَةِ كُلَّهَا
وَاسْمِعْ هُدَيْتَ نَصِيحَتِي وَيَا نَبِي
كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا
وَأَخْرُوجُ دَجَّالٍ وَهَوُولٍ دُخَانِ
وَأَخْرُوجُ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعَا
مِنْ كُلِّ صَفْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ
(وَنُزُولِ عَيْسَى قَاتِلًا دَجَّالَهُمْ)
يَقْضِي بِحُكْمِ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ)

اللَّهُمَّ يَا مُصْلِحَ الصَّالِحِينَ أَصْلِحْ فَسَادَ قُلُوبِنَا وَاسْتُرْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عُيُوبَنَا وَاعْفِرْ بَعْفُوكَ
وَرَحْمَتِكَ دُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا مُوَبِقَاتِ الجُرَائِرِ وَاسْتُرْ عَلَيْنَا فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ وَلَا تُخْلِنَا فِي مَوْقِفِ
القِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَعُغْرَانِكَ وَلَا تَتْرُكْنَا مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

اعْلَمْ وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ، وَيَعْرِفُوهُ وَيَخْشَوهُ وَيَخَافُوهُ ، وَنَصَبَ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ لِيَهَابُوهُ ، وَيَخَافُوهُ خَوْفَ إِجْلَالٍ ، وَوَصَفَ لَهُمُ شِدَّةَ عَذَابِهِ ، وَدَارَ عِقَابِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمَنْ عَصَاهُ لِيَتَّقُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَهَذَا كَرَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ ذِكْرَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّهُ فِيهَا لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْأَغْلَالِ ، وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّرِيعِ وَالزَّقُومِ وَالْحَمِيمِ وَالسَّلَاسِلِ وَالْعَسَاقِ وَالغَسَلِينَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْفَضَائِعِ وَالْعِظَائِمِ ، وَدَعَا عِبَادَهُ بِذَلِكَ إِلَى حَشِيَّتِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَالْمَسَارَعَةَ إِلَى امْتِثَالِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَجُبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ ، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا بِأَنَّ الْخَلْقَ وَارِدُوهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ فَأَنْتَ مِنَ الْوَارِدِ عَلَى يَقِينٍ ، وَمِنَ النَّجَاةِ عَلَى شَكِّ ، فَيَا أَيُّهَا الْعَافِلُ السَّاهِي عَنْ نَفْسِهِ ، الْمُعْرُورُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَشْتِعَالِ بِعَمَائِرِهِ وَأَرَاضِيهِ وَسَيَّارَاتِهِ ، وَشَرِكَاتِهِ وَمُقَاوَلَاتِهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَكُلِّ مَا يُلْهِمُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، دَعِ التَّفَكُّرَ وَقْتَلِ الْوَقْتَ فِيمَا أَنْتَ مُرْتَجِلٌ عَنْهُ ، وَجَادِّ فِي السَّيْرِ عَنْهُ ، وَاصْرِفْ فِكْرَكَ فِيمَا أَمَامَكَ فَاسْتَشِعِرْ فِي قَلْبِكَ هَذَا ذَلِكَ الْمَوْرِدِ لَعَلَّكَ تَسْتَعِدُّ لِلنَّجَاةِ مِنْهُ وَتَأْمَلُ فِي حَالِ الْخَلْقِ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ حُفَاءَ عُرَاهَ عُرْلًا ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ ﴾ تَفَكَّرْ فِي ازْدِحَامِ الْخَلَائِقِ وَقَدْ صَهَرَتْهُمْ الشَّمْسُ ، إِلَّا مَنْ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْعَمُّ مِنَ الْوَهَجِ ، وَتَدَافَعَتِ الْخَلَائِقُ لِشِدَّةِ

الزَّحَامِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَقْدَامِ ، وَأَنْضَافَ إِلَى ذَلِكَ شِدَّةَ الْحَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْفَضَائِحِ
وَالِاخْتِرَاءِ عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْجَبَّارِ ، وَقُرْبِ الشَّمْسِ مِنَ الْخَلْقِ فَيَبْلُغُ عَرْفُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ
ذِرَاعًا ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ :
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْفُهُمْ
فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا » .

وَيَرُومُ الْبَقَاءِ وَالْمَوْتَ رَامَهُ	شِعْرًا: يَضْحَكُ الْمَرْءُ وَالْبُكَاءُ أَمَامَهُ
وَيُخْلِى حَدِيثُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	وَيَمْشِي الْحَدِيثُ فِي كُلِّ لَعْوٍ
وَنَفَى فِي الصَّلَامِ عَنْهُ مَنَامَهُ	وَلَأَمْرٌ بَكَّاهُ كُلُّ لَيْبٍ
فَمَحَالٌ بِأَنْ تُطِيقَ تَمَامَهُ	صَاحٍ حَدَّثَ حَدِيثَهُ وَاخْتَصَرَهُ
لَمْ نَجِي مِنْ بَحَارِهِ بِكُضَامِهِ	عَجَزَ الْوَاصِفُونَ عَنْهُ فَقَالُوا
وَدَعُ الْآنَ شَرْحَهُ وَنِظَامَهُ	فَلْتَحَدَّثْهُ جُمْلَةً وَشَتَاتًا
بِمَوْقِفِ عَدَلٍ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ	آخِر: وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ
سُدَى مَا لَنَا بَعْدَ الْمَمَاتِ مَصَادِرُ	كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نَشُورَ وَأَنَّنَا
وَتَشْغَلُنَا اللَّذَاتِ عَمَّا نُحَادِرُ	أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَعُرُّ نُفُوسَنَا

فَصَلٌّ : وَتَأْمَلُ صِفَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَدَوَاهِيهِ ، لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَ الرُّوحَ الْبَدَنَ ،
وَيُحَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ، وَتَنْدَمُ حِينَ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الرَّهِيْبِ تَنْفِطِرُ السَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ تَنْتَثِرُ ، وَالْبِحَارُ تُفَجَّرُ وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ ، وَالشَّمْسُ تُكْوَرُ
وَالْجِبَالُ تُسَيَّرُ ، وَالْعِشَارُ

تُعْطَلُ ، وَالْوُحُوشُ تُحْشَرُ ، وَالتُّفُوسُ تُرَوَّجُ ، وَالْجَحِيمُ تُسَعَّرُ وَالْجَنَّةُ تُقَرَّبُ ، وَالْأَرْضُ تُمَدُّ يَوْمَ تَرَى الْأَرْضَ قَدْ زُلْزِلَتْ ، وَأَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَاهُمْ ﴾ يَوْمَ تُحْمَلُ ﴿ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ تَنْشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يُفْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * لِكُلِّ امْرِيٍّ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ، ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تُرْجُ الْأَرْضُ رَجًا ، وَتُبَسُّ الْجِبَالُ بَسًا ، يَوْمَ ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ يَوْمَ يَنْسِفُ اللَّهُ الْجِبَالَ ﴿ نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ يَوْمَ ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ يَوْمَ تَنْشَقُّ فِيهِ السَّمَاءُ فَتَكُونُ ﴿ وَرَدَّةً كَالدَّهَانِ ﴾ ، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

شِعْرًا:

وَبَعْدَ دُخُولِ الْقَبْرِ يَا نَفْسُ كُرْبَةً	وَهَوُلُ تُشِيبُ الْمُرْضِعِينَ زَلْزِلَةً
إِذَا الْأَرْضُ حَفَّتْ بَعْدَ ثَقْلِ جِبَالِهَا	وَحَلَى سَبِيلِ الْبَحْرِ يَا نَفْسُ سَاحِلَهُ
فَلَا يَرْتَجِي عَوْنًا عَلَى حَمْلِ وِزْرِهِ	مُسِيءٌ وَأَوْلَى النَّاسِ بِالْوِزْرِ حَامِلُهُ
إِذَا الْجَسَدُ الْمَعْمُورُ زَايِلَ رُوحَهُ	خَوَى وَجَمَالَ الْبَيْتِ يَا نَفْسُ آهْلُهُ

وَقَدْ كَانَ فِيهِ الرُّوحُ حَيًّا يَزِينُهُ وَمَا الْعِمْدُ لَوْلَا نَصْلُهُ وَحَمَائِلُهُ

يُزَايِلُ نَبِيَّ مَالِي إِذَا النَّفْسُ حَشْرَجَتْ وَأَهْلِي وَكَدْحِي لِأَزْمِي لَا أَزَايِلُهُ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الآية . ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ بَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ، ﴿ يَوْمَ تَبْلَوْنَ كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفْتُمْ ﴾ ، يَوْمَ نَعْلَمُ فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَحْضَرْتُمْ وَتَشْهَدُ مَّا قَدَّمْتُمْ وَأَخَّرْتُمْ ، يَوْمَ تُخْرَسُ فِيهِ الْأَلْسُنُ ، وَتَنْطِقُ فِيهِ الْجَوَارِحُ ، يَوْمَ شَيَّبَ ذِكْرُهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَيَّبَنِي هُوْدٌ ، وَالْوَاقِعَةُ ، وَالْمُرْسَلَاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » . أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ .

شِعْرًا: لِأَمْرِ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ وَبَاحَ بِسِرِّهَا دَمْعُ سَكِيبُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارُ ذِكْرِي لَهَا مِنْ خَارِجِ أَثَرِ عَجِيبُ
وَمَا خَفَّ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لَا يَمَاهُ فَلَا تُلُومَا فَرُبَّتْ لِأَيْمٍ فِيهِ يَحُوبُ
رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ مُرُورَ الرِّيحِ يَدْفَعُهَا الْهُبُوبُ
وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامُ بِهِ الْوَلْدَانَ مِنْ رَوْعِ تَشِيبُ
وَهَذَا الْمَوْتُ يُدْنِيهِ إِلَيْهِ كَمَا يُدْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشِيبُ
مَقَامٌ تُسْتَلَدُّ بِهِ الْمَنَائِبَا وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تُجِيبُ
وَمَاذَا الْوَصْفُ بِالْغُهُ وَلَكِنْ هِيَ الْأَمْثَالُ يَنْفَهُمَهَا اللَّيْبُ

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا وَاهْدِ قُلُوبَنَا وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا
وَاسْئَلْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ
شَيْءٍ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ : إِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الشَّرْكَ
وَتَكْذِيبَ الرُّسُلِ ، فَيَخْتِمُ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ خَتْمًا لَا يَقْدِرُونَ مَعَهُ عَلَى الْكَلَامِ ، وَتَكَلَّمُ أَيْدِيهِمْ
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ عَلَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ بِاخْتِيَارِهِمْ ، بَعْدَ إِفْدَارِ اللهِ تَعَالَى لَهَا
عَلَى الْكَلَامِ لِيَكُونَ أَدَلَّ عَلَى صُدُورِ الذَّنْبِ مِنْهُمْ . وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَالْبَزَّازُ
وغيرهم عَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الْآيَةَ . قَالَ : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : « أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ » ؟ قُلْنَا : لَا
يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : « مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ، يَقُولُ : يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْرِبْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ فَيَقُولُ :
بَلَى ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَيَّ إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي ، فَيَقُولُ : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
حَسِيبًا ﴾ وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا ، فَيَخْتِمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ
، ثُمَّ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَيَقُولُ : بُعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُرُ كُنْتُ أَنْاضِلُ » . وَأَخْرَجَ
مُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَلْقَى الْعَبْدَ رَبَّهُ ، فَيَقُولُ اللهُ : أَلَمْ أَكْرِمَكَ وَأَسْوَدَكَ وَأَزَوَّجَكَ ، وَأَسَخَّرَ لَكَ
الْإِبِلَ ، وَأَدْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبَّعَ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى أَيُّ رَبِّ .

فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيُقَالُ : إِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي
فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَلْقَى الثَّلَاثُ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ
وَرَسُولِكَ ، وَصَلَيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بِخَيْرِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَقُولُ : أَلَا نَبَعْتُ شَاهِدًا
عَلَيْكَ ؟ فَيَفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ ، مَنْ الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ : انْطِقِي ،
فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَفَمُّهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ مَا كَانَ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ وَذَلِكَ
الَّذِي يُسَخِّطُ عَلَيْهِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

وَتَحَدَّثُ الْأَرْضَ الَّتِي كُنَّا بِهَا

أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَانِ

وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالذِّي

مِنْ فَوْقَهَا قَدْ أَخَذَتْ الثَّقَلَانِ

وَتَمُدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا

مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانِ

وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا

كَالْأَصْطَوَانِ نَفَائِسُ الْأَثْمَانِ

كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنَيْهِ وَعِيَانِهِ

مَا لَا مَرِيٍّ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ

وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتُّ فِتًّا مُحْكَمًا

فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ

وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ

وَصِرْبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

وَتُبَسُّ بِسَاءِ مِثْلِ ذَاكَ فَتَنْتَبِي
 مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاظِرِ الْإِنْسَانِ
 وَكَذَا الْبَحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ
 قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي السُّلْطَانِ
 وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ يَا ذُنُ رُبْنَا
 لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ
 هَذِي مَكْوَرَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ
 وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
 وَكَوَاكِبُ الْأَفْلاكِ تُنْشَرُ كُلُّهَا
 كَاللَّيْلِ نُشِرَتْ عَلَى مِيدَانِ
 وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شِقًّا ظَاهِرًا
 وَتَمْوِرُ أَيْضًا أَيَّمَا مَوَرَانِ

وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَذَا الْمُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةً كِدِهَانِ .

وَقَالَ الْقَحْطَابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِؤْلِهِ
 لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ
 يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُؤْلِهِ
 وَتَشَيَّبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوَلْدَانِ
 يَوْمَ عَبَّوْسُ قَمَطَرِيْرُ شَرُّهُ
 فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ
 وَفَدًا عَلَى نُجُوبِ مِنَ الْعُقِيَانِ

وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَطَى

يَتَلَمَّظُونَ تَلْمَظًا عَظِيمًا

مَوْعِظَةً

فِيهَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْغَافِلُونَ تَيَقَّظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْحِطَابُ وَيَا أَيُّهَا النَّائِمُونَ انْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاحَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ ، قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ وَمُذِلِّ الرِّقَابِ وَمُشْتَتِّتِ الْأَحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوفُهُ عَائِقٌ وَلَا يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمَمْلُوكِ وَلَا يَلْحِقُ مِنَ الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِّرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ أَلَا وَأَنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ، وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ وَالْحُشْرِ وَأَحْوَالُهُ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ .

نظم في البعث بعد الموت والجزاء

وَأِنَّ نَفْحَةَ إِسْرَافِيلَ ثَانِيَةَ	فِي الصُّورِ حَقًّا فَيَحْيِي كُلَّ مَنْ قُبِرَا
كَمَا بَدَأَ خَلْقَهُمْ رَبِّي يُعِيدُهُمْ	سُبْحَانَ مَنْ أَنْشَأَ الْأَرْوَاحَ وَالصُّورَا
حَتَّى إِذَا مَا دَعَا لِلْجَمْعِ صَارِخُهُ	وَكُلُّ مَيِّتٍ مِنَ الْأَمْوَاتِ قَدْ نُشِرَا
قَالَ الْإِلَهِ قِفُوهُمْ لِلسُّؤَالِ لِكَيْ	يَقْتَصُّ مَظْلُومُهُمْ مِمَّنْ لَهُ قَهْرَا
فَيُوقِفُونَ أُلُوفًا مِنْ سِنِينِهِمْ	وَالشَّمْسُ دَانِيَةً وَالرَّشْحُ قَدْ كَثِرَا
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْأَمْلَاقُ قَاطِبَةً	لَهُمْ صُفُوفٌ أَحَاطَتْ بِالْوَرَى رَمَرَا
وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِالنَّارِ تَسْحَبُهَا	خِزَانُهَا فَأَهْلَلَتْ كُلَّ مَنْ نَظَرَا
لَهَا زَفِيرٌ شَدِيدٌ مِنْ تَغِيْظِهَا	عَلَى الْعِصَاةِ وَتَرْمِي نَحْوَهُمْ شَرَرَا
وَيُرْسِلُ اللَّهُ صُحُفَ الْخَلْقِ حَاوِيَةً	أَعْمَالَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ جَلٌّ أَوْ صَغُرَا
فَمَنْ تَلَقَّته بِالْيَمَنِ صَحِيفَتُهُ	فَهُوَ السَّعِيدُ الَّذِي بِالْفَوْزِ ظَفِرَا
وَمَنْ يَكُنْ بِالْيَدِ الْيَسْرَى تَنَاوَلَهَا	دَعَا ثُبُورًا وَلِلنَّيْرَانِ قَدْ حُشِرَا

وَوَزُنُ أَعْمَالِهِمْ حَقًّا فَإِنْ ثَقُلَتْ
وَالْخَيْرِ فَازَ وَإِنْ خَفَّتْ فَقَدْ حُسِرَا
وَإِنْ بِالْمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتِ كَمَا
يَكُونُ فِي الْحَسَنَاتِ الضَّعْفِ قَدْ وَفَرَا
وَكُلُّ ذَنْبٍ سِوَى الْإِشْرَاكِ يَغْفِرُهُ
رَبِّي لِمَنْ شَاءَ وَلَيْسَ الشُّرْكُ مُعْتَفَرَا
وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لَا تَفْنَى وَسَاكِنُهَا
مُخَلَّدٌ لَيْسَ يَخْضَى الْمَوْتَ وَالْكَبْرَا
أَعَدَّهَا اللَّهُ دَارًا لِلْخُلُودِ لِمَنْ
يَخْشَى الْإِلَهَ وَلِلنَّعْمَاءِ قَدْ شَكَرَا
وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ الْإِلَهِ بِهَا
كَذَلِكَ النَّارُ لَا تَفْنَى وَسَاكِنُهَا
وَلَا يُخَلَّدُ فِيهَا مَنْ يُوحِّدُهُ
وَكَمْ يُنَجِّي إِلَهِي بِالشَّفَاعَةِ مَنْ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ عَاصٍ بِهَا سُجْرَا

اللَّهُمَّ أَيِّقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَتَبَهَّنَا لِإِعْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمَهْلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا .

اللَّهُمَّ اعْصِمْنَا عَنِ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ يَا كَرِيمُ يَا مَنَّانُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : ثُمَّ تَأَمَّلْ فِي الْمِيزَانِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ ، تُوزُنُ بِهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كِلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى

الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ . « الأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَّمِ وَجَمِيعِ الْأَعْمَالِ ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمُؤَزَّوْنَةِ أَوْ بِاعْتِبَارِ الْأَشْخَاصِ ، أَوْ لِلتَّفْخِيمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَقِيلَ : لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَحْتَوِي عَلَى لِسَانٍ وَكَفَّتَيْنِ وَشَاهِيْنَ ، وَلَا يَتِمُّ الْوَزْنُ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا . وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَأَلَ رَبَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ ، فَأَرَاهُ كُلَّ كِفَّةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَعُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : يَا إِلَهِي مَنْ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ ؟ فَقَالَ :

يَا دَاوُدَ إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَنْ عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمَرَةٍ .
 وَأَخْرَجَ الْبِرَّازُ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفَّتَيْ الْمِيزَانِ ، وَيُؤْكَلُ بِهِ مَلَكٌ ، فَإِنْ ثَقَلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ : سَعْدَ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ : أَلَا شَقِي فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا » ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يُبْكِيكَ » ؟ قُلْتُ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : « أَمَّا فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدًا أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيُّخْفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ ، وَعِنْدَ تَطَائُرِ الصُّحُفِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيُّعُ كِتَابُهُ فِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وَضَعَ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَجُوزَ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

فَلَا تَعْقُلُ عَنِ الْمِيزَانِ بَلْ فَكَّرَ فِيهِ وَخَطَرَهُ ، وَأَنَّ الْأَعْيُنَ شَاخِصَةٌ إِلَى لِسَانِهِ ، وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْ خَطَرِهِ إِلَّا مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا ،

وَوَزَنَ أَعْمَالَهُ فِيهَا بِمِيزَانِ الشَّرْعِ ، وَتَتَبَعَ أَقْوَالَهُ وَخَطَرَاتِهِ وَلِحَظَاتِهِ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
 حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِمَّا يَجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ كَالْمِيزَانَ
 الصُّحُفِ ، وَهِيَ صُحُفُ الْأَعْمَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى :
 ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ * اقْرَأْ كِتَابَكَ
 كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ فَيُجْمَعُ لَهُ عَمَلُهُ كُلُّهُ فِي كِتَابٍ يُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ
 الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، يَلْقَاهُ مَفْتُوحًا غَيْرَ مَطْوِيٍّ يَفْرُؤُهُ ، فِيهِ جَمِيعُ عَمَلِهِ مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ إِلَى آخِرِهِ ،
 قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى
 مَعَاذِيرَهُ ﴿ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴾ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ ،
 وَقَالَ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
 سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
 وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

فَلَيْسَ بِمُهْمَلٍ بَلْ لَهُ مَلَائِكَةٌ يَتَعَقَّبُونَ عَلَيْهِ ، حَرَسٌ بِاللَّيْلِ وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَحْفَظُونَهُ مِنْ
 الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ ، كَمَا يَتَعَقَّبُ مَلَائِكَةُ آخِرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ مَلَائِكَةُ
 بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ ، فَائْتِنَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ
 الْحَسَنَاتِ ، وَصَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَلَكَانِ آخِرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ ، وَاحِدٌ مِنْ
 وَرَائِهِ ، وَآخَرٌ مِنْ قُدَّامِهِ ، فَهُوَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَمْلاكٍ بِالنَّهَارِ ، وَأَرْبَعَةِ آخِرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا ، حَافِظَانِ
 وَكَاتِبَانِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « يَتَعَقَّبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ بِاللَّيْلِ ، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ ،
 وَيَجْتَمِعُونَ فِي

صَلَاةِ الصُّبْحِ ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ، فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ :
كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ « ، وَفِي
الْحَدِيثِ الْآخِرِ : « إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْجَمَاعِ ، فَاسْتَحْيُوهُمْ
وَأَكْرِمُوهُمْ » .

شِعْرًا: إِنَّ سَرَكَ الشَّرْفِ الْعَظِيمِ مَعَ الْغِنَى

وَيَكُونُ يَوْمَ أَشَدَّ خَوْفٍ وَابِلًا

يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا النُّفُوسِ تَنَاقَلَتْ

فِي الْوِزْنِ إِذْ غَبَطَ الْأَخْفُ الْأَثْقَالًا

فَاعْمَلْ لِمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَلَا تَكُنْ

عَنْ حَظِّ نَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ غَافِلًا

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَأَلْبِسْنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ
وَوَقَّفْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَإِتِّبَاعِهِ وَخَلَّصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مَوْئِدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرِ عَلَيْنَا يَدًا
وَاجِعَلْ لَنَا عَيْشًا رَعْدًا وَلَا تُشِمْتِ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا وَفَهْمًا
ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ وَأَنَّكَ غَيْرَ مَتْرُوكٍ سُدَى ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ إِذَا كُنْتَ عَاقِلًا تُرِيدُ نَجَاةَ
نَفْسِكَ أَنْ لَا تَعْفَلَ وَلَا سَاعَةَ ، وَأَنْ تَكُونَ دَائِمًا عَلَى حَذَرٍ ، وَتَتَفَكَّرَ فِيمَا أَمَامَكَ مِنَ الْعَقَبَاتِ
وَالْأَهْوَالِ الْمُرْعَجَاتِ ، وَادُّكُرْ

تَطَايَرِ الصُّحُفِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالشَّمَائِلِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ
أَفْرُؤُوا كِتَابِيهِ ﴾ الْآيَاتِ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُوتَ كِتَابِيهِ * وَلَمْ أَذْرِ مَا حِسَابِيهِ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ * هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيهِ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ،
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى
أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴾ .
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ الْأَمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ : هَذَا فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ مَنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فَلْيَأْتِ إِلَى حَقِّهِ ، فَتَفْرَحُ الْمَرْأَةُ أَنْ يَكُونَ
لَهَا الْحَقُّ عَلَى أَبِيهَا أَوْ أُمِّهَا أَوْ أَخِيهَا أَوْ زَوْجِهَا ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ ﴾ فَيَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ مَا يَشَاءُ ، وَلَا يَغْفِرُ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ شَيْئًا فَيُنْصَبُ لِلنَّاسِ ،
فَيَقُولُ : اثْنُوا إِلَى النَّاسِ حُقُوقَهُمْ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ فَنَيْتِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَيْنَ أُوتِيَهُمْ حُقُوقُهُمْ ؟
فَيَقُولُ : خُذُوا مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ فَأَعْطُوا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ
فَفَضَّلَ لَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ضَاعَفَهَا اللَّهُ لَهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ بِهَا الْجَنَّةَ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها ﴾ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا شَقِيًّا قَالَ الْمَلِكُ : رَبِّ فَنَيْتِ حَسَنَاتِهِ وَبَقِيَ
طَالِبُونَ كَثِيرٌ ، فَيَقُولُ : خُذُوا مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَأَضِيفُوهَا إِلَى سَيِّئَاتِهِ ، ثُمَّ صُكُّوا لَهُ صَكًّا إِلَى النَّارِ .
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَا

يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا ﴾ ، يَعْنِي : الْجَنَّةَ ، نَسَأَلُ اللَّهُ أَنْ يُسَكِّنَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْخَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ تَعَالَى : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَيُخْرِجُ بِلِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزَنِّكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِلِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَقَالَ : فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِلِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ ، وَثَقُلَتْ الْبِلِطَاقَةُ ، وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ . » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَحُصِّ مِمَّنْ يُحَاسَبُ وَتُوزَنُ أَعْمَاهُمْ طَائِفَتَانِ ، فَمِنَ الْكُفَّارِ مِنْ لَيْسَ لَهُمْ حَسَنَةٌ ، فَهَؤُلَاءِ يَقْعُونَ فِي النَّارِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ وَلَا مِيزَانٍ ، وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَا سَيِّئَةَ لَهُ وَلَهُ حَسَنَاتٌ كَثِيرَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَخْضِ الْإِيمَانِ ، فَهَذَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْبِ حِسَابٍ ، كَمَا فِي قِصَّةِ السَّبْعِينَ أَلْفًا ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بِهِمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الصِّرَاطِ كَلْمَحٍ

البَصْرِ ، وَكَالْبَرْقِ الخَاطِفِ ، وَكَالرَّيحِ ، وَكَأَجَاوِذِ الخَيْلِ ، وَمَنْ عَدَا هَدَّيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالكُفَّارِ يُحَاسِبُونَ ، وَتُعْرَضُ أَعْمَالُهُمْ عَلَى المَوَازِينِ .

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ : إِنَّهُ يَحْشُرُ الخَلَائِقَ كُلَّهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، البَهَائِمِ وَالدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ يَوْمَئِذٍ أَنْ يَأْخُذَ لِجَمَّاءٍ مِنَ العَرْنَاءِ ، ثُمَّ يَقُولُ : كُوي تَرَابًا ، فَذَلِكَ ﴿ يَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ فَتَفَكَّرْ فِي صَحيفَتِكَ ، وَكُنْ عَلَى حَدَرٍ خَشِيَّةٍ أَنْ تَخْرُجَ مَمْلُوءَةً بِالسَّيِّئَاتِ . وَاللهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

عَلَامَةُ صِحَّةِ لِلْقَلْبِ ذِكْرُ

لِذِي العَرْشِ المُقَدَّسِ ذِي الجَلَالِ

وَخَدَمَتِهِ رَبَّنَا فِي كُلِّ حَالٍ

بِإِلا عَجْزٍ هُنَالِكَ أَوْ كَلَالِ

وَلَا يَأْنَسُ بِغَيْرِ اللهِ طُرًّا

سِوَى مَنْ قَدْ يَدُلُّ إِلَى المَعَالِي

وَيَذْكُرُ رَبَّهُ سِرًّا وَجَهْرًا

وَيُذَمِّنُ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ حَالٍ

وَفِيهَا وَهُوَ ثَانِيهَا إِذَا مَا

يُقْفُوتُ الوَرْدُ يَوْمًا لِاشْتِغَالِ

فِيأَلْمُ لِلْفُوتِ أَشَدَّ مِمَّا

يُقْفُوتُ عَلَى الحَرِيصِ مِنَ الفِضَالِ

وَمَنْهَا شُحُّهُ بِالْوَقْتِ يَمْضِي
 ضَيَاعًا كَالشَّحِيحِ بِبَذْلِ مَالِ
 وَأَيْضًا مِنْ عَلَامَتِهِ اهْتِمَامٌ
 بِهِمْ وَاحِدٌ غَيْرَ انْتِحَالِ
 فَيَصْرِفُ هَمَّهُ لِلَّهِ صِرْفًا
 وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَوَالِ
 وَأَيْضًا مِنْ عَلَامَتِهِ إِذَا مَا
 دَنَا وَقَتُ الصَّلَاةِ لِذِي الْجَلَالِ
 وَأَحْرَمَ دَاخِلًا فِيهَا بِقَلْبِ
 مُنِيبٍ خَاضِعٍ فِي كُلِّ حَالِ
 تَنَاءَى هَمُّهُ وَالْغَمُّ عَنْهُ
 بِدُنْيَا تَضُمُّ مَحَلَّ الْيَزْوَالِ
 وَوَأْفَى رَاحَةً وَسُرُورَ قَلْبِ
 وَقُورَةَ عَيْنِهِ وَنَعِيمَ بَالِ
 وَيَشْتَدُّ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فِيهَا
 فَيَرْغَبُ جَاهِدًا فِي الْإِتْبَهَالِ
 وَأَيْضًا مِنْ عَلَامَتِهِ اهْتِمَامٌ
 بِتَضَمُّنِ الْمَقَالَةِ وَالْفِعَالِ
 وَأَعْمَالِ وَنِيَّاتِ وَقَصْدِ
 عَلَى الْإِخْلَاصِ يَحْرُصُ بِالْكَمَالِ
 أَشَدَّ تَحْرُصًا وَأَشَدَّ هَمًّا
 مِنَ الْأَعْمَالِ تَمَّتْ لَا يُيَالِي

بِتَفْرِيطِ الْمُقَصِّرِ ثُمَّ فِيهَا
وَإِفْرَاطِ وَتَشْدِيدِ لِعَالِي
وَتَضْحِيحِ النَّصِيحَةِ غَيْرِ غَشٍّ
يُمَازِجُ صَفْوَهَا يَوْمًا بِحَالِ
وَيَحْرِصُ فِي إِتِّبَاعِ النَّصِّ جَهْدًا
مَعَ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
وَلَا يُضْغِي لِعَيْرِ النَّصِّ طُرًّا
وَلَا يَعْبَأُ بِآرَاءِ الرَّجَالِ
فَسِتُّ مَشَاهِدٍ لِلْقَلْبِ فِيهَا
عَلَامَاتٌ عَنِ الدَّاءِ الْعُضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ يَوْمًا
بِمَا أَسَدَى عَلَيْهِ مِنَ الْفِضَالِ
وَيَشْهَدُ مِنْهُ تَقْصِيرًا وَعَجْزًا
بِحَقِّ اللَّهِ فِي كُلِّ الْخِلَالِ
فَقَلْبٌ لَيْسَ يَشْهَدُهَا سَقِيمٌ
وَمَنْكُوسٌ لِفِعْلِ الْخَيْرِ قَالِي
فَإِنْ رُمْتَ النَّجَاةَ غَدًا وَتَرَجُّوا
نَعِيمًا لَا يَصِيرُ إِلَيْ زَوَالِ
نَعِيمٌ لَا يُبِيدُ وَلَيْسَ يَفْنَى
بِدَارِ الْخُلْدِ فِي غُرْفِ عَوَالِ
فَلَا تُشْرِكْ بِرِّكَ قَطُّ شَيْئًا
فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ عَنِ الْمِثَالِ

عَلَا بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقًّا
بِإِلا كَيْفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ لِغَالِ
عُلُوِّ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ اللَّذَانِ
هُمَا لِلَّهِ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
بِهَذَا جَاءَنَا فِي كُلِّ نَصٍّ
عَنِ الْمَعْصُومِ فِي صَحْبٍ وَآلٍ
وَيُنزَلُ رُبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلٍ
إِلَى أَدْنَى السَّمَاوَاتِ الْعَوَالِي
لِثَلَاثِ اللَّيْلِ يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى
بِإِلا كَيْفٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي
يُنَادِي خَلْقَهُ هَلْ مِنْ مُنِيبٍ
وَهَلْ مِنْ تَائِبٍ فِي كُلِّ حَالٍ
وَهَلْ مِنْ سَائِلٍ يَدْعُو بِقَلْبٍ
فَيُعْطَى سُؤْلَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ
وَهَلْ مُسْتَغْفِرٍ مِمَّا جَنَاهُ
مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ سُوءِ الْمَقَالِ
وَيَشْهَدُ أَنَّمَا الْقُرْآنُ حَقًّا
كَكَلَامِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ اغْتِيَالِ
وَلَا تَمْوِيهِ مُبْتَدِعِ جَهْلٍ
بِخَلْقِ الْقَوْلِ عَنْ أَهْلِ الصَّلَالِ
وَآيَاتِ الصِّفَاتِ تَمَرُّ مَرًّا
كَمَا جَاءَتْ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ

إِلَهٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ عَظِيمٌ
 عَلِيمٌ عَادِلٌ حَكِيمٌ الْفَعَالِ
 رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ إِذَا أَنْابُوا
 وَتَابُوا عَنْ مُتَابَعَةِ الضَّالِّ
 شَدِيدُ الانتِقَامِ لِمَنْ عَصَاهُ
 وَيُصَلِّيهِ الْجَحِيمَ وَلَا يُبَالِي
 فَبَادِرُ بِالذِّي يَرْضَاهُ تَحْطَى
 بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَالِ
 وَلَا زِمَ ذِكْرَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
 وَلَا تَتَرَكْنَ إِلَى قِيلٍ وَقَالِ
 وَأَهْلِ الْعِلْمِ نَفْسُهُمْ وَسَائِلِ
 وَلَا يَذْهَبُ زَمَانُكَ فِي اغْتِفَالِ
 وَأَحْسَنَ وَانْبِسَطَ وَارْفُقَ وَنَافِسِ
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ فِي رُتَبِ الْمَعَالِي
 فَحُسْنُ الْبَشْرِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ
 وَيَكْسُوا أَهْلَهُ ثَوْبَ الْجَمَالِ
 وَأَحِبُّ فِي الْإِلَهِ وَعَادِ فِيهِ
 وَأَبْغَضُ جَاهِدًا مِنْهُ وَوَالِ
 وَأَهْلَ الشَّرِكِ بَايْنَهُمْ وَفَارِقِ
 وَلَا تَتَرَكْنَ إِلَى أَهْلِ الضَّالِّ
 وَتَشْهَدُ قَاطِعًا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ
 بِأَنَّ َاللَّهَ جَلَّ عَنِ الْمِثَالِ

وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ لَهُ تَعَالَى
 عَيْنَانَا فِي الْقِيَامَةِ ذِي الْجَلَالِ
 يَرَى كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ صَحْوًا
 بِسَالَا غَيْمٍ وَلَا وَهْمٍ خِيَالِ
 وَمِيزَانِ الْحِسَابِ كَذَلِكَ حَقًّا
 مَعَ الْخَوْضِ الْمُطَهَّرِ كَالرِّلَالِ
 وَمَعْرَاجِ الرُّسُولِ إِلَيْهِ حَقًّا
 بِبِنَصِّ وَارِدٍ لِلشَّيْءِ جِوَالِي
 كَذَلِكَ الْجَسْرُ يُنْصَبُ لِلْبِرَايَا
 عَلَيَّ مَتْنِ السَّعِيرِ بِسَالَا مُحَالِ
 فَتَاجِ سَالِمٍ مِنْ كُلِّ شَرٍّ
 وَهَاهُنَا هُوَ هَالِكٍ لِلنَّارِ صَالِي
 وَتُؤْمِنُ بِالْقَضَا خَيْرًا وَشَرًّا
 وَبِالْمَقْدُورِ فِي كُلِّ الْفِعَالِ
 وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ قَدْ أَعِدَتْ
 لِأَعْدَاءِ الرُّسُولِ ذَوِي الضَّلَالِ
 بِحِكْمَةِ رَبِّنَا عَدْلًا وَعِلْمًا
 بِأَحْوَالِ الْخَلَائِقِ فِي الْمَالِ
 وَأَنَّ الْجَنَّةَ الْفِرْدَوْسَ حَقٌّ
 أُعِدَّتْ لِلْهُدَاةِ أُولِي الْمَعَالِ
 بِفَضْلِ مِنْهُ إِحْسَانًا وَجُودًا
 بِسَالَا شَيْءٍ هُنَالِكَ لِلشُّؤَالِ

وَكُلٌّ فِي الْمَقَابِرِ سَوْفَ يُلْقَى
 وَتَكْرِيماً لَهُمْ بَعْدَ الْوَصَالِ
 نَكِيرًا مُنْكَرًا حَقًّا بِهِذَا
 أَتَانَا النَّفْلُ عَنِ صَحْبٍ وَآلِ
 وَأَعْمَالًا تُقَارِنُهُ فِيمَا
 بِخَيْرٍ قَارَنْتَ أَوْ سُوءٍ حَالِ
 (مَوْعِظَةٌ)

اسْتَلَبَ زَمَانِكَ يَا مَسْلُوبٌ ! وَعَالِبِ الْهَوَى يَا مَعْلُوبٌ ! وَحَاسِبِ نَفْسِكَ فَالْعُمْرُ مَحْسُوبٌ ،
 وَامْحِ قَبِيحَكَ فَالْقَبِيحُ مَكْتُوبٌ ، وَعَاجِبًا لِنَائِمٍ وَهُوَ مَطْلُوبٌ ، وَلِضَاحِكٍ وَعَلَيْهِ ذُّتُوبٌ .

أَلَا ذَكَرَانِي قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْمَوْتُ وَبُنَى لِحُثْمَانِي بِدَارِ الْبَلَى بَيْتُ
 وَعَرَفَنِي رَبِّي طَرِيقَ سَلَامَتِي وَبَصَّرَنِي لِكِنْتِي قَدْ تَعَامَيْتُ
 وَقَالُوا مَشَيْبُ الرَّأْسِ يَخْذُوا إِلَى الْبَلَا فَقُلْتُ : أَرَانِي قَدْ قَرُبْتُ فَأَذْنَيْتُ

أَيُّنَ الدُّمُوعِ السَّوَاجِمُ ؟ قَبْلَ الْمَنَايَا الْهَوَاجِمُ ، أَيُّنَ الْقَلْقُ الدَّائِمُ ؟ لِلذُّتُوبِ الْقَدَائِمِ ، أَتَرَى
 أَتَرَتِ الْمَلَاوِمُ ؟ فِي هَذِهِ الْأَقَاوِمُ ، أَيُّهَا الْقَاعِدُ وَالْمَوْتُ قَائِمٌ أَنَائِمُ أَنْتَ عَنِ حَدِيثِنَا أَمْ مُتَنَاوِمُ ؟
 لَا بُدَّ وَاللَّهِ مِنْ ضَرْبَةٍ لَازِمٍ تَفْرُغُ لَهَا نَادِمُ ، لَا بُدَّ مِنْ مَوْجِ هَوْلٍ مُتَلَاطِمُ ، يُنَادِي فِيهِ نُوحُ الْأَسَى
 لَا عَاصِمُ ، لَا بُدَّ مِنْ سَقَمِ السَّالِمِ يَنْسَى فِيهِ يَا أُمَّ سَالِمُ .

يَا مَنْ سَيَّنَى عَنِ بَنِيهِ كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ
 مَثَلٌ لِنَفْسِكَ قَوْلُهُمْ جَاءَ الْيَقِينِ فَوَجَّهْهُوهُ
 وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلَّلْهُوهُ

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَكُفِّينَا مَا أَهَمَّنَا وَمَا لَا
 نَهْتَمُّ بِهِ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَمِمَّا يَنْبَغِي إِيْرَادُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَعْضُ الْمَعَاصِي الَّتِي قَدْ تَلَبَّسَ بِهَا أَوْ بَبَعْضِهَا بَعْضُ النَّاسِ لِيَبْتَدِعَ عَنْهَا ، وَعَنْ مَنْ يُقَارِفُهَا ، وَيَنْصَحُ عَنْهَا ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهَا أَمْرٌ فَتَاكَةٌ أَعْظَمُ وَأَخْطَرُ مِنْ أَمْرٍ الْأَبْدَانِ ، لِأَنَّهَا تُذْهِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَرُبَّمَا أَدَّتْ بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ ، وَالْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ ، مِنْ ذَلِكَ : أَكْلُ الْحَرَامِ ، أَوْ رِيَاءٍ ، أَوْ رَبَا ، أَوْ إِضْرَارٍ عَلَى مَنَعِ زَكَاةٍ ، أَوْ عَدَمِ تَنْزِيهِ مَنْ بَوَّلَ ، أَوْ تَرْكِ حُضُورِ جُمُعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ ، أَوْ غَيْبَةٍ ، أَوْ نَيْمَةٍ ، أَوْ حَسَدٍ ، أَوْ مَنَعِ حُقُوقِ وَاجِبَاتٍ ، أَوْ كَذِبٍ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ أَدْيِيَةِ جَارٍ ، أَوْ قَرِيبٍ ، أَوْ كَثْرَةِ أَيْمَانٍ لِتَرْوِيحِ سِلْعٍ ، أَوْ غِشٍّ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ ، أَوْ تَدْلِيْسٍ ، أَوْ اقْتِطَاعِ شَيْءٍ مِنْ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ اسْتِعْمَالِ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ ، كَالْعُودِ وَالْبِكْمِ وَالتَّلْفِيزِيُونِ وَالْمِدْيَاعِ وَالْفِيدِيُو ، أَوْ تَغْيِيرِ مَنَارِ الْأَرْضِ ، أَوْ لُبْسِ الرِّجَالِ لِلْحَرِيرِ ، أَوْ الذَّهَبِ ، أَوْ تَشْبِيهِ بِنَسَاءٍ ، أَوْ نَظَرٍ إِلَى مُحْرَمٍ ، أَوْ إِعَانَتِهِ ظَالِمٍ ، أَوْ تَرْكِ نَصْرِ مَظْلُومٍ يَفْدِرُ عَلَى نَصْرِهِ ، أَوْ شِهَادَةٍ بَرُورٍ ، أَوْ نَجْشٍ لِإِيْدَاءِ مُؤْمِنٍ ، أَوْ تَرْكِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ بِمُحَالَسَةِ الْعُصَاةِ ، وَمُؤَاكَلَتِهِمْ ، وَتَرْكِ هَجْرِهِمْ ، أَوْ تَدْلِيْسٍ ، أَوْ غِشٍّ أَوْ مُجَاهَرَةٍ بِالْمَعَاصِي ، كَحَلْقِ اللَّحِيَةِ ، وَشُرْبِ الدُّخَانِ ، وَتَشْبِيهِ بِأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، بِجَعْلِ خَنَافِسٍ وَتَوَالِيْتٍ ، وَكُخْلُوَةٍ بِأَمْرَةٍ لَا تُحِلُّ لَهُ ، أَوْ يُرْكِبُهَا مَعَهُ ، وَلَا مُحْرَمٍ مَعَهَا وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ ، أَوْ تَصْوِيرِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ أَوْ شِرَائِهَا ، أَوْ الرِّضَى بِهَا وَعَدَمِ إِتْلَافِهَا ، أَوْ مَيْلٍ مَعَ بَعْضٍ مَنْ يَجِبُ الْعَدْلُ بَيْنَهُمْ ، أَوْ تَنْشِيرِ زَوْجَةٍ عَلَى زَوْجِهَا ، أَوْ بِالْعَكْسِ ، بَأَنْ يُنَشَّرَ الزَّوْجُ عَنْهَا ، أَوْ إِضْرَارٍ لِتَفْتِدِي مِنْهُ ، أَوْ جَعْلِ يَدٍ عَلَى قَرِيْبَةٍ لَهُ وَمَنْعِهَا مِنَ الزَّوْاجِ إِلَّا لَهُ أَوْ لِمَنْ يُرِيدُهَا لَهُ ، أَوْ مُسَاعَدَةِ لِصَاحِبِ مَعْصِيَةٍ ، أَوْ يُؤْوِي مُخْدَتًا ، أَوْ عُقُوقَ لِوَالِدٍ أَوْ وَالِدَةٍ ، أَوْ قَطِيْعَةَ رَجِمٍ ، أَوْ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ

زنى أو لواطٍ ، أو إتيان من حاضت ، أو إتيانها في الدبر ، أو إتيان بهيمة ، أو ديانة ، أو كتم شهادة ، أو خيانة ، أو تكذيب بالملائكة ، أو بالجن ، أو بالبعث والنشور ، والجزاء على الأعمال ، والجنة والنار ، أو حلف بغير الله ، أو قذف محصن ، أو شرب مسكر ، أو سجود لغير الله ، أو أن تلحق المرأة أولادًا بزوجه ، وكذا الزاني إذا أدخل أولادًا على غيره ، أو أخذ مكس أو إعانة عليه ، أو وشم ، أو نمص ، أو محبة قيام له ، أو محاصمة بباطل ، أو جور في وصية ، أو اتخاذ مساجد على القبور أو إسراجها ، أو سرقة ، أو جحد عارية ، أو كذب على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو غضب مال مسلم ، أو أكل مال يتييم ، أو فطر في رمضان ، أو خيانة في كيل أو وزن أو ذرع ، أو تقديم الصلاة على وقتها ، أو تأخيرها عن وقتها ، أو ضرب مسلم بلا حق ، أو تزويجه ، أو سب للصحابة رضي الله عنهم ، أو رشوة في الحكم ، أو قيادة ، أو نسيان للقرآن ، أو تحريق حيوان بالنار ، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو يأس من رحمة الله ، أو أمن من مكر الله ، أو وقعة في أهل العلم والقرآن ، أو سحر ، أو بهت مسلم ، أو تهاون القادر بالحج إلى أن يموت ، أو تكذيب بالقدر ، أو هجر مسلم فوق ثلاث إلا لعذر في المهجور كتظاهره بالفسق ، أو يكون صاحب بدعة ، أو نحو ذلك أو بيع حر وأكل ثمنه ، أو منع أجير أجرته بعد استيفاء العمل منه ، أو إتيان كاهن ، أو اتخاذ شيء فيه الروح عرضًا ، أو لعن مسلم ، أو التسبب في لعن الوالدين ، أو يقول في يمينه : وإلا كنت يهوديًا أو نصرانيًا ، أو كافرًا ونحو هذا والعياد بالله ، أو يتتبع عورات المسلمين ، أو ينادى بالألقاب المكروهة عند من لقب بها من غير ضرورة ، أو ينتسب إلى غير أبيه ، أو يطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع ، أو يباحة على ميت ، أو امتناع المرأة من فراش زوجها بلا

عُذْرٍ ، أَوْ يَقُولُ لِمُسْلِمٍ يَا كَافِرٍ ، أَوْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَوْ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، أَوْ يَعَصِرُ الْعِنَبَ لِلْخَمْرِ ، أَوْ يَزْرَعُ الدُّخَانَ ، أَوْ يَبِيعُهُ أَوْ يُورِدُهُ ، أَوْ يَخْلُقُ لِحَى الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ يُسَاعِدُهُمْ عَلَى التَّشْبِهِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ بِتَصْلِيحِ خَنَافِسِهِمْ وَجُعْلَانِهِمْ وَتَوَالِيَاتِهِمْ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، أَوْ يُقَامِرُ ، أَوْ يَشْهَدُ بِالرِّبَا أَوْ يُوكِّلُهُ أَوْ يَكْتُبُهُ ، أَوْ يَمْتَعُ ابْنَ السَّبِيلِ عَنْ فَضْلِ مَا ، أَوْ يَمُنُّ بِالْعَطَاءِ ، أَوْ يُسْبِلُ وَيَجُرُّ ثِيَابَهُ خِيَلَاءً ، أَوْ يَجُورُ فِي الْحُكْمِ ، أَوْ يُحَدِّثُ فِي الدِّينِ ، أَوْ يُؤْوِي مُحَدِّثًا ، أَوْ يَتَكَبَّرُ ، أَوْ يَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ ، أَوْ يَعْتَادُ الْكَذِبَ ، أَوْ يَكْذِبُ مِنْ غَيْرِ ضُرُورَةٍ ، أَوْ يَسْتَمِعُ لِمَنْ يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ ، أَوْ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ ، أَوْ يَعْلُ مِنْ الْعَنِيمَةِ ، أَوْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ ، أَوْ يَقْتُلُ ذِمِّيًّا ، أَوْ يَأْكُلُ الْحَرَامَ مِنْ غَيْرِ ضُرُورَةٍ ، أَوْ سُخْرِيَّةً وَاسْتَهْزَاءً بِمُسْلِمٍ ، أَوْ تَعْلَمُ الْعِلْمَ لِعَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ ، أَوْ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ ، أَوْ يَكْتُمُ عِلْمًا شَرْعِيًّا مَعَ تَعَيُّنِ الْجَوَابِ عَلَيْهِ ، أَوْ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ ، أَوْ مُرُورًا بَيْنَ يَدَيْ مُصَلٍّ ، أَوْ يَسْتَدِينُ وَلَا يُرِيدُ الْوَفَاءَ ، أَوْ يُحْلِلُ الْمَرْأَةَ لِعَيْرِهِ ، أَوْ يُحْلِلُ لَهُ ، أَوْ إِفْشَاءً أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ السَّرِّ الَّذِي بَيْنَهُمَا ، أَوْ يَجْعَلُ عِنْدَهُ فِي بَيْتِهِ كُفَارًا لِحُدَّامِينَ وَمُرْتَبِينَ وَسَوَاقِينَ وَطَبَّاحِينَ وَخِيَّاطِينَ رِجَالًا وَنِسَاءً أَوْ يَتَسَبَّبُ لِثِيَابِهِمْ لِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ .

وَذُقْتُ مَرَارَتَ الْأَشْيَاطِرَا فَمَا طَعْمُ أَمْرٍ مِنَ الْمَعَاصِي

وَنَحُ هَذِهِ الْمَعَاصِي ، وَرُبَّمَا خَرَجَ مِنْ صَحِيفَةِ الْإِنْسَانِ مَعْصِيَةٌ يَظُنُّهَا سَهْلَةً وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنَّ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » وَرُبَّمَا عَمَلَ أَعْمَالًا ظَنَّهَا حَسَنَاتٍ فَتَبَدُّوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيِّئَاتٍ بِسَبَبِ رِيَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ .

وَمَا أَدْرِي وَإِنْ أَمَلْتُ عُمْرًا
لَعَلِّي حِينَ أَصْبِحُ لَسْتُ أُمْسِي
وَلِلدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا سُيُولٌ
وَأَنْتَ عَلَى مَدَارِجِهِنَّ مُرْسِي

كَأَنَّكَ لَا تَرَى بِالْخَلْقِ نَفْصًا وَأَنْتَ تَرَاهُ كُلَّ شُرُوقِ شَمْسٍ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ كُلَّ صَبَاحٍ يَوْمٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ

(فُضِّلَ)

ثُمَّ تَفَكَّرْ - بَعْدَ تَفَكُّرٍ فِيَمَا سَبَقَ - فِي الصَّرَاطِ الَّذِي هُوَ الْجِسْرُ الْمُنْصُوبُ عَلَى مِثْلِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، خَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ النَّمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الصَّرَاطُ كَحَدِّ الشَّفْرَةِ ، أَوْ كَحَدِّ السَّيْفِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُنْعِجُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ لَأَخِذٌ بِحُجْرَتِي ، وَإِنِّي لَأَقُولُ : يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَالزَّلُّونَ وَالزَّلَّالَاتِ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ » ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ ، فَيَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ سَلِّمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ : « دَحْضُ مَرَلَةٍ ، فِيهِ خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِيبٌ ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُؤْيِكَةٌ يُقَالُ لَهَا : السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ كَطَرْفِ الْعَيْنِ ، وَكَالْبَرْقِ ، وَكَالرَّيْحِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَأَجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ ، وَمُخْذُوشٌ مُرْسَلٌ ، وَمُكْرَدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ » . خَرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

خَطَبَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ خُطْبَةً بَلِيغَةً فَقَالَ : اَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ وَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿ .

وَتُوقَفُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتُحْزَوْنَ بِهَا فَلَا تُعْرَضُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا بِالْبَلَاءِ وَالْمَصَائِبِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَبِالْعَدْرِ مَوْصُوفَةٌ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلَى زَوَالٍ وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُولٌ وَسِحَالٌ .

شِعْرًا :

مَا أَفْضَحَ الْمَوْتَ لِلدُّنْيَا وَزَيْتَهَا جِدًّا وَمَا أَفْضَحَ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا
لَا تَرْجِعَنَّ عَلَى الدُّنْيَا بِلَائِمَةٍ فَعُدْرُهَا لَكَ بَادٍ فِي مَسَاوِيهَا

لَمْ تُبَقْ فِي غَيْبِهَا شَيْئًا لِصَاحِبِهَا إِلَّا وَقَدْ بَيَّنَّتْهُ فِي مَعَانِيهَا
تُفْنِي الْبَيْنَ وَتُفْنِي الْأَهْلَ دَائِبَةً وَنَسْتَيْمُ إِلَيْهَا لَا نُعَادِيهَا
فَمَا يَرِيدُكُمْ قَتْلُ الَّذِي قَتَلْتُمْ وَلَا الْعَادَاؤَةُ إِلَّا رَغْبَةً فِيهَا

لا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا نُزَالُهَا ، بَيْنَا أَهْلُهَا فِي صَفَاءٍ وَرِخَاءٍ وَسُرُورٍ وَنَعِيمٍ
وَحُبُورٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلَاءٍ وَعُزُورٍ ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالرِّخَاءُ فِيهَا لَا يَدُومُ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا
أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهَا بِسَهَامِهَا وَتَقْصِمُهُمْ بِحِمَامِهَا ، وَكُلُّ حَتْفَةٍ فِيهَا مَقْدُورٌ وَحِطَّةٌ فِيهَا
مَوْفُورٌ .

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ أَمْضَى مِمَّنْ كَانَ
قَبْلُكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَأَشَدَّ مِنْكُمْ بَطْشًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا وَأَبْعَدَ آثَارًا فَأَصْبَحَتْ
أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً خَامِدَةً مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَقْلُبِهَا وَأَصْبَحَتْ أَجْسَادُهُمْ بِأَلِيَّةٍ وَدِيَارُهُمْ عَلَى عُرُوشِهَا
خَاوِيَةٌ وَآثَارُهُمْ عَافِيَةٌ .

وَاسْتَبَدَّلُوا الْقُصُورَ الْمَشِيدَةَ وَالسُّرُورَ وَالنَّمَارِقَ الْمَمَهَّدَةَ بِالتُّرَابِ وَالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمَسْنَدَةَ فِي
الْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ الْمَلْحَدَةِ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرَبٌ وَسَاكِنُهَا مُعْتَرِبٌ بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوَحِّشِينَ .
لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْعُمَرَانِ وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ وَالْجَوَارِ
وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصِلٌ وَقَدْ أَكَلَتْهُمْ الْجِنَادِلُ وَالتَّرَى وَأَصْبَحُوا بَعْدَ الْحَيَاةِ أَمْوَاتًا
وَبَعْدَ نَضَارَةِ الْعَيْشِ رُقَاتًا .

فَجَعَ بِهِمُ الْأَحْبَابِ وَسَكَنُوا تَحْتَ التُّرَابِ ظَعْنُوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ فَكَأَنَّ صِرْتَهُمْ إِلَى مَا صَارُوا
إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْوَحْدَةِ فِي دَارِ الْمَثْوَى وَارْتَهَنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمَسْتَوْدَعُ .
فَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَايَنْتُمْ الْأُمُورَ بُعِثَرَتِ الْقُبُورُ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَوُقِفْتُمْ لِلتَّحْصِيلِ بَيْنَ
يَدَيْ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ فَطَارَتِ الْقُلُوبُ لِإِسْفَاقِهَا مِنْ سَالِفِ الدُّنُوبِ وَهَتِكَتِ الْحُجُبُ وَالْأَسْتَارُ
وَوَضَّحَتْ مِنْكُمْ الْعُيُوبَ وَالْأَسْرَارُ .

هُنَالِكَ تُجْزَى كُل نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةَ .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :

تَبَا لِطَالِبِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا	كَأَنَّهَا هِيَ فِي تَعْرِيفِهَا حُلْمٌ
صَفَاؤُهَا كَدْرٌ سُورُورُهَا ضَرَرٌ	أَمَانُهَا غَرَرٌ أَنْوَارُهَا ظُلْمٌ
شَبَابُهَا هَرَمٌ رَاحَاتُهَا سَقَمٌ	لَذَاتُهَا نَدَمٌ وَجَدَانُهَا عَدَمٌ
لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْأَنْكَادِ صَاحِبُهَا	لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا قَدْ ضَمِنَتْ أَرْمٌ
فَخَلَّ عَنْهَا وَلَا تَرْكَنُ لِزَهْرَتَيْهَا	فَإِنَّهَا نِعَمٌ فِي طَيْبِهَا نِقَمٌ
وَاعْمَلْ لِدَارِ نَعِيمٍ لَا نَفَادَ لَهَا	وَلَا يُخَافُ بِهَا مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ
يَا آمِنَ السَّاحَةِ لَا يُدْعَرُ	بَيْنَ يَدَيْكَ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ
وَإِنَّمَا أَنْتَ كَمَحْبُوسَةٍ	حُمٌّ رَدَاهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَالْمَرْءُ مَنْصُوبٌ لَهُ حُنْفُهُ	لَوْ أَنَّه مِنْ عَمَةٍ يُبْصِرُ
وَهَذِهِ النَّفْسُ لَهَا حَاجَةٌ	وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِهَا يَقْصُرُ
وَكَلَّمَا تُزَجَرُ عَنْ مَطْلَبٍ	كَانَتْ بِهِ أَكْلَفٌ إِذْ تُزَجَرُ
وَإِنَّمَا تَقْصُرُ مَغْلُوبَةً	كَالْمَاءِ عَنْ غُنْصُرِهِ يَقْصُرُ
وَرَبَّمَا أَلْفَتْ مَعَاذِيرَهَا	لَوْ أَنَّهَا وَبِحَهَا تُعْدَرُ
وَنَاطِرُ الْمَوْتِ لَهَا نَاطِرٌ	لَوْ أَنَّهَا تَنْظُرُ إِذْ يُنْظَرُ
وَزَائِرُ الْمَوْتِ لَهُ طَلْعَةٌ	يُبْصِرُهَا الْأَكْمَةُ وَالْمُبْصِرُ
وَرَوْعَةُ الْمَوْتِ لَهَا سَكْرَةٌ	مَا مِثْلُهَا مِنْ رَوْعَةٍ تُسَكِرُ
وَبَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى مَنْزَلٌ	يَنْزِلُهُ الْأَعْظَمُ وَالْأَحْقَرُ
يَتْرُكُ ذُو الْفَخْرِ بِهِ فَخْرَهُ	وَصَاحِبُ الْكِبَرِ بِهِ يَصْغُرُ

قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ رَوْعَةً نَكِيرُهَا الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ
وَبَعْدُ مَا بَعْدُ وَأَعْظَمُ بِهِ مِنْ مَشْهَدٍ مَا قَدْرُهُ يُقَدَّرُ
يُرْجَفُ مِنْهُ الْوَرَى رَجْفَةً يَنْهَدُ مِنْهَا الْمَلَأَ الْأَكْبَرُ
وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مُسْتَوْفِيًا كُلَّ الَّذِي مِنْ وَصْفِهِ يُذْكَرُ
وَإِنَّمَا ذَا قَطْرَةَ أَرْسَلْتِ مِنْ أَبْحُرٍ تَتْبَعُهَا أَبْحُرُ
وَقَدْ أَتَاكَ الثَّبْتُ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَكَ الصَّادِقُ إِذْ يُخْبِرُ
فَاعْمَلْ لَهُ وَيُكِّمْ وَإِلَّا فَلَا عُذْرَ وَمَا مِثْلُكَ مَنْ يُعْذِرُ

اللَّهُمَّ فِي سِلْكِ الْقَائِرِينَ بِرِضْوَانِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ أَعَدَدْتَ لَهُمْ فَسِيحَ جَنَاتِكَ ،
وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي دَارِ أَمَانِكَ وَعَافِنَا يَا مَوْلَانَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ جَمِيعِ الْبَلَايَا وَأَجْزِلِ لَنَا مِنْ
مَوَاهِبِ فَضْلِكَ وَهَبَاتِكَ وَمَتَّعْنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

مَوْعِظَةٌ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَوْعِظَةٍ وَعَظَهَا أَلَا أَنَّ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ ، وَعَزِيرُهَا ذَلِيلٌ ،
وَعَنِيهَا فَقِيرٌ ، شَابُهَا يَهْرَمُ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَلَا يُعْرَفُكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِسُرْعَةِ إِذْبَارِهَا وَالْمَعْرُورُ مِنْ
اغْتَرَّ بِهَا .

أَيُّنَ سَكَّانُهَا الَّذِينَ بَنُوا مَرَابِعَهَا وَشَفَقُوا أَنْهَارَهَا وَعَرَسُوا أَشْجَارَهَا وَأَقَامُوا فِيهَا أَيَّامًا يَسِيرَةً وَعَرَّتْهُمْ
بِصُحْبَتِهِمْ وَعُورُوا بِنَشَاطِهِمْ فَركَبُوا الْمَعَاصِيَ إِنَّهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ بِالدُّنْيَا مَعْبُوطِينَ بِالْمَالِ عَلَى كَثْرَةِ الْمُنْعِ عَلَيْهِ
مُحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ .

مَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمُ وَالرَّمْلُ بِأَجْسَامِهِمُ وَالذِّيدَانُ بِأَوْصَالِهِمْ وَالْحُومِهِمْ وَعِظَامِهِمْ وَإِذَا مَرَّرْتَ
فَنَادِيَهُمْ إِنْ كُنْتَ مُنَادِيًا وَادْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ دَاعِيًا .

وَمُرَّ بِعَسْكَرِهِمْ وَانظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ وَسَلِّ عَنِّيهِمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ وَسَلِّ فَقِيرِهِمْ مَا بَقِيَ مِنْ
فَقْرِهِ ، وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ

وعن الأعين التي كانوا ينظرون وسلهم عن الأعضاء الرقيقة .
 والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنعت بها الديدان .
 محت الألوان ، وأكلت اللحمان ، وعفرت الوجوه ، ومحت المحاسن ، وكسرت الفقار ،
 وأبانت الأعضاء ، ومزقت الأشلاء قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة .
 فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوهم بالية ، وأجسادهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم
 متمزقة ، وقد سألت الحدق على الوجنات ، وامتألت الأفواه صديداً ، ودبت دواب الأرض في
 أجسامهم ، وتفرقت أعضاؤهم .
 ثم لم يلبثوا إلا يسيراً حتى عادت العظام رميمًا قد فارقوا الحقائق فصاروا بعد السعة إلى
 المضائق قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطرق أبنائهم .
 فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناعم فيه المتنعم بلذاته ، فيا ساكن القبر ما الذي
 غرك في الدنيا هل تظن أنك تبقى أو تبقى لك أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد وأين ثمرتك
 الحاضر ينعها وأين رفاق ثيابك وأين كسوتك لصيفك وشتائك هيهات هيهات يا مغمض
 الوالد والأخ وغاسلةً وحاملةً يا مدليه في قبره وراجل عنه ، ليت شعري كيف نمت على خشونة
 الثرى ، وبأي خديك بدأ البلى ، يا مجاور الهلكى صرت في محله الموت ، ليت شعري ما الذي
 يلقاني به ملك الموت عند خروج روحي من الدنيا .
 شِعْرًا :

وَإِخْشَ رَبًّا بِالْعَطَايَا جَمَّلَكَ	أَنْتِ مِنْ كُلِّ نَوْمٍ أَغْفَلَكَ
فَهُوَ نُورٌ مَنْ مَشَى فِيهِ سَلَكَ	تَابِعِ الْمُخْتَارَ وَأَسْأَلُكَ نَهْجَهُ
إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا مَلِكٌ	ثِقٌ بِمَوْلَاكَ وَكُنْ عَبْدًا لَهُ
مِنْ زَمَانٍ بِالْمَعَاصِي أَشْغَلَكَ	جَدِّدِ التَّوْبَ عَلَى مَا قَدْ مَضَى

حَاسِبِ النَّفْسِ وَعَلَّمَهَا الرِّضَى
 خُذْ مِنَ التَّقْوَى لِبَاسًا طَاهِرًا
 دَاوِمِ الذِّكْرِ لِخَلَاقِ الْوَرَى
 ذُلٌّ وَاخْضَعْ وَاسْتَتِمَّ وَاعْبُدْ لَهُ
 رُوحَ الْقَلْبِ لَهُ وَاعْكِفْ عَلَى
 زَيْنِ الْبَاطِنِ بِالتَّقْوَى تَفُزْ
 سَلِّمِ الْأَمْرَ لَهُ تَسَلِّمَ فَكَمْ
 شُقٌّ حُجِّبَ الْكُؤُنَ لِلْمَعْبُودِ لَا
 صُنَّ عَنِ الدُّنْيَا لِسَانًا وَيَدًا
 ضَمَّ أَحْشَاكَ عَلَى تَوْحِيدِهِ
 طَبَّ لَهُ وَاقْنَعْ بِهِ عَنِ غَيْرِهِ
 ظَنَّ خَيْرًا تَلَقَّ مَا قَدْ تَرْتَجِي
 عُدَّ إِلَيْهِ كُلَّمَا حَلَّ الْبَلَا
 خُضَّ بِحَارِ الْعُذْرِ فِي جَنَحِ الدُّجَى
 فَاتْرُكِ التَّذْيِيرَ وَالْعِلْمَ لَهُ
 قُلْ بِذُلِّ : يَا رَحِيمَ الرَّحْمَا
 كُنْ مُجِيرًا وَنَصِيرًا وَحَمِيًّا
 لُذْتُ بِالْبَابِ فَحَاشَا أَنْ أُرَى
 مَرَّ عَيْشِي وَالْخَطَا أَبْعَدَنِي
 نَجِّنَا مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَبَلَا
 هَبْ لَنَا السَّنْتَ وَلَا تَفْضَحْ لَنَا
 يَا مُحِبَّ الْعَفْوِ يَسِّرْ أَمْرَنَا

بِالْقَضَا وَاعْصِ هَوَاهَا تَرْضَ لَكَ
 فَالْتَقَى خَيْرُ لِبَاسٍ يَمْتَلِكُ
 وَاتْرُكِ الْأَمْرَ لِمَنْ أَجْرَى الْفَلَكِ
 مُخْلِصًا يَفْتَحُ بَابَ الْخَيْرِ لَكَ
 بَابِهِ فَهُوَ الَّذِي قَدْ فَضَّلَكَ
 حَسَّنِ الظَّاهِرَ تُعْطَى أَمَلَكَ
 مِنْ قَتَى إِذْ سَلَّمَ الْأَمْرَ سَلَكَ
 تَلْتَفِتْ إِلَّا إِلَيْهِ يَقْبَلَكَ
 وَفُؤَادًا وَلَهُ اخْلِصْ عَمَلَكَ
 فَهُوَ نُورٌ يُذْهِبُ الدَّاجِيَ الْحَلِكُ
 فَهُوَ كَافٍ فَضْلُهُ قَدْ شَمَلَكَ
 مِنْ جَمِيعِ الْخَيْرِ حَتَّى يَقْبَلَكَ
 عَلَّ تَسَلَّمَ مِنْ رَجِيمٍ سَوَّلَكَ
 لِكَرِيمٍ بِالْعَطَايَا خَوَّلَكَ
 اسْأَلِ الْمَوْلَى يُصَفِّي مِنْهَلَكَ
 يَا مُنْجِي بِالْعَطَايَا مَنْ هَلَكَ
 لِعُبَيْدٍ مُذْنِبٍ قَدْ سَأَلَكَ
 تَعَبًا وَالْأَمْرُ وَالتَّذْيِيرُ لَكَ
 وَاعْتِقَادِي الصَّفْحُ عَمَّا كَانَ لَكَ
 يَوْمَ يَلْقَى الْعَبْدُ مَكْتُوبَ الْمَلِكِ
 يَا إِلَهِي وَاعْفُ عَمَّنْ سَاءَ لَكَ
 وَاقْضِ عَنَّا مَا لِمَخْلُوقٍ وَلَكَ

وَتَحَنَّنْ بِالْعَطَايَا كَرَمًا أَنْتَ مَوْلَانَا وَأَوْلَى مَنْ مَلَكَ

انتهى .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقِنَا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُونَا وَعَدُوِّكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا وَأَهْلِنَا وَأَمْوَالِنَا وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : ذكر الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يَجَاءُ بَابِنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَدَخٌ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ : اللَّهُ لَهُ : أَعْطَيْتِكَ وَخَوْلَتِكَ وَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ كَمَاذَا صَنَعْتَ ؟ فَيَقُولُ : جَمَعْتَهُ وَثَمَرْتَهُ وَتَرَكْتَهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِيكَ بِهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : أَرِنِي مَا قَدِمْتَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ جَمَعْتَهُ وَثَمَرْتَهُ وَتَرَكْتَهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ فَارْجِعْنِي آتِكَ بِهِ ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يَقْدَمْ خَيْرًا فَيَمْضِي بِهِ إِلَى النَّارِ » .

فتفكر يا مسكين في نفسك ما دمت في قيد الحياة وأنت تحكم في مالك ولا لك معارض وتتصرف فيه كيف شئت واجعل يوم تبلى السرائر نصب عينيك بين ما أنت في هذا اليوم العظيم الذي قد امتلئت فيه القلوب من الخوف والقلق والرعب والذعر والانزعاج وقد بلغت القلوب الحناجر .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ ﴿ فبينما الناس في هذه الحال التي حدثت عنها إذا جيء بجنهم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمان سبعون ألف ملك يجرونها حتى تكون بمرأى من الخلق ومسمع يرون لهيبتها ويسمعون زفيرها فبينما أنت في تلك الحال إذا أخذ بضبعك وقبض على عضدك وحيء بك تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف

والخلائق ينظرون إليك حتى إذا وقفت بين يدي الله تَعَالَى فسئلت عن القليل والكثير والدقيق والجليل والقطمير والنقير ولا تجد أحداً يجاب عنكَ بلفظة ولا يعينك بكلمة ولا يرد عنكَ جواباً في مسألة .

وأنتَ شاهدت من عظم الأمر وجلالة القدر وهيبه الحظرة ما أذهب بيانك وأخرس لسانك وأذهل جنانك .

ونظرت يميناً وشمالاً وبين يديك فلم تر إلا النار وعملك الذي كنت تعمل وكلمك رب العزة جل جلاله بغير حجاب يحجبك ولا ترجمان يترجم لك .

وكيف تُكون حيرتك ودهشتك إذا قيل : عاملت فلاناً يوم كذا وكذا في كذا وكذا وغبنته في كذا وكذا وغششته في السلعة الفلانية .

وتركت نصيحته في كذا وكذا وبعته السلعة المعيوبة ولم تبين له العيب أو غصبت فلاناً أو ظلمت فلاناً أو قتلت فلاناً أو أعنت فلاناً أو أعنت على قتله أو نحو ذلك .

وقيل : ما حجتك أقم بينة ائت برهان فأردت الكلام فلم تبين وجئت بعذر فلم يستبين هيهات أنى لك الكلام ولم تنفحه وأنى لك بالعدز في الدنيا لم تصححه قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَفُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ الآيات ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ بَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ الآيتين .

فَانظُرْ فِي هَذَا المَوْقِفِ عِنْدَ السُّؤَالِ بِأَيِّ بَدَنٍ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ تَجِيهُهُ فَأَعِدْ للسُّؤَالِ جَوَابًا وَلِلجَوَابِ صَوَابًا فَمَا شِئْتَ مِنْ قَلْبٍ يَخْلَعُ وَمِنْ كَبَدٍ تَصْدَعُ وَمِنْ لِسَانٍ يَتَلَجُّجُ وَمِنْ أَحْشَاءٍ تَتَمَوِّجُ وَمِنْ نَفْسٍ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ .

شِعْرًا: سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ أَيُّهُ لَيْلَةٌ مَحْضَتْ صَيِّحَتُهَا بِيَوْمِ الْمَوْقِفِ
لَوْ أَنَّ عَيْنًا أَوْهَمَتْهَا نَفْسُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ تَمَثُّلاً لَمْ تَطْرُقِ

وانظر ما أشأم تلك الأرباح التي ربحتها وأخسر تلك المعاملات التي أهلكك عن ما خلقت له
انظر كيف ذهبت عنك مسراتها وبقيت حسراتها والشهوات التي في ظلم العباد انقذتها كيف
ذهب عنك الفرح بها وبقيت التبعة .

وانظر هل يقبل منك فدا في ذلك الموقف الرهيب وما الذي يخلصك من ذلك السؤال قال
الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ .

وفي بعض الأخبار يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى
ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق ، فما ظنك بهذا المقام وبهذا السؤال وبهذا النكال
والوبال .

وما ظنك بنفسك وقد جيء بجهنم على الوصف الذي تقدم وقد دنت من الخلائق ،
وشهقت وزفرت ، وثارت وفارت .

ونحس خزائنها والموكلون بها ، والمعدون لتعذيب أهلها متسارعين إلى أخذ من أمروا بأخذه ،
ساحبين له على بطنه وحرّو وجهه سامعين مطيعين لله ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴾ .

فتصور حالك وكيف وقد امتلأت القلوب خوفاً ورعباً وذعراً وفزعاً ، وارتعدت الفرائص ،
وبلغت القلوب الحناجر ، واصطففت الأحشا ، وتقطعت الأمعاء ، وطلبوا الفرار وطاروا لو
يحصل لهم مطار .

وجئت الأمم على الركب وأيقن المذنوبون بالهلاك والعطب وسوؤ المنقلب ، ونادى الأنبياء
والصديقون والأولياء : نفسي نفسي .

كُلَّ نَفْسٍ قَدْ أَفْرَدَتْ لِسَانَهَا وَتَرَكْتَ لَهَا قَالِ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ ، ، قال تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ وظن كل إنسان أنه هو المأخوذ وأنه هو المقصود والمطلوب ، وذهلت العقول وطاشت الأبواب ، وتحيرت الأذهان ، وفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه .
 واشتغل بشأنه الذي يهمله ويعنيه ، وسئل عن جميع أمره سره وجهره ، دقيقه وجليله كثيره وقليله ، وسئل عن أعضائه عضوًا عضوًا وجارحة ، وعن شكره عليها ، وعن أداء حق الله فيها .

وظهرت القبائح وكثرت الفضائح ، وبدت المخازي واشتهرت المساوي ، وترك الأهل والأقربون ، ولم ينفك مال ولا بنون ، وأقبلت تجادل عن نفسك وتخاصم عنها وتطلب المعاذير لها قال الله جلَّ وعلا : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ .

وقد أسلمت وأفردت واشتغل كل إنسان عنك بنفسه قال الله جلَّ وعلا : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿ وَاتَّبَعُوا يَوْمًا لَا يُجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ الآية .

وأنشدوا :

خَلِيلِي مَا أَقْضِي وَمَا أَنَا قَائِلٌ	إِذَا جِئْتُ عَنْ نَفْسِي بِنَفْسِي أُجَادِلُ
وَقَدْ وَضَعَ الرَّحْمَنُ فِي الْخَلْقِ عَدْلَهُ	وَسِيقَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالْيَوْمَ بَاسِلُ
وَجِيءَ بِحُرْمِ النَّارِ خَاضِعَةً لَهُ	وَتُلَّتْ عُرُوشٌ عِنْدَهَا وَمَجَادِلُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ذَلِكَ الْيَوْمَ هَلْ أَنَا	أَغْفَرُ أَمْ أُجْزَى بِمَا أَنَا فَاعِلُ
فَإِنْ أَكُ مُجْزِيًا فَعَدْلٌ وَحُجَّةٌ	وَإِنْ يَكُ غُفْرَانٌ فَفَضْلٌ وَنَائِلُ
آخر: أَلَمْ تَسْمَعْ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ	وَعَنْ خَطْبِ خُلِّقْتَ لَهُ جَسِيمِ

وَزَلْزَالَ يَهْدُ الْأَرْضَ هَادًا
 وَأَهْوَالَ كَأَطْوَادِ رَوَاسِي
 فَمِنْ رَاسٍ يَشِيبُ وَمِنْ فُؤَادٍ
 وَسَكَرَانٍ وَلَمْ يَشْرَبْ لِسُكْرِ
 وَمُرْضِعَةٍ قَدْ أَذْهَلَهَا أَسَاهَا
 وَمُؤْتَمَةٍ تَوَلَّتْ عَنْ بَيْنِهَا
 وَخُبَلَى أَسْقَطَتْ ذُعْرًا وَخَوْفًا
 وَهَذَا مَشْهَدٌ لَا بُدَّ مِنْهُ
 وَمَا كَسَرَى وَقَيْصَرُ وَالنَّجَاشِي
 بِذَاكَ الْيَوْمِ إِلَّا فِي مَقَامٍ
 وَمَا لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا سَعَاهُ
 وَأَنْتَ كَمَا عَلَّمْتَ وَرَبَّ أَمْرٍ
 فَدَعْ عَيْنِيكَ تَسْبُحُ فِي مَعِينٍ
 وَشُقَّ جُيُوبَ صَبْرِكَ شَقَّ تُكَلَّى
 وَمَاذَا الْأَمْرُ ذَلِكُمْ وَلَكِنْ

وَيَرْمِي فِي الْحَضِيضَةِ بِالنُّجُومِ
 تَلَاطَمُ فِي ظُلُوعِ كَالْهَشِيمِ
 يَذُوبُ وَمِنْ هُمُومٍ فِي هُمُومِ
 وَهَيْمَانٍ وَلَمْ يَغْلِقْ بِرِيمِ
 فَمَا تَدْرِي الرِّضِيعَ مِنَ الْفَطِيمِ
 وَأَلْقَتْ بِالْيَتِيمَةِ وَالْيَتِيمِ
 فَيَا لَلِهِمَّةِ لِلْيَوْمِ الْعَقِيمِ
 وَجَمْعُ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ
 وَتَبَّعُ وَالْقُرُومُ بَنُوا الْقُرُومِ
 أَذَلَّ مِنَ الثَّرَابِ لِذِي السَّلِيمِ
 لِدَارِ الْبُوسِ أَوْ دَارِ النَّعِيمِ
 يَكُونُ أَذَاهُ أَوْ قَعُ بِالْعَلِيمِ
 وَقَلْبِكَ ذَرَّةٌ يَقْلُبُ فِي جَحِيمِ
 تَعَلَّقَتْ ابْنَهَا رَجُلًا سَهُومِ
 تُشَبَّهُ بِالْبَحَارِ يَدُ الْكَرِيمِ

اللَّهُمَّ نَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبُورِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ
 وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
 وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

خطبة في أشراف الساعة لأحد العلماء رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

الحمد لله الَّذِي جعل الليل والنَّهَارَ خَلْقَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

الَّذِي اعْتَرَفَتْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ فَارْجِعِ الْبَصَرَ إِلَى السَّمَاءِ هَلْ تَرَى مِنْ فَطُورِ أَحْمَدِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدُ عَبْدِ مُعْتَرِفٍ بِصَدَقِ الْيَقِينِ وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا دَائِمًا فِي كُلِّ حِينٍ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
الصَّادِقَ الْوَعْدِ الْأَمِينِ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَصَلَاةٍ
وَسَلَامًا يَمْتَدُّانِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أما بعد : أيها النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِنَّ تَقْوَاهُ مِنَ النَّارِ حِصْنٌ حَصِينٌ وَتَنْزَهُوا عَنِ حُبِّ
الدُّنْيَا كَيْ تَفُوزُوا مَعَ الزَّاهِدِينَ عِبَادِ اللَّهِ انْتَبَهُوا مِنْ رِقَادِكُمْ فَإِنَّ الْأَجَلَ إِلَى الْقُبُورِ يَسِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ
مِنْ دُنْيَاكُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فَالِدُّنْيَا عَلَى شَرَفِ هَارٍ وَظَهَرَتْ عَلَامَتُهَا ظُهُورُ الشَّمْسِ
فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ .

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أُدْبِرَتْ وَوَلَّتْ حِذَاءَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا كِصْبَابَةُ عَيْشٍ يَتَصَابَهَا أَهْلُهَا وَإِنْ
الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ
وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ ، أَمَا تَرَوْنَ الْأَمَانَةَ قَدْ ضَيَعَتْ وَالزَّمَانَ تَغْيِيرَ بَظْهُورِ الْفَوَاحِشِ فِي كُلِّ
مَكَانٍ وَتَتَابَعِ الْفِتَنِ وَدُخُولِهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ وَوُقُوفِ الْأَعْرَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الشُّعَابِ وَتَطَاوُلِ الْحِفَاةِ
الْعِرَاةِ فِي الْبَنِيَانِ .

وَفُشُوِ الْحَسَدِ وَالظُّلْمِ وَالْجُورِ وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَزْعِ الْإِيمَانِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ الْقُلُوبِ وَجُورِ
الْحُكَّامِ وَفِتْنَةِ الْأَعْرَاضِ وَمَوْتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ كَأَنَّهُمْ لِلْمَنِيَةِ أَغْرَاضٌ .
وَفُشُوِ الزُّنَا وَالرِّبَا وَهَمَا سَبَبِ الْفَقْرِ وَالْأَمْرَاضِ وَسَادِ الْقَبِيلَةِ مِنْافِقُوهَا وَعَلَا فَجَارِهَا صَالِحِيهَا
وَصَارَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْدَلَهُمْ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ وَأَكْرَمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ فَصَارَ الْعَاصِي
عِنْدَ النَّاسِ قَرِيبًا وَالْمَطْبِيعُ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ غَرِيبًا .

ألا هل معين على غربة الإسلام ألا هل معين على غربة الإسلام فقد بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فعند ظهور هذه العظائم يؤخذ بالجرائم أما كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا أما تعلم العلم لغير الدين أما أطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه .

أما شربت المسكرات ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ألا فإن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام قال : « إذا ظهرت هذه فارتقبوا عند ذلك رجلاً حمراً ومسحاً وخسفًا » . وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة مرفوعاً : « لن أن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات فذكر الدخان وخروج يأجوج ومأجوج وتخريب الكعبة ورفع القرآن من صدور حامليه وخروج الدابة ومحمدًا المهدي وطلوع الشمس من مغربها .

فإذا طلعت وراها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا وآخر الآيات نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معه حيث قالوا » .

فانتبهوا لهذه الأهوال بما يؤمنكم بالتوبة النصوح والزمو باب مولاكم واقرعوه فإنه مفتوح ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

أجارني الله وإياكم من عذاب النار وأصلح لي ولكم العمل لدار القرار .
 إن أحسن المواعظ للمتدبرين كلام الله الملك الحق المبين والله يقول وبقوله يهتدي المؤمنون :
 ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :
 ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه الآيات والذكر

الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

(فصل)

وخرج مسلم من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربي عن حذيفة كلاهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر حديث الشفاعة ، وفيه قال : « يَا تُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُومُ وَيُؤَدُّ لَهُ وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ ، فَيَقُومَانِ جَنبَتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَيَمُرُّ أَوْلُكُمُ كَالْبَرْقِ » ، قَالَ : قُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُ الْبَرْقِ ؟ قَالَ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُمَّ كَمَرُ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَمَرُ الطَّيْرِ ، وَأَشَدُّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، وَحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا » . قَالَ : « وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ فَمَخْدُوشُ نَاجٍ ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ » . وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا .

وروى أبو الزعراء عن ابن مسعود قال : (يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرا زمرا ، أوائلهم كلمح البرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، ثم كمر البهائم ، حتى يمر الرجل سعيا ، وحتى يمر الرجل مشيا ، حتى يجيء آخرهم يتلبط على بطنه ، فيقول : يا رب لم بطأت بي ؟ فيقول : إني لم أبطئ بك ، إنما أبطأ بك عملك) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي الدُّنْيَا هُوَ

الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عَلَيْهِ وأمرهم بسؤال الهداية إليه ، فمن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ، ولم ينحرف عنه يمنة ولا يسرة استقام سيره على الصراط المنصوب على متن جهنم ومن لم يستقم سيره على الصراط المستقيم في الدنيا بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات ، أو إلى فتنة الشهوات كَانَ اختطاف الكلابيل له على صراط جهنم ، بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم .
شِعْرًا :

أَمَامِي مَوْقِفٌ قُدَّامَ رَبِّي
يُسَائِلُنِي وَيَنْكَشِفُ الْغَطَاءَ
وَحَسْبِي أَنْ أُمِرَّ عَلَى صِرَاطٍ
كَحَدِّ السَّيْفِ أَسْفَلُهُ لَظَاءُ

ففكر في أهوال الصراط وعظائمه ، وما يحل بالإنسان من الذعر والخوف عند رؤيته ، ووقوع بصرك على جهنم من تحته ، وسماعك شهيقها وتغيظها على الكفرة ، وقد اضطرت إلى أن تمشي على الصراط الذي مرت صفته وصفة المرور عَلَيْهِ مَعَ ضعف حالك ، وكونك حافيًا عاريًا ، وثقل الظهر بالأوزار المانعة عن المشي في الأرض المستوية فضلاً عن المشي على حد الصراط ، فتصور وضعك رجلك عَلَيْهِ وإحساسك بحدته وأنت مضطر إلى أن ترفع رجلاً وتضع الأخرى ، وأنت مندهش مما تحتك وأمامك ممن يئنون ، وآخرون يزلون ، وآخرون يخطفون بالخطاطيف وبالكلاليب ، والعويل والبكاء تسمع له تتابعًا ودويًا ، وتنظر الذين ينتكسون على رؤوسهم ، وآخرون على

وجوههم ، فتعلوا الأرجل ، فيا له من منظر فظيع ، ومرتقى ما أصعبه ، ومجاز ما أضيقه ،
ومكان ما أهوله ، وموقف ما أشقه ، وكأني بك مملوء من الرعب والذعر ، تلفت يمينا وشمالاً
إلى من حولك من الخلق ، وتجمل فيهم بصرك ، وهم يتهافتون قدامك في جهنم ، والزعقات
بالويل والثبور قد ارتفعت من قعر جهنم ، لكثرة من يزل عن الصراط ، والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول : « رب سلم سلم » . فتصور لو زلت قدمك فهل ينفحك ندمك ، وتحسرك في
ذلك الوقت كلا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى ﴾ .

اللَّهُمَّ يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض نسألك أن تكفيننا ما أهمنا وما لا نختتم به
وأن ترزقنا الاستعداد لما أمامنا برحمتك يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين .

رحلة ومصير :

يَا مَنْ يُتَابِعُ سَيِّدَ الثَّقَلَانِ
كُنْ لِلْمُهَيَّبِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُكَ الَّذِي
سَأَوَّاكَ لَمْ يَخْتِجْ إِلَيَّ إِنْسَانِ
خَلَقَ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَدْعُوهُ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِدْعَانِ
قَدْ أَرْسَلَ الْآيَاتِ مِنْهُ مُخَوِّفًا
لِعِبَادِهِ كَيْ يُخْلِصَ الثَّقَلَانِ
وَأَبَانَ لِلْإِنْسَانِ كُلِّ طَرِيقَةَ
كَيْ لَا يَكُونَ لَهُ اعْتِدَارٌ ثَانِي

ثُمَّ افْتَضَى أَمْرًا وَنَهَيْهَا عَنْهَا
 تَتَمَيَّزُ التَّقْوَى عَنِ الْعِصْيَانِ
 وَوُلِدَتْ مَقْطُورًا بِفِطْرَتِكَ الَّتِي
 لَيْسَتْ سِوَى التَّضَلُّقِ وَالْإِيمَانِ
 وَبُلِيتَ بِالتَّكْلِيفِ أَنْتَ مُحَيَّرٌ
 وَأَمَامَكَ النَّجْدَانِ مُفْتَحَانِ
 فَعَمِلْتَ مَا تَهْوَى وَأَنْتَ مُرَاقِبٌ
 مَا كُنْتَ مَحْجُوبًا عَنِ الدِّيَانِ
 ثُمَّ انْقَضَى الْعُمُرُ الَّذِي تَهَنَّا بِهِ
 وَوَدَّعْنَا الْفِرَاقُ وَوَدَّعْنَا تَهْرُبُ
 أَيُّنَ الْمَفْرُومِ مِنَ الْقَضَاءِ الدَّانِي
 وَالتَّفَّ صَحْبِكَ يَرْفُؤُونَ بِحَسْرَةٍ
 مَا إِذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ الْحَدَّانِ
 وَاسْتَلَّ رُوحَكَ وَالْقُلُوبُ تَقَطَّعَتْ
 حَزَنًا وَأَلْقَيْتَ دَمْعَهَا الْعَيْنَانِ
 فَاجْتَبَحَ أَهْلَ الدَّارِ حُزْنَ بَالِغٍ
 وَاجْتَبَحَ مَنْ حَضَرُوا مِنَ الْجِيرَانِ
 فَالْبِنْتُ عَبْرَى لِلْفِرَاقِ كَيْبَةً
 وَاللَّدْمُوعُ يَمْلَأُ سَاحَةَ الْأَجْفَانِ
 وَالزَّوْجُ ثَكْلَى وَالصَّغَارُ تَجْمَعُوا
 يَتَطَلَّعُونَ وَتَطَلَّعَ الْحَيْرَانِ

وَالابْنُ يَدَابُّ فِي جَهَاذِكَ كَاتِمًا
 شَيْئًا مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَشْجَانِ
 وَسَرَى الْحَدِيثَ وَقَدْ تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ
 أَوْ مَا سَمِعْتُمْ عَنِّي وَفَاةٍ فُلَانٍ
 قَالُوا سَمِعْنَا وَالْوَفَاةُ سَبِيلُنَا
 غَيْرَ الْمَهْمِ يَمِينِ كُلِّ شَيْءٍ فَيَانِي
 وَأَتَى الْحَدِيثَ لِوَارِثِيكَ فَأَسْرَعُوا
 مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لِلْحَطَامِ الْفَيَانِي
 وَأَتَى الْمَغْسَلُ وَالْمُكْفَنُ قَدْ أَتَى
 لِيَجْلَلُوكَ بِحُلَّةِ الْأَكْفَانِ
 وَيَجَرِّدُوكَ مِنَ الثِّيَابِ وَيَنْزِعُوا
 عَنْكَ الْحَرِيرَ وَحُلَّةَ الْكَيْتَانِ
 وَتَعْوُدُ فَرْدًا لَسْتَ حَامِلَ حَاجَةٍ
 مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا سِوَى الْأَكْفَانِ
 وَأَتَى الْحَدِيثَ لِوَارِثِيكَ فَأَسْرَعُوا
 فَأَتُوا بِنَعَشٍ وَاهْنِ الْعِيدَانِ
 صَلُّوا عَلَيْكَ وَأَرْكَبُوكَ بِمَرْكَبٍ
 فَوْقَ الظُّهُورِ يُحَافُ بِالْأَحْزَانِ
 حَتَّى إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي لَكَ جَهَّزُوا
 وَضَعُوا عُنُقَكَ عِنْدَ شَيْءٍ فِيهِ بِحَنَانِ
 وَدَنَا الْأَقَارِبُ يَرْفَعُونَكَ بَيْنَهُمْ
 لِلْحَدِّ كَيْ تُمْسِيَ مَعَ الدَّيْدَانِ

وَسَكَنْتَ لِحَدًّا قَدْ يَضِيقُ لِضَيْقِهِ
 صَدْرَ الْحَلِيمِ وَصَابِرِ الْحَيَوَانِ
 وَسَمِعْتَ قَرْعَ نِعَالِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
 وَضَعُوكَ فِي الْبَيْتِ الصَّغِيرِ الثَّانِي
 فِيهِ الظَّلَامُ كَذَا السُّكُونُ مُخَيِّمٌ
 وَالرُّوحُ رَدٌّ وَجَاءَكَ الْمَلَكَانِ
 وَهُنَا الْحَقِيقَةُ وَالْمُحَقِّقُ قَدْ أَتَى
 هَذَا مَقَامَ النَّصْرِ وَالْخُذْلَانِ
 إِنْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا لِرَبِّكَ مُخْلِصًا
 تَدْعُوهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ
 فَتَطْلُ تَرْفُلٌ فِي التَّعْيِيمِ مُرْفَهًا
 بِنَفْسِهِ قَبْرِ طَاهِرِ الْأَرْكَانِ
 وَلَكَ الرَّفِيقُ عَنِ الْفِرَاقِ مُسَلِّيًّا
 يُغْنِي عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأَخْدَانِ
 فَتَحَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْجِنَانِ نَوَافِدُ
 تَأْتِيكَ بِالْأَنْوَارِ وَالرَّيْحَانِ
 وَتَطْلُ مُنْشَرِحَ الْفُؤَادِ مُنْعَمًا
 حَتَّى يَفُومَ إِلَيْ الْقَضَا التَّقْلَانِ
 تَأْتِي الْحِسَابَ وَقَدْ فَتَحَتْ صَحِيفَةً
 بِالنُّورِ قَدْ كُتِبَتْ وَبِالرَّضْوَانِ
 وَتَرَى الْخَلَائِقَ خَائِفِينَ لِذُنُوبِهِمْ
 وَتَسِيرُ أَنْتَ بِعِزَّةٍ وَأَمَانِ

وَيُظَلُّكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِظِلِّهِ
 وَالنَّاسُ فِي عَرَقِ الْإِدَانِ
 وَتَرَى الصَّرَاطَ وَلَيْسَ فِي صُعُوبَةٍ
 كَالْبَرْقِ تَعْبُرُ فِيهِ نَحْوَ جَنَانِ
 فَتَرَى الْجَنَانَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا
 وَتَرَى الْقُصُورَ رَفِيعَةَ الْبُنْيَانِ
 طَبَّ فِي رَغِيدِ الْعَيْشِ دُونَ مَشَقَّةِ
 تَكْفِي مَشَقَّةِ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَالْبَسُّ ثِيَابَ الْخُلْدِ وَاشْرَبَ وَاعْتَسَلَ
 وَابْعَدَ عَنِ الْأَكْدَارِ وَالْأَخْزَانِ
 سِرٌّ وَانظُرْ الْأَنْهَارَ وَاشْرَبْ مَاءَهَا
 مِنْ فَوْقِهَا الْأَثْمَارُ فِي الْأَفْنَانِ
 وَالشَّهْدُ جَارٍ فِي الْعُيُونِ مُطَهَّرٌ
 مَعَ خَمْرَةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْأَلْبَانِ
 وَالزَّوْجُ حُورٌ فِي الْبُيُوتِ كَوَاعِبُ
 بِيضُ الْوُجُوهِ خَوَامِصُ الْأُبْدَانِ
 أَبْكَارُ شِبْهِ الدَّارِ فِي أَصْدَافِهِ
 وَهَنَا مَقَرٌّ لَا تَحُولَ بَعْدَهُ
 أَمَا إِذَا مَا كُنْتَ فِيهَا مُجْرِمًا
 تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ كَيْفَ تَحْتَمِلُ الْأَدَى
 فَإِذَا تَفَرَّقَ عَنْكَ صَحْبُكَ وَانْتَنَى
 جَاءَ آلَا مَرْهُومِينَ مِنْ عَيْنَيْهِمَا

وَاللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ وَالْمُرْجَانِ
 فِيهِ السُّرُورُ بِرُؤْيَا الرِّحْمَنِ
 مُتَّبِعًا لِطَرَائِقِ الشَّيْطَانِ
 أَمْ كَيْفَ تَصْبِرُ فِي لَطَى النَّيْرَانِ
 حَمَّالُ نَعَشِكَ جَاءَكَ الْمَلَكَانِ
 تُرْمَى بِأَشْوَاطٍ مِنَ النَّيْرَانِ

سَأَلَاكَ عَنْ رَبِّ قَدِيرٍ خَالِقِ وَعَنِ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
 فَتَقُولُ لَا أَدْرِي وَكُنْتُ مُصَدِّقًا أَقْوَالَ شِبْهِ مَقَالَةِ الثَّقَلَانِ
 فَيُؤَيِّدُكَ بِالْكَلَامِ بِشِدَّةٍ وَسَيَضْرِبُكَ ضَرْبَةَ السَّجَانِ
 فَتَصِيحُ صَيْحَةَ آسَفٍ مُتَوَجِّعٍ وَيَجِي الشُّجَاعُ وَذَاكَ هَوْلٌ ثَانِي
 وَيَجِي الرَّفِيقُ فَيَا قَبَاحَةَ وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ مُتَمَرِّدٌ مِنْ جَانِ
 وَتَقُولُ يَا وَيْلَا أَمْالِي رَجَعَتْ حَتَّى أَحَلَّ بِسَاحَةِ الْإِيمَانِ
 لَوْ عُذْتُ لِلدُّنْيَا لَعُدْتَ لِمَا مَضَى فِي جَانِبِ التَّكْذِيبِ وَالْعِصْيَانِ

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ
 وَالْحَشْوَعِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةَ وَالْفَصَاحَةَ وَالْبَيَانَ وَالْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ وَخَصْنَا مِنْكَ
 بِالْحُبِّ وَالْإِصْطِفَاءِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيدِ وَالرِّزْقِ الْهَيِّئِ الَّذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا
 حِسَابَ وَلَا سَأَلَ وَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

نصيحة لهارون الرشيد

قام مُحَمَّدُ بن أوس الهلالي لهارون الرشيد واعترضه عند الحجر فقال : يا أمير المؤمنين
 استمع كلامي فإنك إن سمعته حقًا قبلته وإن سمعته باطلاً فلا تعبأ به فوقف الرشيد .
 فقال أوس : يا من غذي في نعيم وتردد في ملك سليم إن خفت العذاب الأليم وأحببت
 البقاء في سرور فلا تسمعن ممن أنت بينهما ولا تغترن بشيء من قولهما فإن الله عز وجل يخلو
 بك دونهما والموت يصل إليك على الطوع

والكره منهما فلا تصدقان بالذليل ولا تتكثرن بالقليل ولا تعتصم بغير دافع ولا تطمئن إلى غير مانع لا يمنع ولا يدفع عَنْكَ .

فإنك بعين الله وبحضرة بيته الَّذِي جعله مثابةً للناس الزائرين ومنحجرًا للفاجر فانتفض الرشيد وجلس وخلا يديه عنهما وأوماً أن خذوا الرجل فأخذ حتى قضى طوافه وصلى وَرَجَعَ إلى المنزل الَّذِي نزل به ودعا بالرجل فأدخل عَلَيْهِ شيخ جليل .

فَقَالَ : من قبيلتك ؟ قال : بنو هلال . قال : قبيلة مشهورة فما حَمَلَك أن كلمتني بِالَّذِي كلمتني .

قال : إشفاقًا عَلَيْكَ إذا أنضيت الركاب وأتعب الرَّجَالَ وأنفقت الأموال في أمور الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم بما حتى إذا صرت إلى غاية الطالب وموضع ترجو فيه الرحمة اعتمدت على ظالمين طاغيين قَدْ جبلا على الغشم ونشأ على الظلم وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ .

فنكس الرشيد رأسه وأقبل ينكت في الأَرْضِ وَعَيْنَاهُ تذرْفَانُ ثُمَّ رفع رأسه فَقَالَ : من أين مطعمك وشربك ؟ قال : من عند من يرزقك . قال : من ذاك ؟ قال : من عند من خلق الحب والنوى وأخرج الحب من الثرى من طعام سهرت فيه العيون وتعبت في حصاده الأجساد وحرصته الملائكة حتى أتاني به القدر بلا رنق ولا كدر .

قال : ألك عيال ؟ قال : نعم . قال : ومن هنَّ ؟ قال : زوجة . قال : أتختلف إلى تجارة أو تحترف في صناعة ؟ قال : قَدْ كَفَان اللهُ مَؤَنَةً ذَلِكَ بالعافية . قال : أفلا أجري عَلَيْكَ رِزْقًا تستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب من غيرك ؟ قال : إني بِاللَّهِ أغنى مني بما بذلت لي من ذَلِكَ .

قال : ألك حَاجَةٌ ؟ قال : نعم ، أطمع الله عَزَّ وَجَلَّ فيما تعلم من شرك فإنك تصل إلى كُلِّ محبوب وتنال به كُلِّ مطلوب ولست تبلغ شَيْئًا من نكايَة عَدُوِّكَ

إِلا من طَاعَتِكَ لربك فإنك إن أطعته جعل ناصية عَدُوِّكَ بيدك فلا تشاء أمراً إلا بلغته ولا مكروهاً إلا نلته .

قال : ألك حاجة غيرها ؟ قال : أتؤمنني من الموت ؟ قال : لا أقدر على ذلك ، قال : فتجبرني من النار ؟ قال : ليس في يدي ، قال : فتدخلني الجنة ؟ قال : لست أملك ، قال : أفتحي لي ميماً حتى أساله عما عاين ورأى ، قال : ذاك في قدرة غيري . قال : ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك غير أن الله عزَّ وجلَّ فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل واستخلفك في الأرض لينظر كيف تعمل .

ثمَّ خرَّجَ ، فقالَ الرشيد : الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مثله ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه .

قُلْتُ : هَذَا من رقم (١) في العفاف والزهد . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .
 شِعْرًا : اَعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَعْنَمَ أَيُّهَا الرَّجُلُ لا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَمَلُ
 وَالْعِلْمُ زِينٌ وَتَقْوَى اللَّهِ زِينَتُهُ وَالْمُتَّقُونَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ شُغْلٌ
 وَحُجَّةُ اللَّهِ يَا ذَا الْعِلْمِ بِالْغَةِ لا الْمَكْرُ يُنْفَعُ فِيهَا لا وَلَا الْحِيلُ
 تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَاَعْمَلَ مَا اسْتَطَعَتْ بِهِ لا يُلْهِبَنَّكَ عَنْهُ اللَّهُوُ وَالْجَدَلُ
 وَعَلِمَ النَّاسَ وَاقْضُدْ نَفْعَهُمْ أَبَدًا إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْتَاذَكَ الْمَلَلُ
 وَعِضْ أَحَاكَ بِرَفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ فَالْعِلْمُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَاذُهُ الزَّلَلُ
 وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لا خَلَاقَ لَهُمْ فَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهَلُوا
 فَإِنْ عَصَوْكَ فَارْجِعْهُمْ بِلا ضَجْرٍ وَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَلا يَحْزُنْكَ مَا فَعَلُوا
 فَكُلْ شَاةً بِرِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةً عَلَيْكَ نَفْسَكَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا

اللَّهُمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمَع بها شملنا ،

وتلم بها شعثنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتركي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ، ومقيل عثرات العاثرين ، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ يا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ ، ويا رفيع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أَنْتَ إِيكَ الْمَصِيرُ .

نسألك أن تديقنا برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين ، ويا أرف الرائفين وأكرم الأكرمين ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

(من رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

أما بعد : فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشدًا ، ولم أدحرِك فيه نصحًا ، تحميدًا لله ، وأدبًا عن رسول الله - ﷺ - فتدبره بعقلك ، وردد فيه بصرك ، وأرعه سمعك ، ثُمَّ اعقله بقلبك ، وأحضره فهمك ، ولا تغيين عنه ذهنك .

فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة ، اذكر نفسك في غمرات الموت وكرهه ، وما هو نازل به منك ، وما أنت

موقوف عَلَيْهِ بعد الموت من العرض على الله سُبْحَانَهُ ، ثُمَّ الحساب ثُمَّ الخلود بعد الحساب .
وأعد الله عَزَّ وَجَلَّ ما يسهل به عَلَيْكَ أهوال تلك المشاهد وكرها فإنك لو رَأَيْتَ أَهْلَ
سخط الله تَعَالَى وما صاروا إليه من ألوان العذاب وشدة نقمته عَلَيْهِمْ ، وسمعت زفيرهم في النار
وشهيقهم مَعَ كلوح وجوههم وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم لا يسمعون ولا
يبدعون ، ويدعون بالويل والثبور

وأعظم من ذَلِكَ حَسْرَةَ إعراض الله تَعَالَى عنهم ، وانقطاع رجائهم وإجابته إياهم بعد طول
الغم بقوله : ﴿ اٰخِسْتُوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ ﴾ .

لم يتعاضمك شيء من الدُّنْيَا إن أردت النجاة من ذَلِكَ ولا أمتلك من هوله ، ولو قدمت
في طلب النجاة منه جَمِيع ما ملك أَهْلُ الدُّنْيَا - كَانَ في معاينتك ذَلِكَ صغيراً .
ولو رَأَيْتَ أَهْلَ طاعة الله تَعَالَى وما صاروا إليه من كرم الله عَزَّ وَجَلَّ ومنزلتهم مَعَ قربهم من
الله عَزَّ وَجَلَّ ونضرة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، والنظر إليه والمكانة
منه .

لتقلل في عينك عَظِيم ما طلبت به صغير ما عِنْدَ الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت
به صغير ذَلِكَ من الدُّنْيَا .

فاحذر على نفسك حذرًا غير تغرير ، وبادره بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف
الحَسْرَةَ منه عِنْدَ نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل وَأَنْتَ تقدر بإذن الله على جر المنفعة
إليها ، وصرف الحجة عَنْهَا قبل أن يتولى الله حسابها .

ثُمَّ لَا تَقْدِرُ عَلَى صَرْفِ الْمَكْرُوهِ عَنْهَا وَاجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ نَصِيبًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَصَلِّ مِنَ النَّهَارِ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، وَاقْرَأْ فِيهِنَّ مَا أَحْبَبْتَ ، إِنْ شِئْتَ صَلِّهِنَّ جَمِيعًا ، وَإِنْ
شِئْتَ مَتَفَرِّقَاتٍ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَيْ عَشْرَةَ
رَكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إِيمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَكِتَابِكَ وَرَسُولِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَاغْفِرْ
لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَصَلِّ مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ بِجُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَكْعَةٍ حَقَّهَا ،
وَالَّذِي يَنْبَغِي فِيهَا مِنْ تَمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَصَلِّهِنَّ مِثْنِي مِثْنِي ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -
: أَنَّهُ كَانَ يَصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ ، وَالْوَتْرَ ثَلَاثَ رَكَعَاتٍ سِوَى ذَلِكَ يَسْلَمُ مِنْ كُلِّ اثْنَتَيْنِ .

وَصُمَّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ : الثَّلَاثَ عَشَرَ ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِكَ طَيِّبَةً بِمَا نَفْسُكَ حِينَ يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَلَا تُؤَخِّرْهَا بَعْدَ حُلِّهَا ، وَضَعَهَا
فِي مَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَضَعَهَا إِلَّا فِي أَهْلِ مِلَّتِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -
أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيِّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى حُدَّهَا هُوَ عَلَى ثَمَانِيَةِ
أَجْزَاءٍ . قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ » .

واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً ،
وبلغني أن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ غفر
له .

مر بطاعة الله وأحب عليها ، وانه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن
النبي - ρ - أنه قال : « مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، فإنما هلك من كان قبلكم
بتركهم نهيهم عن المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأخبار » .

فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، فإن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلاً ، ولا يقطع رزقاً .

أحسن إلى من حولك الله تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي - ρ -
- أنه كان يصلي فانصرف ، وقال : « أظت السماء وحق لها أن تظط ، ما فيها موضع أربع
أصابع إلا عليه جبهة ملك ساجد ، فمن كان له حول فليحسن إليه ، ومن كره فليستبدل ،
ولا تعذبوا خلق الله » .

الزم الأدب من وليت أمره وأدبه ، ومن يجب عليك النظر في أمره ، فإنه بلغني عن النبي -
ρ - أنه قال للفضل بن العباس : « لا ترفع عصاك على أهلك ، وأخفهم في الله » .
لا تستلم إلى الناس واستجرهم في طاعة الله ، لا تغمص الناس واخفض لهم جناحك ،
فإنه بلغني عن النبي - ρ - أنه قال :

« ألا أحدثكم بوصية نوح ابنه . قال : أمرك باثنين ، وأنهاك عن اثنين : أمرك بقول لا إله إلا الله ، فإنها لو كانت في كفة والسموات والأرض في كفة وزنتها ، ولو وضعتها على حلقة قصمتها .

وقل : سبحان الله وبحمده فإنها عبادة الخلق ، وبها تقطع أرزاقهم ، فإنهما يكثران لمن قالها الولوج على الله عزَّ وجلَّ ، وأنهاك عن الشرك والكبر ، فإن الله محتجب عنهما فقال له بعض أصحابه : أمن الكبر أن يكون لي الدابة النجبية ؟ قال : لا . قال : أمن الكبر أن يكون لي الثوب الحسن ؟ قال : لا . قال : أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : لا .

إنما الكبر أن تسفه الحق ، وتغصص الخلق ، وإيَّاك والكبر والزهو ، فإن الله عزَّ وجلَّ لا يحبهما ، وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطوهم الناس بتكبرهم على الله عزَّ وجلَّ » .

فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ	وَسَلَّ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى
قِي الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَانِ	وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرِّ
وَالْكَبْرِ أُخْرَى ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ	فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً
هَادِيَيْنِ فَاسْتَلَّ سَاكِنِ النَّيْرَانِ	وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعُ
تَهُ كُلُّ تِيهَكَ بِالْوَلَايَةِ وَالْعَمَلِ	آخِر: قُلْ لِلْوَضِيعِ إِذَا تَكَبَّرَ لَا تُبَلِّغْ
كَالْكَلْبِ أَنْجَسُ مَا يَكُونُ إِذَا اغْتَسَلَ	مَا ارْدَدْتَ حِينَ وَلِيَتْ إِلَّا خِسَّةً

اللَّهُمَّ يا من بيده خزائن السماوات والأرض ، عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإننا ضعفاء عن حملها ، وإن كنا من أهلها ، اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال ، ونبخنا من جميع الأهوال ، وأمنا من الفرع الأكبر يوم

الرجف والزلال ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغني عن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال : شاور في أمرك الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ ، احذر بطانة السوء ، وأهل الرَّذَى على نفسك .

فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً ، وَهُوَ مَعَ الَّذِي اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، ومن وقى بطانة السوء فَقَدْ وَقِيَ » .

واستنبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عَلَيْكَ إِكْرَامُهُ ، وارع حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عَنْهُ ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيْمَسْك » .

واتق فصول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : أنذركم فصول المنطق ، وأكرم من وادك وكافئه بمودته ، وَإِيَّاكَ وَالْعَضَبَ فِي غَيْرِ اللَّهِ ، لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر ما لا يعينك ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

صل من قطعك ، واعف عمن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « إنها أفضل أخلاق الدنيا والآخرة » .

اتق كثرة الضحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - : أن ضحكك كأن تبسمًا .

لا تمزح فتدم نفسك ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا » .

لا تخالف إلى ما نهيت عنه ، وإذا نطقت فأوجز ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « وهل يكب النَّاس في نار جهنم إلا هَذَا » يعني : لِسَانَهُ .

لا تصغر خدك للناس ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « إن أهل الجنة كُلُّ هين لين سهل طلق » .

اترك من عمال السرِّ ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية : اتق كُلَّ شَيْءٍ تخاف فيه تهمته في دينك ودنياك ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ » .

أقلل طلب الحوائج من النَّاس ، فإن في ذَلِكَ غَضَاظَةً ، وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال لرجل : « لا تسأل النَّاس ، وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك » . وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « المساجد بيوت المتقين » .

لا تكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لا بد منه ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « ستة مجالس المسلم ضامن على الله ما كَانَ في شَيْءٍ منهن : في سبيل الله ، أو في بيت الله ، أو في عيادة مريض ، أو شهود جنازة ، أو جمعة ، أو عند إمام مقسط يعززه ويوقره » .

أحسن خلقك مع أهلك ، ومن اعتر بك ، فإن ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراة في مالك ، ومنسأة في أجلك .

فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك .

أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتفق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : ﴿ أَيُّجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ ﴾ . وبلغني عن النبي - ρ - أنه قال : « لا تشتم الناس » والله أعلم . وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

اتفق أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة (أي ضعفاء العقول) من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : اعتبر الناس بأخذانهم وإنما يخادن الرجل الرجل مثله .

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي - ρ - أنه قال : « من كفل يتيماً له أو لغيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » ، وأشار بأصبعيه فضمهما .
أعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي - ρ - أنه قال : « من مشي مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام » .

اتفق إتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي - ρ - أنه قال : « إني أخاف عليكم اثنتين : إتباع الهوى ، وطول الأمل » . فإن إتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة .

انصف النَّاسَ من نفسك ولا تستطل عَليهم ، فإنه بلغني عن النَّبيِّ - ρ - أنه قال : « أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كُلِّ حال ، ومواساة الأخ من المَال ، وإنصاف النَّاس من نفسك » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي - كرم الله وجهه - أنه قال : لا تتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى .

اتق المطعم الوبي ، والمشرب الوبي ، والملبس الوبي ، فإن ذلك تذهب أنفته ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ .
وقال النَّبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام : « من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله مكانها أكلة من نار ، ومن سمع بأخيه المسلم سمع الله به يوم القيامة ، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً ألبسه الله مكانه ثوباً من نار » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النَّبيِّ - ρ - أنه قال : « من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره كانَ عليه مثل وزر صاحب مكس » .
لتكن يدك العليا على كُلِّ من خالطت ، فإنه بلغني عن النَّبيِّ - ρ - أنه قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عزَّ وجلَّ ، فإنه بلغني عن النَّبيِّ - ρ - أنه قال : « ما تحاب رجلان في الله إلا كانَ أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه » .

صل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النَّبيِّ - ρ - أن رجلاً قال له : إن لي أقباء ، أعفوا ويظلموني ، وأصل ويقطعوني ، وأحسن ويسيعوني ، أفأكافئهم ؟ فقال ρ : « إذن

تتركوا جميعًا ، ولكن إذا أساءوا فأحسن ، فإنه لن يزال لك عليهم من الله ظهير . اللهم يا من فتح بابه للطالبيين وأظهر غناه للراغبين ألهمنا ما ألهمت عبادك الصالحين وأيقظنا من رعدة الغافلين إنك أكرم منعم وأعز معين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ رَجْمَهُ اللَّهُ : ارحم المسكين المضطر ، والغريب المحتاج ، وأعنه على ما استطعت من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس : أنه قال : (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ) . ارحم السائل وارده من بابك بفضل معروفك بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « رَدُّ عُنْكَ مَذْمُومَةٌ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « لا تزهد في المعروف ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي » . أرد بكل ما يكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي - ﷺ - أن قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ ﴾ ... الآية قال : المنافق الذي إن صلى رأى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عَزَّ وَجَلَّ . إياك والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرابي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، ولا يزكيه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك

وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها غيره ، فرب غائب أحفظ من شاهد ورب حامل فقه غير فقيهه » .

لا يغفل قلب امرئٍ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العَمَلِ لله ، والنَّصِيحَةَ للإمام العادل ، والنَّصِيحَةَ لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم .

إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعوا إلى معاصي الله تَعَالَى ، وَقَدْ بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « خياركم أحسنكم أخلاقًا » .

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - : (أن ملكًا أتاه فَقَالَ : إن ربك يقرئك السَّلام وَيَقُولُ : إن شئت أجعلك ملكًا نبيًا أو عبدًا نبيًا فأشار إليه جبريل عَلَيْهِ السَّلام أن تواضع ، فما أكل متكئًا حتى مات) .

لا تظلم النَّاسَ فيديلمهم الله عَلَيْكَ ، فإنه بلغني عن بعض العُلَمَاءِ من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحدًا أشدَّ عليَّ ظلمًا من أحد لا يتعسن عليَّ إلا بالله تَعَالَى .

احذر البغي فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « إن أعجل الحُيَّرِ ثوابًا صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبة اليمين الغموس تترك الديار بلاقع » .

لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت » . ولا تحلف بالله في كُلِّ شيء فإنه بلغني أن ذَلِكَ قوله تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ .

اللَّهُمَّ أَعْمِرْ قُلُوبَنَا وَأَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَوَفَّقْنَا لِلْأَمْتِثَالِ لِأَمْرِكَ ، وَأَمِنَا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحَزْبِكَ

المفلحين ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ارحم النَّاسَ يَرْحَمَكَ اللَّهُ بَلْغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من لا يرحم النَّاسَ لا يَرْحَمُهُ اللَّهُ » .

أحب طاعة الله يحبك الله ، ويحبك إلى خلقه ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لِنبيه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنْ اللَّهُ جَعَلَ قِرَّةَ عَيْنِي فِي السُّجُودِ » . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : ما أسر عبد قط سريرة خَيْرَ إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِءَاءَهَا ، ولا أسر سريرة شر قط إِلَّا أَلْبَسَهُ اللَّهُ رِءَاءَهَا .

وليكن عَلَيْكَ السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه بَلْغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « إِذَا رَكِبْتَهُمْ هَذِهِ الدُّوَابَّ الْعَجْمَ فَأَعْطَوْهَا مِنْ حَظِّهَا مِنَ الْأَرْضِ » .
عَلَيْكَ بِالْحَلْمِ وَالْإِغْضَاءِ عَمَّا كَرِهْتَ ، ولا تتبع ذَلِكَ مِنْ أَحَدٍ بَلْغَكَ عَنْهُ أذى ولا تكافئه
فإن في ذَلِكَ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، بَلْغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْحَلِيمَ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمَتَّعِفَ » .

ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بَلْغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « أَيُّهَا السَّلَامِيُّ اتَّقِ الْعُقُوبَةَ وَقَطِيعَةَ الرَّحْمِ ، فإن في ذَلِكَ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا وَتَبَاعَدَ فِي الْآخِرَةِ » .
وبَلْغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « اشْتَكَّتِ الرَّحْمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَقْطَعُهَا ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا : أما تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ ، وَأَقْطَعُ مِنْ قِطْعِكَ » .

إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذا ذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ الآية .

وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « ما امتلأ رجل غيظًا فكظمه الله إلا ملأه الله رضوانًا
يوم القيامة » .

إذا وعدت موعدًا في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قُلْتُ قولاً فيه رضا الله فأوف به ودم عليه ،
، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من تكفل بستُّ أتكفل له بالجنة : إذا حدث لم
يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا ائتمن لم يخن ، وغض بصره ، وحفظ فرجه ، وكف يده » .

إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تهمن بها وكفرها ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ -
- أنه قال : « لا نذر في معصية الله وكفارتها كفارة يمين ، والنذر يمين ، وإذا حلفت على يمين
ثم رأيت غيرها خيراً منها فاتَّ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وكفر عن يمينك » فإنه بلغني عن النَّبِيِّ ρ أنه قال
ذَلِكَ .

إياك والتزبد في القول ، وأن تقول قولاً وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ -
- أنه قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : الإمام الكذاب ، والعائل المزهو ، والشَّيخ
الزاني » .

بر والديك وخصهما منك بالدُّعاء في كُلِّ صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك
قبلهما ، فإن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - قال : (رب اغفر لي ولوالدي) فبدأ بنفسه قبل والديه
، وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من سره أن ينسأ له في عمره ، ويزَادَ في رزقه ، فليتنق
الله ربه وليصل رحمه » .

اشكر النَّاسَ ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قدرت عَلَيْهِ ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ -
- أنه قال : « من لم يشكر النَّاسَ لم يشكر الله » والله

اللَّهُمَّ قُوْ إِيمَانِنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرِسْلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَأَعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ :

إذا ركبت الدابة فوضعت رجلك في الركاب فقل : بسم الله ، وإذا استويت راكبًا فقل :
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ الآية . فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه
كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ كُلَّمَا رَكِبَ دَابَّةً . قُلْتُ : (ومثلها السيارة ، والطائرة ، والقطار ، والسَّفِينَةُ
ونحوها) .

إذا أكلت أو شربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغني
عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين
الخبث وبين أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَنَا
وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا أَكَلَ وَشَرَبَ .
وإذا أكلت ومعك آخر فكل ممًا يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين
يدي أحد ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكل ممًا
يليك وكل بيمينك ولا تأكل بشمالك ، ولا تشرب بشمالك » . وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه
قال : « إنها أكلة الشيطان » .

لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ

- ρ - أنه كَانَ يستحب أن يسافر يوم الخميس لا يسافر إلا فيه .
 إذا أصابك كرب فقل : يا حي يا قيوم بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه
 كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَ الكرب .
 احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن النَّاسِ ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه
 قال : « ملعون من لعن أباه ، ملعون من لعن أمه ، ملعون من غير تحوم الأرض ، ملعون كُلِّ
 صقار » . وَهُوَ : النمام .
 لا تجر ثيابك فإن الله لا يحب ذَلِكَ ، وبلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من جر ثيابه
 خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » .
 أطلع الله في معصية النَّاسِ ، ولا تطع النَّاسِ في معصية الله ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال
 : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .
 إذا أصابك حزن أو سقم أو زلة أو لأواء - يعني الجوع - فقل : الله رَبِّي لا أشرك به شَيْئًا
 . ثلاث مرات ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه كَانَ يأمر بِذَلِكَ من أصابه شَيْءٌ من ذَلِكَ .
 اصبر على ما أصابك من فجائع الدُّنْيَا وأحزانها لقول الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُوفِّى الصَّابِرُونَ
 أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .
 لا تمارن أحدًا وإن كنت محمًا ، بلغني أن قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
 جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ أنه المرء .
 إذا هممت بأمر من أمور الدُّنْيَا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النَّبِيِّ

- ρ - أنه قال : « إذا هممت بأمر من أمور الدُّنيا ففكر في عاقبته ، فإن كانَ رشداً فأَمْضه ، وإن كانَ غيًّا فانتَه منه » .

وَأَيُّكَ والتجريد خاليا ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « لا أحب أن يلي لي شَيْئاً من لا يستحي من الله في الخلاء » .
وَأَيُّكَ أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار وَأَنْتَ تقدر على ذَلِكَ .

فإن لم تقدر فغض طرفك عن كُلِّ أحد مكشوفاً ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « لا يجل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ نور قلوبنا واشرح صدورنا واستر عيوبنا وأمن خوفنا واختم بالصلحاحات أعمالنا واجعلنا من عبادك الصالحين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ رَجْمُهُ اللهُ : أفش السَّلام وإن استطعت أن لا يسبقك أحد إليه فافعل تعط بذلك فضلاً عن النَّاس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : السَّلام اسم من أسماء الله ، وضعه فيكم فأفشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات .

أدب ولدك ومن وليت أمره على خلقك وأدبك حتى يتأدبوا على ما أَنْتَ عَلَيْهِ فيكونوا لك عوناً على طاعة الله . بلغني عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال : كُلُّ مؤدب يجب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هُوَ القرآن .

وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد

رأيك ، فإنه بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « المستشار بالخيار إن شاء تكلم ، وإن شاء سكت » .

لا تفش على أحدٍ سرًّا أفشاه إليك فإنما هي أمانة استودعكها وائتمنك عليَّها ، إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له في دنياه وآخرته فأفشها عليَّه وانصحه فيها ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فلير عليكَ أثره ، ولير فيك سمته ، وتعلم للذي عمله ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار . بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » .

رد جواب الكِتَابِ إلى كُلِّ أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السَّلَامِ قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذَا حُيِّئْتُمْ بِهِ فَاَحْسِنُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

أرى رجوع الكِتَابِ عليَّ حقاً كما أرى رجوع السَّلَامِ .

الزم الحياء فإنه خلق الإسلام ، وفيه قال ρ : « لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام : الحياء » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسُوءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَالْحُورِ بَعْدَ الْكُورِ » . بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا سَافَرَ .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليكَ إلا بالله ، لقول النَّبِيِّ - ρ - : « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة

المظلوم فإنها تصعد فوق الغمام ، فيقولُ الله لها : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين . «

إذا ودعت مسافرًا فقل : « زدك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر لك الخير حيثما كنت ، استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » . لأن النبي ﷺ كان يأمر أصحابه بها .
 إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإيّاك والكلام عنده إلا بما يرضي الله ، لقول النبي - ﷺ - : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت يكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة » .
 أرد ما أردت به الله ما استطعت ، بلغني عن النبي - ﷺ - أنه قال : « صدقة السرّ تطفئ غضب الرب » .

اتق كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي - ﷺ - فقال : « ويحك قطعت عنقه ، ولو سمعها ما أفلح أبداً » .
 إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ، لقول النبي - ﷺ - عليه الصلاة والسلام - : « احثوا التراب في وجوه المداحين » .

طهر ثيابك ونقها من معاصي الله تعالى ، فإنه بلغني أن قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، يأمره أن لا يلبسها على عذرة .

واكره لك أحد ما تكرهه لنفسك ، بلغني عن النبي - ﷺ - أنه بايع جريراً البجلي على الإسلام والنصيحة لكل مسلم .

إياك والحسد والشهه فهما خلقان مرديان لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وَقَالَ ρ فيهما : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً وسلطه على إنفاقه في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

شِعْرًا: كُئِلَ الْعَدَاوَةَ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ
فَإِنَّ الْقَلْبَ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
إِلَّا إِلَهُهُ فَإِنْ يَرْحَمُ تُحَلُّ بِهِ فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ لَا تَرْكُنْ إِلَى أَحَدٍ

اقتد في أمورك برأي ذي الإنصاف من أهل التقوى . بلغني عن النبيّ - ρ - أنه قال : « خياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم » .
لا تحتقر أحداً ، ولا تجالس مافوناً ، فإن الوحدة خير من جلس السوء .

عَلَيْكَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَكِرِمِهَا ، وَاتَّقِ رِذَائِلَهَا وَمَا سَفَفَ مِنْهَا ، بَلِغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - ρ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ كَانَ اللَّهُ يَجِبُ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفَسَافَهَا » .

إِذَا رَأَيْتَ مِنْ فَضْلِكَ عَلَيْهِ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ فَأَكْثِرْ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشُّكْرِ ، بَلِغْنِي عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ » .

لا تركب المثرة الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ - ρ - عَنْ ذَلِكَ . إِذَا غَضِبْتَ وَأَنْتَ قَائِمٌ فَاقْعُدْ ، وَإِنْ كُنْتَ قَاعِدًا فَاضْطَجِعْ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ρ - : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ » . لا تتطيرن من شيء تراه أو تسمعه .

وإذا كَانَ من ذَلِكَ شَيْءٍ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ الشُّوْءَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ - ρ - كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ لِمَنْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا . لَا تَتَوَضَّأُ بِشَيْءٍ مِمَّا تَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ (إِلَّا مِنْ لَحْمِ الْجُزُورِ) وَلَا تَدُلُّكَ بِهِ فِي الْحَمَامِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْجَفَاءِ .

لَا تَتَخَلَّقَنَّ بِالْخُلُقِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَثَرِ النُّورَةِ لِيَذْهَبَ رِيحُهَا ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ - ρ - أَنَّهُ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي بَرْدَتَيْنِ لَهُ مَتَخَلِقٌ يَتَبَخَّرُ فِيهِمَا إِذْ سَاحَتْ بِهِ الْأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
(فَصْلٌ)

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَا تَحْلَفْ بِالطَّلَاقِ وَلَا بِالْعِتَاقِ ، فَإِنَّمَا مِنْ أَيْمَانَ الْفِسَاقِ . بَلَغَنِي عَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : أَرْبَعُ جَائِزَةٍ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِنَّ : الطَّلَاقُ ، وَالْعِتَاقُ ، وَالنِّكَاحُ ، وَالنَّذْرُ . وَأَرْبَعَةٌ يَمْسُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ سَاحِطٌ ، وَيَبِيحُونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ غَضَبَانُ : الْمُتَشَبِّهُونَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ، وَمَنْ أَتَى بِهَيْمَةٍ ، أَوْ عَمِلَ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ . لَا تَتَطَيَّبَنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّيِّبِ يَظْهَرُ لَوْنُهُ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ - ρ - قَالَ : « طَيِّبِ الرِّجَالَ مَا بَطْنَ لَوْنُهُ وَظَهَرَ رِيحُهُ ، وَطَيِّبِ النِّسَاءَ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَبَطْنَ رِيحُهُ » .

الزَّمِ الرَّأْيَ الْحَسَنَ ، وَالْهُدَى الْحَسَنَ ، وَالْاِقْتِصَادَ بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : الرَّأْيُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبِوَةِ .

إن استطعت أن لا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي
- عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام - أنه كَانَ يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة .
إذا صافحت أحدًا فلا تنزع يدك من يده ، حتى يكون هُوَ الَّذِي ينزع يده عن يدك ،
بلغني عن النبي - ﷺ - أنه لم يصافح أحدًا فنزع يده حتى يكون هُوَ الَّذِي ينزع يده .
إذا أقبل عَلَيْكَ رجل بوجهه يحدثك فلا تصرف وجهك عَنْهُ حتى يكون هُوَ الَّذِي يصرف
وجهه عَنْكَ ، وإذا جلست إلى جنب رجل أو جلس إلى جنبك رجل فلا تقوم من بين يديه
، ولا تجاوز ركبته ركبته ، بلغني عن النبي - ﷺ - أنه لم تتجاوز ركبته رتبة جليسه له .
وإذا أحسست من أمير ظلامه أو تغطرسًا فقل : (الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أعز من
خلقه جميعًا ، الله أكبر مِمَّا أخاف وأحذر ، وأعوذ بِاللَّهِ الممسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه من شر فلان ، اللَّهُمَّ كن لي جَارًا من فلان وجنوده ، أن يفرط عليَّ أحد مِنْهُمْ أو أن
يطغى ، جل جلالك وعز جارك ، ولا إله غيرك) تَقُول ذَلِكَ ثلاث مرات .
بلغني عن ابن عباس أنه قال ذَلِكَ وأمرنا به .
وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام فلا تكتبن سلام الله عَلَيْكَ ، ولكن اكتب :
السَّلَام على من اتبع الهدى ، بلغني عن النبي - ﷺ - أنه كتب ذَلِكَ إلى مسيلمة .
إذا عطست في الخلاء فاذكر اسم الله خفيًا . لا تدهن في مدهن

ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب والفضة ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه هَيَّيَ عن الشرب في إناء الذهب والفضة .

لا تنم على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه هَيَّيَ عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إذا رأيت أمرًا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره فلا تحابين منهم أحدًا ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النَّبِيِّ - ρ - أنه قال : « انصر أخاك ظالمًا ومظلومًا » .

إذا هممت بأمر من طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - فلا تحبسه إن استطعت فواقًا حتى تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك فإن استطعت أن لا تمضيه فواقًا فافعل لعل الله تعالى يحدث لك تركه .

لا تستحي إذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول إلا أنك تقول إذا قال : حي على الصلاة ، حي على الفلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله . بلغني ذلك عن النَّبِيِّ - ρ - .

لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغني عن عُمَرَ بن الحُطَّاب رضي الله عنه أنه قال : ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

شِعْرًا: لا تَخُلْ بامرأة لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَاكِ مِثْلَ بَنَانِ
 إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ مِثْلُ الكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ
 إِنَّ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسْوَدَهَا أُكَلَّتْ بِلا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

إذا قال الإمام : آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يَقُولُ : آمين ، ويقوله من خلفه . بلغني عن النَّبِيِّ - ﷺ - أنه قال : « إذا أمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » . أ . هـ . ما اخترناه وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

(فَصْلٌ)

أَسْئَلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

- السؤال الأول عن واحد لا ثاني له .
 وعن دين لا يقبل الله غيره .
 وعن مفتاح الصلاة وبم تحتم .
 وعن غراس الجنة وعن صلاة كُلِّ شَيْءٍ .
 وعن أربعة فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء .
 وعن رجل لا أب له .
 وعن رجل لا أم له ولا أب .
 وعن حيوان جرى بصاحبه .
 وعن بقعة من الأرض طلعت عَلَيْهَا الشمس مرة واحدة ولم تطلع عَلَيْهَا قبل ذَلِكَ ولا بعده .
 وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها .
 وعن شجرة نبتت على إنسان .
 وعن شَيْءٍ يتنفس ولا روح له .
 وعن الحكمة في المحو الَّذِي فِي الْقَمَرِ .
 وعن ميت مات ألف شهر ومائتي شهر .
 وعن جبل ارتفع ثُمَّ رجع .
 وعن إثنان لا ثالث لهما .

- وخمسة لا سادس لها .
 وستة لئس لها سابع .
 وسبعة لئس لها ثامن .
 وثمانية لا تاسع لها .
 وتسعة لا عاشر لها .
 وعشرة لئس هُتم حادي عشر .
 وثلاثة عشر لا رابع عشر هُتم .
 وعن أحب كلمة إلى الله .
 وما الموضع الذي لئس له قبلة .
 وعن شيء حل بعضه وحرم بعضه .
 وعن نبي نهي الله النبي ρ أن يعمل عمله .
 وعن من بعثه الله ولئس من بني آدم ولا من الجن ولا من الملائكة .
 وعن نفس ماتت وضربت ببعضها ميت فحيا بإذن الله .
 وعن كافر لم تأكل الأرض لحمه .
 وعن نفس خرجت من نفس ولا نسبة بينهما .
 وعن اثنين تكلموا في الدهر مرة واحدة فقط ثم هما سكوت إلى يوم القيامة .
 وعن أنفع كلمة وأرفع وأحسن كلمة وأزكى كلمة .
 وعن جماعة شهدوا الحق وهم كاذبون .
 وعن جماعة شهدوا الحق فأدخلوا النار ومن شهدوا عليه .
 وعن شيء على الأرض من الجنة .
 وعن صيدين صادهما رجل فحل أحدهما له وحرم عليه الآخر .
 وعن امرأة أوحى الله إليها

- وعن خمسة مشوا على وجه الأرض ولم يولدوا .
وعن أم لم تولد .
وعن ماء لم يذكر أنه نبع من الأرض ولم يذكر أنه نزل من السماء .
ج : الجواب الواحد لا ثاني له : فالله جل جلاله وتقدست أسماؤه ، وأما الدين الذي لا يقبل الله غيره : فدين الإسلام الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .
وأما مفتاح الصلاة فالتكبير وتختتم بالتسليم .
وأما غراس الجنة فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .
وأما صلاة كل شيء : سبحان الله وبحمده .
وأما الذي فيهم الروح ولم يكونوا في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء : فهم آدم وحواء وناقاة صالح عليه السلام وعصا موسى لما قلبها الله حية والكبش الذي فدى به إبراهيم ابنه قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاهُ بَذْبَحٍ عَظِيمٍ ﴾ .
وأما الموضع الذي ليس له قبلة : فظهر بيت الله (أي سطح الكعبة) .
وأما الرجل الذي لا أب له : فعيسى عليه وعلى نبينا السلام .
وأما الرجل الذي لا أم له ولا أب : فآدم عليه السلام .
وأما الحيوان الذي جرى بصاحبه : فالحوت الذي سار بيونس في البحر .
وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة : فأرض البحر الذي فلقه الله لموسى ومن معه من بني إسرائيل .
وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث : فالليل والنهار .
وأما الثالث التي ليس لها رابع فالطلاق الثالث .
وأما الخمسة التي لا سادس لها : فالصلوات الخمس المفروضة .
وأما الستة اللذين لا سابع لهم : فالأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض .

- وأما السبعة التي لا ثامن لها : فأيام الأسبوع .
- وأما الثمانية الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَاسِعٌ : فحملة العرش يوم القيامة . قال الله جل وعلا : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ .
- وأما التسعة اللذين لا عاشر لهم : فالتسعة الرهط الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي سُورَةِ النَّمْلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .
- وأما العشرة التي لَيْسَ لَهَا حَادِي عَشْرَةٌ : فَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَكَيْلِ عَشِيرٍ ﴾ .
- وأما الإحد عشر : فإخوة يوسف .
- وأما الإثنا عشر : فشهور السنة .
- وأما الثلاثة عشر : فإخوة يوسف وأبوه وأمه .
- وأما أحب كلمة إِلَى اللَّهِ : فكلمة الإخلاص : (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .
- وأما الشَّيْءُ الَّذِي أَحْلَى بَعْضُهُ وَحَرَّمَ بَعْضُهُ : فهو نحر طالوت قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ .
- وأما الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَا مِنَ الْجِنِّ فَهُوَ الْغُرَابُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ .
- وأما النفس التي ماتت وضرب ببعضها ميتاً آخر فحيا بإذن الله فهي بقرة بني إسرائيل قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَكُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتِينَ ﴾ .
- وأما الشجرة التي نبتت على إنسان : فالتي أنبتها الله على يونس ابن متى قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ .
- وأما النفس التي دخلت في نفس أخرى وخرجت وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا مَنَاسِبَةٌ

فهو يونس بن متى عَلَيْهِ السَّلَام دخل في بطن الحوت وخرَجَ قال تَعَالَى : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ ﴾ .

وأما الكنز من كنوز الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحديث .
وأما الماء الذي لم يذكر أنه نبع من الأرض ولم يذكر أنه نزل من السماء فالماء الذي نبع بين أصابع النبي ﷺ .

وأما الحكمة التي في محو آية الليل القمر فالله أعلم بأنه لأجل تمييز الليل من النهار ولمنافع أخرى تتعلق بالنبات والزرع والأشجار والثمار .

وأما النبي الذي نهى الله النبي ﷺ أن يعمل مثل عمل عمله فهو يونس قال الله جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا الحق وهم كاذبون : فهم المنافقون ، قال الله تَعَالَى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وأما الشهود الذي شهدوا بالحق وأدخلوا النار ومن شهدوا عليه : فالجوارح ، قال الله جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقال تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الآيات .

وأما الجبل الذي ارتفع وعاد فجبل الطور أعاده الله قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ .
وأما الكافر الذي لم تأكل الأرض لحمه فقارون .

وأما الَّذِي فِي الْأَرْضِ وَهُوَ مِنَ الْجَنَّةِ : فالحجر الأسود .

وأما الصيذان اللذان صادهما رجل فأحل له أحدهما وحرم عَلَيْهِ الْآخِر : فمحرم صاد صيدين من البر واحد ومن البحر واحد فَالَّذِي مِنَ الْبَرِ حَرَامٌ وَالَّذِي مِنَ الْبَحْرِ حَلَالٌ .

وأما الَّذِي مَاتَ أَلْفَ شَهْرٍ وَمِائَتِي شَهْرٍ ثُمَّ أَحْيَاهُ اللَّهُ : فالعزير عَلَيْهِ السَّلَام ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ .

وأما المرأة التي أوحى الله إليها : فَأَم مُوسَى ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ .

وأما الأم التي لم تولد : فحواء عَلَيْهِ السَّلَام .

وأما الأم التي لم تلد : فمَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ أُمُّ الْقُرَى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ﴾ أ .

هـ . انتهى .

فصل : سئل الشافعي عن رجلين خطبا امرأة فحلت لإحدهما ولم تحل للآخر . فقَالَ : إن الَّذِي لم تحل له أربع زوجات فحرمت عَلَيْهِ الخامسة .

س : فقَالَ مَا تَقُول فِي رَجُلَيْنِ شَرِبَا خَمْرًا فَوَجِبَ عَلَىٰ أَحَدِهِمَا الْحَدُّ وَلَمْ يَجِبْ عَلَى الْآخِرِ وَكَانَا مُسْلِمِينَ ؟ فقَالَ : إن أحدهما حرًا بالغًا فوجب عَلَيْهِ الحد والآخر صغير لم يبلغ .

س : قال : فما تَقُول فِي خَمْسَةِ زَنَوْا بِامْرَأَةٍ فَوَجِبَ عَلَىٰ أَحَدِهِمُ الْقَتْلُ وَعَلَى الْآخِرِ الرَّجْمُ ، وَعَلَى الثَّالِثِ الْحَدُّ ، وَعَلَى الرَّابِعِ نِصْفِ الْحَدِّ ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَى الْخَامِسِ حَدٌّ ؟

فقَالَ : أما الأول : فمشارك زنى بمسلمة فوجب عَلَيْهِ القتل ، وأما الثاني : فمسلم محصن زنى فوجب عَلَيْهِ الرجم ، وأما الَّذِي وجب عَلَيْهِ الحد : فمسلم بكر زنى

وأما الرابع : فمملوك زنى فوجب عَلَيْهِ نصف الحد ، وأما الَّذِي لم يجب عَلَيْهِ شَيْءٌ : فالصبي ، والمجنون .

س : قال : فما تَقُولُ في رجل أخذ كأسًا من ماء فشرب بعضه وحرم عَلَيْهِ الباقي ؟ قال : هَذَا لما شرب بعضه وقع على الباقي نجاسة فحرم عَلَيْهِ .

س : قال : فما تَقُولُ في رجل دفع إلى امرأته كيسًا مختومًا وَقَالَ لها : أَنْتَ طالق إن لم تفرغيه ، ولا تفتحيه ، ولا تفتقيه ، ففرغته على ذَلِكَ الحكم ولم يلحقها طلاق ؟ فَقَالَ : إن الكيس مملوءًا سكرًا أو ملحًا فوضعتة في الماء فذاب وتفرغ .

س : قال : فما تَقُولُ في جماعة صلحاء سجدوا لغير الله تَعَالَى وهم في فعلهم مطيعون ؟ قال : الملائكة سجدوا لآدم .

س : قال : فما تَقُولُ في رجل لقي جارية فقبلها وَقَالَ : فديت من أبي جدها ، وأخي عمها ، وأنا زوج أمها فما تكون منه ؟ قال : هِيَ ابنته .

س : قال : فما تَقُولُ في امرأة لقيت غلامًا فقبلته قَالَتْ : فديت من أمي وَلَدَتْ أُمَّهُ ، وأخو زوجي عمه ، وأبو ابن حماتي ، وأنا امرأة أبيه ؟ قال : هِيَ أُمَّهُ .

س : وَقَالَ : ما تَقُولُ في رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فجاءت الأم والبنت بولدين ، فما يكون الولد من ذَلِكَ وَذَلِكَ ؟ فَقَالَ : ابن الأم خال لابن البنت ، وابن البنت عم لابن الأم .

س : وَقَالَ : ما تَقُولُ في رجل مَاتَ وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد ؟

فَقَالَ : هَذَا شَخْصٌ مَاتَ وَخَلْفَ سِتْمِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَتَرَكَ بِنْتَيْنِ أَصَابَهُمَا الثَّلَاثَانُ أَرْبَعِمِائَةَ دِرْهَمٍ وَخَلْفَ وَالِدَتِهِ أَصَابَهَا السُّدُسُ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَخَلْفَ زَوْجَةِ أَصَابَهَا الثَّمَنُ ، وَهُوَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ دِرْهَمًا ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ أَحَاً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دِرْهَمَانِ ، فَفَضَلَ لِلْأَخْتِ دِرْهَمٌ .
وَقَالَ آخَرَ مَلْغَزًا :

تَزَوَّجَ شَخْصٌ أُمَّ شَخْصٍ وَأُخْتَهُ كَذَا أُخْتَهُ الْأُخْرَى وَلَيْسَ بِبَاطِلِ
وَشَخْصٌ أَنَّى أَيْضًا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ وَقَالُوا لَهُ أَجْرٌ لَدَى كُلِّ فَاضِلِ
وَقَالَ آخَرَ :

أَلَا فَاسْأَلُوا مَنْ كَانَ بِالْعِلْمِ بَارِعًا وَفِي الْفِقْهِ أَفْنَى عُمُرُهُ بِابْتِدَالِهِ
عَنِ الْمَرْءِ يُوصِي قَاصِدًا وَجَهَ رَبِّهِ لِيُزِيدَ كَمَا سَمَّاهُ مِنْ ثُلْثِ مَالِهِ
فَإِنْ يَكُنِ الْمُوصَى لَهُ مُتَمَوِّلاً دَفَعْنَا لَهُ الْمُوصَى لَهُ بِكَمَالِهِ
وَإِنْ كَانَ ذَا فَقْرٍ وَقَلٌّ وَفَاقَةٍ حَرَمْنَا ذَاكَ الْمَالَ فَارِثَ لِحَالِهِ
أَيَحْرَمُ ذُو فَقْرٍ وَيُعْطَاهُ ذُو الْغِنَى وَلَا تَسْتَبِدُّ إِلَّا لِعِزِّ جَلَالِهِ
فَلَا تَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَخُدَّهُ وَلَا تَسْتَبِدُّ إِلَّا لِعِزِّ جَلَالِهِ

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّؤْمِ فَوْقَ مَا نَخْذِرُ . اللَّهُمَّ عَلِقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقطع رجاءنا عمن سواك . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عِيُونَنَا فاسترها وتعلم حاجتنا فاقضها كفى بك ولياً وكفى بك نصيراً . يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وفقنا لسلوك سبيل عبادك الأحيار وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فَصَلِّ : ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ هَارُونَ الرَّشِيدُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ ابْتَدَأَ بِالطَّوَافِ وَمَنَعَ النَّاسَ مِنَ الطَّوَافِ .

فسبقه أعرابي وجعل يطوف معه فشق ذلك على هارون والتفت إلى حاجبه كالمُنكر عليه

فَقَالَ الْحَاجِبُ : أَحَلَّ الْمَطَافُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّ اللَّهَ سَاوَى بَيْنَ الْأَنْامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ أَمَرَ حَاجِبَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَ الرَّشِيدَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لِيَسْتَلِمَهُ .

فسبقه الأعرابي فاستلمه ثم أتى إلى المقام ليصلي فيه فسبقه الأعرابي فصلى فيه .
فَلَمَّا فَرَغَ الرَّشِيدُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ لِلْحَاجِبِ : ائْتِنِي بِالْأَعْرَابِيِّ فَأَتَى الْحَاجِبُ الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَالَ : مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْقِيَامِ إِلَيْهَا فَانصَرَفَ الْحَاجِبُ مَغْضَبًا فَأَبْلَغَ الرَّشِيدَ مَا قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ .

فَقَالَ الرَّشِيدُ : صَدَقَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْقِيَامِ وَالسَّعْيِ إِلَيْهِ ثُمَّ نَهَضَ إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَ بِإِزَاءِ الْأَعْرَابِيِّ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ .

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَجْلَسَ هُنَا بِأَمْرِكَ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَيْسَتْ الْبَيْتِ بَيْتِي ، وَلَا الْحَرَمِ حَرَمِي ، الْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ ، وَالْحَرَمُ حَرَمُ اللَّهِ وَنَحْنُ فِيهِ سَوَاءٌ إِنْ شِئْتَ تَجْلِسُ وَإِنْ شِئْتَ تَنْصَرِفُ .

فعظم جواب الأعرابي على الرشيد حيث سمع كلاماً لم يخطر على باله أن أحداً يواجهه به فجلس إلى جنبه .

وَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ فَرَضِكَ فَإِنْ قَمْتَ بِهِ فَأَنْتَ بَعِيرُهُ

أقوم وإن عجزت عنه فأنت عن غير أعجز .

فَقَالَ الأعرابي : سؤالك هَذَا سؤال متعلم أو سؤال متعنت ، فعجب الرشيد من سرعة جوابه ، وَقَالَ : بل سؤال متعلم .

فَقَالَ الأعرابي : قم واجلس مقام السائل من المسئول . قال : فقام الرشيد وجثى على ركبتيه بين يدي الأعرابي .

فقال : قد جلست . قال : سل عما بدا لك فقال : أخبر عن فرض الله عليك .

فَقَالَ له : تسألني عن أي فرض ؟ أعن فرض واحد ؟ أم عن خمسة فروض ؟ أم عن ستة عشر فرضاً ؟ أم عن أربعة وثلاثين فرضاً ؟

أم عن أربعة وتسعين فرضاً ؟ أم عن واحد من أربعين ؟ أم عن واحدة في العمر ؟ أم عن خمسة من مائتين ؟ فضحك .

ثُمَّ قال : سألتك عن فرض فأيتتني بحساب الدهر .

فَقَالَ : يا هارون لولا إن الدين حساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

قال : فبدا العُضْبُ في وجه هارون حيث كلمه باسمه ولم يقل يا أمير المؤمنين ، ثُمَّ قال له : فسر لي ما قُلْتُ .

فَقَالَ الحاجب : لما رأى غضب الرشيد : أعف عنه يا أمير المؤمنين ، وهبه الله في هَذَا المقام الشريف .

فضحك الأعرابي من قولهما فَقَالَ له الرشيد : مم تضحك ؟ قال : عجباً منكما فإن أحدكما كما يستوهب أجلاً في عقله أنه قد حضر ، والآخِر يستعجل أجلاً لم يحضر .

فَلَمَّا سَمِعَ الرَّشِيدَ ذَلِكَ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَفْسِرَ مَا قُلْتُ فَقَدْ تَشَوَّقْتَ إِلَى شَرْحِهِ .

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَمَا سَأَلْتُكَ عَمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ فَقَدْ فَرَضَ عَلَيَّ فَرُوضًا كَثِيرَةً .

فَأَمَّا الْفَرَضُ الْوَاحِدُ فَهُوَ : دِينَ الْإِسْلَامِ .

وَأَمَّا الْخَمْسَةُ الْفُرُوضُ فَهِيَ : الصَّلَاةُ الْخَمْسُ .

وَأَمَّا السَّبْعَةُ عَشْرُ فَهِيَ : عَدَدُ رَكَعَاتِ الْفَرَضِ الْخَمْسِ : الصَّبْحِ اثْنَتَانِ ، وَالظُّهْرِ أَرْبَعٌ ،

وَالْعَصْرِ أَرْبَعٌ ، وَالْمَغْرِبِ ثَلَاثٌ ، وَالْعِشَاءِ أَرْبَعٌ .

وَأَمَّا الْأَرْبَعُ وَالثَّلَاثِينَ فَهِيَ : سَجَدَاتُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ .

وَأَمَّا الْأَرْبَعُ وَالتَّسْعِينَ فَهِيَ : التَّكْبِيرَاتُ فِي الصَّلَاةِ الْخَمْسِ

وَأَمَّا الْوَاحِدَةُ مِنْ أَرْبَعِينَ : فَهِيَ الزَّكَاةُ : رِبْعُ الْعِشْرِ دِينَارٍ مِنْ أَرْبَعِينَ دِينَارًا ، وَشَاةٌ مِنْ أَرْبَعِينَ

شَاةٌ .

وَأَمَّا الْوَاحِدَةُ فِي الْعَمْرِ : فَهِيَ حِجَّةُ الْإِسْلَامِ .

وَأَمَّا الْخَمْسَةُ مِنَ الْمِائَتِينَ : فَهِيَ زَكَاةُ الْفِضَّةِ . وَتَسْمَى : الْوَرَقُ .

فَسَّرَ الرَّشِيدُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَمِنْ ذِكَاةِ الْأَعْرَابِيِّ وَفَطَنَتْهُ وَإِجَابَتُهُ .

ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِهَا رَدَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا ، فَقَالَ لَهُ :

أَتُرِيدُ أَنْ أَجْرِيَ لَكَ جَرَايَةَ تَكْفِيكِ مَدَّةَ حَيَاتِكَ .

قَالَ : الَّذِي أَجْرَى عَلَيْكَ يَجْرِي عَلَيَّ .

قَالَ : فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ دِينَ قَضِينَاهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا لِلَّهِ دَرَاهِمًا عَلَى هَذِهِ الْعَفْةِ هَذَا مِنْ رَقْمِ

(١) فِي الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ يَالَيْتَ هَذَا الطَّرَازُ يَوْجَدُ .

ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

هَبِ الدُّنْيَا تُوَاتِينَا سِنِينَا فَتَكْدُرُ تَارَةً وَتَلِينُ حِينَا
فَمَا أَرْضَى بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى وَأَتْرُكُهُ غَدًا لِلْوَارِثِينَا
كَأَنِّي بِالتُّرَابِ عَلَيَّ يُحْتَى وَبِالإِخْوَانِ حَوْلِي نَائِحِينَا
وَيَوْمَ تَرْفُورِ التِّيْرَانِ فِيهِ وَتُقْسِمُ جَهْرَةً لِلسَّامِعِينَا
وَعِزَّةَ خَالِقِي وَجَلالِ رَبِّي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ العَصَاةِ أَجْمَعِينَا

لغز في الأرض

وَأُمُّ أَوْلَادُهَا فَوَقَّ ظَهْرَهَا وَفِي بَطْنِهَا أَعْجَبَ بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِ
أَحْلَوْ بِإِجْمَاعِ الأَيْمَّةِ وَطَاهَا وَمَا مِنْ جَمَاعٍ قَدْ أَتَوْهُ وَلَا نُكْرِ
إِذَا حَمَلَتْ مِنْهُمْ بِشَخْصٍ فَلَا يُرَى لَهُ صُورَةٌ حَتَّى القِيَامَةِ وَالحَشْرِ

في ميزان

وَقَاضِي قُضَاةٍ يَفْصِلُ الحُكْمَ سَاكِتًا وَبِالحَقِّ يَقْضِي لَا يُبُوحُ فَيَنْطِقُ
قَضَى بِلِسَانٍ لَا يَمِيلُ وَإِنْ يَمَلُ عَلَى أَحَدِ الخَصْمَيْنِ فَهُوَ مُصَدِّقُ

وفي سمكة

وَذَاتُ جَنَاحٍ لَا تَطِيرُ وَلَا تَمْشِي تُصَادُ وَلَيْسَتْ فِي الطُّيُورِ وَلَا
عَلَيْهَا قَمِيصٌ مِنْ لُجَيْنٍ مُدَبَّحٍ يُحَاكِي فُصُوصَ الجَوْشَنِ المُحَكَّمِ
تَسِيرُ وَلَا يَدْنُو مِنَ الأَرْضِ جِسْمُهَا وَتَسْبِقُ إِنْ شَاءَتْ أَحَا الأَيْدِ وَالبَطْشِ

وفي القلب

أَيَا عُلَمَاءِ النَّاسِ هَلْ تُخْبِرُونَنِي عَنِ الرَّاحِ العَادِي المُقِيمِ المُسَافِرِ
يَجُوبُ نَوَاحِي الأَرْضِ فِي عَشْرِ سَاعَةٍ وَفِي الوُكْرِ لَمْ يَبْرَحْ وَلَيْسَ بِطَائِرِ

في آدم

وَذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ لَا يُنْكِرُونَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي النَّاسِ أُمَّ وَلَا أَبُ

وفي آدم وعيسى والقمر

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ مَا إِنَّ لَهُ أَبْوَانَ
وَأَخْر: وَيَكْمُلُ فِي خَمْسٍ وَعَشْرٍ شَبَابُهُ وَيَهْلِكُ فِي سَبْعٍ مَعًا وَثَمَانِ

في يونس عليه السلام

وَمَا حَيٍّ بَدَأَ مِنْ بَطْنِ حَيٍّ تَمَامًا ذَلِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَعَاشَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَصَالٌ وَلَا نُعْمَى وَلَا نَسَبٌ قَرِيبُ

في الحجر الأسود

وَأَسْوَدُ لَا تَلْقَاهُ إِلَّا بِسَجْدَةٍ وَتَقْبِيلَةٍ أَوْ مَسْحَةٍ بِالْأَصَابِعِ
تَرَى الْمَلِكَ الْجَبَّارَ يَغْنُو لَوَجْهِهِ جَلالًا وَيَلْقَاهُ بِرَهْبَةٍ خَاضِعٍ

انتهى .

شِعْرًا: يَا مَنْ يُعَدُّ غَدًا لِتَوْبَتِهِ أَعْلَى يَقِينٍ مِنْ بُلُوغِ غَدِ
الْمَرْءِ فِي زَلَلٍ عَلَى أَمَلٍ وَمَنْيَّةِ الْإِنْسَانِ بِالرَّصَدِ
أَيَّامَ عُمْرِكَ كُلِّهَا عَدَدٌ وَلَعَلَّ يَوْمَكَ آخِرُ الْعَدَدِ

يا أخي التوبة قبل أن تصل إليك التوبة ، الإنابة قبل أن يغلق باب الإجابة ، الإفاقة فيا قرب وقت الفاقة ، إنما الدنيا سوق للتجر ومجلس وعظ للزجر وليل صيف قريب الفجر ، الممكنة مزنة صيف ، الفرصة زورة طيف ، الصحة رقدة ضيف ، والغرة نقدة زيف ، الدنيا معشوقة وكيف ، البدار البدار فالوقت سيف .

يا غافلاً عن مصيره ، يا واقفاً في تقصيره سبقك أهل العزائم وأنت في اليقظة نائم ، قف على الباب وقوف نادم ، ونكس رأس الذل وقل أنا ظالم وناد في الأسفار مذنب وواهم ، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهمم وزاحم ، وابعث بريح الزفرات سحاب دمع ساجم ، قم في الدجا نادبا ، وقف على الباب تائباً ، واستدرك من العمر ذاهباً ، ودع اللهو والهوى جانباً ، وإذا لاح الغرور رأى راهباً ، وطلق الجنيا إن كنت للأخرى طالباً .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقُوَّ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ
وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مَنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمَ يَا كَرِيمَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

إخواني رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون ، وتركوا القصور والأموال ، والأوطان وستتركون
، وتجرعوا كأس الفراق وستتجرعون .

وقدموا على ما قدموا واستقدمون ، وندموا على التفریط في الأعمال وستندمون ، وتأسفوا
على أيام الإهمال وستتأسفون ، وشاهدوا ما هُمَّ عِنْدَ قَدُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وستشهدون .
ووقفوا ببصائرهم على الأهوال ، وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستسألون ، ويود أحدهم
لو يفتدى بِالْمَالِ وستودون .

فبادروا بالمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكأنكم بأيام الشباب وَقَدْ أَبْلَتْهَا يَدُ الْمُنُونِ
، وَقَدْ أَظْلَكُمْ مِنْ فِجَاءَةِ الْمَوْتِ مَا كُنْتُمْ تَوَعِدُونَ .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ فَكَيْفَ بَكَ يَا مَنْ صَنَعَ عَمْرَهُ فِرطًا فِي
الْقِيلِ وَالْقَالِ وَعِنْدَ الْمَذْيَاعِ وَالْكِرَةِ وَالتَّلْفِزِيُونَ .

ماذا يكون موقفك إذا نفخ في الصور ما في القبور وحصل ما في الصدور وضافت الأمور
وظهر المستور .

وخرَجَ الخلائق من القبور ياله من يوم فيه الزلازل والأهوال وفيه تسير الجبال وترادف
المزعجات والأهوال ، وتنقطع فيه الآمال ، ويقل فيه الاحتيال .

فيا خسارة أهل الشمال يوم نزل فيه الأقدام وتبلى فيه الأفهام ، ويطول

فيه القيام وتتابع فيه الهموم والآلام وتظهر الجرائم والآثار وينقطع فيه الكلام .
 ياله من يوم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم الزلزلة والطامة يوم
 ترجف الراجفة تتبعها الرادفة يوم الصاخة : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبِيهِ
 وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

شِعْرًا: كَأْسُ الْمَنِيَةِ دَائِرٌ مَا بَيْنَنَا
 فِي الْمَوْتِ أَعْظَمُ عِبْرَةٌ لِمُبْصِرٍ
 فَهُوَ الْمُصِيبَةُ وَهُوَ أَكْبَرُ آيَةٍ
 وَهُوَ الرَّزِيَّةُ وَالْبَلِيَّةُ وَالَّذِي
 فَاشْدُدْ حِيَازِيمَ الرَّحِيلِ إِلَى الْأُولَى
 إِنَّ الْغَنَائِمَ فِي التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا
 لَوْ أَنَّ عُمَرَاً مِنْ طَيْبٍ يُشْتَرَى
 يَا مَوْتُ أَقْرَبُ مَنْ يَكُونُ عَلَى الْفَتَى
 يَا مَوْتُ مَا لَكَ لَا تُبْقِي مَا جَدًّا
 يَا فِتْنَةَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَءِ يَا
 يَا حَسْرَةَ الظُّرَفَاءِ وَاللُّطَفَاءِ يَا
 الْمَوْتُ حَتِّمْ يَوْمَ بَأْنِي وَعَدُّهُ
 كَمْ فَلَّ جَيْشًا كَمْ رَمَى مِنْ أَسْهُمٍ
 كَمْ خَصَّ طِفْلًا كَمْ كَوَى مِنْ وَالِدٍ
 كَمْ فَضَّ نَفْسًا كَمْ بَرَى مِنْ حَاكِمٍ
 لَا عِزَّ لِلدُّنْيَا الدِّيَّةُ أَهْلُهَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ أَعْلَامُ الْهُدَى
 يَسْقِيكُمْوَا وَيَدُورُ لِلنَّدْمَاءِ
 أَوْ عِبْرَةٌ مَمْزُوجَةٌ بِدِمَاءِ
 مُفْنِي الْوَرَاءِ وَمِخْنَةُ الْعُقَلَاءِ
 يَسْطُو عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ
 وَاخْرُجْ مِنَ الْأَذْوَاءِ وَالْحُكْمَاءِ
 لَيْسَتْ مَعَ الصَّفْرَاءِ وَالْحَمْرَاءِ
 عَاشَ الطَّيِّبُ وَلَمْ يَمُتْ بِالذَّاءِ
 تُلْقِيهِ فِي الصَّعْقَاءِ وَالرَّمْضَاءِ
 يَا هَازِمَ اللَّذَاتِ وَالسَّرَاءِ
 مُسْتَهْلِكَ الشُّرَفَاءِ وَالْخُلَفَاءِ
 مُسْتَأْصَلَ الثُّبَلَاءِ وَالنُّجَبَاءِ
 مَا وَعَدُّهُ وَعَدًّا بَغَيْرِ فَاءِ
 كَمْ فَضَّ شَمْلًا كَمْ قَضَى بَعْرَاءِ
 كَمْ هَدَّ رُكْنًا بَعْدَ دَكِّ بِنَاءِ
 مِنْ بَعْدِ عِزِّ قَائِمٍ وَحِصَاءِ
 دَارِ الْفَنَاءِ لَيْسَتْ بِدَارِ بَقَاءِ
 مِنْ صَفْوَةِ الْفُصْحَاءِ وَالنُّجَبَاءِ
 مَا سَارَ رُكْبُ الْحَجِّ فِي الْبَطْحَاءِ

اللَّهُمَّ ارحم عبادًا غرهم طول إمهالك وأطمعهم دوام إفضالك ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك
وتيقنوا أن لا غنى لهم عن سؤالك وَجَدَ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةَ وَأَغْفِرْ لَنَا وَهُمْ وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

اسمع يا من يسعى لقاعد ، ويسهر لراقد ، ويجرس لراصد ، ويزرع لحاصد ، ويبخل لباذل ،
ويجوع لآكل .

شِعْرًا: وَذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلِمُّ وَفَرًّا لَوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَن حِمَاهُ
كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيَسَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ
آخر: يُفْنِي الْبَخِيلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْوَرَاثِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةِ الْقَرِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِمُهَا وَعَيْرَهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

اسمع يا غافل لئس بمغفول عنه ، عن قليل ينهد ركنك وفي القبر سكناك ، قلب قاسي
كثلوب الكفار حرص كحرص الفار ينقب بالأظفار .

قل لي ما موقفك إذا وقعت الواقعة وقرعت القارعة وأزف لك الرحيل إلى قبرك واجتمع
الغسال والغسيل والعائد يغمز عينيه ، والحبيب يقلب كفيه .

حتى إذا انقطع نفسك وحتى على جدتك ، وانطوى زمانك وخوي جثمانك وأخرجت من
منزلك الذي بنيت وتركت مالك الذي جمعته وأبقيته .

أينفعك حينئذٍ حلال أصبته ومنعته ، أو حرام غصبته أو نشب حصنته أو ولد حضنته ، أو
ربع أسسته ، أو حطام حرسته ، أو أرضًا حوشتها .

كلا لا ينفعك إلا خَيْرُ لوجه الله أمضيته ، أو خصم أرضيته ، أو قريب وصلته وأعطيته ،
أو والدة أو والد بريته .

انتبه يا نائم واستقم يا قائم وأكثر من الزاد فإن الطريق بعيد والبحر عميق وخفف الحمل
فإن الصراط دقيق وأخلص العمل فإن الناقد بصير .

وأخر نومك إلى القبر وفرحك إلى الميزان وشهواتك وراحتك إلى الآخرة ولذاتك إلى الحور
العين .

وتقرب إلى الله جلَّ وَعَلَا بحب أهل الطاعة وبغض أهل المعاصي واهجرهم وتباعد عنهم
وَاحْذَرْ وَحَذَّرْ عنهم واسأل ربك الثبات على الإيمان حتى الممات .

ومن كلام بعضهم أما تسمعون أيها الناس داعي الموت يدعوكم ، وحاديه يحدوكم أما ترون
صرعاه في منازلكم وقتلاه بين أيديكم فقيم التصامم عن الداعي والتشاغل عن الحادي
والتعامي عن مصارع القتلى والتعافل عن مشاهدة الهلكى ، فرحم الله امرأً أيقظ نفسه في مهلة
الحياة قبل أن توظفه روعة الممات ، واستعد لما هو آت قبل الانبتات ، وحلول الفوات ،
وكأن الحكم قد وقع والخطاب قد ارتفع ، أعرض من أعرض وسمع من سمع .

شِعْرًا: قَطَعْتُ زَمَانِي حِينًا فَحِينًا أُدِيرُ مِنَ اللَّهِوِ فِيهِ فُنُونًا
وَأَهْمَلْتُ نَفْسِي وَمَا أَهْمَلْتُ وَهَوَّيْتُ مِنْ ذَاكَ مَا لَمْ يَهُونَا
وَرُبَّ سُرُورٍ شَفَى غَلَّةً وَوَلَّى فَأَعْقَبَ حُزْنًا رَصِينَا
وَكَمْ أَكَلُ سَاعَةٍ مَا يُرِيدُ يُكَابِدُ مَا أَوْرَثَتْهُ سِنِينَا
وَمَا كَانَ أَغْنَى الْفَتَى عَنْ نَعِيمٍ يَعُودُ عَلَيْهِ عَذَابًا مُهِينَا
وَكَمْ وَعَظَّتْ عِظَاةُ الزَّمَانِ لَوْ أَنِّي أَصِيخُ إِلَى الْوَاعِظِينَا
وَكَمْ دَعَانِي دَاعِي الْمُنُونِ وَأَسْمَعُ لَوْ كُنْتُ فِي السَّمْعِينَا

وَمَاذَا أُوْمِّلُ أَوْ أَرْجِيهِه وَقَدْ جُرْتُ سَبْعًا عَلَى الْأَرْعِينَا
 فَلَوْ كَانَ عَقْلِي مَعِي حَاضِرًا سَمِعْتُ لَعْمَرِي مِنْهُ أَيْنَا
 وَلَنْ يَبْرَحَ الْمَرْءُ فِي رُقْدَةٍ يَعْطُ إِلَى أَنْ يُوَافِي الْمُنُونَا
 فَتُوقِظُهُ عِنْدَهَا رُوعَةٌ يُقَطِّعُ مِنْهُ هُنَاكَ الْوَاتِينَا
 وَإِذْ ذَاكَ يَدْرِي بِمَا كَانَ فِيهِ وَتَجْلُو الْحَقَائِقُ مِنْهُ الظُّنُونَا

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَلَكِ حَزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمَخْلُصِينَ وَأَمْنَا يَوْمَ الْفِرْعِ
 الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشِرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا
 أَمَّارَةٌ تَسْلِيْمِي عَلَيكُمْ فَسَلِّمُوا
 سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
 وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَفَضْلٌ وَأَنْعَامٌ
 عَلَى الصَّحْبِ وَالْإِخْوَانِ وَالْوَالِدِ وَالْأَلِيِّ
 رَعَاهُمْ بِإِحْسَانٍ فَجَادُوا وَأَنْعَمُوا
 وَسَائِرٍ مِنَ السُّنَّةِ الْمَحْضَةِ اقْتَفَى
 وَمَا زَاغَ عَنْهَا فَهُوَ حَقٌّ مُقْوَمٌ
 أَوْلِيكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبِهِ
 وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ

وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا
 وَلَكِنْ رَوَّاسِيهَا وَأَوْتَادُهَا هُمُ
 وَلَوْلَاهُمْ كَانَتْ ظِلَامًا بِأَهْلِهَا
 وَلَا كِنَنَهُمْ فِيهَا بِدُورٍ وَأَنْجُمُ
 أَوْلِيكَ أَصْحَابِي فَحَيِّ هَلَّا بِهِمْ
 وَحَيِّ هَلَّا بِالطَّيِّبِينَ وَأَنْعَمُ
 لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ سَلَامٌ يَخُصُّهُ
 يُبَلِّغُهُ الْأَذْنَى إِلَى إِلَيْهِ وَبِنَعَمُ
 فَيَا مُحْسِنًا بَلِّغْ سَلَامِي وَقُلْ لَهُمْ
 مُحِبُّكُمْ يَدْعُو لَكُمْ وَيُسَلِّمُ
 وَيَا لَائِمِي فِي حُبِّهِمْ وَوَلَائِهِمْ
 تَأَمَّلْ هَذَاكَ اللَّهُ مَنْ هُوَ الْيَوْمُ
 بَأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيِّ حُجَّةٍ
 تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَنْقِمُ
 وَمَا الْعَارُ إِلَّا بُغْضُهُمْ وَاجْتِنَابُهُمْ
 وَحُبُّ عِدَائِهِمْ ذَاكَ عَارٌ وَمَأْتَمُّ
 أَمَا وَالَّذِي شَقَّ الْقُلُوبَ وَأَوْدَعَ الْـ
 مَحَبَّةً فِيهَا حَيْثُ لَا تَنْصَرِّمُ
 وَحَمَلَهَا قَلْبَ الْمُحِبِّ وَإِنَّهُ
 لِيَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَيَأْتَمُّ
 وَذَلَّلَهَا حَتَّى اسْتَكَانَتْ لِصَوْلَةِ الْـ
 مَحَبَّةِ لَا تَلْوَِي وَلَا تَتَلَعَّثُ

وَذَلَّلَ فِيهَا أَنْفُسًا دُونَ ذُلِّهَا
 حِيَاضُ الْمَنَائِيَا فَوْقَهَا وَهِيَ حُومٌ
 لِأَنْتُمْ عَلَى قُرْبِ الدِّيَارِ وَبُعْدِهَا
 أَحَبَّتِنَا إِنْ غِبْتُمْ أَوْ حَصَرْتُمْ
 سَأَلُوا نَسَمَاتِ الرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَلْتُمْ
 مَحَبَّةَ صَبِّ شَوْقِهِ لَيْسَ يُكْتَمُ !!
 وَشَاهِدْ هَذَا أَنَّهَا فِي هُبُوبِهَا
 تَكَادُ تَبْتُ الْوَجْدَ لَوْ تَتَكَلَّمُ
 وَكُنْتُ إِذَا مَا اشْتَدَّ بِي الشَّوْقُ وَالْجَوَى
 وَكَادَتْ عُرَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَفْصِّمُ
 أُعْلَلُ نَفْسِي بِالتَّلَاقِي وَقُرْبِهِ
 وَأُوهِمُهُمَا لَكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ
 وَأَتْبِعُ طَرْفِي وَجْهَةً أَنْتُمْ بِهَا
 فَلِي بِحَمَاهَا مَرَبَعٌ وَمُخَيِّمٌ
 وَأَذْكَرُ بَيْتًا قَالَهُ بَعْضُ مَنْ خَلَا
 وَقَدْ ضَلَّ عَنْهُ صَبْرُهُ فَهُوَ مُعْرَمٌ
 (أَسْأَلُ عَنكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ
 وَأُومِي إِلَيَّ أَوْطَانِكُمْ وَأَسْأَلُ)
 وَكَمْ يَصْبِرُ الْمُشْتَاقُ عَمَّنْ يُحِبُّهُ
 وَفِي قَلْبِهِ نَارُ الْأَسَى تَتَضَرَّمُ
 أَمَّا وَالَّذِي حَجَّ الْمُحِبُّونَ بَيْتَهُ
 وَلَبُّوا لَهُ عِنْدَ الْمَهَلِّ وَأَحْرَمُوا

وَقَدْ كَشَفُوا تِلْكَ الرُّؤُوسِ تَوَاضِعًا
 لِعِزَّةٍ مَنْ تَعْنُوا الْوُجُوهُ وَتَسْلِمُ
 يُهْلُونَ بِالْيَدَاءِ لَبَّيْكَ رَبَّنَا
 لَكَ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الَّذِي أَنْتَ تَعْلَمُ
 دَعَاهُمْ فَلَبُّوهُ رِضَىً وَمَحَبَّةً
 فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمْ
 تَرَاهُمْ عَلَى الْإِنْضَاءِ شُعْتًا رُؤُوسُهُمْ
 وَغُبْرًا وَهُمْ فِيهَا أَسْرُ وَأَنْعَمُ
 وَقَدْ فَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْأَهْلَ رَغْبَةً
 وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهِمْ لَدَائِهِمْ وَالتَّيْنُ
 يَسِيرُونَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَفِجَاجِهَا
 رَجَالًا وَرُكْبَانًا وَلِلَّهِ أَسْلَمُوا
 وَلَمَّا رَأَتْ أَبْصَارُهُمْ بَيْتَهُ الَّذِي
 قُلُوبُ الْبُورَى شَوْقًا إِلَيْهِ تَضَرَّمُ
 كَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْصِبُوا قَطُّ قَبْلَهُ
 لِأَنَّ شَقَاهُمْ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُمْ
 فَلِلَّهِ كَمِ مِنْ عِبْرَةٍ مُهْرَاقَةٍ
 وَأُخْرَى عَلَى آثَارِهَا تَتَقَدَّمُ
 وَقَدْ شَرِقتْ عَيْنُ الْمُحِبِّ بِدَمْعِهَا
 فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدُّمُوعِ وَيُسْجِمُ
 إِذَا عَايَنَتْهُ الْعَيْنُ زَالَ ظِلَامُهَا
 وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْكَيْبُ التَّالِمُ

وَلَا يَعْرِفُ الطَّرْفُ الْمُعَايِنُ حُسْنَهُ
 إِلَى أَنْ يَعُودَ الطَّرْفُ وَالشَّوْقُ أَعْظَمُ
 وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَا فَحِينٍ أَضَافَهُ
 إِلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَنُ فَهُوَ الْمُعْظَمُ
 كَسَاهُ مِنَ الْإِجْلَالِ أَعْظَمَ حُلَّةٍ
 عَلَيْهَا طِرَازُ بِالْمَلَاخَةِ مُعَلَّمُ
 فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلِّ الْقُلُوبِ تُحِبُّهُ
 وَتَخْضَعُ لِجَلَالِهِ وَتُعْظَمُ
 وَرَاحُوا إِلَى التَّعْرِيفِ يَرْجُونَ رَحْمَةً
 وَمَغْفِرَةً مِمَّنْ يَجُودُ وَيُكْرِمُ
 فَلِلَّهِ ذَاكَ الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ الَّذِي
 كَمَوْقِفِ الْعَرْضِ بَلْ ذَاكَ أَعْظَمُ
 وَيَذُنُّو بِهِ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
 يُبَاهِي بِهِمْ أَمْلَاكُهُ فَهُوَ أَكْرَمُ
 يَقُولُ عِبَادِي قَدْ أَتَوْنِي مَحَبَّةً
 وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أَجْوَدُ وَأَرْحَمُ
 فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ
 وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا أَمَلُواهُ وَأَنْعَمُ
 فَبَشِّرَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَا الْمَوْقِفِ الَّذِي
 بِهِ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَيَرْحَمُ
 وَمَا رُؤِيَ الشَّيْطَانُ أَغِيظُ فِي الْوَرَى
 وَأَحْقَرُ مِنْهُ عِنْدَهَا وَهُوَ الْأَمُّ

وَذَاكَ لِأَمْرٍ قَدْ رَأَاهُ فَعَاظَهُ
 فَأَقْبَلَ يَحْتُسُو التُّرْبَ غَيْظًا وَيَلْطِمُ
 وَمَا عَايَنْتَ عَيْنَاهُ مِنْ رَحْمَةٍ أَتَتْ
 وَمَغْفِرَةٍ مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ تُقَسِّمُ
 بَنَى مَا بَنَى حَتَّى ظَنَّ أَنَّه
 تَمَكَّنَ مِنْ بُنْيَانِهِ فَهُوَ مُحْكَمُ
 أَتَى اللَّهَ بُنْيَانًا لَهُ مِنْ أَسَاسِهِ
 فَخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَتَهَدَّمُ
 وَكَمْ قَدَرٌ مَا يَعْلُوا الْبِنَاءُ وَيَنْتَهِي
 إِذَا كَانَ يُبْنِيهِ وَذُو الْعَرْشِ يَهْدِمُ !!
 وَرَاحُوا إِلَى جَمْعٍ فَبَاتُوا بِمَشْعَرِ الْ
 حَرَامِ وَصَلُّوا الْفَجْرَ ثُمَّ تَقَدَّمُوا
 إِلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى يُرِيدُونَ رَمِيهَا
 لَوَقَّتِ صَلَاةَ الْعِيدِ ثُمَّ تَيَمَّمُوا
 مَنَازِلَهُمْ لِلنَّخْرِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ
 وَإِحْيَاءَ نُسُكٍ مِنْ أَبِيهِمْ يُعْظَمُ
 فَلَوْ كَانَ يُرْضِي اللَّهَ نَحَرُ نَفُوسِهِمْ
 لَدَانُوا بِهِ طَوْعًا وَلِلْأَمْرِ سَلَّمُوا
 كَمَا بَدَلُوا عِنْدَ الْجِهَادِ نُحُورَهُمْ
 لِأَعْدَائِهِ حَتَّى جَرَى مِنْهُمْ الدَّمُ
 وَلَكِنَّهُمْ دَانُوا بِوَضْعِ رُؤُوسِهِمْ

وَذَلِكَ دُلٌّ لِلْعَبِيدِ وَمِيسَرٌ
 وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِكَ التَّفَثَ الَّذِي
 عَلَيهِمْ وَأَوْفُوا نَذْرَهُمْ ثُمَّ تَمَّوْا
 دَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ زِيَارَةً
 فَيَا مَرْحَبًا بِالزَّائِرِينَ وَأَكْرَمُ
 فَلَيْلَهُ مَا أَبْهَى زِيَارَتَهُمْ لَهُ !!
 وَقَدْ حُصِّلَتْ تِلْكَ الْجَوَائِزُ تُقَسَّمُ
 وَلِلَّهِ إِفْضَالٌ هُنَاكَ وَنِعْمَةٌ
 وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَجُودٌ وَمَرْحَمٌ
 وَعَادُوا إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى
 وَنَالُوا مِنْهَا مِنْ عِنْدِهَا وَتَنَعَّمُوا
 أَقَامُوا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا ثَلَاثًا
 وَأُذِّنْ فِيهِمْ بِالرَّحِيلِ وَأَعْلِمُوا
 وَرَاحُوا إِلَى رَمِي الْجِمَارِ عَشِيَّةً
 شِعَارُهُمُ التَّكْيِيرُ وَاللَّهُ مَعَهُمْ
 فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَوْقِفَهُمْ بِهَا
 وَقَدْ بَسَطُوا تِلْكَ الْأَكْفَافَ لِيُرْحَمُوا
 يُنَادُونَهُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ إِنَّا
 عَيْبِدُكَ لَا نَدْعُو سِوَاكَ وَتَعَلَّمُوا
 وَهَذَا نَحْنُ نَرْجُو مِنْكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
 فَأَنْتَ الَّذِي تُعْطِي الْجَزِيلَ وَتُنْعِمُ
 وَلَمَّا تَقَضَّوْا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ

وَسَأَلْتُ بِهِمْ تِلْكَ الْبَطَاحُ تَقَدَّمُوا
 إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَشِيَّةً
 وَطَافُوا بِهَا سَبْعًا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا
 وَلَمَّا دَنَا التَّوْدِيْعُ مِنْهُمْ وَأَيَّقُوا
 بِأَنَّ التَّوْدَانِيَّ حَبْلُهُ مُتَصَرِّمٌ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَقْفَةٌ لِمُودِعٍ
 فَلِلَّهِ أَجْفَانٌ هُنَالِكَ تَسْجُمٌ !!
 وَلِلَّهِ أَكْبَادٌ هُنَالِكَ أُودِعَ الْ—
 غَرَامٌ بِهَا !! فَالْتَّارُ فِيهَا تَضَرِّمٌ
 وَلِلَّهِ أَنْفَاسٌ يَكَادُ بِحَرْهَا
 يَأْذُوبُ الْمَحِيبُ الْمُسْتَهَامُ الْمَتِيْمُ
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا بَاهِتًا مُتَحَيِّرًا
 وَأَخْرَجَ يُبْدِي شَجْوَهُ يَتَرَّمُ
 رَحَلْتُ وَأَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ مُقِيْمَةٌ
 وَنَارُ الْأَسَى مِنِّْي تُشَبُّ وَتُضَرَّمُ
 أُودِعُكُمْ وَالشُّوقُ يَشِي أَعْتِي
 وَقَلْبِي أَمْسَى فِي حِمَاكُمْ مُخَيْمُ
 هُنَالِكَ لَا تَشْرِيْبَ يَوْمًا عَلَى امْرِي
 إِذَا مَا بَدَا مِنْهُ الَّذِي كَانَ يَكْتُمُ
 فَيَا سَائِقِينَ الْعَيْسَ بِاللَّهِ رَبُّكُمْ
 فَقُّوا لِي عَلَى تِلْكَ الرُّبُوعِ وَسَلَّمُوا
 وَقُولُوا مُحِبِّ قَادَةَ الشُّوقِ نَحْوَكُمْ

قَضَى نَحْبَهُ فِيكُمْ تَعِيشُوا وَتَسْلَمُوا
 قَضَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِيمَا قَضَى بِهِ
 بِأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي الْقُلُوبَ وَيُؤْبِكُمْ
 وَحُبُّكُمْ أَضَلُّ الْهُدَى وَمَدَارُهُ
 عَلَيْهِ وَفَوْزٌ لِلْمُحِبِّ وَمَغْنَمٌ
 وَتَفْنَى عِظَامُ الصَّبِّ بَعْدَ مَمَاتِهِ
 وَأَشْوَاقُهُ وَقَفُّ عَلَيْهِ مُحَرَّمٌ
 فَيَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي مَلَكَ الْهَوَى
 أَرَمْتَهُ حَتَّى مَتَى ذَا التَّلَؤُمُ؟!
 وَحَتَّامَ لَا تَصْحُوا؟! وَقَدْ قَرَّبَ الْمَدَى
 وَدَنَّتْ كُؤُوسُ السَّيْرِ وَالنَّاسُ نُومٌ
 بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
 وَيَبْدُو لَكَ الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ تَكْتُمُ
 وَيَا مُوقِدًا نَارًا لِغَيْرِكَ ضَوْوُهَا
 وَحَرُّ لظَاهَا بَيْنَ جَنْبَيْكَ يُضْرَمُ
 أَهَذَا جَنَى الْعِلْمِ الَّذِي قَدْ رَضِيَتْهُ
 لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ جَاهٌ وَدِرْهَمٌ؟!
 وَهَذَا هُوَ الرِّيحُ الَّذِي قَدْ كَسَبَتْهُ؟!
 لَعْمَرُكَ لَا رِيحٌ وَلَا الْأَصْلُ يَسْلَمُ!!
 بَخِلْتَ بِشَيْءٍ لَا يَضُرُّكَ بَدْلُهُ
 وَجُدْتَ بِشَيْءٍ مِثْلُهُ لَا يَقُومُ
 بَخِلْتَ بِذَا الْحِطِّ الْحَسِيسِ دَنَاءَةً

وَجُدْتَ بِدَارِ الْخُلْدِ لَوْ كُنْتَ تَفْهَمُ
 وَبَعْتَ نَعِيمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا
 نَظِيرَ بَبْخَسٍ عَنِ قَلِيلٍ سَ يُعْذَمُ
 فَهَلَا عَكَسْتَ الْأَمْرَ إِنْ كُنْتَ حَارِمًا
 وَلَكِنْ أَضَعْتَ الْحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ
 وَتَهْدِمُ مَا تَبْنِي بِكَفِّكَ جَاهِدًا
 فَأَنْتَ مَدَى الْأَيَّامِ تَبْنِي وَتَهْدِمُ
 وَعِنْدَ مُرَادِ اللَّهِ تَفَنَّى كَمِيَّتِ
 وَعِنْدَ مُرَادِ النَّفْسِ تُسْهِدِي وَتُلْحِمُ
 وَعِنْدَ خِلَافِ الْأَمْرِ تَحْتَجُّ بِالْقَضَا
 ظَهِيرًا عَلَى الرَّحْمَنِ لِلْجَبْرِ تَزْعُمُ
 تَنْزَهُ مِنْكَ النَّفْسُ عَنِ سُوءِ فِعْلِهَا
 وَتَعْتِيبُ أَفْـدَارَ الْإِلَهِ وَتَظْلِمُ
 تَحُلُّ أُمُورًا أَحْكَمَ الشَّرْعِ عَقْدَهَا
 وَتَقْضُدُ مَا قَدْ حَلَّهُ الشَّرْعُ تُبْرِمُ
 وَتَفْهَمُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ خِلَافَ مَا
 أَرَادَ لِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُعْجَبٌ
 مُطِيعٌ لِدَاعِي الْغَيِّ عَاصٍ لِرُشْدِهِ
 إِلَى رَبِّهِ يَوْمًا يُرَدُّ وَيَعْلَمُ
 مُضِيحٌ لِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ غَشَّ نَفْسَهُ
 مُهَيِّنٌ لَهَا أَنْ يَحِبُّ وَيُكْرِمُ
 بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أَسْرَعٌ لِلْخَنَا

مِّنَ السَّيْلِ فِي مَجْرَاهُ لَا يَتَّقَسُّمُ
 وَتَزْعُمُ مَعَهُ هَذَا بِأَنَّكَ عَارِفٌ
 كَذَبْتَ يَقِينًا بِالَّذِي أَنْتَ تَزْعُمُ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ
 وَأَنَّكَ بَيْنَ الْجَاهِلِينَ مُقَدَّمٌ
 إِذَا كَانَ هَذَا نُصْحٌ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنْهُ الْهُدَى يُتَعَلَّمُ؟!
 وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ قَدْ قَالَ مَنْ مَضَى
 وَأَحْسَنَ فِيهَا قَالَهُ الْمُتَكَلِّمُ
 (فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِتِلْكَ مُصِيبَةً
 وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ)
 وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا
 رَأَيْتَ خَيْالًا فِي مَنَامٍ سَيُضْرَمُ
 كَحُلْمِ بَطِينٍ زَارَ فِي النَّوْمِ وَانْقَضَى الْ)
 مَنَامٌ وَرَاحَ الطَّيْفُ وَالصَّبُّ مُغْرَمٌ
 وَظِلٌّ أَرْتَهُ الشَّمْسَ عِنْدَ طُلُوعِهَا
 سَيَقْلُصُ فِي وَقْتِ الزَّوَالِ وَيُنْفِصُ
 وَمُزْنَةٌ صَيْفٍ طَابَ مِنْهَا مَقِيلُهَا
 فَوَلَّتْ سَرِيبًا وَالْحُرُورُ تَصْرَمُ
 وَمَطْعَمٌ ضَيْفٍ لَدَى مِنْهُ مَسَاعُهُ
 وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَالُهُ تِلْكَ تُعْلَمُ
 كَذَا هَذِهِ الدُّنْيَا كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ

وَمِنْ بَعْدِهَا دَارُ الْبَقَاءِ سَتَقْدُمُ
 فَجُزْهَا مَمَرًا لَا مَقَرًّا وَكُنْ بِهَا
 غَرِيًّا تَعَشِ فِيهَا حَمِيدًا وَتَسْلَمُ
 أَوْ ابْنَ سَبِيلٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ
 وَرَاحٍ وَخَلَّى ظِلَّهَا يَتَقَسَّمُ
 أَخَا سَفَرٍ لَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُ
 إِلَيَّ أَنْ يَرَى أَوْطَانَهُ وَيُسَلِّمُ
 فَيَا عَجَبًا !! كَمْ مَصْرَعٌ وَعَظَتْ بِهِ
 بَيْنَهَا !! وَلَكِنْ عَنِ مَصَارِعِهَا عَمُوا
 سَقَتَهُمْ كُؤُوسَ الْحَبِّ حَتَّى إِذَا نَشُوا
 سَقَتَهُمْ كُؤُوسَ السُّمِّ وَالْقَوْمُ نَوْمٌ
 وَأَعْجَبُ مَا فِي الْعَبْدِ رُؤْيَا هَذِهِ الْـ
 عَظَائِمِ وَالْمَغْرُورُ فِيهَا مُتَمِيمٌ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ خَمْرَةَ حُبَّهَا
 لَتَسْلُبُ عَقْلَ الْمَرْءِ مِنْهُ وَتَصْلِمُ
 وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّ أَحْبَابَهَا الْأَلْيَ
 تَهَيِّنُ وَلِلْأَعْدَاءِ تُرَاعِي وَتُكْرِمُ
 وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَيَّ أَنَّ قَدْرَهَا
 جَنَاحُ بَعُوضٍ أَوْ أَدَقُّ وَالْأُمَّ
 وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثَّلًا
 لَهَا وَلِدَارِ الْخُلْدِ وَالْحَقُّ يُفْهَمُ
 كَمَا يُدَلِّي الْإِنْسَانُ فِي الْيَمِّ أَصْبَعًا

وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً
 عَلَيَّ حَادِرٍ مِنْهَا وَأَمْرِي مُبْرَمٌ
 وَهَلْ أَرْدَنَ مَاءَ الْحَيَاةِ وَأَرْتَوِي
 عَلَيَّ ظَمًا مِنْ حَوْضِهِ وَهُوَ مُفْعَمٌ
 وَهَلْ تَبْدُونَ أَعْلَامَهَا بَعْدَ مَا سَفَتُ
 عَلَيَّ رَبْعَهَا تِلْكَ السَّوَافِي فَتُعْلَمُ
 وَهَلْ أَفْرِشَنَ خَدِّي تَرَى عَتَاتِهِمْ
 خُضُوعًا لَهُمْ كَيْمًا يَرْقُوا وَيَرْحَمُوا
 وَهَلْ أَرْمِينَ نَفْسِي طَرِيحًا بِأَيْهِمْ
 وَطَيْرُ مَنَائِيَا الْحُجْبِ فَوْقِي تُحَوِّمُ
 فَيَا أَسْفِي تَفْنَى الْحَيَاةُ وَتَنْقُضِي
 وَذَا الْعُتْبُ بَاقٍ مَا بَقِيْتُمْ وَعِشْتُمْ
 فَمَا مِنْكُمْ بُدٌّ وَلَا عَنْكُمْ غِنَى
 وَمَا لِي مِنْ صَبْرٍ فَأَسْأَلُوا عَنْكُمْ
 وَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكُمْ فَلَا إِذَا
 إِذَا كُنْتُمْ عَنْ عِبَادِكُمْ قَدْ رَضِيْتُمْ
 وَعُقْبَى اصْطِبَارِي فِي هَوَاكُمُ حَمِيدَةٌ
 وَلَكِنَّهَا عَنْ نِكْمِ عِقَابٍ وَمَأْتُمْ
 وَمَا أَنَا بِالشَّاكِي لِمَا تَرْتَضُونَهُ
 وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ وَأَسْأَلُ
 وَحَسْبِي انْتِسَابِي مِنْ بَعِيدِ إِلَيْكُمْ

أَلَا إِنَّهُ حَظُّ عَظِيمٍ مُفَعَّخٍ مُ
إِذَا قِيلَ هَذَا عَبْدُهُمْ وَمُحِبُّهُمْ
تَهَلَّلَ بِشَرًّا وَجْهَهُ يَتَبَسَّ مُ
وَهَا هُوَ قَدْ أَنْدَى الصَّرَاعَةَ سَائِلًا
لَكُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْقَالِ مُعْلِمٍ
أَحْبَبْتَهُ عَطْفًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ
لَمْظَمِي وَإِنَّ الْمَوْرِدَ الْعَذْبَ أَنْتُمْ
فِيَا سَاهِيًّا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى
صَارِيحَ الْأَمَانِي عَنِ قَرِيبٍ سَتْتَنَدُمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَا الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرٍّ نَارٍ تَضَرَّمُ
وَبِالسُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تُفْصَمُ
تَمَسِّكَ بِهَا مَسْكُ الْبُخَيْلِ بِمَالِهِ
وَعُضٌّ عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ تَسْلَمُ
وَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا
فَمُرَّتْ عُهُدَاتِيكَ الْحَوَادِثِ أَوْخَمُ
وَهِيَءُ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النَّدَا
مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ
بِهِ رُسُلِي لَمَّا أَتَوْكُمْ فَمَنْ يَكُنْ
أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
وَأَخَذَ مِنْ تُقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ

لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمَ
 وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا
 فَهَآوٍ وَمَخْدُوشٍ وَنَجَاجٍ مُسَلَّمٍ
 وَيَأْتِي إِلَيْهِ الْعَالَمِينَ لَوْعَدِهِ
 فَيَفْصُلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رُبُّكَ حَقَّهُ
 فَيَا بُرُوسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ !!
 وَيُنْشَرُ دِيْوَانُ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الْـ
 مَوَازِينُ بِالْقَسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
 وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
 وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
 كَذَلِكَ عَلَى فِيهِ الْمُهَيِّمِ يَخْتِمُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي !! كَيْفَ حَالِكَ عِنْدَمَا
 تَطَّأِيْرُ كُتُبُ الْعَالَمِينَ وَتُقَسَّمُ !!؟
 أَتَأْخُذُ بِالْيَمْنَى كِتَابِكَ أَمْ تَكُنْ
 بِالْأُخْرَى وَرَاءَ الظُّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمُ
 وَتَقْرَأُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ عَمَلْتَهُ
 فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهَةُ أَوْ هُوَ يَظْلِمُ
 تَقُولُ كِتَابِي فَاقْرُؤْهُ فَإِنَّهُ
 يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعْلِمُ
 وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ

أَلَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ
فَبَادِرُ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمْرِ فُسْحَةٌ
وَعَدْلِكَ مَقْبُولٌ وَصَرْفِكَ قَائِمٌ
وَجُدِّ وَسَارِعِ وَاعْتَنِمْ زَمَانَ الصَّبَا
فَفِي زَمَانِ الْإِمْكَانِ تَسْمَعِي وَتَغْنَمُ
وَسِرُّ مُسْرِعًا فَالَسَّيْلُ خَلْفَكَ مُسْرِعٌ
وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ وَمَهْزَمٌ !!
(فَهِنَّ الْمَنَائِبَا أَيَّ وَاذِ نَزَلْتَهُ
عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا غَيْرَةٌ أَنْ يَنَالَهَا
سَوَى كُفُوهَا وَالرَّبُّ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ
وَإِنْ حُجِبَتْ عَنَّا بِكُلِّ كَرِيهَةٍ
وَحَقَّقَتْ بِمَا يُؤْذِي الثُّفُوسَ وَيُؤْلَمُ
فَلِلَّهِ مَا فِي حَشْوِهَا مِنْ مَسَرَّةٍ
وَأَصْنَافٍ لَكَذَاتِ بِهَا يُتَنَعَّمُ !!
وَلِلَّهِ بَرْدُ الْعَيْشِ بَيْنَ خِيَامِهَا
وَرَوْضَاتِهَا وَالثَّغْرِ فِي الرَّوْضِ يَبْسَمُ
فَلِلَّهِ وَاذِيهَا الَّذِي هُوَ مُوعِدُ الْ
مَزِيدِ لَوْفِدِ الْحُبِّ لَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ
بِذِيالِكَ الْوَادِي يَهِيْمُ صَبَابَةً
مُحِبُّ يَرَى أَنَّ الصَّابَةَ مَغْنَمٌ !
وَلِلَّهِ أَفْرَاحُ الْمُحِبِّينَ عِنْدَمَا

يُحَاطِبُهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيُسَلِّمُ
وَلِلَّهِ أَبْصَارُ تَرَى اللَّهُ جَهْرَةً
فَلَا الضَّمِيمُ يَغْشَاهَا وَلَا هِيَ تَسْأَمُ
فِيَا نَظْرَةً أَهْدَتْ إِلَى الْوَجْهِ نَضْرَةً
أَمِنْ بَعْدِهَا يَسْأَلُوا الْمُحِبُّ الْمُتَمِيمُ؟
وَلِلَّهِ كَمِ مِنْ خَيْرَةٍ لَوْ تَبَسَّمتْ
أَضَاءَ لَهَا نُورٌ مِنَ الْفَجْرِ أَعْظَمُ
فِيَا لَذَّةَ الْأَبْصَارِ إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ
وَيَا لَذَّةَ الْأَسْمَاعِ حِينَ تَكَلَّمُ
وَيَا خَجَلَةَ الْعُضُنِ الرَّطِيبِ إِذَا انْتَنَتْ
وَيَا خَجَلَةَ الْبَحْرَيْنِ حِينَ تَبَسَّمُ؟؟
فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ عَلِيلٍ بِحُبِّهَا
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَضَلُّهَا لَكَ مَرْهَمُ
وَلَا سِيَّمًا فِي لَثْمِهَا عِنْدَ ضَمِّهَا
وَقَدْ صَارَ مِنْهَا تَحْتَ جِيدِكَ مِعْصَمُ
يَرَاهَا إِذَا أَبَدَتْ لَهُ حُسْنَ وَجْهَهَا
يَلْدُ بِهَا قَبْلَ الْوَصَالِ وَيَنْعَمُ
تَفَكَّهُ مِنْهَا الْعَيْنُ عِنْدَ اجْتِلَاهِهَا
فَوَاكِهَ شَتَّى طَلَعَهَا لَيْسَ يُعْدِمُ
عَنَاقِدُ مِنْ كَرِيمٍ وَتَفَاحُ جَنَّةٍ
وَرَمَّانُ أَغْصَانٍ بِهَا الْقَلْبُ مُغْرَمُ
وَلِلْوَرْدِ مَا قَدْ أَلْبَسَتْهُ خُدُودُهَا

وَلِلْحَمْرِ مَا قَدْ ضَمَّهُ الرِّبْقُ وَالْفَمُّ
 تَقَسَّمْ مِنْهَا الْحُسْنَ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ
 فَيَا عَجَبًا مِنْ وَاحِدٍ يَتَقَسَّمُ
 تُذَكِّرُ بِالرَّحْمَنِ مَنْ هُوَ نَاطِرٌ
 فَيَنْطِقُ بِالتَّسْبِيحِ لَا يَتَلَعَّثُ
 لَهَا فِرْقٌ شَتَّى مِنَ الْحُسْنِ أَجْمَعَتْ
 بِجُمَلَتِهَا إِنْ السُّلُوَ مُحْرَمٌ
 إِذَا قَابَلَتْ جَيْشَ الْهُمومِ بِوَجْهِهَا
 تَوَلَّى عَلَى أَعْقَابِهِ الْجَيْشُ يُهْرَمُ
 فَيَا خَاطِبَ الْحَسَنَاءِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا
 فَهَذَا زَمَانُ الْمَهْرِ فَهُوَ الْمَقْدَمُ
 وَلَمَّا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِغُضْنِهَا
 تَبَيَّنَ حَقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ
 وَكُنْ مُبْغِضًا لِلْخَائِنَاتِ لِجَبِّهَا
 لَتُحْظَى بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمُ
 وَكُنْ أَيْمًا مِمَّا سِوَاهَا فَإِنَّهَا
 لِمِثْلِكَ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ تَأَيَّمُ
 وَصُمْ يَوْمَكَ الْأَدْنَى لَعَلَّكَ فِي غَدٍ
 تُفُوزُ بِعِيدِ الْفِطْرِ وَالنَّاسِ صُومُ
 وَأَقْدَمُ وَلَا تَقْنَعْ بِعَيْشٍ مُنْغَصٍ
 فَمَا فَازَ بِاللَّذَاتِ مَنْ لَيْسَ يُقْدِمُ
 وَإِنْ صَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرَهَا

وَلَمْ يَكُ فِيهَا مَنْزِلٌ لَكَ يُعَلِّمُ
 فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
 مَنَازِلُكَ الْأَوْلَىٰ وَفِيهَا الْمُخِيمُ
 وَلَكِنَّا سَبِيُّ الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَىٰ
 نُرَدُّ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَىٰ
 وَشَطَّطَ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهُوَ مُعْرَمُ
 وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي
 لَهَا أَضْحَتْ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمُ
 وَحَيَّ عَلَىٰ رَوْضَاتِهَا وَخِيَامِهَا
 وَحَيَّ عَلَىٰ عَيْشٍ بِهَا لَيْسَ يَسْأَمُ
 وَحَيَّ عَلَىٰ السُّوقِ الَّذِي يَلْتَقِي بِهِ الْـ
 مُجْتَبُونَ ذَاكَ السُّوقِ لِلْقَوْمِ يُعَلِّمُ
 فَمَا شِئْتَ خُذْ مِنْهُ بِمَا تَمَنَّىٰ لَهُ
 فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ فِيهِ وَأَسْلَمُوا
 وَحَيَّ عَلَىٰ يَوْمِ الْمَزِيدِ فَإِنَّهُ
 لِمَوْعِدُ أَهْلِ الْحُبِّ حِينَ يُكْرَمُوا
 وَحَيَّ عَلَىٰ وَادِ هُنَالِكَ أَفِيحِ
 وَتُرْبُتُهُ مِنْ أَذْفَرِ الْمِسْكَ أَعْظَمُ
 مَنَابِرُ مِنْ نُورِ هُنَاكَ وَفِضَّةٍ
 وَمِنْ خَالِصِ الْعَقِيَانِ لَا تَنْفَصِّمُ
 وَمِنْ حَوْلِهَا كُتُبَانُ مِسْكَ مَقَاعِدُ

لَمَنْ دُونَهُمْ هَذَا الْعَطَاءُ الْمَفْحَمُ
يَرُونَ بِهِ الرَّحْمَنَ جَلَّ جَلَالُهُ
كَرُوبِيَّةَ بَدْرِ السَّمِّ لَا يُتِيهِمْ
كَذَا الشَّمْسُ صَحْوًا لَيْسَ مِنْ دُونِ أَفْقِهَا
سَحَابٌ وَلَا غَيْمٌ هُنَاكَ يُغَيِّمُ
فَبَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَأَرْزَاقُهُمْ تَجْرِي عَلَيْهِمْ وَتُقَسِّمُ
إِذَا هُمْ بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ
وَقَدْ رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ فَإِذَا هُمْ
بِرَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ قَائِلٌ لَهُمْ :
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ وَنِعْمَ سَلِيمٌ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَسْمَعُونَ جَمِيعُهُمْ
بِأَذَانِهِمْ تَسْلِيمَةً إِذْ يُسَلِّمُ
يَقُولُ سَلُونِي مَا أَسْتَهَيِّتُمْ فَكُلَّ مَا
تُرِيدُونَ عِنْدِي إِنِّي أَنَا أَرْحَمُ
فَقَالُوا جَمِيعًا نَحْنُ نَسْأَلُكَ الرَّضَى
فَأَنْتَ الَّذِي تُؤَلِّي الْجَمِيلَ وَتَرْحَمُ
فَيُعْطِيهِمْ هَذَا وَيُشْهِدُ جَمْعَهُمْ
عَلَيْهِ تَعَالَى اللَّهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ
فَبِاللَّهِ مَا عُذْرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ
بِهَِذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ وَيُقَدِّمُ؟!
وَلَكِنَّمَا التَّوْفِيقُ بِاللَّهِ إِنَّهُ

يُخْصُّ بِهِ مَنْ شَاءَ فَضْلاً وَيَنْعَمُ
فِيَا بَائِعًا غَالٍ بِبَخْسٍ مُعْجَلٍ
كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بَلَى سَوْفَ تَعْلَمُ
فَقَدِّمِ فَدَتَكَ النَّفْسُ نَفْسَكَ إِنَّهَا
هِيَ السِّمْنُ الْمَبْدُولُ حِينَ تُسَلِّمُ
وَحُضْ عَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَارْقَ مَعَارِجِ الْ
مَحَبَّةِ فِي مَرَضَاتِهِمْ تَتَسَنَّمُ
وَسَلِّمْ لَهُمْ مَا عَاقَدُوكَ عَلَيْهِ إِنَّ
تُردُّ مِنْهُمْ أَنْ يَبْذُلُوا وَيُسَلِّمُوا
فَمَا ظَفِرَتْ بِالْوَصْلِ نَفْسٌ مُهَيِّنَةٌ
وَلَا فَارَ عَبْدٌ بِالْبَطَالَةِ يَنْعَمُ
وَإِنْ تَكُ قَدْ عَاقَبْتَ سَعْدَى فَقَلْبُكَ الْ
مُعْنَى رَهْمِيْنُ فِي يَدَيْهَا مُسَلِّمُ
وَقَدْ سَاعَدَتْ بِالْوَصْلِ غَيْرَكَ فَالْهُوَى
لَهَا مِنْكَ وَالْوَاشِي بِهَا يَتَنَعَّمُ
فَدَعَهَا وَسَلِّ النَّفْسَ عَنْهَا بِجَنَّةِ
مِنَ الْعِلْمِ فِي رَوْضَاتِهَا الْحَقُّ يَبْسِمُ
وَقَدْ ذُلَّتْ مِنْهَا الْقُطُوفُ فَمَنْ يُرِدُ
جَنَاهَا يَنْلُهُ كَيْفَ شَاءَ وَيَطْعَمُ
وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَتَزَيَّنَتْ
لِحُطَابِهَا فَالْحُسْنُ فِيهَا مُقَسَّمُ
وَقَدْ طَابَ مِنْهَا نَزْلُهَا وَنَزِيلُهَا

فَطُوبَى لِمَنْ حَلَّوْا بِهَا وَتَنَعَّمُوا
 أَقَامَ عَلَى أَبْوَابِهَا دَاعِيَ الْهُدَى
 هَلِمْوْا إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ تَعْنَمُوا
 وَقَدْ غَرَسَ الرَّحْمَنُ فِيهَا غِرَاسَةً
 مِنَ النَّاسِ وَالرَّحْمَنُ بِالْخَلْقِ أَعْلَمُ
 وَمَنْ يَغْرِسِ فِيهَا فَإِنَّهُ
 سَعِيدٌ وَإِلَّا فَالشَّقَاءُ مُحَرَّمٌ

اللَّهُمَّ وفقنا لقول الحق وإتباعه وخلصنا من وساوس قلوبنا الحاملة على التورط في هوة الباطل وابتداعه واجعل إيماننا إيمانًا خالصًا صادقًا قويًا وكن لنا مؤيدًا ولا تجعل لفاجر علينا يداً واجعل عيشنا عيشًا رغدًا . ولا تشمت بنا عدوًا ولا حاسدًا وارزقنا في محبتك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وعملاً متقبلاً وحفظًا كاملاً وفهمًا ذكيًا وطبعًا صفيًا وأدبًا مرضيًا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

في الشفاعة العظمى

تأمل ما في حديث الشفاعة العظمى الَّذِي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : كنا مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوة ، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نُهسة وَقَالَ : « أَنَا سيد النَّاسِ يوم القيامة هل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنون منهُم الشمس ، فيبلغ النَّاسُ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول النَّاسُ : ألا ترون إلى ما أنتم فيه وإلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض النَّاسِ لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحنُ فيه وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن

الشجرة فعصيت ، نفسي ، نفسي ، نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول رسول إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدًا شكورًا ، ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول: إن ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وحليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ، فذكرها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربِّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفسيًا لم أومر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، اشفع لنا عند ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربِّي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبًا ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون : يا محمدًا أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأطلق فآتي العرش فأقع ساجدًا لربي ، ثم يفتح الله علي من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمي يا رب ، يا رب أمي يا رب ، فيقال : يا محمد أدخل من أمتك لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، - ثم قال - : واللذي نفسي بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما

بين مكة و هجر ، أو كما بين مكة وبصرى . رواه البخاري ، ومسلم . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ توفنا مسلمين وألحقنا بعبادك الصالحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: إِلَهُ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ وَرَبُّ الرِّاسِيَّاتِ مِنَ الْجِبَالِ

بِنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعًا شِدَادًا

بِإِلَهِ عَمَدٍ يُرِينُ وَلَا رِجَالِ

وَسَوَّاهَا وَزَيَّنَهَا بِبُورِ

مِنَ الشَّمْسِ الْمَضِيَّةِ وَالْهَلَالِ

وَمِنْ شُهْبٍ تَلَأُ فِي دُجَاهَا

مَرَامِيهَا أَشَدُّ مِنَ النَّصَالِي

وَشَقَّ الْأَرْضَ فَاَنْبَجَسَتْ عُيُونًا

وَأَنَّهُ هَارًا مِنَ الْعَذْبِ الزَّلَالِ

وَبَارَكَ فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى

بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالِ

فَكُلُّ مَعْمَرٍ لَا بُدَّ يَوْمًا

وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى الزَّوَالِ

وَيَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى
 سِوَى الْبَاقِي الْمَقْدَسِ ذِي الْجَلَالِ
 وَسَيْقَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ
 إِلَيَّ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَالنَّكَالِ
 فَادُوا وَيَدْنَا وَبِلَا طُوبِيلاً
 وَعَجُّوا فِي سَلَاسِلِهَا الطُّوَالِ
 فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا
 وَكُلُّهُمْ بِحَرِّ النَّارِ صَالِ
 وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ
 وَعَاشِ نَاعِمٍ تَحْتَ الضُّلَالِ
 لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمُنُّوا
 مِّنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

اللَّهُمَّ يَا مَنْبَتَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها ووقفنا لمحبة أوليائك وبغض أعدائك
 ويسرنا لليسرى وجنبنا العسرى واجعلنا هداة مهتدين وبكتائبك وبرسلك مقتدين ، وأغفر لنا
 ولوالدينا وجميع المسلمين .

اللَّهُمَّ وقفنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك ووقفنا للعمل بما يرضيك ، وارزقنا محبتك ومحبة من
 يحبك ، وبغض من يعاديك ، وأغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصلٌ : وتأمل إذا جيء بجهنم إلى الموقف ، تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون
 ألف ملك يجرونها ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
 الذُّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ

لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴿٤٦٢﴾ ، وَقَالَ : ﴿٤٦٣﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٤٦٤﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٤٦٥﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٤٦٦﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٤٦٧﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٤٦٨﴾ ، ﴿٤٦٩﴾ خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴿٤٧٠﴾ ، وَقَالَ : ﴿٤٧١﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٤٧٢﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿٤٧٣﴾ لَتَرُونَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٤٧٤﴾ .

في ذَلِكَ الْوَقْتِ يتذكر الإنسان سعيه ، ويستحضر إن كانت أحوال الدنيا وشواغل المتاع أغفلته وأنسته ، أيًا كَانَ يتذكره ، ويستحضره ، ولكن حيث لا يفيد التذكر والاستحضار إلا الحسرة والندامة ، وتصور ما وراء ذَلِكَ من العذاب والبلوى .

وَقَالَ فِي آيَةِ ق : ﴿٤٧٥﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٤٧٦﴾ قَوي لا يحجبه حجاب ، وَهَذَا هُوَ الموعد الَّذِي غفلت عنه ، وَهَذَا هُوَ الموقف الَّذِي لم تحسب له حسابه ، وهذه هي النهاية التي كنت لا تتوقعها ، ولا تهتم لها وتستهيئ بها في الدنيا فالآن فأنظر ﴿٤٧٧﴾ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٤٧٨﴾ ، وفي الآية الأخرى يَقُولُ تَعَالَى : ﴿٤٧٩﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٨٠﴾ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا » . رواه مسلم . فبينما الناس في الكروب والأهوال والشدائد سمعوا لها زفيراً وجرجره .

تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المحرمون بالعطب ، وجثت الأمم على الركب ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ ، نَبَتْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمَّداً فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْنَ عَيْنِي جَهَنَّمَ مَقْعداً » قَالُوا : وهل لها من عينين ؟ قال : « نعم ألم تسمعوا قول الله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ قيل : المكان البعيد مسيرة مائة عام ، وقيل خمسمائة عام ، وذلك إذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، يشد بكل زمام سبعون ألف ملك ، لو تركت لأتت على كل بر وفاجر » . وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَخْرَجُ عَنْقُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يَبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ يَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ ، يُقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةِ ، بَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إلهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالْمَصُورِ » . وعن ابن عباس قال : إن العبد ليحجر إلى النار ، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف » . هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصراً .

وعن ابن مسعود قال : إذا بقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ، فيها مسامير من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من نار ، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من نور ، ثم قذفوا في نار

الجحيم ، فيرون أنه لا يعذب في النار غيرهم ، ثُمَّ تلا ابن مسعود ﴿ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَمَآ يَجِدُوهَا عَنَّا مَصْرَفًا ﴾ .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواععته من مسيرة أربعمئة سنة » . ليكون ذلك من باب تعجيل الهم والحزن لهم ، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذَا أُثْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورٌ * تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الآيات ، أي يكاد بعضها ينفصل عن بعض من شدة غيظها عليهم ، وحنقها بهم ، وبعد قذفهم بها تغلي بهم ، كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير ، قاله العلماء .

واعلم أن أول من تسعر بهم جهنم من ذكروا في ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن أول ناس يقضى بينهم يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليُقَالُ عالم ، وقرأت القرآن ليُقَالُ هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال

كذبت ولكنك فعلت لِيُقَالُ هُوَ جواد ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمْرٌ بِهِ فَسَحَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، حَتَّى أَلْقَى فِي النَّارِ « أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَالتِّرْمِذِيُّ بِمَعْنَاهُ ، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَذَكَرَ عُلَمَاءُ الشُّوْءِ : مِنْ إِذَا وَعَظَ عَنَفٌ ، أَوْ وَعَظَ أَنْفٌ ، فَذَلِكَ فِي أَوَّلِ دَرَكٍ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَأْخُذُ عِلْمَهُ مَأْخُذَ السُّلْطَانِ فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَحْرُزُ عِلْمَهُ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَخَيَّرُ الْكَلَامَ وَالْعِلْمَ لَوُجُوهِ النَّاسِ ، وَلَا يَرَى سَفْلَةَ النَّاسِ لَهُ مَوْضِعًا ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالتَّنَصَّارِيِّ وَأَحَادِيثِهِمْ ، لِيَكْثُرَ حَدِيثُهُمْ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصَبُ نَفْسَهُ لِلْفِتْيَا ، يَقُولُ لِلنَّاسِ : سَلُونِي ، فَذَلِكَ الَّذِي يَكْتُبُ عِنْدَ اللَّهِ مَتَكَلِّفًا ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُتَكَلِّفِينَ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مَرْوَةَ وَعَقْلًا ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ ، ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ .

قال القرطبي : مثله لا يكون رأيًا ، وإنما يدرك توقيفًا .

وفي حديث ذكره أسد بن موسى أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا ، وَجَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْوَادِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَإِنْ فِي ذَلِكَ الْوَادِي لَجَبًّا ، إِنْ جَهَنَّمَ وَذَلِكَ الْوَادِي لِيَتَعَوَّذَانَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الْجَبِّ ، وَإِنْ فِي ذَلِكَ الْجَبِّ لِحِيَةٌ ، إِنْ جَهَنَّمَ وَالْوَادِي وَذَلِكَ الْجَبِّ لِيَتَعَوَّذُونَ مِنْ شَرِّ تِلْكَ الْحِيَةِ ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْأَشْقِيَاءِ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ » .

لَأْمُرٍ مَا تَصَدَّعَتِ الْقُلُوبُ	وَبَاحٍ بِسِرِّهَا دَمْعٌ سَكِيبُ
وَبَاتَتْ فِي الْجَوَانِحِ نَارٌ ذِكْرِي	لَهَا مِنْ خَارِجٍ أَثَرٌ عَجِيبُ
وَمَا خَفَّ اللَّيْبُ لِغَيْرِ شَيْءٍ	وَلَا أَعْيَا بِمَنْطِقِهِ الْأَرِيبُ
ذَرَاهُ لَأَنِمَّاهُ فَلَا تُلُومًا	فَرَيْتَ لِأَنِمِّ فِيهِ يَحُوبُ

رَأَى الْأَيَّامَ قَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ مُرُورَ الرِّيحِ يَدْفَعُهَا الْهَبُوبُ
 وَمَا نَفْسٌ يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا وَمِنْ جُثْمَانِهِ فِيهِ نَصِيبُ
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَوْ يَدْرِي مَقَامٌ بِهِ الْوَلِدَانُ مِنْ رَوْعِ تَشِيبُ
 وَهَذَا الْمَوْتُ يُدْنِيهِ إِلَيْهِ كَمَا يُدْنِي إِلَى الْهَرَمِ الْمَشِيبُ
 مَقَامٌ تُسْتَلَدُّ بِهِ الْمَنَائِبَا وَتُدْعَى فِيهِ لَوْ كَانَتْ تَجِيبُ
 وَمَاذَا الْوُصْفُ بِالْغُهِ وَلَكِنْ هِيَ الْأَمْثَالُ يُفْهَمُهَا اللَّيْبُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ .

(فصل)

فما ظنك أيها المهمل المفرط في عمره بسكان هذه الدار ، ضيقة الأرجاء ، مظلمة المسالك ، مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ، ويوقد فيها السعير ، طعام أهلها الزقوم ، وشراهم الحميم ، قال الله تعالى : ﴿ تُمْ أَنْكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكذَّبُونَ * لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ * هَذَا نُزُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والنزل هو ما يعد للضيف عند قدومه ، فدللت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقوم ، والشراب من الحميم ، وهم إنما يساقون إليها عطاشاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِداً ﴾ ، قال أبو عمران الجوني بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشاً يقفون في مشاهد القيامة عطاشاً ، ثم قرأ : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِداً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَا كِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * تُمْ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ .

حَرَجَ الترمذی ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ أَنَّ قَطْرَةَ مِنَ الزُّقُومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ » . وَقَالَ الترمذی : صَحِيحٌ .

وروي موقوفًا عن ابن عباس ، وعن سعيد بن جبیر قال : إذا جاع أهل النار استغاثوا من الجوع ، فأغيثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فانسلخت وجوههم ، حتى لو أن مارًا مر عليهم يعرفهم ، لعرف جلود وجوههم ، فإذا أكلوا منها ألقى عليهم العطش ، فاستغاثوا من العطش ، فأغيثوا بماء كالمهل والمهل الذي قد انتهى حره ، فإذا أدنوه من أفواههم أنضح حره الوجوه ، فيصهر به ما في بطونهم ، ويضربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو على حياله ، يدعون بالثبور ، ويدل على هذا قوله تعالى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾ ، والمعنى : يترددون بين جهنم والحميم ، فمرة إلى هذا ومرة إلى هذا ، قاله قتادة وابن جريج وغيرهما .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ .

وروى الإمام أحمد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾

قال : شوك يأخذ بالحلقة لا يدخل ولا

يُخْرِجُ ، وعن ابن عباس في قوله تَعَالَى : ﴿ مِنْ ضَرِيحٍ ﴾ قال : شجر في جهنم . وَقَالَ مجاهد : الضَّرِيحُ : الشبرق اليابس ، وروي عن ابن عباس : الشبرق نبت ذو شوك لاط بالأرض ، فإذا هاج سمي ضريعًا ، وخرج الترمذي من حديث أبي الدرداء عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون ، فيغاثون بطعام من ضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذا غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون ، بالشراب ، فيدفع إليهم الحميم بكلايب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا وصلت بطونهم قطعت ما في بطونهم » وذكر بقية الحديث ، وَقَدْ روي هَذَا موقوفًا على أبي الدرداء .

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مِنْ غِسْلِينَ ﴾ قال : هُوَ صديد أهل النار . وَقَالَ شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم ، وَهُوَ طعامهم ، وعن مقاتل قال : إذا سال القيح والدم بادروا إلى أكله ، قبل أن تأكله النار .

وَقَالَ عز من قائل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ وَآخِرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ ، وَقَالَ

تَعَالَى : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الْحَمِيمُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حره ، والغساق قيل : إنه ما يسيل من بين جلد الكافر ولحمه ، وقيل : الزمهير البارد الَّذِي يحرق من برده ، قاله ابن عباس ، وعن عَبْدِ اللَّهِ بن عمرو قال : الغساق القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهرق في المغرب لأنتنت أهل المشرق ، ولو أهرقت في المشرق ، لأنتنت أهل المغرب ، وَقَالَ مجاهد : (غساق) الَّذِي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده ، وَقَالَ قتادة : هُوَ ما يغسق أي يسيل من القيح والصدید من جلود أهل النار ولحومهم ، وفروج الزناة ودموع أهل النار وعروقه ، وَقَالَ كعب : غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كُلِّ ذات حمة من حية وعقرب وغير ذَلِكَ ، فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرَجَ وَقَدْ سقط جلده ولحمه عن العظام .

ويتعلق جلده ولحمه في عقبه وكعبيه ويجر لحمه كما يجر الرجل ثوبه . رواه ابن أبي حاتم .
وأما الصدید فَقَالَ مجاهد في قوله تَعَالَى : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ ، قال : يعني : القيح والدم ، وَقَالَ قتادة : ما يسيل من بين لحمه وجلده ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ .

وخرَجَ الإمام أَحْمَدُ ، والترمذي من حديث أبي أمامة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : ﴿ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ قال : يقرب إلى فيه فيكرعه ، فإذا أدبني منه شوى وجهه ، ووقعت فروة رأسه ،

فإذا شربه قطع أمعاءه ، حتى يخرَج من دبره ، وفي صحيح مسلم عن جابر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إنَّ اللهَ عهدًا لمن شرب المسكرات ليستقيه من طينة الخبال » . قالوا : يا رسول الله ما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » .

وخرج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من مات مدمن خمر ، سقاه الله من نهر الغوطة ، قيل : ما نهر الغوطة ، قال : نهر يخرَج من فروج المومسات ، يؤذي أهل النار نتن فروجهم » .

وعن أبي سعيد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قول الله تَعَالَى : ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ قال : « كعكر الزيت ، فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه » ، وقال عطية : سئل ابن عباس عن قوله تَعَالَى : ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ قال : غليظ كردي الزيت ، وقال الضحاك : أذاب ابن مسعود فضة من بيت المال ، ثم أرسل إلى أهل المسجد ، فقَالَ : من أحب أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا .

وخرج الطبراني من طريق تمام بن نجيح عن الحسن عن أنس عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لو أن غربًا من حميم جهنم جعل في وسط الأرض ، لآذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب » .

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي	أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ الْبَهَابَا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ	عَنِيَتْ وَسَوَاقٌ يَقُودُ الْفَرَزْدَقَا
أَسَاقُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا	سَرَابِيلٌ قُطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقَا
إِذَا شَرَبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ	يَذُوبُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمْرُقَا

شِعْرًا :

أَفْنَى شَبَابِكَ كَرُّ الطَّرْفِ وَالنَّفْسِ

فَالْمَوْتُ مُقْتَرِبٌ وَالذَّهْرُ ذُو خَلْسِ

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ
 وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالْحُجُوبِ وَالْحَرَسِ
 فَمَا تَزَالُ سِهَامُ الْمَوْتِ صَائِبَةً
 فِي جَنْبِ مُدْرِعٍ مِنْهَا وَمُتَّسِرِ
 أَرَاكَ لَسْتَ بِوَقَّافٍ وَلَا حَازِرٍ
 كَالْحَاطِبِ الْخَالِطِ الْأَعْوَادِ فِي الْعَالِسِ
 تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكَهَا
 إِنَّ السَّيْفِينَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
 أَنَّى لَكَ الصَّخُورُ مِنْ سُكْرِ وَأَنْتَ مَتَى
 تَصَّحُّ مِنْ سَكْرَةٍ تَغْشَاكَ مِنْ نَكْسِ
 مَا بَالَ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدْنِسَهُ
 وَتَوْبُوكَ الدَّهْرَ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
 لَا تَأْمَنِ الْحُتْفَ فِيمَا تَسْتَلِدُّ وَإِنْ
 لَانَتَ مَلَامِسُهُ فِي كَفِّ مُلْتَمَسِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا شَرِيكَ لَهُ
 كَمِ مَنْ حَيَبٍ مِنَ الْأَهْلِينَ مُخْتَلَسِ

اللَّهُمَّ ثَبَّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها وَاِرْزُقْنَا الْقِيَامَ بِطَاعَتِكَ وَجَنِّبْنَا مَا يَسْخَطُكَ وَأَصْلِحْ نَبَاتِنَا
 وَذَرِيَاتِنَا وَأَعْدَانَا مِنْ شَرِّ نُفُوسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا وَأَعْدَانَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاجْعَلْ هَوَانًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ
 رَسُولُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
 اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ أَبْرَمْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رَشْدٍ يَعْزِ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ وَيَذَلُّ
 فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اللَّهُمَّ اعمر قلوبنا وألسنتنا بِذِكْرِكَ وشكرِكَ ووفقنا للامثال لِأَمْرِكَ وأمنا من سطوتك ومكرِكَ
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَاءِكَ الْمُتَّقِينَ وَحزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاعْفُزْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وأما كسوة أهل النار فقد ذكر جَلَّ وَعَلَا ثيابهم ، فَقَالَ : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ
مِّن نَّارٍ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطْرَانٍ ﴾ .

وفي كتاب أبي داود ، والنسائي ، والترمذي عن بريدة أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى
على رجل خاتماً من حديد ، فَقَالَ : « ما لي أرى عَلَيْكَ حلية أهل النار » ، وروى حماد بن
سلمة عن علي بن زيد عن أنس أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إن أول من يكسى
حلة من النار إبليس ، يضعها على حاجبه ، ويسحبها من خلفه ذريته خلفه ، وَهُوَ يَقُولُ : يا
ثبوره . وهم ينادون : يا ثبورهم . حتى يقفوا على النار ، فَيَقُولُ : يا ثبوره ويقولون : يا ثبورهم
، فَيَقَالُ : ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ خرجه الإمام أحمد .

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «
النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة ، وَعَلَيْهَا سُرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، وَدَرَعٌ مِنْ جَرَبٍ »
. وفي مسند الإمام أحمد .

عن حبيب بن المغفل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « ما تحت الكعبين من الإزار في النار » قَالَ الْعُلَمَاءُ : إن المراد ما تحت الكعب من البدن والثوب معًا ، وأنه يسحب ثوبه في النار كما كَانَ يسحبه في الدنيا خيلاء . وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ وغيره من حديث المستورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من أكل برجل مسلم أكلة في الدنيا أطعمه الله مثلها في جهنم ، ومن كسى أو اكتسى برجل مسلم ثوبًا كساه الله مثله في جهنم » .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ ﴿ فَطَعَامُهُمْ نَارٌ وَشَرَابُهُمْ نَارٌ . قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ ، ولباسهم نار ، ومهادهم نار ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ﴿ فهم بين مقطعات النيران ، وسراويل القطران وضرب المقامع ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ مَّقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾ * كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض » وعن أبي سعيد الخدري قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان » .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ مَّقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾ قَالَ يَضْرِبُونَ بِهَا ، فيقع كُلُّ عَضْوٍ عَلَى حِيَالِهِ ، فيدعون بالثبور .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾ الغساق ما سال من جلود

أهل النار من القيقح والصديد ، وَقَالَ القرطبي هُوَ عصارة أهل النار . وَقَالَ السدي : هُوَ الَّذِي يسيل من دموع أهل النار يسقونه من الحميم ، وقوله : ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا ﴾ أي عذاب آخر ، أو مذوق آخر ، أو نوع آخر من شكل العذاب .

ومعنى ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ : أجناس ، وأنواع ، وأشباه ، ونظائر . وقيل : هُوَ الزمهير ، وقوله : ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾ الآية أي الأتباع داخلون معكم بشدة ، والاقترحام : اللقاء في الشيء بشدة ، فَإِنَّهُمْ يَضْرِبُونَ بِمِقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، حتى يقتحموها بأنفسهم خوفًا من تلك المقامع ، فأخبر جَلَّ وَعَلَا عن قيل أهل النار ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى : ﴿ كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ .

فبدل السَّلام يتلاعنون ، ويتكاذبون ، ويكفر بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، فَتَقُولُ الطائفة الأولى دخولًا للتي بعدها : لا مرحبًا بِكُمْ . أي : لا اتسعت منازلهم في النار ، والرحب والسعة . والمعنى : لا كرامة لَهُمْ ، وهذا إخبار من الله جَلَّ وَعَلَا بانقطاع المودَّة بينهم وأن مودتهم في الدُّنْيَا تصير عداوة ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

فتأمل حال أولئك التعساء الَّذِينَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَمْلِي لِبَعْضٍ فِي الضلال ، كيف تناكروا ، وتلاعنوا في جهنم ، وأصبحوا يتقلبون في أنواع العذاب ، ويعانون في جهنم ما لا تطيقه الجبال وما يفتت ذكره الأكباد ، يقتحمون إلى جهنم إقترحامًا .

ويتحلقون في مضائقها ، ويتحطمون في دركاتهما ، ويضطربون بين غواشيها ، ويطوفون بينها وبين حميم آن ، ولا تسأل عما يعانونه من ثقل السلال والأغلال ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾

وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿١٠﴾ ، وَقَالَ : ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٢﴾ .

وَقَالَ : ﴿١٣﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿١٤﴾ فهذه ثلاثة أنواع ، أحدها : الأغلال ، وهي في الأعناق ، كما ذكر الله سبحانه ، وَقَالَ معمر عن قتادة في قوله تَعَالَى : ﴿١٥﴾ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٦﴾ قال : مقربين في القيود والأغلال .

وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن موسى بن أبي عائشة أنه قرأ قوله تَعَالَى : ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٨﴾ قال : تشتد أيديهم بالأغلال في النار ، فيستقبلون العذاب بوجوههم قد شدت أيديهم ، فلا يقدر على أن يتقوا بها كُلاً ما جاء نوع من العذاب ، يستقبلون بوجوههم وبإسناده عن فيض بن إسحاق عن فضيل بن عياض : إذا قال الرب تبارك وتعالى : ﴿١٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٢٠﴾ تديره سبعون ألف ملك ، كلهم يتبدر أيهم يجعل الغل في عنقه ، النوع الثاني : الأنكال . وهي القيود . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب ، وطاووس ، وأبو عمران الجوني وغيرهم .

وَقَالَ أبو عمران الجوني القيود لا تحل والله أبداً . وروى أبو سنان عن الحسن : أما وعزته ما قيدهم مخافة أن يعجزوه ، ولكن قيدهم لترسى في النار . اللَّهُمَّ وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك ، وأرشدنا برشدك إلى السعي فيما يرضيك ، وأجرنا يا مولانا من خزيك وعذابك ، وهب لنا ما وهبته لأوليائك وأحبائك ، وآتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وفقنا عذاب النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا: لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَهْلَ الشَّقَا فِي النَّارِ قَدْ غُلُّوا وَقَدْ طُوْقُوا
تَقُولُ أَوْلَاهُمْمْ لِأَخْرَاهُمْمْ فِي لُجْحِ الْمُهْلِ وَقَدْ أُغْرِقُوا
وَقَدْ كُنْتُمْ حُذْرْتُمْ حَرَّهَا لَكِنْ مِنَ النَّيْرَانِ لَمْ تَفْرُقُوا
وَجِيءَ بِالنَّيْرَانِ مَرْمُومَةً شَرَاهَا مِنْ حَوْلِهَا مُحْدِقُ
وَقِيلَ لِلنَّيْرَانِ أَنْ أْحْرِقِي وَقِيلَ لِلْحُزَّانِ أَنْ أَطِيقُوا
وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ فِي جَنَّةٍ قَدْ تَوَجَّعُوا فِيهَا وَقَدْ مُنْطَقُوا
تَدَبَّرُوا كَمْ بَيْنَهُمْ إِخْوَتِي ثُمَّ أَحِيلُوا فِكْرَكُمْ وَانْتَقُوا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ *

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
الْأَفْئِدَةِ﴾ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَى فَوَادِهِ إِذَا بَلَغَتْ فَوَادِهِ أَنْشَى خَلْقَهُ .

وعن ثابت البناني أنه قرأ هذه الآية ثم قال: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ، لقد بلغ منهم
العذاب ثم يبكي .

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أَدخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ مَمْدُودَةٍ
عَلَيْهِمْ بَعَمَادٍ فِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلَ فَسَدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابَ .

اللَّهُمَّ اقْبَلْ تَوْبَتَنَا وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا وَاهْدِ قُلُوبَنَا وَسُدِّدْ أَلْسِنَتَنَا
وَاسْلِلْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَسْلُكُ

فِي دَبْرِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مَنْخَرِهِ حَتَّى لَا يَقُومَ عَلَى

رجليه . وَقَالَ ابن جريج : قال ابن عباس : السلسلة تدخل في استه ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ ، ثُمَّ يَنْظُمُونَ فِيهَا كَمَا يَنْظُمُ الْجَرَادُ فِي الْعُودِ ، حِينَ يَشْوَى . خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

وَقَالَ جُوَيْرِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ قال : يَجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمِيهِ فِي سَلْسَلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ .

وَقَالَ السُّدِّيُّ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ - : يَجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْكَافِرِ وَقَدَمِيهِ ، فَتَرْبُطُ نَاصِيَتَهُ بِقَدَمِهِ وَظَهْرِهِ ، وَيَفْتَلُ . وَذَكَرَ الْأَعْمَشُ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : يُؤْخَذُ بِنَاصِيَتِهِ وَقَدَمِيهِ وَيَكْسِرُ ظَهْرَهُ كَمَا يَكْسِرُ الْحَطْبُ فِي التَّنُورِ . وَبِئْسَ الْمَصِيرُ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِوْنِ ﴾ عَنْ أَبِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة » . خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَا : صَحِيحٌ . وَقَالَ : ﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قَالَ عَطَاءٌ : يرمى به في النار منكوسًا فأول شيء منه تمسه النار وجهه .

وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَّقِي وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ وَجِسْمَهُ فَأَمَّا هُنَا فَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ النَّارَ بِيَدَيْهِ وَلَا بِرِجْلَيْهِ فَيَدْفَعُهَا بِوَجْهِهِ ، وَيَتَّقِي بِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْاضْطِرَابِ فَمَجْرَدُ تَصَوُّرِهِ يَزْعَجُ وَيَقْلِقُ وَيَفْزَعُ .

وَفِي زَحْمَةٍ هَذَا الْعَذَابُ يَتَلَقَّى التَّوْبِيخَ ، وَالتَّأْنِيبَ ، وَتَدْفَعُ إِلَيْهِ حَصِيلَةَ حَيَاتِهِ ، وَيَا لَهَا مِنْ حَصِيلَةٍ ، ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مُتَّعْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطَّرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى قَالَ : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

اللَّهُمَّ نور قلوبنا بنور الإيمان ووقفنا لمحبتك ومحبة من يحبك وألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا من عبادك الصالحين ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قَدْ أُمْسَتْ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ آمِنَةً

وَالتُّونُ فِي الْبَحْرِ لَمْ يُخْبَأَ لَهَا فَنَعُ
 وَالْأَدْمِيُّ بِهِذَا الْكَسْبِ مُرْتَهَنُ
 لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يُطْلَعُ
 إِذِ النَّبِيُّونَ وَالْأَشْهُادُ قَائِمَةٌ
 وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمْلاكُ قَدْ خَشَعُوا
 وَطَارَتِ الصُّخْفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَّةً
 فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ
 فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَقَعَةٌ
 عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَذْرِي بَمَا تَقَعُ
 أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
 أَمْ الْجَحِيمِ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
 تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ
 إِذَا رَجَعُوا مَخْرَجًا مِنْ عَمَّهَا فَمِعُوا
 طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُمْ
 هَيْهَاتَ لَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
 لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ
 قَدْ سَأَلَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

اللَّهُمَّ أتمم عَلَيْنَا نعمتك الوافية وارزقنا الإخلاص في أعمالنا والصدق في أقوالنا ، وعد عَلَيْنَا
 بإصلاح قلوبنا ، واغفر لنا ولوالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله إن بين أيديكم يوم لا شك فيه ولا مرأى ، يقع فيه الفراق ، وتنفصم فيه العرى ، فتدبروا أمركم قبل أن تحضروا ، وانظروا لأنفسكم نظر من قد فهم ودرى ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ ، يا له من يوم يشيب فيه الولدان ، وتسير فيه الجبال ، وتظهر فيه الخفايا ، وتنطق فيه الأعضاء ، شاهدة بالأعمال ، فانتبه يا من قد وهي شبابه ، وامتلأ بالأوزار كتابه ، عباد الله أما بلغكم أن النار للكفار والعصاة أعدت ، إنها لتحرق كل ما يلقي فيها ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ * تكاد تميز من العيظ ﴿ ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْفَصْرِ ﴾ * كأنه جمالت صفر ﴿ عباد الله أما بلغكم أن طعام أهلها الزقوم ، وشرابها الحميم ، قال عليه الصلاة والسلام : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم » فكيف بمن هو طعامه ، لا طعام له غيره ، قال تَعَالَى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْإِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَعَلِي الْحَمِيمِ ﴾ .

أخرج الطبراني ، وابن أبي حاتم من طريق منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منية رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينشئ الله لأهل النار سحابة سوداء مظلمة ، فيقال : يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحابة الدنيا ، فيقولون : يا ربنا الشراب ، فتمطر أغلالاً تزيد في أغلالهم ، وسلاسل تزيد في سلاسلهم ، وجمراً يلتهب عليهم » .

شِعْرًا: مَثَلٌ وَفُوفَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمْوِرُ

مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ

فَرَدًّا وَجَاءَكَ مِنْكَرٌ وَنَكِيرُ

مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ

فَرَدًّا ذَلِيلًا وَالْحِسَابُ عَسِيرُ

وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومُ وَأَنْتَ فِي

يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَلَّسٌ مَجْرُورُ

وَتَفَرَّقْتَ عَنْكَ الْجُنُودُ وَأَنْتَ فِي

ضَيْقِ الْقُبُورِ مُوسَّسٌ مَقْبُورُ

وَوَدِدْتَ أَنَّكَ مَا وَلَيْتَ وَلَايَةً

يَوْمَ مَا وَلَا قَالَ الْأَنْبَاءُ أَمِيرُ

وَبَقِيتَ بَعْدَ الْعِزِّ رَهْنَ حَفِيرَةٍ

فِي عَالَمِ الْمَوْتَى وَأَنْتَ حَقِيرُ

وَحَشِرْتَ عَرِيَانًا حَزِينًا بَاكِيًا

قَلْبًا وَمَا لَكَ فِي الْأَنْبَاءِ مُجِيرُ

أَرْضِيَّتِ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبِكَ دَارِسُ

عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمُكَ الْمَعْمُورُ

أَرْضِيَّتِ أَنْ يُحْطَى سِوَاكَ بِقُرْبِهِ

أَبَدًا وَأَنْتَ مُعَدَّبٌ مَهْجُورُ

مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا

يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو الْغُورُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا قَبْلَ أَنْ تَشْهَدَ عَلَيْنَا الْجَوَارِحَ وَنَبْهَنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْغَفْلَاتِ فَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْمَسَامِحُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

اللَّهُمَّ وفقنا توفيقاً يقيناً عن معاصيك ، ووفقنا للعمل بما يرضيك ، وارزقنا محبتك ومحبة من يحبك وبغض من يعاديك ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

تفكر عافنا الله وَإِيَّاكَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وأدم الفكر في جهنم ، واعلم أن لها سبعة أبواب كما أخبر جَلَّ وَعَلَا ، قال عز من قائل : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّفْسُومٌ ﴿ . وخرج الإمام أحمد ، والترمذي من حديث ابن عمر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ لَجِهْنِم سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَى أُمَّتِي . »

وفي حديث أبي رزین العقيلي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لعمر : « إِنْ لِلنَّارِ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، مَا مِنْهُمْ بَابٌ إِلَّا وَيَسُرُّ الرَّاكِبَ بَيْنَهُمَا سَبْعِينَ عَامًا » . خرجه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وابن أبي عاصم ، والطبراني ، والحاكم وغيرهم .

وخرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ حَطَّانِ الرَّقَاشِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : هَلْ تَدْرُونَ كَيْفَ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ ، قُلْنَا : هِيَ مِثْلُ أَبْوَابِنَا هَذِهِ ، قَالَ : لَا ، هِيَ هَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : بَعْضُهَا أَسْفَلَ بَعْضٍ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٠﴾ فتأمل حال هؤلاء الأشقياء الكفار كيف يساقون سوقًا عنيفًا إلى جهنم ، بزجر وتوبيخ ، وتقريع وتهديد ، ووعيد كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴾ أي يدفعون إليها دفعًا ، هَذَا وهم عطاش ظمأ جياع نصبون وجلون قَدْ بلغ مِنْهُمْ الخوف والرعب كُلِّ مبلغ . قال تَعَالَى : ﴿ وَنَسُوا الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي مِنْهُمْ من يمشي على وجهه ، قال تَعَالَى : ﴿ وَخَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّاوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ .

وروى مخلد بن الحسن عن هشام بن حسان قال : خرجنا حجاجًا فنزلنا منزلاً في بعض الطريق ، فقرأ رجل معنا هذه الآية : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ فسمعت امرأة ف قالت : أعد رَحِمَكَ اللهُ . فأعادها ف قالت : خلفت في البيت سبعة أعبد ، أشهدكم أنهم أحرار ، لكل باب واحد مِنْهُمْ . خرجه ابن أبي الدنيا .

شِعْرًا:

يَا غَافِلًا عَنِ مَنَائِمِ سَاقِفِهَا الْقَدْرُ
مَاذَا الَّذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْسِ تَنْتَظِرُ
عَايِنِ بِقَلْبِكَ إِنَّ الْعَيْنَ غَافِلَةٌ
عَنِ الْحَقِيقَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَقْرُ

سَوْدَاءُ تَرْفُرُ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سُعِرَتْ
لِلظَّالِمِينَ فَمَا تُبْقِي وَلَا تَنْذُرُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ غَيْرَ الْمَوْتِ مَوْعِظَةٌ
لَكَانَ فِيهِ عَنِ اللَّذَاتِ مُزْدَجَرُ

آخر: اسلكُ بُنيَّ مناهجِ السَّاداتِ وَتَخَلَّقْنَ بِأَشْرَفِ الْعَادَاتِ
لا تُلهيَنَّكَ عَن مَعَادِكَ لَذَّةٌ تَفْنَى وَتُورِثُ دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
وَإِذَا اتَّسَعَتْ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلْنَ مِنْهُ الْأَجَلَ لِأَوْجِهِ الصَّدَقَاتِ
وَأَنْعِ الْجَوَارِ لِأَهْلِهِ مُتَبَرِّعًا بِقَضَاءِ مَا طَلَبُوا مِنَ الْحَاجَاتِ

قال الضحاك في قول الله تَعَالَى : ﴿ هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ هِيَ سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها : فيه أهل التَّوْحِيدِ يعذبون على قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يخرجون ، والثاني : فيه النَّصَارَى ، والثالث : فيه اليهود ، والرابع : الصابئون ، والخامس : فيه الجحوس ، والسادس : فيه مشركوا العَرَبِ ، والسابع : فيه المنافقون .

وعن ابن جريج في قوله تَعَالَى : ﴿ هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ ، قال : أولها جهنم ، ثُمَّ لظى ، ثُمَّ الحطمة ، ثُمَّ السعير ، ثُمَّ سقر ، ثُمَّ الجحيم ، وفيها أبو جهل ، ثُمَّ الهاوية . خرجه ابن أبي الدنيا وغيره . وَقَدْ وصف الله الأبواب بأنها مغلقة عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ ، قال مقاتل : يعني : أبوابها مطبقة عَلَيْهِمْ ، فلا يفتح لها باب ، ولا يخرَجُ منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد .

وهذا الإطباق نوعان : أحدهما خاص لمن يدخل في النار أو من يريد الله التضيق عَلَيْهِ ، أجازنا الله والمسلمين من ذَلِكَ ، قال أبو توبة اليزني : إن في النار أقوامًا مؤصدة عَلَيْهِمْ كما يطبق الحق على طبقه . خرجه ابن أبي حاتم .

والثاني الإطباق العام وَهُوَ إِطْبَاقُ النَّارِ عَلَى أَهْلِهَا الْمُخْلِدين فِيهَا . وَقَدْ قَالَ سفيان وغيره في قول الله تَعَالَى : ﴿ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ ﴾ قَالُوا : هُوَ طَبَقُ النَّارِ عَلَى أَهْلِهَا .

وَقَالَ أَبُو الزَّعْرَاءِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وَقَالَ أَبُو عَمْرَانَ الْجَوْنِيُّ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَمَرَ اللَّهُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَكُلِّ شَيْطَانٍ مُرِيدٍ ، وَبِكُلِّ مَنْ يَخَافُ مِنْ شَرِّ الْعَبِيدِ ، فَأَوْثَقُوا بِالْحَدِيدِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ الَّتِي لَا تَبِيدُ ، ثُمَّ أَوْصَدَهَا عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةُ رَبِّ الْعَبِيدِ ، قَالَ : فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْتَقِرُّ أقدامُهُمْ عَلَى قَرَارٍ أَبَدًا ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَنْظُرُونَ فِيهَا إِلَى أَدِيمِ سَمَاءٍ أَبَدًا ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَلْتَقِي جَفُونَ أَعْيُنُهُمْ عَلَى غَمَضِ نَوْمٍ أَبَدًا ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَارِدًا وَلَا شَرَابًا أَبَدًا .

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ الْكُفَّارَ يَجُولُونَ الْخُرُوجَ وَيَرْغَمُونَ عَلَى الْبَقَاءِ فِيهَا .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَهُمْ عَذَابٌ مُّثَقِمٌ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ الْآيَةُ . فَلَا يَزَالُونَ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ وَالْأَلِيمِ مَسَّ الْعَذَابِ وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، كُلَّمَا رَفَعَهُمُ اللَّهَبُ فَصَارُوا فِي أَعْلَى جَهَنَّمَ ضَرَبَتْهُمُ الزَّبَانِيَةُ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ فَيَرُدُّوهُمْ إِلَى أَسْفَلِهَا .

وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْخُرُوجَ مِنْهَا فَقَالَ مَخْبِرًا عَمَّا قَالُوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ . وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ يَقُولُ

الرب جَلَّ وَعَلَا : ﴿ اِحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴾ .
 أمانهم فيها الهلاك وما لهم من النار فكاك قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ الآية . وَقَالَ : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ .

وَقَالَ : ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ أُولَئِكَ يَسْئَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ .

ومن السنة ما خرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار : ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت وبأهل الجنة لا موت كل خالد بما هو فيه » .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ويذبح ويُقَالُ : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، وبأهل النار خلود فلا موت » . رواه البخاري .

وما أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن مسعود قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لو قيل لأهل النار : إنكم ما كنتم في النار عدد كُفٍّ حصىة في الدنيا لفرحوا ، ولو قيل لأهل الجنة : إنكم ما كنتم

في الجنة عدد كُـلِّ حصة لحزنوا ولكن جعل هُـمُ الأبد . هَذَا يَمَّا يدل على عدم فناء النار وبقاء أهلها فيها ينقلبون في أنواع العذاب لا راحة ولا نوم ، ولا هدوء ولا قرار هُـمُ ، بل من عذاب إلى آخر ، ولكل واحد مِنْهُم حد معلوم عَلَى قَدْرِ عَصِيَانِهِ وَذَنْبِهِ ، إِلَّا أَنْ أَقْلَهُمْ لَوْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا لَافْتَدَى بِهَا مِنْ شِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن أدنى أهل النار عذابًا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه » من حرارة نعله فَانْظُرْ الآن إلى من خفف عَلَيْهِ ، واعتبر بمن شدد عَلَيْهِ العذاب ممن يسحبون على وجوههم في النار ، وَيُقَالُ هُـمُ : ذوقوا مس سقر ، وَقَالَ : ﴿ سَأْصَلِيهِ سَقْرًا * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ . أي : تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ، ثُمَّ تَبْدَلُ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ قال قتادة : قال ابن عباس ﴿ صَعُودًا ﴾ صخرة في جهنم يسحب عَلَيْهَا الكافر على وجهه . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله عليكم بتقوى الله ، فإن تقواه عروة مالها انفصام وقدوة يأتى بها الكرام ، وسراج يضيء للأفهام ، من تعلق بها حمته بإذن الله محذور العاقبة ، ومن تحقق بحملها وقته بإذن الله شرور كُـلِّ نائبة ، والحذر من دار فرقة مالها أسلاف ، وقرار حرقة مالها انصراف ، وأمانى رجعة مالها إسعاف ، فانهضوا عباد الله في استعمال ما يقربكم من دار القرار ، واتركوا كُـلَّ ما يدينكم من دار البوار ، فإنها المصيبة الجامعة

والعقوبة الواقعة ، يا لها دار انقطع من الرجاء انحلالها ، وامتنع من الفناء بقاء نكالها ، وشعار أهلها الويل الطويل ، ودثارهم البكاء والعويل ، وسراويل الخزي الويل ، ومقيلهم الهاوية وبئس المقييل ، يقطع مِنْهُمْ الحميم أمعاء طالما ولعت بأكل الحرام ، وتضعض مِنْهُمْ الجحيم أعضاء طالما أسرعت إلى اكتساب الآثام قَدْ كَثُرَ مِنْهُمْ الأَين ، وحلت بِهْمُ المثالات ، فجلودهم كُلُّمَا نضجت بدلت جلودًا غيرها ، وكرر عَلَيْهِمُ العَذَاب ، ووجوههم مسودة لسوء الحساب ، والزبانية تقمعهم فيذوقون أليم العقاب ، ينادون إلهًا ضيعوا أوامره وارتكبوا نواهيه ونسوه ، وحق عَلَيْهِمُ في الآجلة حكمه لما أغضبوه يقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ، ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيجيبهم بعد حين إجابة دعوى ذي قوة متين : ﴿ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴾ فحينئذ ينقطع عندها وَاللَّهِ تَأْمِيلُ المذنبين ، ويجتمع التنكيل على المذنبين ، ويرتفع في جهنم عويل الجرمين المعذبين ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ فيا لها من حَسْرَةٍ ويا لها من ندامة لا تشبهها ندامة ويا لها من خسارة لا تعادلها خسارة ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ . اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَشَرِّ الدُّنْيَا وَالْهَوَى ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ فَهَاتِ
 كَمْ مِنْ أَبِي لَكَ صَارَ فِي الْأَمْوَاتِ
 مَا أَقْرَبَ الشَّيْءَ الْجَدِيدَ مِنَ الْبَلَى
 يَوْمًا وَأَسْرَعَ كُلِّ مَا هُوَ آتٍ
 اللَّيْلُ يَعْمَلُ وَالنَّهَارُ وَنَحْنُ عَمَّ
 مَا يَعْمَلُ لَانَ بِأَعْفَلِ الْعَفْلاتِ
 يَا ذَا الَّذِي اتَّخَذَ الزَّمَانَ مَطِيَّةً

وَحُطِّبَا الزَّمَانِ كَثِيرَةُ الْعَنَابِ
 مَاذَا تَقُولُ وَلَيْسَ عِنْدَكَ حُجَّةٌ
 لَوْ قَدْ أَتَاكَ مُنْعَصُ اللَّذَاتِ
 أَوْ مَا تَقُولُ إِذَا حَلَلْتَ مَحَلَّةً
 لَيْسَ الثَّقَاتُ لِأَهْلِهِا بِثَقَاتِ
 أَوْ مَا تَقُولُ وَلَيْسَ حُكْمُكَ نَافِذًا
 فِيمَا تُخَلِّفُهُ مِنَ التَّرِكَاتِ
 مَا مِنْ أَحَبِّ رِضَاكَ عَنْكَ بِخَارِجِ
 مَا مِنْ أَحَبِّ رِضَاكَ عَنْكَ بِخَارِجِ
 زُرْتُ الْقُبُورَ قُبُورَ أَهْلِ الْمُلْكِ فِي الدُّ
 نْيَا وَأَهْلِ الرَّثَمِ فِي الشَّهَوَاتِ
 كَانُوا مُلُوكَ مَا كَلِ وَمَشَارِبِ
 وَمَلَابِيسِ وَرَوَائِحِ عَطِرَاتِ

فَإِذَا بِأَجْسَادِ عَرِينٍ مِنَ الْكِسَا
 وَبِأَوْجُهُ فِي الثُّرْبِ مُنْعَفِرَاتِ
 لَمْ تَبْقِ مِنْهَا الْأَرْضُ غَيْرَ جَمَاجِمِ
 بِيضٍ تَلُوحُ وَأَعْظُمِ نَخْرَاتِ
 إِنَّ الْمَقَابِرَ مَا عَلِمْتُ لَمَنْظُرًا)
 يَهْدِي الشُّجَا وَيَهْجُ الْعَبْرَاتِ
 سُبْحَانَ مَنْ فَهَرَ الْعِبَادَ بِقُدْرَةِ
 بَارِي السُّكُونِ وَنَاشِرِ الْحَرَكَاتِ

اللَّهُمَّ أَلْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَقَفْنَا لِامْتِنَالِ أَمْرِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .
 اللَّهُمَّ نُرِّقْ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَاسْتِرْ عَيْبُونَا وَأَمِنْ خَوْفَنَا وَاخْتِمِ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَاجْعَلْنَا
 مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَحزبك المفلحين الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

فتفكر يا أخي في حال هؤلاء الَّذِينَ قَدْ عَرِيتَ مِنْ اللَّحْمِ عِظَامَهُمْ فَبَقِيَتِ الْأَرْوَاحُ مَنْوُطَةً
 بِالْعُرُوقِ وَعَلَائِقِ الْعَصَبِ وَهِيَ تَنْشُ فِي لَفْحِ تِلْكَ النَّيْرَانِ ، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنُونَ الْمَوْتَ فَلَا
 يَمُوتُونَ ، فَكَيْفَ بَكَ أَيُّهَا الْعَاصِي لَوْ نَظَرْتَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمِينَ وَقَدْ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ ،
 وَأَعْمِيَتِ أَبْصَارُهُمْ ، وَأَبْكَمَتِ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَقَصَمَتِ ظُهُورُهُمْ ، وَكَسَرَتِ عِظَامَهُمْ ، وَجَدَعَتِ
 أَنْفَهُمْ ، وَأَذَانَهُمْ ، وَمَزَقَتِ جُلُودَهُمْ ، وَغَلَّتْ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَجَمَعَ بَيْنَ نَوَاصِيهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ
 ، وَلَهَيْبِ النَّارِ سَارَ فِي بَوَاطِنِهِمْ ، وَحَيَاتِ جَهَنَّمَ وَعَقَارِهَا مُتَشَبِّهَةٌ بِظَوَاهِرِهِمْ .

ثُمَّ انظر في أودية جهنم وشعابها ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره » . رواه أحمد ، والترمذي . إلا أنه قال : « واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ قال : واد في جهنم يقذف فيه الَّذِينَ يتبعون الشهوات . رواه الطبراني ، والبيهقي .

وعن علي رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَبِّ الْحَزْنِ أَوْ وَادِي الْحَزْنِ » قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ وما جب الحزن أو وادي الحزن ؟ قال : « واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كُلُّ يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين » . رواه البيهقي بإسناد حسن .

ثُمَّ انظر يا أخي وتأمل في قعر جهنم وظلماتها وتفاوت دركاتهما فعن خالد بن عمير قال : خطب عتبة بن غزوان ري الله عنه فَقَالَ : إنه ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعرًا والله لتمامًا أفعجتهم . رواه مسلم هكذا .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما هذا » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : « هَذَا حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا فَالآن حين انتهى إلى قعرها » . رواه مسلم .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » رواه مالك ، والترمذي .

وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « نار ابن آدم التي يوقدون منها جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم » ، فقالوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ ، قَالَ : « فَإِنَّهَا فضلت بتسعة وستين جزءًا » . أخرجه مال ، ومسلم وزاد : « كُلُّهَا مثل حرها » . وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ نَارَكُمْ هَذِهِ جِزءٌ مِنْ سَبْعِينَ جِزءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَلَوْ لَا أَنَّهَا أَطْفَعَتْ بِالمَاءِ مَرَّتَيْنِ مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا وَإِنَّهَا لَتَدْعُوا اللهَ أَنْ لَا يَعِيدَهَا فِيهَا » . رواه ابن ماجه .

وروى الأئمة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اشتكك النار إلى ربها فقالت : رَبِّي أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا ، فجعل لها نفسين : نفسًا في الشتاء ، ونفسًا في الصيف ، فشدة ما يجدون من البرد من زمهريرها ، وشدة ما يجدون من الحر من سمومها » . أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عِنْدَ نَزُولِ غَمْرَاتِ هَادِمِ اللذات ، وخفف عنا شدة كرب السياق ، وغصص السكرات ، الله وأنس وحشتنا في القبر الضيق العطن ، ولقنا جواب الملك الموكل بالفتن وارحمنا عِنْدَ مَضَاجِعَةِ التُّرَابِ والديدان ومفارقة الأهل والإخوان ، وأمنا عِنْدَ طُلُوعِ هَوْلِ المَطْلَعِ الفظيع وبلوغ صوت المنادي إلى أذن كُلِّ سَمِيعٍ ، وثَبِّتْ قلوبنا عِنْدَ تَقَلُّبِ القُلُوبِ إِذَا مَدَّ الصِّرَاطُ عَلَى النيران وتطاير العقول إِذَا نَصَبَ المِيزَانَ وامتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم يا ذا الفضل العميم بِمَنِّكَ وَجُودِ يَا كَرِيمٍ ، وَاعْفِرْ لَنَا

وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ تَفَكَّرْ بِقَلْبِكَ ، وَأَلْقِ السَّمْعَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ الْآيَةَ وَقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ الْآيَتِينَ .

رَوَى الْأَعْمَشُ عَنْ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَلْقَى الْبُكَاءَ عَلَى أَهْلِ النَّارِ ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدَّمُوعُ ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمُ حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَيْهَيْئَةِ الْأَخْدُودِ ، وَلَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السَّفِينُ لَجَرَتْ » . خَرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ ، وَرَوَى سَلَامُ بْنُ مَسْكِينٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ الدَّمُوعَ فِي النَّارِ ، حَتَّى لَوْ أُجْرِيَتْ السَّفِينُ فِي دَمُوعِهِمْ لَجَرَتْ ،

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ بِالدَّمِ بَعْدَ الدَّمْعِ ، وَلَمَثَلُ مَا هُمْ فِيهِ فَلْيَبْكُ . وَقَالَ صَالِحُ الْمَرِي : بَلَّغْنِي أَنَّهُمْ يَصْرخُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَنْقَطِعَ أَصْوَاتُهُمْ فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلَّا كَهَيْئَةِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمَدْنَفِ .

وروى الوليد بن مسلم عن أبي سلمة الدوسي - واسمه ثابت بن شريح - عن سالم بن عبد الله عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو : « اللَّهُمَّ ارزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَالَتَيْنِ يَشْفِيَانِ الْقَلْبَ بِذُرُوفِ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ الدَّمْعُ دَمًا ، وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا » . سالم بن عبد الله هُوَ الْحَارِثِيُّ ، وَحَدِيثُهُ مَرْسَلٌ . وَرَوَى الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : إِنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : (رَبِّ ارزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَالَتَيْنِ يَبْكِيَانِ بِذُرُوفِ الدَّمْعِ وَيَشْفِيَانِ مِنْ خَشْيَتِكَ ، قَبْلَ أَنْ يَعُودَ الدَّمْعُ دَمًا ، وَالْأَضْرَاسُ جَمْرًا) ، قَالَ وَكَانَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْأَتِبُ فِي كَثْرَةِ الْبُكَاءِ ، فَيَقُولُ : دَعْوِي أَبْكِي قَبْلَ يَوْمِ الْبُكَاءِ ، قَبْلَ تَحْرِقِ الْعِظَامِ ، وَاشْتِعَالِ اللَّحْيِ ، ، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِـ ﴿ مَلَأْتِكُمْ غِلَاطًا شِدَادًا لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وَرَوَى يُونُسُ بْنُ مَيْسَرَةَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ : إِنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ يَوْمِ الْبُكَاءِ ، أَبْكِي نَفْسِي قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعِ الْبُكَاءُ ، ثُمَّ دَعَا بِجَمْرٍ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا حَرَّهُ رَفَعَهَا ، وَقَالَ : أَوْهَ لِعَذَابِ اللَّهِ ، أَوْهَ أَوْهَ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ أَوْهَ .

وروى ثابت البناني عن صفوان بن محرز قال : كَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا يَتَأَوَّهُ فِيهِ ، يَقُولُ : أَوْهَ أَوْهَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعُ أَوْهَ ، قَالَ : فَذَكَرَهُ صَفْوَانُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجْلِسِ فَبَكَى حَتَّى

غلبه البكاء فقام . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رِيحِ الْأَنْصَارِيِّ : سَمِعْتُ كَعْبًا يَقُولُ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوْاهُ مُنِيبٌ ﴾ قَالَ : كَانَ إِذَا ذَكَرَ النَّارَ قَالَ : أَوْهَ مِنَ النَّارِ ، أَوْهَ مِنَ النَّارِ . وَالتَّأَوُّهُ هُوَ التَّوَجُّعُ وَالتَّحْزَنُ . قَالَ الْمُتَقَفُّ الْعَبْدِيُّ :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلَهَا بِأَيْلٍ

تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

وفي حديث الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء في ذكر أهل النار قال : « فيقولون ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : ﴿ أَوْمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ قَالَ : فيقولون : ادعوا مالكا ، فيقولون : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ ﴾ قَالَ الْأَعْمَشُ : نَبَتْ أَنْ بَيْنَ دُعَاءِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ لَهُمْ أَلْفَ عَامٍ ، قَالَ : فيقولون : ادعوا ربكم فإنه ليس أحد خيرا من ربكم فيقولون : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ قَالَ : فيجيبهم : ﴿ قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ ، قَالَ : فعند ذلك يسوسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في الحسرة والزفير والويل « . خرجه الترمذي مرفوعا ، وموقوفا على أبي الدرداء .

وروى أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات ، يكلمون في أربع منها ، ويسكت عنهم في الخامسة فلا يكلمون ، يقولون : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا

فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ فِيرِد عَلَيْهِمْ : ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴿١٢﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ : ﴿١٣﴾ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ فِيرِد عَلَيْهِمْ : ﴿١٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴿١٦﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَتِينَ ، ثُمَّ يَقُولُونَ : ﴿١٧﴾ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مِّمَّا كُنَّا نَدْعُوكَ وَنَتَّبِعُ الرُّسُلَ ﴿١٨﴾ فِيرِد عَلَيْهِمْ : ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ : ﴿٢١﴾ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٢٢﴾ فِيرِد عَلَيْهِمْ : ﴿٢٣﴾ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ : ﴿٢٥﴾ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٢٦﴾ فِيرِد عَلَيْهِمْ : ﴿٢٧﴾ قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا فِيهَا فَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿٢٩﴾ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ قَالَ : فَلَا يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ . أَخْرَجَهُ آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

قال ابن القيم رحمه الله :

فِيَا سَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى

صَرِيحَ الْأَمَانِي عَنِ قَرِيبٍ سَتْتَنَدُمُ

أَفِقْ قَدْ دَنَى الْوَقْتُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ

سِوَى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ

وَبِالسُّنَّةِ الْغَرَاءِ كُنْ مُتَمَسِّكًا

هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَيْسَ تَنْفَصَمُ

تَمَسَّكَ بِهَا مَسْكُ الْبَحِيلِ بِمَالِهِ

وَعَضَّ عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِدِ تَسْلَمُ

وَدَعَّ عَنْكَ مَا قَدْ أَحْدَثَ النَّاسُ بَعْدَهَا

فَمَرَّتْ عُنُقُ هَاتِيكَ الْحَوَادِثِ أَوْخَمُ

وَهَيَّءَ جَوَابًا عِنْدَمَا تَسْمَعُ النِّدَا
 مِنْ اللَّهِ يَوْمَ الْعَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمْ
 بِهِ رُسُلِي لِمَا أَتَوَكَّمُ فَمَنْ يَكُنْ
 أَجَابَ سِوَاهُمْ سَوْفَ يُخْزَى وَيَنْدَمُ
 وَخُذْ مِنْ تَقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ
 لِيَوْمٍ بِهِ تَبَدُّو عِيَانًا جَهَنَّمَ
 وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجَسْرُ مِنْ فَوْقَ مَتْنِهَا
 فَهَآوٍ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلَّمٌ
 وَيَأْتِي إِلَهُ الْعَالَمِينَ لَوْعَدِهِ
 فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَحْكُمُ
 وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رُبُّكَ حَقُّهُ
 فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلْخَلَائِقِ يَظْلِمُ
 وَيُنْشَرُ دِيوَانُ الْحِسَابِ وَتُوضَعُ الْـ
 مَوَازِينُ بِالْقِسْطِ الَّذِي لَيْسَ يَظْلِمُ
 فَلَا مُجْرِمٌ يَخْشَى ظِلَامَةَ ذَرَّةٍ
 وَلَا مُحْسِنٌ مِنْ أَجْرِهِ ذَاكَ يُهْضَمُ
 وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ الْمُسِيءِ بِمَا جَنَى
 كَذَلِكَ عَلَى فِيهِ الْمَهَيِّمِ يَخْتِمُ
 فَيَأْتِيَتِ شِعْرِي كَيْفَ حَالِكُ عِنْدَمَا
 تَطَّأِيرُ كُتُبُ الْعَالَمِينَ وَتُقَسَّسُ

أَتَأْخُذُ بِالْيَمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ
 بِالْأُخْرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تَسَلَّمْ
 وَتَقْرَأُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ عَمِلْتَهُ
 فَيُشْرِقُ مِنْكَ الْوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلِمُ
 تَقُولُ كِتَابِي فَأَقْرُؤْهُ فَإِنَّهُ
 يُبَشِّرُ بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَيُعَلِّمُ
 وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى فَإِنَّكَ قَائِلٌ
 أَلَا لِيَتَّبِعِي لِمَ أَوْتَاهُ فَهُوَ مَغْرَمٌ
 فَبَادِرْ إِذَا مَا دَامَ فِي الْعُمُرِ فُسْحَةٌ
 وَعَظْمٌ مَقْبُولٌ وَصَرْفُكَ قَسِيمٌ
 وَجُدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمِ زَمَانَ الصَّبَا
 فَفِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ تَسْمَعِي وَتَغْنَمِ
 وَسِرٌّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا
 وَسِرٌّ مُسْرِعًا فَالْمَوْتُ خَلْفَكَ مُسْرِعًا

اللَّهُمَّ تَبَّتْ وَقُوتُ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورِنَا وَنُورِهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مَهْتَدِينَ
 وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمُ يَا كَرِيمُ ،
 وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فِي الثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتَبَشِيرِهِمْ ، وَتَبْكِيَةِ أَهْلِ النَّارِ ، وَتَقْرِيعِهِمْ عَلَى إِهْمَالِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ

روى صفوان بن عمرو قال : سمعت أيفع بن عبد الكلاعي يَقُولُ : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، قَالَ اللهُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قال : نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم ، رحمتي ورضواني وجنتي ، امكثوا فيها خالدين مخلدين . ثُمَّ يَقُولُ لِأَهْلِ النَّارِ : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فَيَقُولُ : بس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم سخطي ومعصيتي وناري ، امكثوا فيها خالدين مخلدين ، فيقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ فَيَقُولُ : ﴿ اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ فيكون ذلك آخر عهدهم بكلام ربهمْ عَزَّ وَجَلَّ . « . خرجه أبو نعيم ، وَقَالَ : كَذَا رواه أيفع مرسلًا .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ . » . أخرجه مسلم ، وأخرجه ابن ماجه أيضًا عن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَيُقَالُ : اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثُمَّ يُخْرَجُ ، فَيُقَالُ : أَيُّ فُلَانٍ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضَرًّا وَبَلَاءً ، فَيُقَالُ : اغمسوه

في الجنة غمسة ، فيغمس فيها غمسة ، فيقال له : أي فلان هل أصابك ضر وبلاء فيقول : لا ما أصابني ضر قط ولا بلاء .

قال ابن رجب رحمه الله : وأعظم أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وإبعادهم عنه ، وإعراضه عنهم ، وسخطه عليهم كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة وتجليه لهم ورؤيتهم إياه ، أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿ فذكر تعالى لهم ثلاثة أنواع من العذاب : حجابهم عنه ، ثم صليهم الجحيم ، ثم توبيخهم بتكذيبهم به في الدنيا ، ووصفهم بالران على قلوبهم ، وهو صدأ الذنوب الذي اسودت به قلوبهم ، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة الله ، ولا من إجلاله ومهابته ، وخشيته ومحبته ، فكما حجب قلوبهم في الدنيا عن الله حجبا في الآخرة عن رؤيته ، وهذا بخلاف حال أهل الجنة ، قال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ والذين أحسنوا هم أهل الإحسان والإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه) كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله عنه جبريل عليه السلام ، فجعل جزاء الإحسان الحسنى - وهو الجنة - والزيادة - وهي النظر إلى وجه الله عز وجل - كما فسره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صهيب وغيره . انتهى .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانِنَا بِكَ وَنُورِ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مُهْتَدِينَ اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَمِنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ
يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
— دُهُوٌّ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَهَا كَذَا
أَعْمَلْنَا ثَقُلْنَا فِي الْمِيزَانِ
وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْنَا الْجَنَاتِ حِيَا
— نَ أَجْرَتْنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ
فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ
أُعْطِيكُمْ— وَهُوَ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
فَيُرْوَاهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
جَهَنَّمًا رَوَى ذَا مُسْلِمٍ بِيَانِ
وَلَقَدْ آتَانَا فِي الصَّحِيحَيْنِ اللَّذِي
نِ هُمَا أَصْحُ الْكُتُبِ بَعْدَ الْقُرْآنِ
بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الْ—
— بَجَلِيٍّ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سُُبْحَانَهُ
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا الْ—
— بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

وَلَقَدْ رَوَى بَضْعٌ وَعِشْرُونَ اَمْرُوهُ
 مِنْ صَخْبِ اَحْمَدِ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 اَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ اَتَى
 بِاللُّوْحِي تَفْصِيلاً بِمِثْلِ كِتْمَانِ
 وَالَّذِي شَيْءٌ لِلْقُلُوبِ فِيهِ اَلْـ
 اَخْبَارُ مَعَ اَمْثَالِهَا هِيَ بِهَجَّةِ الْاِيْمَانِ
 وَاللَّهِ لَوْ لَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي اَلْـ
 جَنَّاتٍ مَا طَابَتْ لِذِي الْعِرْفَانِ
 اَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَا وَجْهِهِ
 وَخِطَابُهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَاَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
 سُبْحَانَهُ عَمَّنْ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
 وَاِذَا رَاَهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
 هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
 فَاِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا اِلَى
 لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْاَلْوَانِ
 فَالَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَا سِوَى
 هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْاَمْرَانِ
 اَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ اَعْرَفِ خَلْقِهِ
 بِجَلَالِهِ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
 بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
 فَالشَّوْقُ لَذَّةٌ رُوحَهُ فِي هَذِهِ الدُّ
 نْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 تَتَنَبَّأُ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
 دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
 وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلْـ
 سُدُّ مِنْ أَشْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
 وَكَذَلِكَ رُؤْيَاهُ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ
 هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ

اللَّهُمَّ انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، ووقفنا للعمل بما فهمتنا ، اللَّهُمَّ إن كنا
 مقصرين في حفظ حَقِّك والوفاء بعهدك فأنت تعلم صدقنا في رجاء رفاك ، وخالص ودك ،
 اللَّهُمَّ أنت أعلم بنا منا فبكمال جودك تجاوز عنا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .
 اللَّهُمَّ اجعلنا لكتابك من التالين ولك به من العاملين وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين
 ، وإلى لذيذ خطابه مستمعين ، ولأوامره ونواهيه خاضعين وبالأعمال مخلصين ، وَأَغْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

عباد الله وقد سبق ذكر النار وأهوالها ، وغمومها وأنكالها وطباقتها ، وشراب أهلها
 وطعامهم ، وما إلى ذلك مما أعدده الله جلَّ وَعَلَا لأهلها من أنواع العذاب الأليم الأبدي
 السرمدى أعادنا الله وإياكم وجميع

المسلمين منها ، ويقابلها دار أخرى دار قرار ونعيم ، وسرور وحبور ، وأمن وصحة ، وحياة أبدية فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين ممَّا لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، دار جعلها الكريم الرحيم الغافر الجواد الماجد ، دار ضيافة يكرم فيها عباده الأخيار الَّذِينَ وفقهم الله لخدمته وَالْعَمَل بطاعته ، ولا تظنن هذه الضيافة فيها محدودة ، ولا أن الكرامة فيها تنتهي ، بل الكرامة كُلِّ ما تحبه وتمنناه أمامك ، إن كنت ممن سبقت له من الله الحسنى .

فاستشر الخوف من قلبك ، بطول فكري في أصحاب جهنم ، وفي أحوالهم وتقلباتهم ، وحسرتهم ، وندامتهم على تفریطهم ، واذكر طعامهم وشرابهم ، وألوان عذابهم وخلودهم ، واستشر الرجاء ، بطول فكري فيما أعدده الله لأولياءه وأصفيائه في دار كرامته من النعيم المُقيم والعيش السليم الموعود لأهل الجنة ، جعلنا الله وإياك وَجَمِيع المسلمين ممن يجلها ، وسق نفسك بسوط الخوف ، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم لتنال الملك العظيم ، وتسلم من العذاب الأليم ، وتفكر في قدوم أهل الجنة ، وما يلاقون من الحفاوة والتكريم ، وما يُقال لهم عند قدومهم .

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بعد أن ذكر جلَّ وَعَمَّا أحوال الأشقياء ، وما يلاقونه يوم القيامة من الأهوال والكروب والشدائد ، أردف ذلك بذكر أحوال السعداء ، وما

يلاقونه إذ ذاك من النعيم ، وما يُقَالُ لَهُمْ والمراد بالسوق هنا الإسراع بِهِمْ إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك ، بخلاف السوق المتقدم في حق الكفار ، فإنه طردهم إلى العذاب والذل والهوان ، كما يفل بالمجرم الأسير إذا سيق إلى السجن أو القتل فستان ما بين السوقين ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ المعنى أنهم إذا وصلوا إليها وَقَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لَهُمْ كما تفتح الخدم باب المنزل للضيف عِنْدَ قدومه ، وتقف له منتظرة حضوره فرحًا واستبشارًا لقدومه ، فرحوا بما أفاء الله عَلَيْهِمْ من النعيم ، وبما شاهدت أعينهم مِمَّا لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا أن خزنة الجنة يسلمون على الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فبدؤهم بالسلام ، التضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي سلمتم فلا يلغكم بعد اليوم ما تكرهون ثم قالوا لهم : ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .

أي سلامتكم ودخولكم بطيبكم ، فإن الله حرمها إلا على الطيبين ، فبشروهم بالسلامة والطيب ، والدخول والخلود ، ثُمَّ أَخْبَرَ عما يقوله المؤمنون إذا عاينوا ذَلِكَ النعيم المُقِيم والعطاء الجزيل بعد دخولهم واستقرارهم ، حامدين لله على ما أولاهم ومن به عَلَيْهِمْ وهداهم له ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ ونحو هذه الآية ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ إيماننا بك ومحبتك في قلوبنا ثبوت الجبال الراسيات واعصمنا يا مولانا مِنْ جَمِيعِ

الموبقات ووقفنا للعمل بالباقيات الصالحات

وارفع منازلنا في فسيح الجنات وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم يا حكيم يا عليم يا حي يا قيوم
وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

قال ابن القيم :

أَبْوَابُهَا حَقُّ ثَمَانِيَةَ أَتَتْ

فِي النَّصِّ وَهِيَ لِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

بَابُ الْجِهَادِ وَذَاكَ أَعْلَاهَا وَبَا

بُ الصَّوْمِ يُدْعَى الْبَابُ بِالرِّيَّانِ

وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالِحٍ بَابٌ وَرَ

بُ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بِأَمَانِ

وَلَسَوْفَ يُدْعَى الْمَرْءُ مِنْ أَبْوَابِهَا

جَمْعًا إِذَا وَافَى حُلَى الْإِيمَانِ

مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ ذَا

كَ خَلِيفَةُ الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وتفكر في وجوه أهل الجنة التي أخبر الله عنها بقوله : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾
﴿ أَي بَهَاءٍ وَنَضَارَتِهِ وَرَوْنَقِهِ فَإِنْ تَوَالَى اللَّذَاتِ وَالْمَسْرَاتِ وَالْأَفْرَاحَ يَكْسِبُ الْوَجْهَ نُورًا وَحَسَنًا ،
وبهجة وإشراقًا ، تبرق منه أسارير الوجه .

ثم أخبر جلَّ وَعَلَا عما يسقاه الأبرار من الشراب الطيب اللذيذ ، فَقَالَ : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ
رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ الرحيق من أسماء الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ،
ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حدثنا حسن حدثنا زهير عن
سعيد عن أبي المحاصر الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ

سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمناً أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مؤمناً كسا مؤمناً ثوباً على عُرْيٍ كساه الله من خضر الجنة » ، وقوله : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أي خلطه مسك .

وعن أبي الدرداء : هُوَ شراب أبيض مثل الفضة ، يخرمون به شراهم ، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وَجَدَ طيبها ، وقوله : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ المعنى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وفي مثل هذا الحال فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله ، وليتفاخر المتفاخرون ، وليتباهى المتباهون ، ويكثر ويستبق إلى مثله المستبقون ، كقوله تَعَالَى : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ المعنى أن هذا الشراب الموصوف المختوم بالمسك : يفيض ختمه ، ثم يمزج بشيء من هذه العين المسماة ﴿ تَسْنِيمٍ ﴾ التي ﴿ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح ، والضحاك . ولهذا قال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أي يشربها المقربون ، وقيل : يشرب منها المقربون ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآبِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ﴾ بعد ما أخبر جَلَّ وَعَلَا أنه وقاهم شر ذلك اليوم ، فلا يحزنهم الفزع الأكبر ، وأنه لقاهم نضرة في وجوههم ، وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ ، فجمعَهُمْ بَيْنَ النَّعِيمِ الظاهر ، وَالنَّعِيمِ الباطن ، وأنه ﴿ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ، وأنهم في جلسة مريحة مطمئنة ، والجو حولهم رخاء ناعم ، دافئ في غير حر ندي ، في غير برد ، فلا شمس تلهب ،

ولا برد يقرس ، وقريبة أغصانها وثمارها من مریدها يناله قاعدًا أو قائمًا ، أخبر عما يدور به الولدان والخدم ، من الطعام والشراب الذي على قدر ربههم ، لا يزيد عنه ولا ينقص ، قال ابن القيم رحمه الله واصفًا لطعامهم وشرابهم :

وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفُوسُهُمْ
 وَلُحُومٌ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِيمَانٍ
 وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مُنَاهُمْ
 يَا شِبَعَةَ كَمَلْتِ لِذِي الْإِيمَانِ
 لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنَّسَاءُ وَفَوَاكِهُ
 وَالطَّيِّبُ مَعِ رُوحٍ وَمَعِ رِيحَانٍ
 وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
 بِأَكْفٍ خُذَّامٍ مِنَ الْوُلْدَانِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى جَعَلِ اللَّذَاذَةَ لِلْعِيُو
 نِ وَشَهْوَةَ لِلنَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
 لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
 شَهْوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
 سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوجِبُ لَذَّةً
 أُخْرَى سِوَى مَا نَأَلْتِ الْعَيْنَانِ

اللَّهُمَّ ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك ، اللَّهُمَّ ثَبَّتْ إيماننا ثبوت الجبال الراسيات ووقفنا للعمل بالباقيات الصالحات واعصمنا يا مولانا عن المحرمات والمشتبهات واغفر لنا جميع الخطايا والزلات وافتح لدعائنا باب القبول والإجابات يا أجود الأجودين .

اللَّهُمَّ امن عَلَيْنَا بِإِصْلَاحِ عَيْوَبِنَا وَاجْعَلِ التَّقْوَى زَادَانَا وَفِي دِينِكَ

اجتهادنا وَعَلَيْكَ توكُلنا واعتمادنا ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ هَذَا الْكَلَامُ اسْتِثْنَاءٌ مَسْقُوقٌ لِشَرْحِ مَحَاسِنِ الْجَنَّةِ الْمَوْعُودِ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَانِ كَيْفِيَةِ أَنْهَارِهَا الَّتِي أُشِيرَ إِلَيْهَا وَأَنَّهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ ، فَقَالَ - مَفْسُراً لِذَلِكَ - ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ أَي غَيْرِ مُتَغَيِّرَةِ الطَّعْمِ وَالرِّيحِ وَاللَّوْنِ ، بَلْ هُوَ أَعَذِبَ الْمِيَاهِ وَأَصْفَاهَا ، وَأَطْيَبَهَا وَأَلَذَّهَا شَرْباً وَالثَّانِي : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ﴾ لَا بِمَحْمُوضَةٍ وَلَا غَيْرِهَا .

الثالث : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ لَمْ تَدْنَسْهَا الْأَرْجُلُ ، وَلَمْ تَكْدُرْهَا الْأَيْدِي ، وَلَيْسَ فِيهَا كِرَاهَةُ طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا غَائِلَةٌ سُكَّرٌ ، بَلْ يَلْتَذُّ شَارِبُهَا لَذَّةً عَظِيمَةً ، لَا كَخَمْرِ الدُّنْيَا الَّتِي يَكْرَهُ مَذَاقَهَا ، وَتَصْدَعُ الرَّأْسَ ، وَتَزِيلُ الْعَقْلَ .

والرابع : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ أَي قَدْ صَفِيَ عَنِ الْقَذَى وَالْوَسَخِ ، وَمَا يَكُونُ فِي عَسَلِ الدُّنْيَا قَبْلَ تَصْفِيَّتِهِ مِنَ الشَّمْعِ ، وَفَضَالَاتِ النُّحْلِ وَغَيْرِهَا ، وَبَدَأَ بِالْمَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ بِاللَّبَنِ لِأَنَّهُ يَجْرِي بِجَرَى الطَّعَامِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمْ ، ثُمَّ بِالْخَمْرِ ، لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَ ،

الري والشبع تشوّقت النفس لما يستلذ به ، ثمّ بالعسل لأن فيه الشفاء في الدُّنيا ممّا يمرض من المطعوم والمشروب .

الخامس : ﴿ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ أي ولهم في الجنة أنواع من الثمار المختلفة الطعوم والروائح والأشكال ، من نخيل وأعناب ، وتفاح ورمان وتين وغير ذلك ، ممّا لا نظير له في الدُّنيا : وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ :

يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شَرِبُهَا
بِالْمِسْنِكِ أَوْلَاهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
مَنْ خَمْرَةَ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلا
غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانِ
وَالْخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصْفُهَا
تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السَّكَرَانِ
وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ
وَيُخَافُ مِنْ عَدَمِ لَذِي الْوَجْدَانِ
فَنَفَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنْ أَلِ
خَمْرِ التِّي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَزْجُهُ أَلِ
كَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ
هَذَا شَرَابُ أَوْلِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ أَلِ
أَبْرَارُ شَرِبُوا شَرِبُوا شَرَابُ ثَّانِي

يُذْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرَابِهِمْ
شُرْبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرُ خَيْرَةِ الرَّحْمَنِ
صَفَى الْمُقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ
ذَاكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَصْفِيَتَانِ
لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَرْجٍ
جِ بِالْمَبْرَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِضْيَانِ
مُزْجِ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمْ
أَعْمَالُ ذَاكَ الْمَرْجِ بِالْمِيرَانِ
هَذَا وَذُو التَّخْلِيْطِ مَرْجًا أَمْرُهُ
وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّنَا الْوَدْيَانِ

اللَّهُمَّ اكتب في قلوبنا الإيمان وأيدنا بنور منك يا نور السماوات والأرض اللهم وافتح
لدعائنا باب القبول والإجابة ، واغفر لنا برحمتك الواسعة إنك أنت الغفور الرحيم ، وصلى الله
على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(فَصْلٌ)

قال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ
ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَلِيَّهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ بعد أن ذكر
جَلَّ وَعَلَا وصف أولي مشروبهم ، ووصف مشروبهم ، ذكر أوصاف السقاة الَّذِينَ يسقونهم
ذَلِكَ الشَّرَابِ ، وأنهم ولدان من ولدان الجنة ، يأتون على ما هم عَلَيْهِ من الشباب والطراوة
والنظارة ، لا يهرمون ولا يتغيرون ، ولا تضعف أجسامهم عن الخدمة ، وإنك إذا رأيت هؤلاء
الولدان خلقتهم لحسن ألوانهم ، ونضارة وجوههم لؤلؤًا

منثورًا ، ولما ذكر جَلَّ وَعَلَا نعيم أهل الجنة ، ذكر أن هناك أمور عالية عظيمة ، يعني في الجنة وسعتها وارتفاعها ، وما فيها من المساكن ، والغرف المزينة المزخرفة ، مما لا يدركه الوصف ، ولديه من البساتين الزاهرة ، والثمار الدانية ، والفواكه الشهية ، ولحوم الطيور الطرية ، والأثمار التي قال الله جَلَّ وَعَلَا عَنْهَا : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ - مَخْبِرًا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَأَنَّهُمْ مَّخْدُومُونَ فِي شَرَابِهِمْ وَطَعَامِهِمْ ، مَكْفِيُونَ مَوْثِقَةً مَا يَرِيدُونَ - : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ وبعد وصف الشراب ، وصف جَلَّ وَعَلَا الطعام ، فَقَالَ : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ثم بعد ذكر الطعام والشراب ذكر نساءهم فَقَالَ : ﴿ وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ .

ثم ذكر السبب في متعتهم بكل هذا النعيم فَقَالَ : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فكما حسنت مِنْهُمْ الأعمال ، أحسن الله لَهُمُ الجزاء ، ووفر لَهُمُ الفوز والنعيم ، فجازاهم على ما عملوا وأثابهم بما كسبوا في الدنيا ، وزكوا به أنفسهم من صالح الأعمال ، ونصبوا له بأداء فرائضه على أتم الوجوه وأكملها ، فهم كانوا قوامين الليل ، صوامين النهار ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ كُلِّ مَوْحِدٍ مُّلازِمِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
لَهُ عَقَّةٌ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ مُّحَرَّمٍ وَذُو رَغْبَةٍ فِيمَا يُؤَدِّي لِجَنَّةٍ

وبعد أن وصف نساءهم وصف جَلَّ وَعَلَا حديثهم حينئذٍ فَقَالَ : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴾ * إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴿ ﴾ ، أي : لا يسمعون في الجنة اللغو أي الهراء من الحديث ، ولا هجر القول ، ما تتقزز منه النفوس الراقية ، ذات الأخلاق العالية ولا يسمعون كلاماً يؤثم صاحبه ، ولكن يسمعون أطيب الكلام وَهُوَ التسليم من بعضهم على بعض ، وَذَلِكَ أَنَّهَا دار الطيبين ، ولا يكون فيها إِلَّا كُلُّ طيب ، وَهَذَا دَلِيلٌ على حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم ، وأنه أطيب السَّلَام ، وسامي الكلام ، مِمَّا يستساغ ، كما قال تَعَالَى : ﴿ وَحَيِّثُهم فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ثمَّ بعد أن ذكر حال السابقين وبين ما لهم من نعيم مقيم في جنات النعيم ، أردف ذَلِكَ بذكر أصحاب اليمين فَقَالَ : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ . ففِيهَا كُلُّ ما تشتهيهِ النفوس ، وتلد الأعين به ، من مطاعم ومشارب ، وملابس ومناكح ، ومناظر حسنة ، ويرى فيها الأشجار الملتفة ، والمباني المزخرفة ، ويرى فيها الرياض المعجبة ، والطيور المطربة المشجية ، ما يأخذ بالقلوب ، ويسر النفوس ويفرحها ، وتجده الواحد عنده من الزوجات اللَّائِي فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، الجامعات لجمال الظاهر والباطن ، اللَّائِي قَالَ اللهُ عَنْهُم : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ما يملأ القلب سرورًا ولذة وفرحًا ، وعنده

من الخدم والغلمان المخلدين ما به تحصل الرّاحة والطّمأنينة والأنس ، وتتم به لذة العيش ،
وتكمل به الغبطة ، وفوق ذلك رضى بديع السماوات والأرض ، وسماع كلامه ، ولذة القرب
منه ، والابتهاج والسرور برضاه ، والخلود الدائم الأبدى ، الخالي من المكدرات والمنغصات ،
وتزايد ما هم فيه من النّعيم المُقيم ، والعيش السّليم ، كُلّ وَقْتٍ وحين ، قال ابن القيم رَحْمَهُ
اللهُ - في صفة عرائس الجنّة ، وحسنهن وجمالهن ، ولذة وصالهن ومهورهن:

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي
حُقِّقْتُ بِذَلِكَ الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ
وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا بَيْنَ الصِّفَا
وَمُحَسَّرٍ مَسْرَعَاهُ لَا الْعَلَمَانِ
وَيَرُومُ قُرْبَانَ الْوَصَالِ عَلَى مِنَى
وَالْخَيْفُ يَحْجِبُهُ عَنِ الْقُرْبَانِ
فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرَمًا أَبَدًا وَمَوْ
ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِي
يَبْغِي التَّمْتِيعَ مُفْرَدًا عَنْ حَبِّهِ
مُنْجَرِدًا يَبْغِي شَيْئًا شَفِيعَ قُرْبَانِ
فَيَظَلُّ بِالْجَمْرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
هَذَا نِزَاةً مَنَاسِكُهُ وَكُلُّ زَمَانِ
وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ
حَثُّوا رِجْلَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ

وَخَدَتْ بِهِمْ هَمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ
 نَحْنُو الْمَنَازِلَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
 رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوَصَا
 لٍ فَشَمُّرُوا يَا خَيِّمَةَ الْكَسَلَانِ
 وَرَأَوْا عَلَى بُعْدِ خِيَامًا مُشْرِفًا
 تِ مُشْرِفَاتِ الثُّورِ وَالْبُرْهَانِ
 فَتَيَّمُّوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَاَنْسُوا
 فِيهِنَّ أَقْمَارًا بِإِلَا نُقْصَانِ
 مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى
 مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
 قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفُهَا مِنْ حُسْنِهِ
 وَالطَّرْفُ فِي ذَا الْوَجْهِ لِلنَّسْوَانِ
 أَوْ أَنْهَاقَ قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفُهُ
 مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
 وَالْأَوَّلُ الْمَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الْخَطَا
 بِ فَلا تَحْدُ عَنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
 وَلِزَيْمًا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثَّ
 انِي فَبِلِكِ إِشَارَةٍ لِمَعَانِي
 هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ
 مَقْصُورَةً فَهَمَّ إِذَا صِرْتِ نَفَانِ

يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ الْمُعَذِّبِ فِي الْأَلْيِ
جُرِّدَنَّ عَنِّ حُسْنٍ وَعَنِّ إِحْسَانِ
لَا تَسْبِيكَ صُورَةً مِنْ تَحْتِهَا الدَّ
اءُ الـدَّفِينُ تَبُوهُ بِالْحُسْنِ رَانَ
قُبَحَتْ خَلَاتُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا
شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِلْأَنْدَالِ وَالْأَزْدَالِ هُمْ
أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ
مَا تَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا
خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ
تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْحِفَاظِ فَمَا لَهَا
بِوَفَاءِ حَقِّ الْبُعْلِ قَطُّ يَدَانِ
إِنْ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةٌ
قَالَتْ وَهَلْ أُولِيَتْ مِنْ إِحْسَانِ
أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ
تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ وَالتَّقْصَانِ
أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكِدِ الَّذِي

قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الْإِنْسَانِ
 فَجَمَالُهَا قِشْرُ رَقِيقٍ تَحْتَهُ
 مَا شِئْتُ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
 نَقْدٍ رَدِيءٍ فَوْقَهُ مِنْ فَضْلةٍ
 شَيْءٍ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ
 فَالْتَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ
 أَمَا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَحَائِنَا
 تُ بُعِثُوا وَلَهُنَّ وَهُنَّ لِلْأَخْصَانِ
 وَالْحَافِظَاتُ الْعَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
 قَدْ أَصْـبَحَتْ فَرْدًا مِنَ التَّسْوَانِ
 فَانظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 مِنْ قَبْلِ مَنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِي الـ
 بَاقِي بِذَا الْأَذْنَى الَّذِي هُوَ فَايِ
 إِنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خُودٌ مِثْلَ مَا
 تَبْغِي وَلَمْ تَطْفُرْ إِلَيَّ ذَا الْآنِ
 فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمَنِ خُودًا ثُمَّ قَدْ
 مِ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إِنْ يَكُنْ

لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعُلَمِ وَالْإِيْمَانِ
 وَاللّٰهُ لَمْ تُخْرِجْ اِلَى الدُّنْيَا لِلذُّ
 ةِ عَيْشِهَا اَوْ لِلْحَطَايَا الْمَقَامِ الْفَانِي
 لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلذُّ
 اُخْرَى فَجِئْتَ بِاَقْبَحِ الْخُسْرَانِ
 اَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ
 فَاتَ الَّذِي اَلْهَكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
 وَاللّٰهُ لَوْ اَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيْمَةٌ
 لَتَقَطَّعْتَ اَسْفَا مِنْ الْخُرْمَانِ
 لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ
 نْيَا وَسَوْفَ تَفِيْقُ بَعْدَ زَمَانِ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا ثَبُوتَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ وَجَنِّبْنَا الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ الْمَوْبِقَاتِ وَوَقِّفْنَا
 لِلْعَمَلِ بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَأَهْمِنَا ذِكْرَكَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلْنَا فِسْحَ
 الْجَنَاتِ يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ .

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ حَزْبِكَ الْمَفْلِحِينَ ،
 وَأَيِّدْنَا بِجَنْدِكَ الْمَنْصُورِينَ . وَارْزُقْنَا مِرَافِقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ . وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

وبعد أن وصف الله جَلَّ وَعَلَا شراب أهل الجنة وآنيته ، وما هم فيه من النعيم ، وصف
 ملابسهم بقوله : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ ﴾ وذكر بعده حليهم فقال : ﴿ وَحُلُّوْا
 أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ وفي سورة فاطر يقولُ

جَلَّ وَعَلَا : ﴿يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ .
 وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ إِيح ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
 تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ
 وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿فِي آيَةِ سُورَةِ الدُّخَانِ ذَكَرَ
 جَلَّ وَعَلَا مِنْ ضُرُوبِ نَعِيمِهِمْ خَمْسَةَ أَلْوَانٍ :

١- مَسَاكِنُهُمْ فَقَالَ : ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ وَالْمَسْكَنُ الطَّيِّبُ يَطِيبُ
 بِأَمْرَيْنِ :

(أ) أَنْ يَكُونَ السَّاكِنُ فِيهِ آمِنًا مِنْ جَمِيعِ مَا يَخَافُهُ وَيَجْذُرُ مِنْهُ ، وَهُوَ الْمَقَامُ الْأَمِينُ .
 (ب) أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَسْبَابُ النَّهْمَةِ مِنَ الْجَنَاتِ وَالْعُيُونِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : ﴿فِي جَنَّاتٍ
 وَعُيُونٍ﴾ .

٢- مَلَابِسُهُمْ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بِقَوْلِهِ : ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ .
 ٣- اسْتِنَاسُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، بِجُلُوسِهِمْ عَلَى جِهَةِ التَّقَابُلِ وَهُوَ مَا أُشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ :
 ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ .

- ٤- الأزواج وهُوَ المشار إليه بقوله : ﴿ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ .
- ٥- المأكول كما في قوله : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ هَذَا جزاء المتقين لله ، الَّذِينَ تَجَنَّبُوا مَا يَسْخَطُهُ مِنَ الْمَعَاصِي ، وَفَعَلُوا مَا يَرْضِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ ، بَيْنَ أَنْ حَيَاتِهِمْ فِي هَذَا النَّعِيمِ مُسْتَمِرَّةٌ دَائِمَةٌ لَا يَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَلَا فَنَاءٌ وَلَا انْقِطَاعٌ فَقَالَ : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ ، فَلَا يَخْشَوْنَ فِي الْجَنَّةِ مَوْتًا وَلَا فَنَاءً أَبَدًا ، فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَأْتِي بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يَذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ » . وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنْ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَيْأَسُوا أَبَدًا ، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
- وَمَعَ هَذَا النَّعِيمِ ، فَقَدْ نَجَّاهُمْ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ، تَفَضُّلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا ، فَأَعْطَاهُمْ مَا يَطْلُبُونَ ، وَنَجَّاهُمْ مِمَّا يَرْهَبُونَ وَهَذَا هُوَ الْفَلَاحُ وَالْفَوْزُ الْعَظِيمُ .
- قال ابن القيم :

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيْنَ

نَ الْمُنْزَلَيْنِ كَذَبِحِ كَبْشِ الضَّئَانِ

حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
هُوَ مَوْئِنُنَا الْمَخْتِئُونَ لِلْإِنْسَانِ
وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كِبْشًا أَمْلَحًا
يَوْمَ الْمَعَادِ يُرَى لَنَا بَعِيَانِ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ
أَبَدًا بِبَدَارِ الْأَمْنِ وَالرِّضْوَانِ
أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِي الْإِيمَانِ
يُخْرِعُ عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهِمَا مَوْتُ وَعَا
فِيئَةٌ بِبِلَا سُقْمٍ وَلَا أَحْزَانِ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا
لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا
نَوْمٍ وَمَوْتُ بَيْنَنَا أَخْرَانِ
هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ
بِ اللَّهِ فَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

ونعود إلى لباس أهل الجنة والكلام عليه .

فلباس أهل الجنة في الجنة الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع

الديباج ، للقمصان والغلائل ونحوها بمآ يلي أبدانهم ، والاستبرق هُو غليظ الديباج لامعه ، بمآ يلي الظاهر ، كما هُو المعهود في لباس الدُنْيَا ، وأما الحل فقيل : إن صفة حلي الأبرار أنه من فضة وصفة حلي المقربين من الذهب ، وقيل : لأن أهل الجنّة يلبسون هَذَا تَارَةً ، والآخِر تَارَةً ، وَقَدْ يَجْمَعُونَ بَيْنَهُمَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ أَنَّهُمْ يَسْقُونَ شَرَابًا آخَرَ طَهُورًا ، قِيلَ : طَاهِرٌ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَقْدَاءِ ، لَمْ تَدْنَسْهُ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ ، كَخَمْرِ الدُّنْيَا وَقِيلَ إِنَّهُ لَا يَصِيرُ بُولًا نَجَسًا وَلَكِنَّهُ يَصِيرُ فِي أَبْدَانِهِمْ كَرِيحَ الْمَسْكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ بِالطَّعَامِ فَيَأْكُلُونَ ، فَإِذَا كَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَتَوْا بِالشَّرَابِ الطَّهُورِ فَيَشْرَبُونَ ، فَتَطْهَرُ بَطُونُهُمْ ، وَيَصِيرُ مَا أَكَلُوا رَشْحًا ، يُخْرَجُ مِنْ جُلُودِهِمْ أَطِيبٌ مِنَ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ ، وَتَضْمُرُ بَطُونُهُمْ ، وَتَعُودُ شَهْوَتُهُمْ ، وَقَالَ مِقَاتِلُ : هُوَ عَيْنُ مَاءٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا نَزَعَ اللَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ غُلٍّ وَغَشٍّ وَحَسَدٍ . وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا انْتَهَى أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَجَدُوا هُنَالِكَ عَيْنِينَ ، فَكَأَنَّمَا أَلْهَمُوا ذَلِكَ ، فَشَرَبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ أَدَى ، ثُمَّ اغْتَسَلُوا مِنَ الْأُخْرَى فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ ، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِحَالِهِمُ الظَّاهِرِ ، وَجَمَاهِمُ الْبَاطِنِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ * هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مِمَّا يَدْعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَخْبُرُ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا ارْتَحَلُوا مِنَ الْعُرْصَاتِ فَنَزَلُوا فِي رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ ، أَنَّهُمْ فِي شُغْلِ مَفْكَةٍ لِلنَّفْسِ ، مَلَذٍ لَهَا ، مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَاهُ

النُّفُوس ، وتلذه العيون . قال الحسن البصري وإسماعيل بن خالد : في شغل عما فيه أهل النار من العذاب . وَقَالَ ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والأعمش وسليمان التيمي والأوزاعي : شغلهم افتضاض الأبقار .
والخلاصة أن من يدخل الجنة يتمتع بنعيمها ولذاتها ، ويكون بذلك في شغل عما سواه ، إذ يرى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فأنى له أن يفكر فيما سواه وهو بذلك فرح مستبشر ، ضحوك السن ، هادئ البال ، لا يرى شيئاً يغمه أو ينغص عليه حبوره وسروره .

وَلَقَدْ رُؤِينَا أَنْ شُغْلَهُمُ الَّذِي	قَدْ جَاءَ فِي يَسْ دُونَ بَيَانِ
شُغْلُ الْعُرُوسِ بِعُرْسِهِ مِنْ بَعْدِمَا	عَبَثَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ
بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَالِهِ	تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ	مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ
وَالشَّوْقِ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ	بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
وَاقَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيْبِهِ	عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ
أَتَلُوهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ	لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانِ
يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَعْتَ أَقْلَامَنَا	يَا رَبُّ مَعْدِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

اللَّهُمَّ أعطنا من الخير فوق ما نرجو واصرف عنا من السوء فوق ما نحذر . اللَّهُمَّ علق قلوبنا برجائك واقطع رجاءنا عن سواك . اللَّهُمَّ إنك تعلم عيوبنا فاسترها وتعلم حاجتنا فاقضها كفى بك ولياً وكفى بك نصيراً يا رب العالمين . اللَّهُمَّ وفقنا لسلوك سبيل عبادك الأخيار ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ يذكر جلَّ وعلا ما يتلقى به عباده المؤمنين ، الْمُتَحَابِّينَ فِيهِ ، تَشْرِيفًا لَهُمْ وَتَكْرِيمًا ، وَتَسْكِينًا لِرُوعِهِمْ ، مِمَّا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالكَرُوبِ وَالشَّدَائِدِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا عِبَادِ ﴾ الآية . ثُمَّ بَيْنَ مِنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا النِّدَاءَ فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ فعندما يسمع النَّاسُ المُنَادِيَ ينادي بِالآيَةِ الْأُولَى ، وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ يَرِجُوهُا النَّاسُ كُلَّهُمْ فَإِذَا سَمِعُوا الْآيَةَ الَّتِي تَلِيهَا يَتَسَّ النَّاسُ مِنْهَا غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ ذَكَرَ مَا يُقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْبَشْرَى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ وَبَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ طَرَفًا مِمَّا يَتَنَعَّمُونَ بِهِ مِنَ النَّعِيمِ ، فَقَالَ : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أَي وَبَعْدَ أَنْ يَسْتَقَرُّوا بِالْجَنَّةِ ، وَيَهْدَأُ رُوعُهُمْ ، تَدُورُ عَلَيْهِمْ خِدَامُهُمْ مِنَ الْوَلَدَانِ الْمُحَلِّدِينَ بِصِحَافٍ مِنَ الذَّهَبِ ، مَتْرَعَةٌ بِالْوَلَدِ الْأَطْعَمَةِ ، وَبِأَكْوَابٍ فِيهَا أَصْنَافُ الشَّرَابِ مِمَّا لَذَّ وَطَابُ .

وعن أنس قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجِبُهُ الرَّؤْيَا ، فَيَسْأَلُ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُن يَعْرِفُهُ ، فَإِذَا أُتِنِيَ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ

كأني أتيت ، فأخرجت من المَدِينَةِ ، فأدخلت الجَنَّةَ ، فسمعت وجبة انفتحت لها الجَنَّةُ ، فنظرت فإذا فلان وفلان وفلان ، فسمت اثني عشر رجلاً كَانَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بعثهم في سرية قبل ذَلِكَ ، فجاء بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثياب طلس ، تشخب أوداجهم ، فقيل : اذهبوا بِهِمْ إلى نهر البيذخ ، قال : فغمسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر ، فأكلوا من ذَلِكَ البسر ما شاءوا ، فما يقبلونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا ، وأكلت معهم ، فجاء البشير من تلك السرية ، فَقَالَ : أصيب فلان ، وفلان ، حتى عد اثني عشر رجلاً ، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرأة فَقَالَ : « قصي رؤياك » فقصتها وجعلت تقول : جيء بفلان ، وفلان كما قال . رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم .

وبعد هَذَا التفصيل لبعض ما في الجَنَّةِ من نعيم ، عمم ذَلِكَ فَقَالَ : ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُ أَهْلِهَا مِنْ صَنُوفِ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْأَلْبَسَةِ ، وَالْأَيَاءِ الْمَعْقُولَةِ وَالْمَسْمُوعَةِ ، وَنَحْوِهَا مِمَّا تَطْلُبُهُ النَّفُوسُ وَتَهْوَاهُ ، كَأَنَّ مَا كَانَ

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا ﴾ ﴿ بعد أن ذكر جَلَّ وَعَلَا حال المجرمين المكذبين الطاغين ، أعقبه بمآل المتقين ، وما يفوزون به من الجنات التي وصفها ، ووصف ما فيها ، وذكر أنها عطاء منه ، ففي ذكرها استنهاض ، وحث لعوالي الهمم ، بدعوتهم إلى المثابرة على الطاعات والازدياد منها ، وفي تذكر ما في هَذَا المَفَازِ والمنجى البَعِيدِ عن النار ،

والزوجات الكواعب ، اللاتي على سن واحد متقارب ، ما يمنع ذا اللب من الانهماك في الدنيا ولذاتها ، وقتل الأوقات في طلبها وتحصيلها .

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ : فَصَلِّ فيما أعد الله لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة :

يَا خَاطِبَ الْخُورِ الْحَسَانِ وَطَالِبَا
لِوَصَالِ الْهِنِّ بِجَنَّةِ الْحَيَاةِ الْوَانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبَ
تَ بَدَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيَّنَ مَسَكْنَهَا جَعَلْ
تَ السَّعْيِ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ
رُمْتَ الْوَصَالَ فَلَا تُكُنْ بِالْوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثِّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا
مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِرَمَّانِ
فَاعْشِقْ وَحَدِّثْ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ وَابْ
نِذِلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ
مِ الْوَصَالِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرْ
تَلَقَّى الْمَخَاوِفَ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ

لَا يُلْهِئَتِكَ مَنْزِلٌ لَعِبْتَ بِهِ
 أَيِّدِي الْبِلَا مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مُسَرَّةٍ
 وَتَبَّ دَلَّتْ بِالْأَهَمِّ وَالْأَخْزَانِ
 سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَـ
 كِنُ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
 سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا
 لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
 وَأَلْذُهُمْ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَا
 قِ اللَّهِ تُنَمُّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ
 عَمَرَتْ بِهِمْ هَدْيِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ
 مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةُ عَيْشِهَا أَلْـ
 فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
 صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ
 وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
 كَدْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ
 مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ
 وَاللَّهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُ
 رَ رَأَيْتَهُ كَمَا كَمَرَجِلِ التِّيْرَانِ

وَوَقُودَهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسَرَاتُ وَالْآ
 لَامُ لَا تَخْبُؤُ مَعِيَ الْأَزْمَانِ
 أَبَدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ التُّفُو
 سِ اللَّائِي قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ
 أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ
 فِي كَدْحَةٍ لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ
 فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
 لَا تَرْضَى مَا اخْتَارُوا هُمْ لِنُفُوسِهِمْ
 فَقَدْ ارْتَضُوا بِالذُّلِّ وَالْحِرْمَانِ
 لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
 لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذُو الْكُفْرَانِ
 لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ
 مِمَّنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ
 وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا
 فَالَسَّ عُدُّ مِنْهَا حَلًّا بِالذَّبْرَانِ
 لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا
 أَيُّنَ الْوَفَا مِنْ غَادِرِ خَوَّانِ
 طُبِعَتْ عَلَى كَدْرِ فَكَيْفَ يَنَالُهَا
 صَفْوُ أَهْدَا قَطُّ فِي إِمْكَانِ

يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَاهَبِ لِلَّذِي
 قَدْ نَالَهُ العُشَّاقُ كُلَّ زَمَانٍ
 أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلْ رَأَيْتَ مَصَارِعَ الـ
 عُشَّاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ بدعائنا توجهنا وبفنائك أنحننا وَإِيَّاكَ أملنا ولما عندك من الجود والإحسان طلبنا
 ولرحمتك رجونا ، ومن عذابك أشفقنا ولعفوك وغفرانك تعرضنا فاعف عنا وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا
 يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا
 مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ لما ذكر تَعَالَى أَنَّهُ يَدْخُلُ التَّائِبِينَ الْجَنَّةَ ، وَصَفَ هَذِهِ الْجَنَّةَ بِجُمْلَةٍ أَوْصَافٍ (أَوَّلًا)
 (: أَحْبَبَ أَنَّهَا جَنَّاتٌ إِقَامَةٌ دَائِمَةٌ ، لَا كَجَنَّاتِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ وَعَدَ بِهَا الْمُتَّقِينَ ، وَهِيَ غَائِبَةٌ لَمْ
 يَشَاهِدُوهَا ، وَوَعَدَ اللهُ حَقًّا لَا يَخْلُفُ ، فَهِيَ آتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ . (ثَانِيًا) : أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا
 كَلِمًا سَاقِطًا تَافَهُا لَا مَعْنَى لَهُ ، كَمَا يُوْجَدُ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ يَسْمَعُونَ فِيهَا سَلَامًا ، وَالسَّلَامُ
 اسْمُ جَامِعٍ لِلْخَيْرِ ، لِأَنَّهُ يَضْمَنُ السَّلَامَةَ . (ثَالِثًا) : أَنَّهُمْ مَا يَشْتَهَوْنَ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ
 ، فِي قَدَرٍ وَقْتُ الْبُكْرَةِ وَوَقْتُ الْعَشِيِّ مِنْ نَحَارِ أَيَّامِ الدُّنْيَا ، أَيَّ إِنِّ الدُّنْيَا بَيْنَ غَدَائِهِمْ وَعَشَائِهِمْ
 فِي الْجَنَّةِ قَدَرٌ مَا بَيْنَ غَدَاءِ أَحَدِنَا فِي الدُّنْيَا وَعَشَائِهِ .

فَكَرَّتْ فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَلَمْ أَرَهَا تَنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ

ولما ذكر جَلَّ وَعَلَا وتقدس أن هذه الجنة تخالف جنات الدنيا ذكر ما هو سبب استحقاقها فَقَالَ : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ المعنى : هذه الجنة التي وصفت بهذه الصفات الشريفة ، نورثها من عبادنا المتقين الَّذِينَ يَطِيعُونَ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، ومعنى إيراثهم الجنة : الإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهَا فِي أَكْمَلِ نَعِيمٍ ، وقيل : نجعلها لهم كملك الميراث الَّذِي هُوَ أَقْوَى تَمْلِكُ ، بأن نبقى عَلَيْهِ الجنة ، كما نبقى على الوارث مال الموروث ، ولأن الأتقاء يلقون رهم يوم القيامة وَقَدْ انْقَضَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وثمرتها باقية وهي الجنة ، فإن أدخلهم الجنة فَقَدْ أَوْرَثَهُمْ مِنْ تَقْوَاهُمْ ، كما يورث الوارث من المتوفى المَالُ الَّذِي خَلْفَهُ .

وجاء بمعنى الآية قوله تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ إلى أن قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحِنَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ

لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٠٦﴾ إلى غير ذلك من الآيات المنوّهة بذكرهم وشرفهم وعظم جزائهم فنكتفي بالآيات التي ذكرنا ، وما أوضحناه من معاني الآيات السابقات نسأل الله الحي القيوم ذا الجلال والإكرام ، بديع السماوات والأرض ، الواحد الأحد الفرض الصمد ، الَّذِي ﴿١٠٧﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١٠٨﴾ أن ينفع بها إنه القادر على ذَلِكَ .

وأما الأحاديث الواردة في الجنة ، فمنها ما ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « قال الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » واقروا إن شئتم : ﴿١٠٩﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾ ، وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً ، لَا يُبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَنْفِلُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ ، وَجَمَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْخُورُ الْعِينُ ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

قال ابن القيم :

هَذَا	وَسِنَّهُمْ	ثَلَاثٌ	مَعَ	ثَلَا
وَصَغِيرُهُمْ	وَكَبِيرُهُمْ	فِي	ذَا	عَلَى
حَدٍ	سَوَاءً	مَا	سَوَى	الْوَلَدَانِ
		هِيَ	قُوَّةُ	الشُّبَّانِ

وَلَقَدْ رَوَى الْخُضْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ
 أَبْنَاءُ عَشْرٍ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
 وَكِلَاهُمَا فِي التَّرْمِذِيِّ وَلَيْسَ ذَا
 بَتْنَاقُضٍ بَلْ هَا هُنَا أَمْرَانِ
 حَذْفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفُ بَعْدِ الْعُقُوفِ
 دِ وَذِكْرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيِّانِ
 عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ وَعِنْدَمَا
 يَأْتُوا بِتَحْرِيرٍ فَبِالْمِيرَانِ
 وَالطُّوْلُ طُولُ أَبِيهِمْ سِتُونَ لَـ
 كِنَ عَرَضُهُمْ سَبْعُ بِلا نُقْصَانِ
 الطُّوْلُ صَحَّ بغيرِ شَكِّ فِي الصَّحِيـ
 حِينَ اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 وَالْعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا
 لَكِنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هـ
 ذَا الْعَرَضِ وَالطُّوْلِ الْبَدِيعِ الشَّانِ
 كُلُّ عَلَى مَقْدَرٍ صَاحِبِهِ وَذَا
 تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ
 وَشُؤْرِهِمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ
 أَلْوَانُهُمْ بَيْضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لَحَى
 جُعْدُ الشُّعُورِ مُكْحَلُوا الْأَجْفَانِ

اللَّهُمَّ اسلك بنا سبيل النجاة ، وبلغ كلامنا ما أمله ورجاءه واجعل لنا عندك أعظم قدر
وجاه ، ولا تحرمنا من فضلك العظیم یا أكرم الأكرمين ،
وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

في بيان أدنى أهل الجنة منزلةً

عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ ؟ فَقَالَ : رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ،
فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ ؟ وَأَخَذُوا أَخْدَاتِهِمْ ،
فَيُقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ ،
فَيَقُولُ لَهُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ . فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ
وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَدَّتْ عَيْنُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . قَالَ : رَبِّ
فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسَ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ
، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ » . رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي لِأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ
خُرُوجًا مِنْهَا ، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، رَجُلًا يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ
: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهَا أَنَّهَا مَلَأَى ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلَأَى ،
فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهَا أَنَّهَا مَلَأَى . فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ :
يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا

مَلَأَى ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا .
 فَيَقُولُ : أَتَسْخَرُ بِي ، أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ » . قال : فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، فَكَانَ يَقُولُ : « ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « إِنْ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ خِيَمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ
 وَاحِدَةٍ مَجْجُوفَةٍ طَوَّلَهَا فِي السَّمَاءِ سِتُونَ مِيلاً ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ، فَلَا
 يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . الميل : ستة آلاف ذراع . وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصْرَاعِ الْجَنَّةِ لَكُمَْا بَيْنَ
 مَكَّةَ وَهَجَرَ » . متفق عليه .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ
 الرَّابِكُ الْجَوَادِ الْمَضْمَرِ السَّرِيعِ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا » . متفق عليه . وعنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : «
 إِنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغَرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ مِنَ
 الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ ، لِنِفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ ، لَا يَبْلُغُهَا
 غَيْرُهُمْ ، قال : « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَقُوا الْمُرْسَلِينَ » . متفق عليه .
 وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لِقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطَّلَعُ عَلَيْهِ
 الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ سَوْقٌ يَأْتُونَهَا

كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقولون لهم أهلهم : وَاللَّهِ لَقَدْ ازددتم حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم وَاللَّهِ لَقَدْ ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً » . رواه مسلم .

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جَرْدًا مُرْدًا مَكْحَلِينَ ، بَنِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ » . رواه الترمذي ، وَقَالَ : حديث حسن غريب .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بَنَّاؤُهَا ؟ قَالَ : « لَبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبْنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَلَاطُهَا الْمَسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهَا الْوَلُّوُ وَالْيَاقُوتُ ، وَتَرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبُئْسُ ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ » . الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ غَرْفًا يَرَى ظَاهِرَهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنَهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » . فَقَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسَ نِيَامًا » . رواه الطبراني ، وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : عَلَى شَرْطِهِمَا . وَرَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ .

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : (لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ ، وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ ، وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ ، يَدْخُلُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ تَحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكِرَامَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ ، لَا مَرَحَاتٍ ، وَلَا دَفْرَاتٍ ، وَلَا سَخْرَاتٍ ،

ولا طماحات ، حور عين ، كأنهن بيض مكنون » . رواه ابن أبي الدنيا من رواية جابر الجعفي موقوفاً .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة ، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الؤلؤ الجوف ، فقلتُ : ما هذا يا جبريل ، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك . قال : فضرب الملك بيده . فإذا طينه مسك أذفر » . رواه البخاري .

وروي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « في الجنة بحر للماء ، وبحر للبن ، وبحر للعسل ، وبحر للخمر ، ثم تشقق الأنهار منها بعد » . رواه البيهقي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها ، فقال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقال : وعزتي لا يجاورن فيك بخيل » . رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط بإسنادين أحدهما جيد . ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس أطول منه ، ولفظه قال رسول الله ﷺ : « خلق الله جنة عدن بيده ، لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، وملاطها مسك ، حشيشها الزعفران ، حصابؤها الؤلؤ ، ترابه العنبر ، ثم قال لها : انطقي : قالت : قد أفلح المؤمنون . فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي : لا يجاورني فيك بخيل » ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوها ونور قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

وَالْجَنُّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
 جَدَا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
 ذَهَبِيَّانِ بِكُلِّ مَا حَوَّاهُ مِنْ
 حُلِيِّ وَآيِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
 وَكَذَاكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
 حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلُّ أَوَانِ
 لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدُ
 نِ وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ
 أَوْصَافِهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ
 هِيَ مَذْحَجَةٌ مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ
 لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
 سَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ
 أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مِنْ
 زَلَّةٍ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
 وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ
 خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ
 وَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ
 تَفْصِيلُ الْجَنَانِ مُفَصَّلًا بِيَانِ
 هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ وَ
 يَالِيَهُمَا ثِنْتَانِ مُفَصَّلًا وَلَانِ

فَالْأَوْيَانِ الْفَضْلِيَانِ لِأَوْجُهِهِ
 عَشِيرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمَهَا بِوَرَانِ
 وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا
 فِيهِ تَلْوِيحٌ لِمَنْ لَعْنُهُ عَيْنَانِ
 سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْ
 فِرْدَوْسِ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ
 وَيَدَاهُ أَيْضًا اتَّقَنَتْ لِنَائِهَا
 فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمُ بَانِي
 لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْعَرْسَ قَا
 لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَانِ
 قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
 مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ

اللَّهُمَّ يا من بيده خزائن السماوات والأرض ، عافنا من محن الزمان ، وعوارض الفتن ، فإننا
 ضعفاء عن حملها ، وإن كنا من أهلها ، اللَّهُمَّ وفقنا لصالح الأعمال ، ونجنا من جميع الأهوال
 ، وأمن من افزع الأكبر يوم الرجف والزلال ، وأغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

روي عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أرض الجنة بيضاء
 ، عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك ، مثل كثران الرمل ، أنهار مطردة ، فيجتمع
 فيها أهل الجنة ، أدناهم

وآخرهم ، فيتعارفون ، فيبعث الله ريح الرحمة ، فتهيج عليهم ريح المسك ، فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً ، فتقول له : لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة ، وأنا بك الآن أشد إعجاباً » . رواه ابن أبي الدنيا .

وعن كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا مشمر إلى الجنة ، فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلأأ ، وريحانة تهتز وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمره نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، حلل كثيرة ، ومقام في أبد ، في دار سليمة ، وفاكهة وحضرة ، وحبيرة ونعمة ، في محلة عالية بهية » قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون ، قال : « قولوا : إن شاء الله » فقال القوم : إن شاء الله . رواه ابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، والبزار ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي .

وعن سماك أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة ، بعد ما كف بصره ، فقال : يا ابن عباس ما أرض الجنة ؟ قال : مرمرة بيضاء من فضة ، كأنها مرآة . قلت : ما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التي يكون فيها طلوع الشمس ؟ فذلك نورها ، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير ، قال : قلت : فما أنهارها ؟ أي أخدود ؟ قال : لا ولكنها تجري على أرض الجنة ، مستكفة ، لا تفيض ها هنا ولا ها هنا ، قال الله لها : كوني فكانت . قلت : فما حلل الجنة ؟ قال : فيها شجرة ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد ولي الله منها كسوة انحدرت إليه من غصنها ، فانفلقت له عن سبعين حلة ، ألواناً بعد ألوان ، ثم تنطبق فترجع كما كانت . رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن .

وروي عن عمران بن حصين وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله تَعَالَى : ﴿ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ قال : « قصر في الجنة من لؤلؤة ، فيها سبعون دارًا من ياقوتة حمراء ، في كُلِّ دار سبعون بيتًا ، من زمردة خضراء ، في كُلِّ بيت سبعون سريرًا ، على كُلِّ سرير سبعون فراشًا من كُلِّ لون ، على كُلِّ فراش امرأة ، في كُلِّ بيت سبعون وصيفًا ووصيفة ، يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذَلِكَ كله في غداة واحدة » . رواه الطبراني .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذكر سدرة المنتهى - فقال : « يسير الراكب في ظلِّ الفنن منها مائة سنة ، أو يستظلُّ بها مائة راكب شك يحيى ، فيها فراش الذهب ، كأن ثمارها القلال » . رواه الترمذي . وقال : حديث حسن صحيح غريب .

وفي حديث أبي بن كعب أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل له : ما الحوض ؟ قال : « والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحًا من المسك ، وأنيته أكثر عددًا من النجوم ، لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدًا ، ولا يصرف عنه إنسان فيروى أبدًا » . رواه ابن عاصم وغيره .

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من ريح المسك ، كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدًا » . وأخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال : « ليردن على الحوض أقوام ، فيختلجون دوني ، فأقول : رب أصحابي ، رب أصحابي ، فَيَقَالُ : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » .

وأخرَجَ الطبراني ، وابن حبان ، والحاكم وصححه عن خباب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « سيكون أمراء من بعدي فلا تصدقوهم بكذبهم ، ولا تعينوهم على ظلمهم ، فمن فعل لم يرد عليّ الحوض » .

وأخرَجَ البخاري ومسلم غيرها من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، و ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحال بيني وبينهم » . قال أبو حازم :

فسمَعَ النعمان ابن أبي عياش وأنا أحدث هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ ؟ قُلْتُ : نعم ، فَقَالَ : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري سمعته يزيد : « إنهم مني ، فَيَقَالُ : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً لمن بدل بعدي » .

وعن عتبة بن عبد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : جاء أعرابي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ما حوضك الَّذِي تحدث عَنْهُ ؟ فذكر الْحَدِيثَ إلى أن قال فَقَالَ الأعرابي : يَا رَسُولَ اللهِ فيها فاكهة ؟ قال : « نعم ، وفيها شجرة تدعى طُوبَى ، هِيَ تطابق الفردوس » فَقَالَ : أي شجر أرضنا تشبهه ؟ قال : « لَيْسَ تشبه شيئاً من شجر أرضك ، ولكن أتيت

الشام « ؟ قال : لا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « فإنها تشبه شجر في الشام ، تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ، ثُمَّ ينتشر أعلاها » . قال : فما عظم أصلها ؟ قال : « لو ارتحلت جزعة من إبل أهلك لما قطعتها حتى تنكسر ترقوتها هرماً » . قال : فيها عنب ؟ قال : « نعم » . قال : فما عظم العنقود منها ؟ قال : « مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا ينثني ولا يفتر » ، قال : فما عظم الحبة منه ؟ قال : « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه عظيمًا ، فسلخ إهابه فأعطاه أمك ، فَقَالَ : ادبغني هَذَا ، ثُمَّ افري لنا منه ذنوبًا ، يروي ماشيتنا » ؟ قال : نعم ، قال : « فإن تلك الحبة تشبعتني وأهل بيتي » . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وعامة عشيرتك » . رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط ، واللفظ له ، والبيهقي بنحوه ، وابن حبان في صحيحه ، بذكر الشجرة في موضع والعنب في آخر ، ورواه أحمد باختصار .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْكَوْثُرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَبَحْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ » رواه ابن ماجه والترمذي وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نزلنا الصفاح ، فإذا رجل نائم في تحت شجرة قد كادت الشمس تبلغه ، قال : فقلتُ للغلام : انطلق بهذا النطع فأظله . قال فأطلق فأظله ، فلَمَّا استيقظ فإذا هو سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَتَيْتَهُ أَسْلَمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يا جرير تواضع لله ، فإن من تواضع لله في الدُّنْيَا رفعه الله يوم القيامة ، يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قُلْتُ : لا أدري ، قال : ظلم الناس بينهم ثُمَّ أخذ عودًا لا أكاد

أراه بين إصبعيه فَقَالَ : يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده ، قُلْتُ : يا أبا عبد الله ؟ أين النخل والشجر ؟ فَقَالَ : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاه الثمر . رواه البيهقي بإسناد حسن . وعن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾ قال : إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة ، قيامًا وقعودًا ومضطجعين . رواه البيهقي وغيره موقوفًا بإسناد حسن .

وعن علي رضي الله عنه قال : يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا إلى أول باب من أبوابها وجدوا عندها شجرة ، يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها ، فأذهب ما في بطونهم من قذى وأذى ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلن تتغير أبقاعهم بعدها أبدًا ، ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا ، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة ، فقالوا : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته ، يقولون له : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة ، قال : ثم ينطلق غلام من أولئك الغلمان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان - باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا - فتقول : أنت رأيتيه ؟ فيقول : أنا رأيتيه . وهو ذا في أثري . فيستخف إحداهن الفرح ، حتى تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أي شيء أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق فلو أن الله تعالى قدره له لأم أن يذهب بصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى

أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، فتظروا إلى تلك النعمة ثم اتكئوا
فَقَالُوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ثم ينادي مناد :
تحيون فلا تموتون ، وتقيمون فلا تظعنون .
قال ابن القيم :

فَأَسْمَعُ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
اخْتَرْتُ لِنَفْسِيكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
حُورٌ حَسَانٌ قَدْ كَمَلْنَ خَلَائِقَنَا
وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
قَدْ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا
فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النِّسْوَانِ
كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنُهَا
كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّيِّئَةِ بَعْدَ ثَمَانِ
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَلِكَ مِنْ
لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
 سُبْحَانَ مُتَبَيِّنِ صِنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 وَكَلَاهِمَا مَرَاةً صَاحِبِهِ إِذَا
 مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يُرِيَانِ
 فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعَيْنَانِ
 حُمُرُ الْخُدُودِ تُغْوِرُهُنَّ لِأَلْيِ
 سُودُ الْعُيُونِ فَوَاتِرُ الْأَجْفَانِ
 وَالْبَدْرُ يَبْدُو حِينَ يَبْسُمُ ثَغْرَهَا
 فَيُضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجِدْرَانِ
 وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا
 يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بَجَانِ
 فَيَقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرِ ضَاحِكِ
 فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
 لِلَّهِ لِإِثْمِ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي
 فِي لَثْمِهِ إِذْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
 رِيَانُهُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
 بِفِعْضِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
 لَمَا جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ بِفِعْضِهَا
 حَمَلُ الثَّمَارِ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
 فَالْوَرْدُ وَالثَّقَابُ وَالرُّمَّانُ فِي
 غُضْنِ تَعَالَى غَارِسُ الْبُسْتَانِ

إلى أن قال :

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ
 مَعْشُرٍ وَقِهِ فِي شَأْسِ الْبُلْدَانِ
 وَالشَّقُوقُ يُرْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
 بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
 وَأَفَى إِلَيْهِ بَعْدَ طَوْلِ مَغْيِهِ
 عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ
 أَتْلُوْمُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ
 لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِإِسْلَامِهِ حُسْبَانَ

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْوِي إِيمَانَنَا بِكَ وَمَلَائِكَتِكَ وَكُتُبِكَ وَرُسُلِكَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ،
 وَاشْرَحْ صُدُورِنَا وَاجْعَلْنَا هُدَاهُ مُهْتَدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِعِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَانظُرْنَا فِي سِلْكِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَبْرَارِ وَآتِنَا فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عن جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا كُلُّ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ ، وَلَا يَتَعَوَّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيحِ
 الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَأَبُو دَاوُدَ .
 وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ » . قَالَ : فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَدَى ؟ قَالَ : « تَكُونُ حَاجَةً أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ فَيَضْمُرُ بَطْنَهُ » . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ . وَرَوَاهُ مُتَّجِّحٌ بِهِمْ فِي الصَّحِيحِ .

ورواه الطبراني بإسناد صحيح . ولفظه في إحدى رواياته قال : بينما نحن عند النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ ، يُقَالُ لَهُ : ثَعْلَبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ » . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ : تَزْعُمُ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَأَزْوَاجًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ تَوْمن بِشَجَرَةِ الْمِسْكِ » ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : « وَتَجِدُهَا فِي كِتَابِكُمْ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَإِنَّ الْبُولَ وَالْجَنَابَةَ عَرَقَ ، يَسِيلُ مِنْ تَحْتِ ذَوَائِبِهِمْ ، إِلَى أَفْدَامِهِمْ مِسْكَ » .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم ولفظهما : أتى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ؟ وَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ أَقْرَأَ لِي بِهَذَا خِصْمَتِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلَى ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ، وَالشَّهْوَةِ ، وَالْجِمَاعِ » ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَاجَتُهُمْ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلَ الْمِسْكِ ، فَإِذَا الْبَطْنُ قَدَّ ضَمَرَ » . ولفظ النسائي نحو هذا .

هَذَا وَتَضْرِبُ الْمَاكِلَ مِنْهُمْ وَا
عَرَقَ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ
كَرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ
خَلْطٍ لَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
فَتَعُودُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ صَوَامِرُ
تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَيَّ مَدَى الْأَزْمَانِ
لَا غَائِطُ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا
مَخْطٌ وَلَا بَصَقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكَ يَكُونُ
نُ بِهِ تَمَامُ الْهَضْمِ بِالْإِحْسَانِ
هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ
فِي مُسْلِمٍ وَلَا حَمْدَ الْأَثَرَانِ

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه : « إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، مع كلِّ خادم صحفتان ، واحدة من فضة ، وواحدة من ذهب ، في كلِّ صفحة لون ليس في الأخرى مثلها ، يأكل من آخره كما يأكل من أوله ، يجد لآخره من اللذة والطعم ما لا يجد لأوله ، ثمَّ يكون فوق ذلك رشح مسك وجشاء مسك ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون » . رواه ابن أبي الدنيا واللفظ له ، والطبراني ، ورواه ثقات .
وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له سبع درجات وهو على السادسة ،

وفوقه السابعة ، إن له ثلاثمائة خادم ، ويغدى عَلَيْهِ في كُلِّ يوم ويراوح بثلاثمائة صفحة ، - ولا أعلمه إلا قال - : من ذهب ، في كُلِّ صفحة لون لَيْسَ في الأخرى ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن الأشربة ثلاثمائة إناء ، في كُلِّ إناء لون لَيْسَ في الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول : يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم ، لم ينقص مما عندي شيء . » . الحديث رواه أحمد عن شهرٍ عنه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن طير الجنة كأمثال البخت ، ترعى في شجر الجنة » . فقال أبو بكر : يا رسول الله إن هذه لطيور ناعمة ، فقال : « أكلتها أنعم منها » . قالها ثلاثاً ، « وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » . رواه أحمد بإسناد جيد ، والترمذي ، وقال : حديث حسن ، ولفظه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر ؟ قال : « ذاك نهر أعطانيه الله ، يعني في الجنة ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر) قال عمر : إن هذه لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكلتها أنعم منها » . (البخت) : بضم الموحدة ، وإسكان الخاء المعجمة ، هي الإبل الخراسنية .

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا ذَاكَ لَا عَيْشُ عَزَّةَ

وَسُـعْدَى وَلَا لَيْلَى وَلَا أُمَّ سَالِمِ

وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَيُرْجَى لِعَبْدٍ قَارِعِ الْبَابِ لَا زِمِ

وعن سليم بن عامر رضي الله عنه قال : كَانَ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ، قال : أقبل أعرابي يوماً فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرَ اللهُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤَذِيَةً ، وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وما هي » ؟ قال : السدر ، فإن له شوكة مؤذياً ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أليس الله يقولُ : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ ، خَضَدَ اللهُ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمْرَةً ، فَإِنهَا لَتَنْبِتُ ثَمْرًا تَفْتَقُ الثَّمْرَةَ مِنْهَا عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْثًا مِنْ طَعَامٍ ، مَا فِيهَا لَوْنٌ يَشْبَهُ الْآخِرِ » . رواه ابن أبي الدنيا ، وإسناده حسن . ورواه أيضاً عن سليم بن عامر عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الرمان من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير يأكلون منها فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريد وجده في موضع يده حيث يأكل . رواه ابن أبي الدنيا . وروي بإسناده أيضاً عنه قال : « إن التمرة من تمر الجنة طولها اثنا عشر ذراعاً ، ليس له عجم » .

شِعْرًا :

فَسِرْ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى الْعُلَا
عَلَى الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى
وَأَيَّكَ وَالِدُنْيَا الْغُرُورِ فَإِنَّهَا
مَتَاعٌ قَلِيلٌ مَالَهَا أَبَدًا بَقَا
وَتَلْهِيكَ عَنِ جَنَاتِ خُلْدٍ نَعِيمَهَا
يَدُومُ وَيَصْفُو حَبْدًا ذَلِكُ مُلْتَقَى

وَفِيهَا رِضَا الرَّبِّ الْكَرِيمِ وَقُرْبُهُ
 وَرُؤْيُئِهِ أَكْرَمٌ بِمِثْلِكَ مُرْتَقَى
 وَصَلِّ وَسَلِّمْ ذُو الْجَلَالِ عَلَى أَحْمَدٍ
 شَفِيعِ الْبَرَايَا كُلِّهَا الْمُزْنُ أَغْدَاً

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ شَرِّ نَفْسِنَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ الْهَوَى وَمِنْ شَرِّ الدُّنْيَا وَآتِنَا فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سَبِيلِكَ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ۝ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصَلِّ) فِي ثِيَابِهِمْ وَحَلَلِهِمْ

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ
 وَلَا يَبْأَسُ ، لَا تَبْلَى ، ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ ، وَلَا
 خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ » . رواه مسلم .

وَعَنْ عَن عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «
 أَوَّلُ زُمرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالزُّمَرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ
 كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ
 حُلَّةً ، يَرَى مَخَ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ لِحْمِهِمَا وَحَلَلَهُمَا كَمَا يَرَى الشَّرَابَ الْأَحْمَرَ فِي الزَّجَاجَةِ
 الْبَيْضَاءِ » . رواه الطبراني بإسناد صحيح ، والبيهقي بإسناد حسن ، وتقدم

حديث أبي هريرة المتفق عليه بنحوه .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَيُّ فِي الْجَنَّةِ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ امْرَأَةٌ فَتَضْرِبُ مَنْكِبَهُ فَيَنْظُرُ وَجْهَهُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرَّةِ ، وَإِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيُرِدُّ السَّلَامَ وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتَ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا أَذْنَاهَا مِثْلُ التُّعْمَانِ مِنْ طُوبَى ، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَلَيْهَا مِنَ التِّيْجَانِ إِنَّ أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ مِنْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم ، وابن حبان في صحيحه من طريق عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم .

وروى الترمذي منه ذكر التيجان فقط من رواية رشدين عن عمرو بن الحارث ، وَقَالَ : لا نعرفه إلا من حديث رشدين .

وعن شريح بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ كَعْبٌ : لو أن ثوبًا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه ، وما حملته أبصارهم . رواه ابن أبي الدنيا . ويأتي حديث أنس المرفوع : « ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما ريحًا ، ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها - يعني خمارها - على رأسها خير من الدنيا وما فيها . رواه البخاري ، ومسلم .

شِعْرًا :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي	وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدِّ	أَضَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمَحَالِ
تَرُومَ الْخُلْدِ ثُمَّ تَنَامَ عَنْهَا	يَغُوصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن قيس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لِحَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِثْلًا لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » . وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير : إن شهوته لتجري في جسده سبعين عامًا يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة ، وطوهم وطء التذاذ ، نعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه . وأخرج أبو نعيم قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَسْتَطِيعُ نُورُ فِي الْجَنَّةِ فَيَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءٍ ضَحَكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا » . وإلى هذا أشار الشاعر :

شِعْرًا :
 فَلَوْ أَنَّ حُورًا فِي الدِّيَاجِي تَبَسَّمَتْ
 تَجَلَّى دُجَى الظَّلْمَاءِ فِي الأَرْضِ نُورَهَا
 وَلَوْ مُزِجَ المَاءِ الأَجَاجُ بِرِيقِهَا
 لِأَصْبَحَ عَذْبًا سَلَسًا سَلَسًا بِحُورِهَا

آخرُ :

يَا عَاشِقًا لِلْغَوَانِي مُغْرَمًا بِهَوَى
 دَارِ الغُرُورِ وَعَيشِ شَيْبِ الْكَدْرِ
 إِنَّ الغَوَانِي الحِسَانَ الحُورَ مَسْكَنَهَا
 دَارُ السُّرُورِ عَلَى فُرْشِ عَلَى السُّرُورِ

فِي سُنْدُسِ الْفُرْشِ أَفْمَارٌ عَلَى سُورٍ
 مِنْ الْيَوَاقِيْتِ فِي قَصْرِ مِنْ الدُّرْرِ
 يُشَاهِدُ الْمُنْحَ فِي السَّاقِينِ نَاطِرُهَا
 مِنْ فَوْقِ سَبْعِينَ مَلْبُوسًا مِنَ الْحَبْرِ
 قَدْ طَلَنَ شَوْقًا إِلَى أَرْوَاجِهِنَّ كَمَا
 يَشْتَاقُ لِلْغَائِبِ الْمَحْجُوبِ فِي السَّفْرِ
 اللَّهُمَّ قَوِي إِيْمَانِنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبِنَا بِنُورِ الْإِيْمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ
 ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَهْلَمْنَا ذِكْرَكَ وَشَكَرَكَ وَأَمَّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكَرِكَ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

شِعْرًا :

اللَّهُ أَعْظَمَ مِمَّا جَالَ فِي الْفِكْرِ
 وَحُكْمُهُ فِي الْبَرَائِيَا حُكْمُ مُقْتَدِرِ
 مَوْلَى عَظِيمٍ حَكِيمٍ وَاحِدٍ صَمَدٌ
 حَيٌّ قَدْ يُرْمَرِ يَدُ فَاطِرِ الْفَطْرِ
 يَا رَبُّ يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ صَلِّ عَلَى
 رَسُولِكَ الْمُجْتَبَى مِنْ أَطْهَرِ الْبَشَرِ
 وَآلِهِ وَالصَّحَابِ الْمُقْتَدِينَ بِهِ
 أَهْلِ الثَّقَلَيْنِ وَالْوَفَا وَالنُّصْحِ لِلْبَشَرِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
 فُتُورَ عَزْمِي وَمَا فَرَّطْتُ فِي عُمْرِي
 وَفَرَطَ مَيْلِي إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ حَسَرْتُ
 عَنْ سَاعِدِ الْغَدْرِ فِي الْآصَالِ وَالْبَكْرِ

يَا رَبِّ زِدْنِي تَوْفِيقًا وَمَعْرِفَةً
وَحُسْنَ عَاقِبَةٍ فِي الْوَرْدِ وَالصَّادِرِ
قَدْ أَصْبَحَ الْخَلْقُ فِي خَوْضٍ وَفِي دُغْرِ
وَزَوْرٍ لَهُوَ وَهُمْ فِي أَعْظَمِ الْخَطْرِ
وَلِلْقِيَامَةِ أَشْرَاطٌ وَقَدْ ظَهَرَتْ
بَعْضُ الْعَلَامَاتِ وَالْبَاقِي عَلَى الْأَثْرِ
قَالَ الْوَفَاءُ فَلَا عَهْدٌ وَلَا ذِمَّةٌ
وَاسْتَحْكَمَ الْجَهْلُ فِي الْبَادِينَ وَالْحَضَرَ
دَعَا لِأَذْيَانِهِمْ بِالْبُخْسِ مِنْ سُحْتِ
وَأَطْهَرُوا الْفُسُوقَ وَالْعُدُونَ بِالْأَشْرِ
وَجَاهَرُوا بِالْمَعَاصِي وَارْتَضَوْا بِدَعَا
عَمَّتْ فَصَاحِبُهَا يَمْشِي بِإِلَاحِ
وَطَالِبُ الْحَقِّ بَيْنَ النَّاسِ مُسْتَبْرِرٌ
وَصَاحِبُ الْإِفْكِ فِيهِمْ غَيْرُ مُسْتَبْرِرٍ
وَالْوَزْنُ بِالْوَيْلِ وَالْأَهْوَاءِ مُعْتَبَرٌ
وَالْوَزْنُ بِالْحَقِّ فِيهِمْ غَيْرُ مُعْتَبَرٍ
وَقَدْ بَدَأَ النِّقْضُ بِالْإِسْلَامِ مُشْتَهَرًا
وَبَدَّلَتْ صَفْوَةَ الْخَيْرَاتِ بِالْكَدَرِ
فَسَوْفَ يَخْرُجُ دَجَالُ الضَّلَالَةِ فِي
هَرَجٍ وَقُحْطٍ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبْرِ
وَيَدَّعِي أَنَّهُ رَبُّ الْعِبَادِ وَهَلْ
تَخْفَى صِفَاتُ كَدُوبٍ ظَاهِرِ الْعَوْرِ

فَنَارُهُ جَنَّةٌ تُبَوِّبُ لِدَاخِلِهَا
وَزُورُ جَنَّتَيْهِ نَارٌ مِّنَ الشُّعْرِ
شَهْرٌ وَعَشْرٌ لِيَالِي طُولِ مُدَّتِهِ
لَكِنَّهُ عَجَبٌ فِي الطُّولِ وَالْقَصْرِ
فَيَعْتُ اللَّهُ عِيسَى نَاصِرًا حَكَمًا
عَدْلًا وَيَعْضِدُهُ بِالتَّضَرِّ وَالظَّفْرِ
فَيَتَّبِعُ الْكَاذِبَ الْبَاغِيَّ وَيَقْتُلُهُ
وَيَمْحَقُ اللَّهُ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالضَّرِّ
وَقَامَ عِيسَى يُقِيمُ الْحَقَّ مُتَبَعًا
شَرِيعَةَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِّ
فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الْأَعْوَامِ مُخَصَّبَةً
فَيَكْسِبُ الْمَالَ فِيهَا كُلُّ مُفْتَقِرٍ
حَتَّى إِذَا أَنْفَدَ اللَّهُ الْقَضَاءَ دَعَى
عِيسَى فَأَفْنَاهُمْ الْمَوْلَى عَلَى قَدْرِ
وَعَادَ لِلنَّاسِ عِيدُ الْخَيْرِ مُكْتَمِلًا
حَتَّى يَتِمَّ لِعِيسَى آخِرُ الْعُمُرِ
وَالشَّمْسُ حِينَ تُرَى فِي الْعَرَبِ طَالِعَةً
طُلُوعَهَا آيَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْكِبَرِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا إِيمَانَ يُقْبَلُ مِنْ
أَهْلِ الْجُحُودِ وَلَا عُذْرٌ لِمُعْتَدِرِ

وَدَابَّةٌ فِي وُجُوهِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا
 وَسْمٌ مِنَ النُّورِ وَالْكَفَّارِ بِالْقَتْرِ
 وَخَلْفَهَا الْفِتْنَةُ الدَّجَالُ قَبْلَهُمَا
 أَوْ بَعْدَ قَدْ وَرَدَ الْقَوْلَانِ فِي الْخَبَرِ
 وَكَمْ حَرَابٍ وَكَمْ خَسْفٍ وَزَلْزَلَةٍ
 وَفِيحِ نَارٍ وَأَيَّاتٍ مِنَ التَّنْذِيرِ
 وَنَفْحَةٍ تُذْهِبُ الْأَرْوَاحَ شِدَّتُهَا
 إِلَّا الَّذِينَ عَنُوا فِي سُورَةِ الزُّمَرِ
 وَأَرْبَعُونَ مِنَ الْأَعْوَامِ قَدْ حُسِبَتْ
 لَكِنِّي تَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي الصُّورِ
 قَامُوا حَفَاةً عُرَاةً مِثْلَ مَا خُلِقُوا
 مِنْ هَوْلٍ مَا عَايَنُوا سَكْرَى بِلا سُكْرِ
 قَوْمٌ مُشَاةً وَرُكْبَانًا عَلَى نُجُبٍ
 عَلَيْهِمَا حُلَلٌ أَبْهَى مِنَ الزَّهْرِ
 وَيُسْحَبُ الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ عَلَى
 وَجُوهِهِمْ وَتُحِيطُ النَّارُ بِالشَّرِّ
 وَالشَّمْسُ قَدْ أُذِنَتْ وَالنَّاسُ فِي عَرَقٍ
 وَفِي زَحَامٍ وَفِي كَرْبٍ وَفِي حَصَرٍ
 وَالْأَرْضُ قَدْ بُدِّلَتْ بَيْضَاءَ لَيْسَ لَهَا
 مَخْفَى وَلَا مَلْجَأٌ يُبَدُّو لِمُسْتَرِّ

طَالَ الْوُقُوفُ فَجَاءُوا آدَمًا فَرَجُوا
 شَفَاعَةً مِّنْ أُولَىٰ إِلَهُمُ أُولَىٰ الْبَشَرِ
 فَرَدَّ ذَاكَ إِلَىٰ نُوحٍ فَرَدَّهُمْ
 إِلَىٰ الْخَالِيلِ فَأَبْدَىٰ وَصَفَ مُفْتَقِرِ
 إِلَىٰ الْكَلِيمِ إِلَىٰ عَيْسَىٰ فَرَدَّهُمْ
 إِلَىٰ الْحَبِيبِ فَلَبَّاهَا بِإِلَاحِصِرِ
 فَيَسْأَلُ الْمُصْطَفَىٰ فَضْلَ الْقَضَاءِ لَهُمْ
 لَيْسْتَ تَرِيحُوا مِّنَ الْأَهْوَالِ وَالْخَطَرِ
 تُطَوِّى السَّمَاوَاتِ وَالْأَمْلاكِ هَابِطَةً
 حَوْلَ الْعِبَادِ لَهُوْلٍ مُّغْضِلٍ عَسِرِ
 وَالشَّمْسُ قَدْ كُوِّرَتْ وَالْكَتُبُ قَدْ نُشِرَتْ
 وَالْأَنْجُمُ انْكَدَرَتْ نَاهِيكَ عَنِ كَدْرِ
 وَقَدْ تَجَلَّىٰ إِلَيْهِ الْعَرْشُ مُقْتَدِرًا
 سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ كَيْفٍ وَعَنِ فِكْرِ
 فَيَأْخُذُ الْحَقَّ لِلْمَظْلُومِ مُنْتَصِفًا
 مِّنْ ظَالِمٍ جَارٍ بِالْعُدْوَانِ وَالْبَطْرِ
 وَالْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَالْأَعْمَالُ قَدْ ظَهَرَتْ
 وَوَزْنَهُمَا عِبْرَةٌ تَبْدُو لِمُعْتَبِرِ
 وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ الْأَوْثَانَ يَتَّبِعُهَا
 بِإِذْنِ رَبِّي وَصَارَ الْكُلُّ فِي سَقَرِ

وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمِيزَانِ قَدْ قُضِمُوا
 ثَلَاثَةَ فَاثَمَعُوا تَقْسِيمَ مُخْتَصِرِ
 فَسَابِقِ رَجَحَتْ مِيزَانُ طَاعَتِهِ
 لَهُ الْخُلُودُ بِإِلَّا خَوْفٍ وَلَا دُعْرِ
 وَمُذْنِبٌ كَثُرَتْ آثَامُهُ فَلَهُ
 شَفَعٌ بِأَوْزَارِهِ أَوْ عَفْوٌ مُغْتَفِرِ
 وَوَاحِدٌ قَدْ تَسَاوَتْ حَالَتَاهُ لَهُ
 حَبْسٌ طَوِيلٌ وَبَيْنَ الْبَشْرِ وَالْحَصْرِ
 وَيُكْرِمُ اللَّهُ مَثْوَاهُ بِجَنَّتِهِ
 بِجُودِ فَضْلِ عَمِيمٍ غَيْرِ مُنْحَصِرِ
 وَفِي الطَّرِيقِ صِرَاطٌ مُدَّ فَوْقَ لَطَى
 كَحَدِّ سَيْفٍ سَطَا فِي دِقَّةِ الشَّعْرِ
 النَّاسُ فِي وَرْدِهِ شَتَّى فَمُسْتَبَقٌ
 كَالْبَرْقِ وَالطَّيْرِ أَوْ كَالْخَيْلِ فِي النَّظْرِ
 سَاعِي وَمَاشٍ وَمَخْدُشٍ وَمُعْتَلِقِ
 نَاجٍ وَكَمٍ سَاقِطٍ فِي النَّارِ مُنْتَشِرِ
 لِلْمُؤْمِنِينَ وَرُودٌ بَعْدَهُ صَادِرٌ
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ وَرْدٌ بِإِلَّا صَادِرِ
 فَيَشْفَعُ الْمُصْطَفَى وَالْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ
 يَخْتَارُهُ الْمَلِكُ الرَّحْمَنُ فِي زَمَرِ

فِي كُلِّ عَاصٍ لَهٗ نَفْسٌ مُّقَصِّرَةٌ
 وَقَلْبُهُ عَنِ سِوَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ بَرِي
 فَأَوَّلُ الشُّفْعَا حَقًّا وَآخِرُهُمْ
 مُحَمَّدٌ ذُو الْبَهَاءِ الطَّيِّبِ الْعَطِيرِ
 وَالْحَوْضُ يَشْرَبُ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ غَدًا
 كَالْأَرِي يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْدُرِّ
 وَيَخْلُقُ اللَّهُ أَقْوَامًا قَدْ احْتَرَفُوا
 كَانُوا أَوْلِيَ الْعِزَّةِ الشَّنْعَاءِ وَالنَّجْرِ
 وَالنَّارِ مَثْوَى لِأَهْلِ الْكُفْرِ كُلِّهِمْ
 طِبَاقُهَا سَابِعَةٌ مُسْوَدَّةٌ الْحَفَرِ
 جَهَنَّمَ وَلِظَى وَالْحَطْمِ بَيْنَهُمَا
 ثُمَّ السَّعِيرُ كَمَا الْأَهْوَالُ فِي سَقْرِ
 وَتَحْتَ ذَلِكَ جَحِيمٌ ثُمَّ هَاوِيَةٌ
 يَهْوِي بِهَا أَبَدًا سُخْفًا لِمُحْتَقِرِ
 فِي كُلِّ بَابٍ عُقُوبَاتٌ مُضَاعَفَةٌ
 وَكُلُّ وَاحِدَةٍ تَسْطُوعًا عَلَى النَّفْرِ
 فِيهَا غِلَاطٌ شِدَادٌ مِنْ مَلَائِكَةٍ
 قُلُوبُهُمْ شِدَّةٌ أَقْسَى مِنْ الْحَجَرِ
 لَهُمْ مَقَامِعٌ لِلتَّغْذِيبِ مُرْصَدَةٌ
 وَكُلُّ كِسْرٍ لَدَيْهِمْ غَيْرِ مُنْجَبِرِ

سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ شَعَثَاءُ مُوحِشَةٌ
دَهْمَاءُ مُحْرِقَةٌ لَوَاحَةٌ الْبَشِيرِ
فِيهَا الْجَحِيمُ مُذِيبٌ لِلْوُجُوهِ مَعَ الْ
أَمْعَاءِ مِنْ شِدَّةِ الْأُخْرَاقِ وَالشَّرْرِ
فِيهَا الْعِسَاقُ الشَّدِيدُ الْبَرْدُ يَقْطَعُهُمْ
إِذَا اسْتَبَغَاثُوا بِحَرِّ نَوْمٍ مُسْتَعِيرِ
فِيهَا السَّلَاسِلُ وَالْأَغْلَالُ تَجْمَعُهُمْ
مَعَ الشَّيَاطِينِ قَسْرًا جَمْعَ مُنْقَهَرِ
فِيهَا الْعَقَابُ وَالْحَيَّاتُ قَدْ جُعِلَتْ
جُلُودُهُمْ كَالْبِغَالِ الْدُّهُمِ وَالْحُمْرِ
وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ الْمُضْنِي لِأَنْفُسِهِمْ
فِيهَا وَلَا جَلْدٌ فِيهَا لِمُصْطَبِرِ
لَهَا إِذَا مَا عَلَتْ فَوْرٌ يُقْلَبُهُمْ
مَا بَيْنَ مُرْتَفَعٍ مِنْهَا وَمُنْحَدِرِ
جَمْعُ التَّوَاصِي مَعَ الْأَقْدَامِ صَيْرُهُمْ
كَالْقُوسِ مَحْيِيَّةٌ مِنْ شِدَّةِ الْوَتْرِ
لَهُمْ طَعَامٌ مِنَ الرَّقُومِ يَعْلَقُ فِي
حُلُوقِهِمْ شَوْكُهُ كَالصَّابِ وَالصَّابِرِ
يَا وَيْلَهُمْ تُحْرِقُ النَّيْرَانُ أَعْظَمُهُمْ
بِالْمَوْتِ شَهْوَتُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الصَّجْرِ

صَجَّوْا وَصَاخُوا زَمَانًا لَيْسَ يَنْفَعُهُمْ
 دُعَاءُ دَاعٍ وَلَا تَسْنِيْمُ مُضِيْمٍ طَيْرِ
 وَكُلُّ يَوْمٍ لَهُمْ فِي طُولِ مُدَّتِهِمْ
 نَزْعٌ شَدِيدٌ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالسَّعْرِ
 كَمْ بَيْنَ دَارِ هَوَانٍ لَا انْقِضَاءَ لَهَا
 وَدَارِ أَمْنٍ وَخُلْدٍ دَائِمٍ السَّهْرِ
 دَارِ الَّذِينَ اتَّقَوْا مَوْلَاهُمْ وَسَعَوْا
 قَصْدًا لِنَيْلِ رِضَاهُ سَعْيِ مُؤْتَمِرِ
 وَآمَنُوا وَاسْتَقَامُوا مِثْلَ مَا أَمَرُوا
 وَاسْتَعْرِفُوا وَقَفَّتْهُمْ فِي الصَّوْمِ وَالسَّهْرِ
 وَجَاهَدُوا وَانْتَهَوْا عَمَّا يُبَاعِدُهُمْ
 عَنِ بَابِهِ وَاسْتَلَانُوا كُلَّ ذِي وَعْرِ
 جَنَاتٍ عَدَنٍ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ بِهَا
 فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ بَيْنَ الرَّوْضِ وَالزَّهْرِ
 بِنَاوَاهَا فِضَّةٌ قَدْ زَانَهَا ذَهَبٌ
 وَطِينُهَا الْمِسْكُ وَالْحَصْبَا مِنَ الدُّرِّ
 أَوْرَاقُهَا ذَهَبٌ مِنْهَا الْعُصُونُ دَنَتْ
 بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الرِّيحَانِ وَالثَّمَرِ
 أَوْرَاقُهَا حُلٌّ شَفَافَةٌ خُلِقَتْ
 وَاللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ وَالْمُرْجَانُ فِي الشَّجَرِ

دَارُ النَّعِيمِ وَجَنَّاتُ الْخُلُودِ لَهُمْ
 دَارُ السَّلَامِ لَهُمْ مَأْمُونَةٌ الْغَيْرِ
 وَحَنَّةُ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَكَمْ جَمَعَتْ
 جَنَّاتُ عَدْنٍ لَهُمْ مِنْ مُوزِقٍ نَضِرِ
 طِبَاقُهَا دَرَجَاتٌ عَدُّهَا مِائَةٌ
 كُلُّ اثْنَتَيْنِ كَبْعِدِ الْأَرْضِ وَالْقَمَرِ
 أَعْلَى مَنَازِلِهَا الْفِرْدَوْسُ عَالِيهَا
 عَرْشُ الْإِلَهِ فَسَلْ وَاطْمَعْ وَلَا تَنْدِرِ
 أَنَّهُارُهَا عَسَلٌ مَا فِيهِ شَائِبَةٌ
 وَخَالِصُ اللَّبَنِ الْجَارِي بِبَلَاكَدِرِ
 وَأَطْيَبُ الْخَمْرِ وَالْمَاءِ الَّذِي خَلِيَتْ
 مِنْ الصُّدَاعِ وَنُطْقِ اللَّهْوِ وَالسَّكْرِ
 وَالْكُلُّ تَحْتَ جِبَالِ الْمِسْكِ مَنبَعُهَا
 يُجْرُونَهِ كَيْفَ شَاءُوا غَيْرَ مُحْتَجِرِ
 فِيهَا نَوَاهِدُ أَبْكَارٍ مُزَيَّنَةٌ
 يَبْرُزْنَ مِنْ حُلَلٍ فِي الْحُسْنِ وَالْخَفْرِ
 نِسَاؤُهَا الْمُؤَمَّنَاتُ الصَّابِرَاتُ عَلَى
 حِفْظِ الْعُهُودِ مَعَ الْإِمْلَاقِ وَالضَّرْرِ
 كَأَنَّهُنَّ بُدُورٌ فِي غُصُونِ نَقَا
 عَلَى كَثِيبٍ بَدَتْ فِي ظِلْمَةِ السَّحْرِ

كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يُعْطَى قُوَى مَائَةً
فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْإِفْضَا بِلا خَوْرٍ
طَعَامُهُمْ رَشْحُ مِسْكِ كُلَّمَا عَرَقُوا
عَادَتْ بُطُونُهُمْ فِي هَضْمٍ مُنْضَمِرٍ
لا جُوعَ لا بَرْدَ لا هَمَّ ولا نَصَبُ
بَلْ عَيْشُهُمْ عَن جَمِيعِ النَّائِبَاتِ عَرِي
فِيهَا الْوَصَائِفُ وَالْعُلَمَانُ تَخْدُمُهُمْ
كُلُّوْلُو فِي كَمَالِ الْحُسْنِ مُنْشِرٍ
فِيهَا الْغِنَا وَالْجَوَارِي الْغَانِيَاتُ لَهُمْ
بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ لِلْمَوْلَى مَعَ السَّمْرِ
لِبِاسُهُمْ سُندُسٌ حُلَاهُمْ ذَهَبُ
وُلُؤْلُو وَنَعِيمٌ غَيْرُ مُنْحَصِرٍ
وَالذِّكْرُ كَالنَّفْسِ الْجَارِي بِلا تَعَبٍ
وَنَزَّهُوا عَن كَلَامِ اللَّغْوِ وَالْهَنْدِرِ
وَأَكَلُهَا دَائِمٌ لا شَيْءَ مُنْقَطِعُ
كَرَّرَ أَحَادِيثَهَا فِي أَطْيَبِ الْخَبْرِ
فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ مَا لَمْ يَجْرِي فِي خَلْدٍ
وَلَمْ يَكُنْ مُدْرِكًا لِلسَّمْعِ وَالْبَصْرِ
فِيهَا رِضَا الْمَلِكِ الْمَوْلَى بِلا غَضَبٍ
سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ نَفْعٌ بِلا غَيْرِ

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ لَا نَظِيرَ لَهُ
سَمَاعُ تَسْلِيمِهِ وَالْفَوْزُ بِالنَّظَرِ
بِغَيْرِ كَيْفٍ وَلَا حَادٍّ وَلَا مَثَلٍ
حَقًّا كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ وَالْحُسْنَى الَّتِي وَرَدَتْ
وَأَعْظَمُ الْمَوْعِدِ الْمَذْكُورِ فِي الرُّبْرِ
لِلَّهِ قَوْمٌ أَطَاعُوهُ وَمَا قَصَدُوا
سِوَاهُ إِذَا نَظَرُوا الْأَكْثُونَ بِالْعَبْرِ
وَكَابَدُوا الشَّقَّ وَالْأَنْكَادُ قُوتُهُمْ
وَلَا زَمُوا الْجِدَّ وَالْأَذْكَارَ فِي الْبُكَرِ
يَا مَالِكَ الْمَلِكِ جُدْ لِي بِالرِّضَا كَرَمًا
فَأَنْتَ لِي مُحْسِنٌ فِي سَائِرِ الْعُمُرِ
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَيَّ الْهَادِي الْبَشِيرِ لَنَا
وَأَلِّهِ وَأَنْتَصِرُ يَا خَيْرَ مُتَّصِرِ
مَا هَبَّ نَشْرُ الصَّبَا وَاهْتَزَّ نَبْتُ رَبَا
وَفَاحَ طَيْبُ شَذَا فِي نَسْمَةِ السَّحَرِ
أَبْيَاتُهَا تَسْعُ عَشْرٌ بَعْدَهَا مَائَةٌ
كَلَاهُمَا وَعَظَمَاهَا أَبْهَى مِنَ الدُّرِّ

اللَّهُمَّ أعدنا من الهم والحزن والعجز والكسل والجبين والبخل وصلح الدين وغلبة الرجال ،
وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أعطنا من الخير فوق ما نرجو واصرف عنا من السوء
فوق ما نخذر . اللَّهُمَّ علق قلوبنا برجائك ، واقطع رجاءنا عن سواك ، اللَّهُمَّ إنك تعلم عيوبنا
فاسترها ، وتعلم حاجتنا فاقضها ، كفى بك وليًا وكفى بك نصيرًا يا رب العالمين ، اللَّهُمَّ وفقنا

لسلوك سبيل عبادك الأخيار ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

عباد الله لقد امتن الله على خاتم رسله ، وصفوة خلقه ، سيدنا مُحَمَّد بن عَبْد الله بأشرف المنن ، واختصه بأجل النعم ، وآتاه من فضله ما لم يؤت أحدًا سواه ، أدبه فأحسن تأديبه ، وهذبه فأكمل تهذيبه ، ومنحه من الصفات الجميلة غايتها ، ومن الأخلاق الكريمة نهايتها ، ثُمَّ أَنشَى عَلَيْهِ فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ خَلْقَهُ الْقُرْآنَ يَرْضَى بِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ ، وَكَانَ رُؤُوسَ النَّاسِ صِدْرًا ، وَأَصْدُقَهُمْ قَوْلًا ، وَإِيْنَهُمْ جَانِبًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً ، يُؤَلِّفُ النَّاسَ وَلَا يَنْفِرُهُمْ ، وَيَكْرُمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيسٍ نَصِيْبَهُ حَتَّى لَا يَحْسَبُ جَلِيْسَهُ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ بِحَاجَةِ سَائِرِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمَنْصَرَفُ عَنْهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بِسَطِهِ وَخَلَقَهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا رَحِيمًا . وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، لِذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ نَفْوَرِهَا ، وَتَأَلَّفَتِ النَّفُوسُ بَعْدَ جَمُوحِهَا ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وَكَانَ رُؤُوسَ حَلِيمًا مَعَ الْأَذَى ، عَفْوًا مَعَ الْقُدْرَةِ ، صَبْرًا عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَتَلَكَّ خِصَالَ أَدْبِهِ بِمَا رَبَّهُ ، فَقَالَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَام عن تفسيرها ، فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ ، وَتُعْطِيَ مِنْ حَرْمِكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمَ النَّاسِ ، وَأَسْخَاهُمْ يَدًا ، وَأَطْيَبَهُمْ

نفسًا ، ما سئل عن شيءٍ قط ففقال لا ، من سأله حاجة لم يردده إلا بها ، أو بميسور من القول ، يجيب دعوة من دعاه ، ويقبل الهدية لو كانت كراعًا ، ويكافئ عليها خيرًا منها ، وكان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، وأعظم الناس غيرة وإقدامًا ، فر الفرسان والأبطال عنه غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح مقبل لا مدبر ، ولا يتزحزح ، وكان صلوات الله وسلامه عليه أشد الناس حياءً ، وأكثرهم عن العورات إخضاء . قال أبو سعيد الخدري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه وكان لا يخاطب أحدًا بما يكره حياءً وكرمًا .

أما شفقتة ورحمته ورأفته ولطفه بجميع الخلق ، فمما ذكر الله عنه بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وقال عز من قائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وأما تواضعه - مع علو منصبه ومكانته ، ورفع رتبته - فقد خيره الله بين أن يكون ملكًا نبيًا ، أو عبدًا نبيًا ، فاختار عبدًا نبيًا ، وكان يقول : « إنما أنا عبد ، أكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » وكان يجالس الفقراء ، ويعود المساكين ، ويجلس مع أصحابه مختلطًا بهم كأنه واحد منهم ، وكان يقول : « اللّهُمَّ أحييني مسكينًا ، وأمّتي مسكينًا ، واحشني في زمرة المساكين » .

وأما عدله وأمانته ، وعفته ومروءته ، ووقاره وهيبته ، وصدقه ووفائه بالعهد وحفظه للوعد ، وصلته للأرحام ، وعطفه على الأيتام ، فقد بلغ في كل ذلك الغاية ، ووصل إلى النهاية ، وأما زهده وورعه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إني عرض علي أن تجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ، فقلت : لا

يا رب . أجوع يوماً ، وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » . و قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أنا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوفد نازاً ، إن هو إلا التمر والماء ، وأما خوفه من ربه ، وطاعته له فعلى قدر عمله به ولذلك قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » . وكان صلى الله عليه وسلم يصلى حتى تورمت قدماه ، فقالت له عائشة : أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » ؟ هذا يا عباد الله قليل من كثير من صفات سيد المرسلين ذي الخلق العظيم ، والقدر الفخيم ، فهل لكم أن تتأملوا هذه الصفات الجليلة والخصال الحميدة ، فتمسكوا بها وتسيروا على نهجها قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الآية .

شِعْرًا :

يَا نَفْسُ تُوبِي فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَانَ
وَأَعْصِي الْهَوَىٰ فَالْهَوَىٰ مَا زَالَ فَتَانَا
أَمَا تَرَيْنَ الْمَنَائِيَا كَيْفَ تَلْقُطُنَا
لَقَطًّا فَتُلْجِقُ أُخْرَانَنَا بِأَوْلَانَنَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مِيتٌ نُشَيِّعُهُ
 نَرَى بِمَصْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا
 يَا نَفْسُ مَالِي وَلِلْأَمْوَالِ أَتْرُكُهَا
 خَلْفِي وَأُخْرِجُ مِنْ دُنْيَايَ عُرْيَانَا
 أَبْعَدَ خَمْسِينَ قَدْ قَضَيْتُهَا لِعَبَا
 قَدْ آتَى أَنْ تَقْضِيَ قَدْ آتَى قَدْ آتَى
 مَا بَالُنَا نَتَعَامَى عَنْ مَصَائِرُنَا
 نَنْسَى بِعُقَلَاتِنَا مَنْ لَيْسَ يَنْسَانَا
 نَزْدَادُ حِرْصًا وَهَذَا الدَّهْرُ يَزْجُرُنَا
 كَانَتْ زَاجِرُنَا بِالْحِرْصِ أَعْرَانَا
 أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَمَنْ
 كَانَتْ تَخِرُ لَهُ الْأَذْقَانُ إِذْعَانَا
 صَاحَتْ بِهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فَاثْقَلُوا
 مُسْتَبَدِّلِينَ مِنَ الْأَوْطَانِ أَوْطَانَا
 خَلَّوْا مَدَائِنَ كَانِ الْعِزُّ مَفْرُشُهَا
 وَاسْتَفْرَشُوا حُفْرًا غُبْرًا وَقِيعَانَا
 يَا رَاكِضًا فِي مَيَادِينِ الْهَوَى مَرِحًا
 وَرَافِلًا فِي ثِيَابِ الْعَيْ نَشْوَانَا
 مَضَى الزَّمَانُ وَوَلَّى الْعُمُرُ فِي لَعِبِ
 يَكْفِيكَ مَا قَدْ مَضَى قَدْ كَانَ مَا كَانَ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا تَوْفِيقًا يَقِينًا عَنِ مَعَاصِيكَ ، وَأَرشِدْنَا إِلَى السَّعْيِ إِلَى مَا يُرْضِيكَ وَأَجْرُنَا يَا مَوْلَانَا مِنْ خَزِيكَ وَعَدَابِكَ وَهَبْ لَنَا مَا وَهَبْتَهُ لِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ .

اللَّهُمَّ قَوِي إِيمَانِنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِرَسُولِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ وَوَفَّقْنَا لِامْتِنَالِ أَوْامِرِكَ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل

في وصف نساء أهل الجنة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَقَابٌ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعٌ قَيْدِهِ - يَعْنِي سَوْطُهُ - مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَوْ اطَّلَعَتْ مَنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ لَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَنْصِيْفُهُمَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالطَّبْرَانِيُّ مُخْتَصَرًا بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « وَلَتَأْجُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

(النصيفُ) : الخِمَارُ .

(الْقَابُ) : هُوَ الْقَدْرُ ، وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ : قَابُ الْقَوْسِ مِنْ مَقْبَضِهِ إِلَى رَأْسِهِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يَرَى مَخَّ سَوْقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزُّبٌ » . رَوَاهُ

البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً حَتَّى يَرَى مُحُطَّهَا وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ كَانَتْهُنَّ إِلْيَاقُوثُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فَأَمَّا إِلْيَاقُوثُ فَإِنَّهُ حَجَرٌ لَوْ أَدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكَاً ثُمَّ اسْتَصَفَيْتَهُ لِأُرْبَتِهِ مِنْ وَرَائِهِ » . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ : وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَمْ يَرْفَعْهُ ، وَهُوَ أَصْحَحُ .

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حدثني جبريل عليه السلام قال : يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة ، والمصافحة » . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فبأي بنان تعاطيه ، لو أن بعض بنائها بدا لغلب ضوءه ضوء الشمس والقمر ، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملاأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها ، فبينما هو متكئ معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه ، فيظن أن الله عزَّ وجلَّ قد أشرف على خلقه ، فإذا حوراء تناديه : يا ولي الله ، أما لنا فيك من دولة ؟ ، فَيَقُولُ : ومن أنت يا هذه ؟ ، فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ اللّوَاتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ فيتحول عندها ، فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى ، فبينما هو متكئ معها على أريكته ، وإذا حوراء أخرى ، تناديه : يا ولي الله ، أما لنا فيك من دولة ؟ ، فَيَقُولُ : ومن أنت يا هذه ؟ فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ اللّوَاتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ،

فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة « . رواه الطبراني في الأوسط .
 وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ :
 ﴿ كَانَتْهُنَّ إِلْيَافُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قَالَ : « يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، وَإِنَّ
 أَدْنَى لَوْلُؤَةٍ عَلَيْهَا تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حَلَةً يَنْقُذُهَا
 بَصَرُهُ ، حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » . رواه أحمد ، وابن حبان في صحيحه في حديث
 تقدم بنحوه ، والبيهقي بإسناد ابن حبان ، واللفظ له .
 قال ابن القيم رحمه الله في صفة عرائس أهل الجنة وحسنهن وجمالهن ووصالهن :

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
 وَتَمَائِلَتْ كَتَمَائِيْلِ التَّشْوَانِ
 تَهْتَزُّ كَالْعُصْنِ الرِّطِيبِ وَحَمْلُهُ
 وَرْدٌ وَتُفَاحٌ عَلَي رُمَّانِ
 وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحِقُّ ذَا
 لِك لِمِثْلَهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
 وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
 كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي
 غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيْرَانِ

فَلِسَانِهِ وَفُؤَادِهِ وَالطَّرْفُ فِي
 دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
 فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
 وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
 حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابِلًا
 أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
 فَسَلِ الْمُتَمِّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
 ضَمِّهِ وَتَقْيِيلِ وَعَنْ فُلْتَانِ
 وَسَلِ الْمُتَمِّمَ أَيْنَ خَلْفَ صَبْرِهِ
 فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ
 وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
 مُلَّتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
 مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْهِ
 بِهِ كَمِ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
 وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ عِشَّتُهُ إِذَا
 وَهَمَّ مَا عَلَى فُرْشَتَيْهِمَا خَلْوَانِ
 يَتَسَاقَطَانِ لَنَائِلًا مَنُورَةً
 مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جَمَانِ
 وَسَلِ الْمُتَمِّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْ
 مَحْبُوبِ فِي رُوحٍ وَفِي رِيحَانِ

وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
 بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِّنَ الْوَلَدَانِ
 يَتَنَازَعَانِ الْكَاسَ هَذَا مَرَّةً
 وَالْخُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكَيَّانِ
 فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعًا
 شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
 غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
 وَهَمَّ مَا يَشُوبُ الْوَصْلَ مَشِيئَتَيْلَانِ
 أَتَرَاهُمَا ضَاجِرَيْنِ مِّنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
 وَحَيَاةٍ رَّبِّكَ مَا هُمَا ضَاجِرَانِ
 وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِّصَا
 حِيهِ جَدِيدًا سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
 مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
 فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
 وَبِلَاحِ حَقِّ وَكَلَامِهِمَا صِنُونَانِ
 فَزُقْ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا
 يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهِذَا الشَّيْئَانِ
 وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
 سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتِبَهْ
جَدَّ الرَّحِيْلُ وَلَسْتُ بِالْقَيْظِ اِنِ
سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفوكَ مَعَ الْاُولَى
قَنَعُوا بِذَا الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِ
وَرَأَيْتَ اَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
فَتَبِعْتَهُمْ فَرَضِيَّتَ بِالْحُرْمَانِ
لَكِنْ اَتَيْتَ بِخُطْبِي عَجْزٍ وَجَهْلٍ
بَعْدَ ذَا وَصَحْبَتِ كُلِّ اَمَانِ
مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللُّحُوقِ مَعَ الْقُعُو
دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَا حَاةِ الْاَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
مَا اِذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا اِمْكَانِ
وَاللّٰهُ اَعْلَمُ . وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللّٰهُ

(وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقرًا لأحبابه ، وملاها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ، وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخَيْرِ بحذافيره ، وطهرها من كلِّ عيب وآفة ونقص .
فإن سألت عن أرضها وتربتها ، فهي المسك والزعفران .

- وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن .
- وإن سألت عن بلاطها ، فهو المسك الأذفر .
- وإن سألت عن حصبتها ، فهو اللؤلؤ والجوهر .
- وإن سألت عن بنائها ، فلبنة من فضة ، ولبنة من ذهب .
- وإن سألت عن أشجارها ، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب .
- وإن سألت عن ثمرها ، فأمثال القلائل إلين من الزبد ، وأحلى من العسل .
- وإن سألت عن ورقها ، فأحسن ما يكون من رقائق الحلل .
- وإن سألت عن أنهارها ، فأنهار من ماء غير آسن ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ .
- وإن سألت عن طعامهم ، ف ﴿ فَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ .
- وإن سألت عن شراهم ، فالتسنيم ، والزنجبيل والكافور .
- وإن سألت عن آنتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير ،
- وإن سألت عن سعة أبوابها ، فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .
- وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها ، فإنها تستفز بالطرب لمن

يسمعا .

وإن سألت عن ظلها ، ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها .

وإن سألت عن سعتها ، فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألف عام .

وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة ، طولها ستون ميلاً من تلك الخيام .

وإن سألت عن علاليها وجواسقها ، فهي ﴿ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ بَحْرِيٍّ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

وإن سألت عن ارتفاعها ، فأنظرُ إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها ، فهو الحرير والذهب .

وإن سألت عن فُرُشِهِمْ فَبَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ مَفْرُوشَةٍ فِي أَعْلَى الرَّتَبِ .

وإن سألت عن أرائكها ، فهي الأسرة عَلَيْهَا البشخانات وهي الحجال ، مزرة بأزرار الذهب ، فمالها من فروج ولا خلال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم ، فعلى صورة القمر .

وإن سألت عن أسنانهم ، فأبناء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبِي

البشر .

وإن سألت عن أسماعهم ، فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبين ، وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي سَمَاعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)

وَقَالَ فِي النُّونِيَّةِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رُنْنًا
 رِيحًا تَهْزُ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
 فَتُشِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْـ
 إِنْسَانٍ كَالْتَّغَمَّاتِ بِالْأُوزَانِ
 يَا لَذَّةَ السَّمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
 بِالذَّادَةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
 أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غِنَا
 ءَ الْحُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
 وَهَذَا لِذِيكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
 مُلِئَتْ بِهِ الْأَذُنَانِ بِالْإِحْسَانِ
 وَهَذَا لِذِيكَ السَّمَاعِ وَطَبِيبِهِ
 مِنْ مِثْلِ أَفْمَارِ عَلَى أَغْصَانِ
 وَهَذَا لِذِيكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلِ
 ذِيَّكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ

وَهَذَا لِذِيكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
 لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
 مَا ظَنَّ سَامِعُهُ بِصَوْتِ أَطْيَبِ الْـ
 أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حَسَانِ
 نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْحَوَالِدُ حَيْرًا
 تَكَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا
 سَخَطٌ وَلَا ضَعْفٌ مِنَ الْأَضْغَانِ
 طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو
 بَى لِلَّذِي هُوَ حَظُّنَا لَفْظَانِ
 فِي ذَلِكَ آثَارُ رُؤْيِنَ وَذِكْرَهَا
 فِي التَّرْمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ
 وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَفْـ
 سِيرًا لِلْفُطُوحَةِ يُحِبُّونَ أَغْنَانِي
 نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيـ
 كَ الْغِنَاءِ عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ
 لَا تُؤْثِرِ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُخْـ
 رَمُ ذَا وَذَا يَـ ذِلَّةَ الْحُرْمَانِ

إِنْ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ التَّنَازِلَ أَلْـ
أَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ التَّقْصَانِ
وَاللَّهُ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْـ
أَبْدَانِ مِثْلُ الشُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَأْبُهُ
أَبْدَانًا مِنَ الْإِشْرَاقِ بِالرَّحْمَنِ
فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارُهُ
عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْغِنَا
فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلٌ)

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عَلَيْهَا ، فنجائب أنشأها الله مِمَّا شَاءَ تَسِيرَ بِهِمْ
حيث شاءوا من الجنان .

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانهم ، (فَوَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُ مَّكُونُونَ) .
وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواعب والأتراب ، اللاتي جرى في أعضائهن
ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ منشور ما
حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عَليَّهِ الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا
برزت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل
النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ،
يرى وجهه في صحن خدها ، كما يرى في المرآة التي جلاها صقيلاها ، ويرى مخ ساقها من
وراء اللحم ، ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها .

لو اطلعت على الدُّنْيَا لمألت ما بين الأرض والسماء ريحًا ، ولا استنطقت أفواه الخلائق
تخليلاً وتكبيراً وتسييحاً ، ولتوخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ،
ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي
القيوم .

ونصيفها على رأسها خير من الدُّنْيَا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها ، لا
تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً ، مبرأة
من الحمل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر
الأدناس ، لا

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك ، فهن العُرب المتحبيات إلى الأزواج ، بلطافة التبعّل بالروح أي امتزاج ، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر فُلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلکها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة .

وَخَدِيثُهَا السَّحْرُ الْحَالُ لَوْ أَنَّه

لَمْ يَجْنِ قَتَلَ الْمُسْلِمِ الْمَتَحَرِّزِ

إِنْ طَالَ لَمْ يُنَلِّ وَإِنْ هِيَ حَدَّثَتْ

وَدَّ الْمُحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِرْ

آخر :

يُعَادُ خَدِيثُهَا فَيَزِيدُ حُسْنًا

وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشَّيْءُ الْمَعَادُ

وإن عَنَّت فَيَا لَذَّةَ الأَبْصَارِ والأَسْمَاعِ ، وإن آنست وأمتعت فَيَا حَبْدًا تِلْكَ الْمُؤَانَسَةِ والامْتِنَاعِ ، وإن قَبَلت فلا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ ذَلِكَ التَّقْوِيلِ ، وإن نَوَّلت فلا أَلَدَّ وَلَا أَطْيَبَ مِنْ ذَلِكَ التَّنْوِيلِ .

هَذَا وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس في الظهيرة ، والقمر ليلة البدر ، كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وَذَلِكَ موجود في الصحاح ، والسُّنَنَ والمسَانِيدَ ، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هُرَيْرَةَ وأبي مُوسَى وأبي سعيد : فاستمعَ يوم ينادي المنادي : يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته ، فيقولون : سمعًا وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم ، فيستوون ،

يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها .
 قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عَلَيْهَا فهي غاية
 أمنيته وهواه ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعته أطاعته ، وإن غاب عَنْهَا حفظته ، فهو
 معها في غاية الأمان والأمان .

هَذَا ولم يطمئنها قبله إنس ولا جان ، كُلَّمَا نظر إليها ملأت قلبه سرورًا ، وَكُلَّمَا حدثته
 ملأت أذنه لَوْلَا مَنْظُومًا منثورًا .

وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا .

وإن سألت عن السن ، فأتراب في أعدل سن الشباب .

وإن سألت عن الحسن ، فهل رَأَيْتَ الشمس والقمر .

وإن سألت عن الحدق ، فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور .

وإن سألت عن القدود ، فهل رَأَيْتَ أحسن الأغصان ، وإن سألت عن النهود فهن

الكواعب ، نهودهن كألطف الرمان .

وإن سألت عن اللون ، فكأنه إلباقوت والمرجان .

وإن سألت عن حسن الخلق ، فهن الخيرات الحسان ، اللات جمع لهن بين الحسن

والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفرح النفوس ، وقرّة النواظر .

على ظهورها مسرعين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدًا وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحدًا ، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ، ثم نصبت لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أذناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم ديني - على كئيبان المسك ، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا .

حتى إذا استقرت بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادي : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا . ويتقل موازيننا ؟ ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا عن النار ؟ فيبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه ، قد أشرف عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ، فلا ترد هذه التحية بأحسن من نقولهم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، فهذا يوم المزيد . فيجتمعون على كلمة واحدة : أن قد رضينا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة : إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني ، فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه . فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم ، فيغشاهم من نوره ما لو أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة ، حتى إنه

لِيَقُولُ : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ يذكره ببعض غدراته في الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : يا رب
 ألم تغفر لي ؟ فَيَقُولُ : بلى بمغفرتي بلغتك منزلتك هذه ، فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ، وبيا
 قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، وبيا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ،
 ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ .

فَحَيَّ عَلَىٰ جَنَاتٍ عَدْنٍ فَإِنَّهَا

مَنَازِلُكَ الْأَوْلَىٰ وَفِيهَا الْمَخِيْمُ

وَلَكِنَّا سَنِي الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَىٰ

نَعُودُ إِلَىٰ أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ

اللَّهُمَّ تَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَاغْفِرْ
 لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

شِعْرًا :

أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مُعَافًا وَمُتَبَلَىٰ

وَمَا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْسَلًا

مَضَىٰ فِي جَمِيعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ

وَفَصَّلَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَوَصَّلًا

وَلَسْنَا عَلَىٰ حُلُوقِ الْقَضَاءِ وَمُرَّه

نَرَىٰ حَكْمًا فِينَا مِنْ اللَّهِ أَعْدَلًا

بِلا خَلْقَهُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً

لِيَرْغَبَ فِيمَا فِي يَدَيْهِ وَيَسْأَلَا

وَلَمْ يَبْغِ إِلَّا أَنْ نُبْوءَ بِفَضْلِهِ
 عَلَيْنَا وَإِلَّا أَنْ نَتُوبَ فَيَقْبَلَا
 هُوَ الْأَحَدُ الْقَيُّومُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ
 وَمَا زَالَ فِي دَيْمُومَةِ الْخَلْقِ أَوْلَا
 وَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِغَايَةٍ
 وَلَمْ يَشْرِكِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ مُهْمَلَا
 كَفَى عِبْرَةً أَنَا وَأَنْتَ يَا أَحْيَى
 نَصْرَفُ تَصْرِيفًا لَطِيفًا وَنُبْتَلَى
 كَانَا وَقَدْ صِرْنَا حَدِيثًا لغيرِنَا
 يُخَاضُ كَمَا خُضْنَا الْحَدِيثَ بِمَنْ خَلَا
 تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدْ خَلُّوا فَكَأَنَّهُمْ
 بِأَجْمَعِهِمْ كَانُوا خِيَالًا تَخَيَّلَا
 وَلَسْتُ بِأَبْقَى مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
 وَلَكِنَّ لِي فِيهَا كِتَابًا مُوَجَّلَا
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَيِّتٌ وَابْنُ مَيِّتٍ
 تَأَجَّلُ حَيِّي مِنْهُمْ أَوْ تَعَجَّلَا
 فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ
 بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُسْلِمِينَ وَأَرْسَلَا
 هُوَ الْمَوْتُ يَا ابْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثُ بَعْدَهُ
 فَمَنْ بَيْنَ مَبْعُوثٍ مُخْفًا وَمُتَّقَلَا
 وَمَنْ بَيْنَ مَسْحُوبٍ عَلَى حُرٍّ وَجْهِهِ
 وَمَنْ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي أَعْرَ مُحَجَّلَا

عَشِقْنَا مِنَ اللَّذَاتِ كُلِّ مُحَرَّمٍ
 فَأُفِّ عَلَيْنَا مَا أَغْرَرَ وَأَجْهَلَ
 لَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ قَبَلْنَا
 يَعْافُونَ مِنْهُمْ الْحَالَ الْمُحَلَّلَا
 رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَطَالَ رُكُونُنَا
 وَلَسْنَا نَرَى الدُّنْيَا عَلَى ذَاكَ مَنْزِلَا
 فَلِلَّهِ دَارٌ مَا أَحَثَّ رَحِيلَهَا
 وَمَا أَغْرَضَ الْأَمْالَ مِنْهَا وَأَطْوَلَا
 أَبِي الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَطْوَلَ اغْتِرَارُهُ
 وَتَأْتِي بِهِ الْحَالَاتُ إِلَّا تَنْقَلَا
 إِذَا أَمَلَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا فَنَالَهُ
 سَمَا يَبْتَغِي فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
 وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ
 وَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ كَانَ قَدْ صَارَ أَسْفَلَا
 وَلَمْ أَرَ إِلَّا مُسْلِمًا فِي وَفَاتِهِ
 وَإِنْ أَكْثَرَ الْبَاكِي عَلَيْهِ وَأَعْوَلَا
 وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي قَعْرِ حُفْرَةٍ
 تَلَحَّفَ فِيهَا بِالثَّرَى وَتَسْرَبَلَا
 أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَتَفَّتْ بِمَنْزِلِ
 تَرَى الْمَوْتَ فِيهِ بِالْعِبَادِ مُوَكَّلَا
 تُنَافِسُ فِي الدُّنْيَا لِتَبْلُغَ عِزَّهَا
 وَلَسْنَا تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تَذَلَّلَا

إِذَا اضْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَدْلُهُمْ

لأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبْرَرَّ وَأَفْضَلَ

وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤَثِّرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ

وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَّقِضَ

اللَّهُمَّ يا من عم العباد فضله ونعماؤه ، ووسع البرية جوده وعطاؤه ، نسأل منك الجود والإحسان ، والعفو والغفران ، والصفح والأمان ، والعتق من النيران ، وتوبة تجلو أنوارها ظلمات الإساءة والعصيان ، يا كريم يا .

اللَّهُمَّ تَبَّتْ إيماننا بك ثبوت الجبال الراسيات ، وَتَوَزَّ قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداةً مُهْتَدِينَ وَأَصْلِحْ أولادنا واغفر لآبائنا وأمهاتنا واجمعنا وإياهم مع عبادك الصالحين في جنات النعيم ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

(في نظر أهل الجنة إلى ربهم تبارك وتعالى)

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ؟ قَالُوا : لا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ » ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : « فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ » فذكر الحديث بطوله . رواه البخاري ، ومسلم .

وَعَنْ صُهَيْبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، يُقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ - قَالَ - : فَيَكْشِفُ

الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ - ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ . رواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ حَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلاً ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخِرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ » . رواه البخاري ، واللفظ له ، ومسلم ، والترمذي .

وَرُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ سَلُونِي ، فَقَالُوا : نَسْأَلُكَ الرِّضَا عِنَّا ، قَالَ : رِضَائِي أَحْلَمُكُمْ دَارِي ، وَأَنَا لَكُمْ كِرَامِي ، وَهَذَا أَوَانُهَا فَسَلُونِي ، قَالُوا : نَسْأَلُكَ الزِّيَادَةَ ، قَالَ : فَيُؤْتُونَ بِنَجَائِبِ مَنْ يَأْقُوتُ أَحْمَرَ أَزْمَتِهَا مِنْ زَمْرَدٍ أَخْضَرَ ، وَيَأْقُوتُ أَحْمَرَ ، فَيَحْمِلُونَ عَلَيْهَا ، تَضَعُ حَوَافِرُهَا عِنْدَ مَنْتَهَى طَرْفِهَا ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَشْجَارٍ عَلَيْهَا الثَّمَارُ ، فَتَجِيءُ حَوَارِءٌ مِنَ الْحَوَارِءِ الْعَيْنِ وَهِنَّ يَقْلُنُ : نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبَأُ ، نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ كِرَامٍ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُتُبَانِ مِنْ مَسْكِ أَبْيَضٍ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِمْ رِيحًا يُقَالُ : لَهَا : الْمَثِيرَةُ ، حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِمْ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهِيَ قِصْبَةُ الْجَنَّةِ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبَّنَا قَدْ جَاءَ الْقَوْمُ ، فَيَقُولُ : مَرْحَبًا بِالصَّادِقِينَ ، مَرْحَبًا بِالطَّائِعِينَ . قَالَ : فَيَكْشِفُ لَهُمُ الْحِجَابَ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى ، فيتمتعون بنور الرحمن ، حتى لا ينظر بعضهم بعضًا ، ثُمَّ يَقُولُ : أرجعوهم القصور بالتحف ، فيرجعون وَقَدْ أَبْصَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ نَزُلًا مِّنْ عَفْوَرٍ رَّحِيمٍ ﴾ . رواه أبو نعيم ، والبيهقي ، واللفظ له ، وَقَالَ : وَقَدْ مَضَى فِي هَذَا الْكِتَابِ ، يعني : في كتاب البعث ، وفي كتاب الرؤية ما يؤكد ما روي في هذا الخبر . انتهى .

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ ، وابن أبي الدنيا مختصر قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ فلا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِّمَّا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ ، وَتَبَقِيَ فِيهِمْ بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ » . هَذَا لَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ ، وَالْآخِرُ بِنَحْوِهِ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : جَاءَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَدِهِ مِرَاةً بِيضَاءَ فِيهَا نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فُكِّتُ : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الْجُمُعَةُ يعرضها عَلَيْكَ ربك لتَكُونَ لكَ عِيدًا ولقومك من بعدك ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ ، وتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ ، قال : مالنا فيها ؟ قال : فيها خَيْرٌ لَكُمْ ، فيها ساعة من دعا ربه فيها بخَيْرٍ - هُوَ لَهُ قِسْمٌ - إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، أَوْ لَيْسَ بِقِسْمٍ إِلَّا ادْخَرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، أَوْ تَعُوذُ فِيهَا مِنْ شَرِّ هُوَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَاذَهُ ، أَوْ لَيْسَ عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِلَّا أَعَاذَهُ مِنْ أَعْظَمِ مِنْهُ ، قُلْتُ : ما هذه النكته السوداء فيها ؟ قال : هذه الساعة تقم يوم الْجُمُعَةِ ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ عِنْدَنَا ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ : يوم المزيّد . قال : قُلْتُ : لم تدعونه يوم المزيّد ؟ قال : إن ربك عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ

واديًا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كَانَ يوم الْجُمُعَة نزل تبارك وتعالى من عليين ، فجلس على كرسية ، ثُمَّ حَف الكرسى بمنابر من نور ، وجاءَ النبيون حتى يجلسوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَجِيءُ أَهْل الجَنَّةِ حتى ينظروا إلى وجهه ، وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي صدقتكم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، هَذَا محل كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرِّضَا ، فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : رضاي أحلكم داري ، وأنالكم كرامتي ، فسلوني ، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى مقدار منصرف النَّاسِ يوم الْجُمُعَة ، ثُمَّ يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسية ، فيصعد معه الشهداء والصديقون . « أحسبه قال : » ويرجع أَهْلُ الغُرفِ إلى غُرفهم ، درة بيضاء ، لا فصم فيها ولا وشم ، أو ياقوتة حمراء ، أو زبرجدة خضراء منها غُرفها ، وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها ، متدلية فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدمها ، فليسوا إلى شَيْءٍ أَحوج مِنْهُمْ إلى يوم الْجُمُعَة ليزداد فيه كرامة ، وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيدي . رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني في الأوسط بإسنادين ، أحدهما : جيد قوي ، وأبو يعلى مختصرًا ورواه رواة الصحيح ، والبخاري ، واللفظ له

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ
 دِ وَأَنَّ لَهُ شَأْنًا عَظِيمًا الشَّانِ
 هُوَ يَوْمَ جُمُعَتِنَا وَيَوْمَ زِيَارَةِ الْ
 رَحْمَنِ وَقَفَّتْ صَوَالَتِنَا وَأَذَانِ
 وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمْ الْأَوْلَى
 فَأَزُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالْإِحْسَانِ
 سَبْقُ سَبْقٍ وَالْمُؤَخَّرُ هَا هُنَا
 مُتَأَخَّرٌ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو
 الزُّلْفَى هُنَاكَ فَهَذَا هُنَا قُرْبَانِ
 قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعَدُ مِثْلُهُ
 بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ السُّدْيَانِ
 وَلَهُمْ مَنَابِرٌ لَوْلَوْ وَزَبْرَجِدِ
 وَمَنَابِرٌ إِلَى الْقُوتِ وَالْعَفِيَانِ
 هَذَا وَأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مِمَّنْ فَوَقَّ ذَاكَ الْمَسْكَ كَالْكُتْبَانِ
 مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِمَّنْ الْإِحْسَانِ
 فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
 نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 وَيُحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَاهُمْ مُحَا
 ضَرَةً الْحَيِّبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ
 هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
 مِمَّنْ مَبَارِزًا بِالذَّنْبِ وَالْعِصْيَانِ
 فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغَفْرَةٍ
 قَدِّمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 فَيَجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
 قَدْ أَوْصَلْتَنِي إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِكِتَابِكَ مِنَ التَّالِينَ وَلَكَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ وَمَا صَرَفْتَ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ مُنْتَفِعِينَ وَإِلَى لَدِيدِ خَطَابِهِ مُسْتَمِعِينَ وَأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ خَاضِعِينَ وَبِالْأَعْمَالِ مُخْلِصِينَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ قَوِّهِ إِيمَانِنَا بِكَ وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ ، وَأَمِّنَّا مِنْ سَطْوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة) : عباد الله يجب عليكم أن تعلموا أنكم ما دمتم في هذه الدار فأنتم في دار المعاملات ، وأن لكم درًّا أخرى أبدية ، فيها تستوفون مالكم على هذه المعاملات من جزاءات ، فإن أحسنتم هنا أو أسأتم ، كَانَ جزاؤكم هناك إحسانًا أو إساءات ، هَكَذَا وعدكم ربكم ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَعْمَالِ ، وَعَلَى جَزَائِكُمْ عَلَيْهَا قَدِيرٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ بُحَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ من هَذَا قاطعًا تعلم أن شأن هذه المعاملات عَظِيمٌ عَظْمًا لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل ، البعيد النظر الحكيم ، فإن عَلَيْهَا يترتب غضب الله وعقابه أو رضاه ، والنَّعِيمُ الْمُقِيمِ ، وَشَيْءٌ هَذَا قدره لا يتوقف ولا يتردد في بذل العناية به رجل بصير ، وهذه المعاملات تارة تكون بينكم وبين الله ، وتارة تكون مع عباد الله ، فأما المعاملة مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَبِأَنَّ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَأَمَّا مَعَامِلَتُكَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِأَنَّ تَحِبُّ لَهُمْ مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَذَلِكَ بِأَنَّ تَجْعَلُ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِي مَعَامِلَةِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، أَنْتَ تَكْرَهُ إِسَاءَتَهُمْ لَكَ وَتَحِبُّ إِحْسَانَهُمْ ، فَاحْذَرِ إِسَاءَتَهُمْ ، وَعَامِلِهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَمْسُوا مَالَكَ بِسَوْءٍ ، فَلْتَكُنْ أَمْوَالَهُمْ مِنْكَ فِي أَمَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِأَوْلَادِكَ وَأَهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فَكُنْ لَهُمْ خَيْرَ حَفِيزٍ وَنَصِيرٍ ، وَكَمَا تَحِبُّ أَنْ يَرِيحُوكَ إِذَا جَاوَرُوكَ ، فَأَرْحَمِهِمْ عِنْدَ مجاورتك لَهُمْ ، وَكَمَا تَحِبُّ أَنْ

ينصحوك

ويصدقوك في وعودهم وعقودهم وأخبارهم ، فاسبقهم أنت إلى ذلك ، وكما تحب أن يفرحوا لفرحك ، ويجزنوا لحزنك ، فكن أنت كذلك معهم ، وكما تحب أن لا يتكلموا فيك إلا بخير ، فلا تكن أنت معهم بضد ذلك ، وقس على ذلك ما يتعلق بالموضوع ، وأما معاملتك مع نفسك ، فهي أن تعودها دائماً على الخير بلا ضجر .

شِعْرًا:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْحَقَّ أَبْلَجُ لَائِحُ
وَأَنَّ لِحَاجَاتِ النَّفْسِ جَوَائِحُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَكْفُفْ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ
فَلَيْسَ لَهُ مَا عَاشَ مِنْهُمْ مُصَالِحُ
إِذَا كَفَّ عَبْدُ اللَّهِ عَمَّا يَضُرُّهُ
وَأَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ فَالْعَبْدُ صَالِحُ
إِذَا الْعَبْدُ لَمْ يَمْدَحْهُ حُسْنُ فِعَالِهِ
فَلَيْسَ لَهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَادِحُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصِفْ عَيْشُهُ
وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ
وَبَيْنَا الْفَتَى وَالْمُلْهَيَاتُ يُدْفَنُهُ
جَنَى اللَّهِ وَإِذْ نَاحَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ
وَإِنَّ امْرَأً أَصْفَاكَ فِي اللَّهِ وَدَّهُ
وَكَانَ عَلَى التَّقْوَى مُعِينًا لِمَصَالِحُ

وَإِنَّ أَلْبَّ النَّاسِ مَنْ كَانَ هُمُّهُ
بِمَا شَهِدَتْ مِنْهُ عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ

اللَّهُمَّ عَامِلَنَا بِلُطْفِكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَوَقَفْنَا لَطَاعَتِكَ وَمَرْضَاتِكَ ، وَاعْفُرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ
المُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

وروي عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَانِي
جبريل ، فإذا في كفه مرآة كأصفي المرايا وأحسنها ، وإذا في وسطها نكتة سوداء ، قال : قُلْتُ
: يا جبريل ما هذه ؟ قال : هذه الدُّنْيَا صفاؤها وحسنها ، قال : قُلْتُ : وما هذه اللمعة
السوداء في وسطها ؟ قال : قال هذه الجُمُوعَةُ قال : قُلْتُ : وما الجُمُوعَةُ : قال : يوم من أيام
ربك عَظِيم ، وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، أما شرفه وفضله واسمه في
الدُّنْيَا ، فإن الله تبارك وتعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه ، فإن فيه ساعة لا يوافقها
عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرا إلا أعطاهما إياه ، وأما شرفه وفضله واسمه في
الآخِرَةِ فإن الله تعالى إذا صير أهل الجَنَّةِ إلى الجَنَّةِ ، وأدخل أهل النار النار ، وجرت عليهم
أيامها وساعتها ، ليسَ بها ليل ولا نهار إلا قد علم الله مقدار ذلك وساعته ، فإذا كان يوم
الجُمُوعَةِ في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجُمُوعَةِ ،

نادى مناد : يا أهل الجنة أخرجوا إلى دار المزيد ، لا يعلم سعتها وعرضها وطولها إلا الله عزَّ وجلَّ ، فيخرجون في كئيب من المسك » ، قال حذيفة : وإنه لهُ أشد بياضاً من دقيقكم هذا ، قال : فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت ، قال : فإذا وضعت هُتْم ، وأخذ القوم مجالسهم ، بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة ، تثير عليهم أثابير المسك الأبيض ، فتدخله من تحت ثيابهم ، وتخرجه في وجوههم وإشعارهم ، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك ، من امرأة أحدكم لو دفع إليها كل طيب على وجه الأرض لكأنت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك ، من تلك المرأة لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن الله عزَّ وجلَّ ، قال : ثمَّ يوحى الله سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهري الجنة ، وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني ، وصدقوا رسلي ، واتبعوا أمري ، فسألوني فهذا يوم المزيد . قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب رضينا عنك ، فارض عنا ، قال : فيرجع الله تعالى في قولهم : أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فسألوني فهذا يوم المزيد ، قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب وجهك أرنا ننظر إليه . قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم ، فيغشاهم من نوره شيء ، لو أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا مما غشاهم من نوره ، قال : ثمَّ يُقال لهم : ارجعوا إلى منازلكم ، قال : فيرجعون إلى منازلهم ، وقد خفوا على أزواجهم ، وخفين عليهم ، مما غشاهم من نوره . انتهى .

وقال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : « كذالك لا

تتمارون في رؤية ربكم عزَّ وجلَّ ولا يبقى فذ يدلك المجلس أحدٍ إلا حاضره الله عزَّ وجلَّ محاضرة حتى أن يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا يذكره بعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب أفلم تغفر لي فيقول : بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ثم يقول : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال : فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ، فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقص آخر حديثه حتى يتمثل له عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال : ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا ، فيقلن : مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول : أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عزَّ وجلَّ ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا .

قال ابن القيم في سوق الجنة :

فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ
مَا قَدْ دَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلاَأْتَمَانِ

قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارَ أَثْمَانَ الْمَيِّـ
 —عِ بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 لِلَّهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَالَا
 نِكَاةُ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 فِيهِ الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 كَلَا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 كَلَا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
 فَيَكُونُ عَنْهُ مُعْبِرًا بِلِسَانِ
 فَيَرَى امْرَأً مِنْ فَوْقَهُ فِي هَيْئَةٍ
 فَيُرْوَعُ عَنْهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلَهَا إِذْ لَيْسَ يَلِـ
 —حَقُّ أَهْلَهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَخْزَانِ
 وَهَذَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مِنْ حَلَّةُ
 نَالِ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
 يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
 صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيَّمَانِ
 وَتَجَارَةٍ مَنْ لَيْسَ تُلْهِمُهُ تَجَا
 رَاتٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمَنِ
 أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتَّقَى
 وَالذِّكْرِ لِلرَّحْمَنِ كُلِّ أَوَانِ
 يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي

رَكَزَتْ لَدَيْهِ رَايَهُ الشَّيْطَانِ

لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لِمَ

تَرَكَنِي إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِي

اللَّهُمَّ انظُرْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَبِحَنَّا مِنْ لَفْحَاتِ الْجَحِيمِ ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ) : اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَارَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْمَخْلُوقَاتِ أَطْيَبَهُ . وَاخْتَصَهُ لِنَفْسِهِ وَارْتَضَاهُ دُونَ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَجِبُ إِلَّا الطَّيِّبُ ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ وَالْكَلامِ وَالصَّدَقَةِ إِلَّا الطَّيِّبُ ، فَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ مَخْتَارُهُ تَعَالَى ، وَأَمَّا خَلْقُهُ تَعَالَى فَعَامٌ لِلنُّوعِينَ .

وَبِهَذَا يَعْلَمُ عَنَوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَشِقَائِهِ ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ لَا يَنَاسِبُهُ إِلَّا الطَّيِّبُ وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَطْمئن قَلْبُهُ إِلَّا بِهِ ، فَلَهُ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا هُوَ ، وَهُوَ أَشَدُّ شَيْءٍ نَفْرَةً عَنِ الْفَحْشِ فِي الْمَقَالِ ، وَالْتَفَحْشِ فِي اللِّسَانِ وَالْبَدَاءِ ، وَالْكَذْبِ وَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبَهْتِ وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَكُلِّ كَلَامٍ خَبِيثٍ .

وَكَذَلِكَ لَا يَأْلَفُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا أَطْيَبُهَا وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى حَسَنِهَا الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ مَعَ الشَّرَائِعِ النَّبَوِيَّةِ ، وَرَكَتِهَا الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ . فَاتَّفَقَ عَلَى حَسَنِهَا الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ .

مِثْلُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَيؤْثِرُ مَرْضَاتَهُ عَلَى هَوَاهُ ، وَيَتَجَبَّبُ إِلَيْهِ جَهْدَهُ وَطَاقَتَهُ ، وَيَحْسِنُ إِلَى خَلْقِهِ مَا اسْتَطَاعَ ، فَيَفْعَلُ بِهِمْ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهِ ، وَيَعَامِلُهُمْ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَعَامِلُوهُ بِهِ ، وَيَدْعُهُمْ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَدْعُوهُ مِنْهُ .

وَيُنصَحُهُمْ لَمَّا يَنْصَحُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَيُحْكَمُ لَهُمْ بِمَا يَجِبُ أَنْ يُحْكَمَ لَهُ بِهِ ، وَيَحْمِلُ أَذَاهُمْ وَلَا يَحْمِلُهُمْ أَذَاهُمْ ، وَيَكْفِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَلَا يَقَابِلُهُمْ بِمِثْلِ مَا نَالُوا مِنْ عَرْضِهِ ، وَإِذَا رَأَى لَهُمْ حَسَنًا

أذاعه وإذا رأى لهم سيئاً كتمه ، وقيم أعدارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة ، ولا يناقض الله أمراً ولا نهياً .

وله أيضاً من الأخلاق أطيبها وأزكاها ، كالحلم والوقار والسكينة ، والرحمة والصبر والوفاء ، وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد ، والتواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان .

والعزة والغلظة على أعداء الله وصيانة الوجه عن بذله وتذلل لغير الله والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة . وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول .

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها وهو الحلال الهنيء المريء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية ، مع سلامة العبد من تبعته . وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها . ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها . ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم .

فروحه طيب وبدنه طيب ، وخلقه طيب ، وعمله طيب ، وكلامه طيب ، ومطعمه طيب ، ومشربه طيب ، وملبسه طيب ، ومنكحه طيب ، ومدخله طيب ومخرجه طيب ، ومنقلبه طيب ، ومثواه كله طيب .

فَهَذَا مِمَّن قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ يَقُولُ هُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .

وهذا الفناء تقتضي السببية ، أي بسبب طيبكم ادخلوها . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ ﴿ وَقَدْ فَسَّرَتِ الْآيَةَ بِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ ، وَالْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتُ ، لِلطَّيِّبِينَ ، وَفَسَّرَتِ بِأَنَّ النِّسَاءَ الطَّيِّبَاتُ لِلرِّجَالِ الطَّيِّبِينَ ، وَالنِّسَاءَ الْحَبِيثَاتُ لِلرِّجَالِ الْحَبِيثِينَ ، وَهِيَ تَعْمُ دَلِيلُكَ وَغَيْرِهِ .

فالكلمات والأعمال والنساء الطيبات لمناسبتها من الطيبين والكلمات والأعمال والنساء الخبيثات لمناسبتها الخبيثين . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الطَّيِّبَ بِجَدَائِفِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَجَعَلَ الخبيث بِجَدَائِفِهِ فِي النَّارِ . فجعل الدور ثلاثة :

دار أخلصت للطيبين ، وهي حرام على غير الطيبين . وَقَدْ جَمَعَتْ كُلَّ طَيِّبٍ ، وَهِيَ الْجَنَّةُ .
 ودار أخلصت للخبيثين والخبائث ، ولا يدخلها إلا الخبيثون ، وهي النار .
 ودار امتزج فيها الطيب والخبيث واخلط بينهما وهي هذه الدار .
 ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط ، وَذَلِكَ بِمَوْجِبِ الْحِكْمَةِ الإلهية .
 فإذا كَانَ يَوْمَ مَعَادِ الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب .

فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم ، وجعل الخبيث وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم ، فعاد الأمر إلى دارين فقط : الجنة ، وهي دار الطيبين ، والنار : وهي دار الخبيثين .

وَأَنْشَأَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْفَرِيقَيْنِ ثَوَابَهُمْ وَعِقَابَهُمْ ، فَجَعَلَ طَيِّبَاتِ أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنُ نَعِيمِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ ، فَأَنْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَكْمَلَ سَبَابِ النَّعِيمِ وَالسَّرُورِ . وَجَعَلَ خَبِيثَاتِ أَقْوَالِ الْآخَرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ هِيَ عَيْنُ عَذَابِهِمْ وَأَلَامِهِمْ فَأَنْشَأَ لَهُمْ مِنْهَا أَعْظَمَ سَبَابِ الْعِقَابِ وَالْآلَامِ ، حِكْمَةً بِالْغَةِ ، وَعِزَّةً بِأَهْرَةَ قَاهِرَةَ ، لِيَرَى عِبَادَهُ كِمَالَ رَبُّوبِيَّتِهِ ، وَكِمَالَ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَعَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الْمُفْتَرِينَ الْكَاذِبِينَ ، لَا رَسُلَهُ الْبِرَّةِ الصَّادِقُونَ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾

والمقصود أن الله سُبْحَانَهُ جعل للسعادة والشقاء عنوانًا يعرفان به . فالسَّعِيد الطيب لا يليق به إلا طيب ، ولا يأتي إلا طيبًا ، ولا يصدر منه إلا طيب ، ولا يلبس إلا طيبًا ، والشقي الخبيث لا يليق به إلا الخبيث ، ولا يأتي إلا خبيثًا ولا يصدر منه إلا الخبيث .

فالخبيث : يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه . والطيب : يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه ، وقد يكون في الشخص مادتان ، فأيهما غلب عَلَيْهِ كَانَ من أهله ، فإن أراد الله به خيرًا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة ، فيوافيه يوم القيامة مطهرًا فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار .

فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة حتى يلقي الله وما عَلَيْهِ خطيئة . ويمسك عن الآخر مواد التطهير ، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة ، وحكمته تَعَالَى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه ، فيدخله النار طهرة له ، وتصفية وسبغًا ، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث صلح حينئذٍ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده .

وإقامة هَذَا النوع من النَّاس في النار على حسب سرعة زَوَال تلك الخبائث مِنْهُمْ وبطئها فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجًا ، جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد .
وما كَانَ المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه ، بل لو خَرَجَ منها لعاد خبيثًا كما كَانَ كالكلب إذا دخل البحر ثُمَّ خَرَجَ منه فلذَلِكَ حرم الله تَعَالَى على المشرك الجَنَّة .
ولما كَانَ الْمُؤْمِن الطيب المطيب مبرًا من الخبائث ، كَأَنَّ النار حرامًا عَلَيْهِ ، إذا لَيْسَ فيه ما يقتضي تطهيره بها .

فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب ، وشهدت فطر عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين ورب العالمين ، لا إله إلا هو .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَصْلٌ)

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بالكوفة ، فَقَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ :

سبحانك خالقاً معبوداً بحسن بلائِكَ في خلقك ، خلقت داراً وجعلت مأدبة ومطعماً ومشرّباً ، وأزواجاً وقصوراً ، وخدمًا وعيوناً وأنهاراً ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ دَاعِيًا إِلَيْنَا ، فلا الداعي أجبنا ، ولا فيما رغبتنا رغبنا ، أقبلنا على جيفة نأكل منها ، قَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حَرَصًا عَلَيَّهَا ، وافتضحنا لما اصطلحنا على حبها ، عميت أبصار صالحينا وفقهائنا فيها ، ولها من في قلبه مرض ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ، ويسمع بأذن غير سمیعة ، وَقَدْ مَلَكَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَذَهَلَتْ عَلَيَّهَا نَفْسُهُ ، فهو عبدها وعبد من في يديه منها شيء ، حيثما زالت زال معها ، وحيثما أقبلت أقبل إليها ، لا يعقل ولا يسمع ، ولا يزدجر من الله بزاجر ، ولا يتعظ من الله بواعظ . قَدْ رَأَى المَأْخُودِينَ عَلَى الغِرةِ حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ كَيْفَ فَاجَأَتْهُمْ تِلْكَ الْأُمُورُ ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ ، وَفَارَقُوا الدَّوْرَ ، وَصَارُوا إِلَى القُبُورِ ، وَلَقُوا دَوَاهِي تِلْكَ الْأُمُورِ ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِقُلُوبِهِمْ حَسْرَاتُ أَنْفُسِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيَّهِمْ خَصَلَتَانِ ، حَسْرَةُ الفُوتِ ، وَسُكْرَةُ المَوْتِ ، تَفَطَّرَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ ، وَتَرَدَّدَ فَوَافِهِمْ وَحَرَكُوا لِمَخْرَجِ أَرْوَاحِهِمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، فَعَرَقَتْ لَدَلِكِ جَبَاهِهِمْ ، ثُمَّ أَزْدَادَ المَوْتِ فِيهِمْ ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَمَنْطِقِهِ وَأَنَّهُ لَبِينٌ ظَهْرَانِي قَوْمِهِ فَفَكَرَ بِعَقْلِ بَقِي لَه : فِيمَ فِي عَمْرِهِ ، وَفِيمَ ذَهَبَتْ أَيَامُهُ !!

عن الأصمعي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : حَجَبَتْ فَنَزَلَتْ ضَرْبِيَّةٌ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَإِذَا أَعْرَابِي قَدْ كُورَ عِمَامَتَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، فَصَعِدَ المَنْبِرَ فَحَمِدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،

وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أيها الناس ، إن الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر فخذوا من دار ممركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، فإنه لن يستقبل أحدٌ يوماً من عمره إلا بفارق آخر من أجله ، وإن أمس موعظة ، واليوم غنيمة ، وغداً لا يدري من أهله . فاستصلحوا ما تقدمون عليه ، واقنوا ما لا ترجعون إليه ، واخرجوا من الدنيا بقلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها خلقتم ، وإلى غيرها نديتم . وإنه لا قوي أقوى من الخالق ، ولا ضعيف أضعف من مخلوق ، ولا هرب من الله إلا إليه ، وكيف يهرب من يتقلب في يدي طالبه ، و ﴿ كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُورِ ﴾ عصمنا الله وإياكم من الزلزل ووقفنا لصالح العمل وهدانا بفضل سبيل الرشاد وطريق السداد إنه جل شأنه نعم المولى ونعم النصير .

لَا يَخْدَعَنَّكَ صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ

مَا لَا يَدُومُ عَلَيْكَ فَهُوَ مُعَارٌ

يَغْشَى الْفَتَى حُبَّ الْحَيَاةِ وَزِينَةَ الدُّ

نْيَا وَيُنْسَى مَا إِلَيْهِ يُصَارٌ

وَإِذَا الْبَصَائِرُ عَنِ طَرَائِقِ رُشْدِهَا

عَمِيَتْ فَمَاذَا تَنْفَعُ الْأَبْصَارُ

لَا تَغْتَرِرُ بِالذَّهْرِ إِنْ وَافَاكَ فِي

حَالٍ يَسُرُّكَ إِنَّهُ غَرَارٌ

انظُرْ إِلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَاعْتَبِرْ

سَتَصِيرُ عَنِ قُرْبِ إِلَى مَا صَارُوا

آخر: النَّاسُ فِي عَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ

وَمِمَّا يُفِيقُونَ حَتَّى يَنْقَدَ الْعُمُرُ

يُشِيرُونَ أَهْلَهُمْ بِجَمْعِهِمْ
وَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا فِي قَدْفِ قُبُرُوا
وَيَرْجِعُونَ إِلَى أَحْلَامِ غَفْلَتِهِمْ
كَأَنَّهُمْ مَا رَأَوْا شَيْئًا وَلَا نَظَرُوا

اللَّهُمَّ إن حسناتنا من عطائك ، وسيئاتنا من قضائك ، فجد اللهم بما أعطيت ، على ما به قضيت ، حتى تمحو ذلك بذلك ، اللهم إن مساوينا قطعت عنا الوسائل ، غير أنا علمنا أنك رب كريم ، ومولى رؤوف رحيم ، فجرانا مع قبح أفعالنا ، وضعف أعمالنا ، علمنا بذلك ، وحملنا - مع البعد عنك - رجاؤنا في نوالك ، فاستجب لنا ، واغفر لنا وارحمنا ، وتب علينا ، وعافنا واعف عنا ، وحقق رجاءنا ، واسمع دعاءنا برحمتك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وهذه قصة الذبيح إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى	إِنْعَامِهِ فَهُوَ ذُو الْأَنْعَامِ وَالنِّعَمِ
وَبَعْدَ هَذَا فَآلِافُ الصَّلَاةِ عَلَى	مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبَانِ وَالْعَجَمِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ	مَا لَاحَ بَرَقَ وَسَحَّتْ أَعْيُنُ الدِّيمِ
إِنِّي نَظَّمْتُ لِأَمْرِ لِلْخَلِيلِ بِمَا	أَدَّاهُ فِكْرِي وَمَا أَبْدَى بِهِ قَلَمِي
فَبَيْنَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُضْطَجِعًا	الْعَيْنُ نَائِمَةً وَالْقَلْبُ لَمْ يَنْمِ
رَأَى مَنَامًا بِأَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ	بِذَبْحِ ابْنِ صَدُوقِ الْقَوْلِ ذِي الشَّيْمِ
أَعْنِي أَبَا الْعَرَبِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ بِهِ	جَمَاعَةٌ مِنْ ذَوِي الْأَبَابِ وَالْحِكَمِ
وَبَعْضُهُمْ قَالَ إِسْحَقَ الدَّبِيحِ وَقَدْ	تَوَاتَرَ الْقَوْلُ فِيمَنْ قَبْلُ كَانَ سُمِّي
نَادَاهُ إِنِّي أَرَى فِي النَّوْمِ ذَبْحَكَ يَا	بُنَيَّ فَانظُرْ فَمَا رُؤْيَايَ بِالْحُلْمِ

فَقَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ
لَكِنَّ وَالِدَتِي وَارْحَمَتَاهُ لَهَا
فَاقْرِي وَالِدَتِي مِنِّي السَّلَامَ وَقُلْ
حَوْلَ لَوَجْهِكَ عِنْدَ الذَّبْحِ يَا أَبَتِي
فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَفْعَلُ بِي
فَاسْتَسَلَّمَا ثُمَّ سَارَ عَازِمِينَ عَلَى
فَجَاءَ إِبْنَلَيْسُ يَسْعَى وَهُوَ ذُو عَجَلٍ
فَقَالَ أَنْتَ خَلِيلُ اللَّهِ تَسْمَعُ مَا
أَجَابَهُ اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّكَ ابْنُ
فَرَاخٍ عَنْهُ وَوَلَّى خَاسِئًا خَجَلًا
ثُمَّ انْتَهَى نَحْوَ إِسْمَاعِيلَ مُمْتَحِنًا
أَبُوكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُ
فَقَالَ إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ يَأْمُرُهُ
وَطَاعَةُ الرَّبِّ فَرَضٌ لَا مَحِيصَ لَنَا
فَارْجِعْ بِكِبْرِكَ عَنَّا إِنَّنَا بَرَاءُ
فَرَاخٍ عَنْهُ لِنُحُو الْأُمِّ قَالَتْ لَهَا
مِنْ أَجْلِ رُؤْيَا رَأَاهَا الشَّيْخُ حَقَّقَهَا
قَالَتْ نَعَمْ مَا لَهُ بُدٌّ وَكَيْفَ لَهُ
لَمَّا رَأَى إِلْيَاسَ مِنْهُمْ رَدًّا مُكْتَبِيًّا
إِذَا فَاتَهُ مَا جَرَى مِنْهُ وَأَمَلَهُ
وَأَنْقَادَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ مُحْتَسِبًا
فَبَيْنَمَا هُوَ مُنْقَادٌ لِسَيِّدِهِ

مُبَادِرًا أَنْتَ أَمَرَ اللَّهُ لَنْ تُلِمَ
مَاذَا يَحِلُّ بِهَا إِنْ خُبِرْتَ بِدَمٍ
لَهَا أَصْبِرِي لِقَضَاءِ اللَّهِ وَاعْتَصِمِي
وَاعْضُضْ بِطَرْفِكَ لَا تَجْزَعْ لِسَفْكَ
مَا شَاءَ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو كَرَمٍ
إِنْفَادِ أَمْرٍ إِلَيْهِ مُخِي الرَّمَمِ
فِي زِيِّ شَيْخٍ كَبِيرِ السَّنِّ ذِي هَرَمٍ
يُوجِيهِ إِبْنَلَيْسَ فِي الْأَضْغَانِ وَالْحُلْمِ
لَيْسُ اللَّعِينُ قَرِينُ الشَّرِّ وَالنَّدَمِ
يُقُولُ قَدْ فَاتَنِي الْمَطْلُوبُ وَالْمِ
لَهُ يَقُولُ ادْنُ مِنِّي وَاسْتَمِعْ كَلِمَ
بِذَبْحِكَ الْيَوْمَ مَا هَذَا مِنَ الشَّيْمِ
فَإِنِّي صَابِرٌ رَاضٍ بِإِلَا نَدَمِ
عَنْهَا لِأَنَّ كُتِبَتْ فِي اللَّوْحِ بِالْقَلَمِ
مِنْكَ فَإِنَّكَ مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمِ
إِنَّ ابْنَكَ الْيَوْمَ مَذْبُوحٌ عَلَى وَهْمِ
يُرِيدُ أَنْجَارَهَا هَلْ ذَا بِمُلْتَزِمِ
بِأَنَّ يُخَالِفَ مَنْ أَنْشَأَهُ مِنْ عَدَمِ
يَرَنَّ أَرْزَانَ ذَاتِ الثُّكُلِ وَالْيَتِيمِ
وَبَاءَ بِالْخِزْيِ وَالْخُدْلَانِ وَالنَّدَمِ
لِحُكْمِ مَوْلَاهُ يَمْشِي حَافِي الْقَدَمِ
مَا فِيهِ مِنْ جَزَعٍ كَلَا وَلَا سَمِّ

حَتَّىٰ غَدَتْ مِثْلَ بَرْقٍ دُجَىٰ الظُّلَمِ
 يُصِيْبُهَا قَنْدَرٌ عِنْدَ اصْطِبَابِ دَمِي
 فَاللَّهُ يَعْصِمُهَا مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
 فَاطْلُبْ لِي الْحَلَّ مِنْهَا وَأَحْفَظْ الدَّمِمِ
 وَاشْحَذْ لِشَفْرَةٍ ذَبْحِي يَا أَبَا الْكَرَمِ
 لَشِدَّةٍ لَمْ تَصِفْهَا أَلْسُنُ الْأُمَمِ
 مَرْضَاةِ رَبِّي فَثِقْ بِاللَّهِ وَاعْتَصِمِ
 لِرِقَّةٍ غَلَبَتْهُ فَهُوَ لَمْ يَلَمِ
 عَنْهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يَمَسْسَهُ مِنْ أَلَمِ
 فَكَبَّ وَجْهِي فَإِنِّي غَيْرٌ مُهْتَضِمِ
 إِذْ ذَاكَ شَفْرَتُهُ لَمْ تُفْرِ مِنْ أَدَمِ
 وَالْوَحْشُ عَجَّتْ وَعَمَّ الْخَطْبُ فِي
 إِيْمَانِ عَبْدِيهِ مَا عَنْهُ بِمُنْكَتِمِ
 بِكَبْشِ ضَانِ رَبِّي فِي رَوْضَةِ النَّعَمِ
 يَسْقَىٰ مِنْ أَنْهَارِهَا عَذْبًا بِلا وَحَمِ
 ذَاكَ الْخَلِيلِ النَّيْلِ الطَّاهِرِ الْعَلَمِ
 هَذَا الذَّبِيحِ جَزَا هَذَا دَمِ بِدَمِ
 وَالْكَبْشُ كَبَّرَ أَيْضًا نَاطِقًا بِفَمِ
 مُكَبَّرِينَ وَذَا شُكْرٌ عَلَى النَّعَمِ
 وَاعْتَمَ إِبْلِيسَ غَمًّا غَيْرَ مُنْصَرِمِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ هَذَا آخِرُ الْكَلِمِ
 غَنَّتْ مُطَوَّقَةً فِي الْأَيْكِ بِالنَّعَمِ

أَتَى الْخَلِيلُ بِسِكِّينٍ فَأَشْحَذَهَا
 فَقَالَ يَا أَبَتَاهُ ارْزُقْ تِيَابَكَ لَا
 وَيَفْجَعُ الْأُمَّ مَهْمًا شَاهَدَتُهُ كَذَا
 وَالْأُمَّ يَا وَالِدِي مَهْمًا رَجَعْتَ لَهَا
 وَأَمَرَ مَوْلَايَ نَقَّذَهُ بِذَبْحِكَ لِي
 كَيْمَا يَهُونَ عَلَيَّ الْمَوْتُ إِنْ لَهُ
 قَالَ الْخَلِيلُ فَنِعَمَ الْعَوْنِ أَنْتَ عَلَى
 فَجَاءَ بِالْحَبْلِ شَدَّ الْإِبْنَ ثُمَّ بَكَى
 أَمَرَ شَفْرَتَهُ بِالنَّحْرِ فَاثْقَلَتْ
 فَقَالَ إِنْ شَقَّ ذَا وَالنَّفْسُ مَا سَمِحَتْ
 فَكَبَّهُ مِثْلَ مَا أَوْصَاهُ فَاثْقَلَتْ
 وَالْأَرْضُ رَجَّتْ وَأَمْلَأَ السَّمَاءَ جَارَتْ
 وَاللَّهُ ذُو الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ يَعْجَبُ
 أَوْحَىٰ لِجِبْرِيلَ أَنْ أَدْرِكْهُمَا عَجَلًا
 أَيُّ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا فِي الْجِنَانِ رَعَىٰ
 فَجَاءَ بِالْكَبْشِ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ إِلَىٰ
 فَقَالَ هَذَا الْفِدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ عَنْ
 فَكَبَّرَ اللَّهُ جِبْرَائِيلُ حِينَئِذٍ
 ثُمَّ الْخَلِيلُ كَذَلِكَ الْإِبْنَ مَا بَرَحَا
 وَسَرَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَالَهُمَا
 عَوَاقِبُ الصَّبْرِ تُنْجِي مَنْ يُلَازِمُهَا
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ أَحْمَدَ مَا

وَالْأَلِّ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ مَا لَاحَ فَجَزْرٌ فَأَجْلَى غَيْهَبِ الظُّلَمِ

انتهى .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً ، تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَفْنَعُ بِعَطَائِكَ ، يَا أَرْأَفَ الرَّائِفِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأُكَ التَّوْفِيقَ لِمَا تُحِبُّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَنَسَأُكَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُحِبِّينَ ، الْعُرِّ الْمُحَجَّجِينَ الْوَفْدِ الْمُتَقَبَّلِينَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسَأُكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَنَفْسًا تَقِيَّةً ، وَعَيْشَةً نَقِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًا غَيْرَ مُخْزِيٍّ وَلَا فَاضِحٍ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ ، وَمِنَ الْمُؤَيَّدِينَ بِنَصْرِكَ وَتَأْيِيدِكَ وَرِضَاكَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَأَعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَّحِهِ أَجْمَعِينَ .

خطبة في التحذير من المعاصي

قال أحد العلماء رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :

الحمد لله الذي حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن المتعرف إلى خلقه بما أسداه إليهم من الكرم والمنن الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى صراطه المستقيم وجنبهم ما يوقعهم في مهامه الجحيم .

الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز الحكيم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير أحمدته سبحانه على فضله وجوده العزيز وأشكره والشكر مؤذن بالزيادة والتوفير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وَهُوَ نعم المولى ونعم النصير وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير اللَّهُمَّ صل وسلم على عبدك ورسولك مُحَمَّد وعلى آله وصبحه أولي الجد في الطاعة والتشمير صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم المصير .

أما بعد : أيها النَّاس اتقوا الله تَعَالَى بفعل أوامره واجتنب مناهيه وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها النَّاس والحجارة عَلَيَّهَا ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وتدبروا فيمن ضاع عمره في البطالة والتمادي وجمع المَال ولا يبالي أمن حلالٍ جمعه أم من حرام .

ولا تأكلوا الربا فإن الله لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وَقَالَ هم في الوزر سواء قال الله جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ وَقَالَ عز من قائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الرِّبَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ وفي الحديث : « مَا تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى أَعْلِنُوهَا إِلَّا ابْتَلَاهُمْ اللهُ بِالطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا . وَمَا طَفَفَ قَوْمُ الْمَكِّيَّالِ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتَلَوْا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا وَمَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ اللَّهُ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ . وَلَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ » .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » .

وَقَالَ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمُ كَانَ فِي حَاجَتِهِ » .

وَقَالَ فِي حِجَةِ الْوَدَاعِ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَغْتُ » وَقَالَ عَنِ الْكَعْبَةِ مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حَرَمَتَكَ وَإِنْ حَرَمَةَ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ .

وَقَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَأْمَنَ جَارَهُ بَوَائِقِهِ » وَقَالَ مُعَاذُ أَوْ ، مُؤَاخِذُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : « تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ » وَقَالَ الْغِيبة أشد من الرِّبَا الْحَدِيثِ إِنْ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عَرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ « وَقَالَ : « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ يَدِيهِ أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا خَفِيتِ الْخَطِيئَةَ لَمْ تَضُرِّي إِلَّا صَاحِبَهَا وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تَغَيِّرْ ضَرَّتَ الْعَامَةَ » .

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْشَكَ أَنْ تَحْرِبَ الْقَرْيَ وَهِيَ عَامِرَةٌ قَالُوا وَكَيْفَ خَرَابَهَا قَالَ إِذَا عَلَا فَجَارُهَا عَلَى أَبْرَارِهَا وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مَنَافِقُوهَا وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ » وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ إِنْ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَنْ الْمُؤَبِّقَاتُ » .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعَاصِي وَتَوَبُوا إِلَى رَبِّكُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا

عَسَىٰ رَبِّكُمْ أَن يَكْفُرَ بِكُمْ سِئَاتِكُمْ وَأَسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ أَوْلَاهُ فَإِنَّ بَقِيَّةَ عَمَلِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ أَفَاقَ لِنَفْسِهِ وَفَاقَ بِالتَّحْفِظِ أَبْنَاءَ جَنَسِهِ وَأَعَدَّ عِدَّةَ تَصْلِحَ لِرِمْسِهِ

إن أحس ما وعظ به الواعظون كلام من نَحْنُ لعفوه وكرمه مؤملون والله يَقُولُ وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَعَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلِكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَلِكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

(موعظة)

عباد الله إن العاقل اللبيب الفطن الرشيد من يسعى في نفع نفسه وأهله ودفع الضرر عنهم ، وأنا نرى في زمننا الذي كثرت فيه المنكرات وانحطت فيه الأخلاق وقل فيه الورع وكثر فيه النفاق والرياء .

تَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ النَّاسَ وَلَا يَخَافُونَ رَبًّا قَهَارًا بَطْشَهُ شَدِيدٌ وَعَذَابُهُ إِلِيمٌ تَرَى الرَّجُلَ يَفْعَلُ الْمُنْكَرَ جَهَارًا وَلَا تَنْهَاهُ وَتَنْسَىٰ أَوْ تَنْسَىٰ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَىٰ : ﴿ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ .

وقوله ρ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدٍ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ » .

فقل للذي يرى تارك الصلاة ولا ينهأه لا يجوز لك ذلك أنصح أخاك

المسلم وقل للذي قد عميت بصيرته فأتى بكفار خدامين أو سواقين أو مريين أو طباحين أو خياطين أو نحو ذلك وأمنهم على محارمه .

خف الله وأحذر من عقوبة الدنيا قبل عقوبة الآخرة كيف تأتي بأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، لقد أسأت إلى نفسك وأهلك والمسلمين .

أما سمعت قول النبي ﷺ : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ » .

أو ما بلغك قصة الثلاثة الذين هجرهم المسلمون نحواً من خمسين ليلة بأيامها حين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك .

أو ما بلغك أن أبا هريرة أقسم (لا يظله سقف هو وقاطع رحم) وأنت وأعداء الله الكفار متصل بعضكم في بعض في البيت والسوق والسيارة عيادا بالله من ذلك ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وإذا رأيت من يحلق لحيته ويبقي شاربه متشبهاً بالمجوس فقل له أما سمعت حديث « أكرموا اللحي » وحديث « وَفَرُّوا اللَّحَى » وقول الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وقوله ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ » وعملك هذا مجاهرة .

وإذا رأيت شارب الدخان فإنصحه وبين له مضاره في الدين والبدن والدنيا .

وإذا رأيت من يقتل وقته أمام الملاهي والمنكرات فإنصحه وبين له المضار التي منها ترك الصلاة جماعة أو إهمالها بتاتا والعياذ بالله .

وإذا رأيت الذي يطارد النساء في الأسواق فقل بالله هل ترضى أن الفسقة مثلك يطاردون نساءك أتق الله وتب إليه من هذا الخلق الرذيل .

وإذا رأيت الذي يغش المسلمين فقل له إتق الله أما بلغك حديث المصطفى ρ : « مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

وإذا رأيت من يعامل بالربا فقل كيف تحارب ربك الذي أعطاك المال خف الله وأحذر أن يمحقك الله ويمحق مالك .

وإذا رأيت من يسافر إلى بلاد الكفر فأنصحه وقل أما سمعت قول النبي ρ : « أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَى نَارَهُمَا » وَكَانَ ρ يأخذ على أصحابه عند البيعة يأخذ علي يد أحدهم « أَنْ لَا تَرَى نَارَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَرْبًا لَهُمْ » .

وإذا رأيت من يبيع صور ذوات الأرواح فأنصحه وقل له أما بلغك : « أَنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ » أما بلغك مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ ، وقل له أما سمعت حديث « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » إتق الله قبل أن تقف بين يديه حافياً عارياً أعزلاً .

وإذا رأيت من يبيع الصور أو آلات اللهو كالتلفزيون والكورة والمذياع والفيديو والسينما والورق الملهية عما خلق الإنسان له وأبا الخبائث الدخان ونحو هذه البدع المحرمة التي ضاع العمر والمال بسببها وقضت على الأخلاق والغيرة الدينية فقل له : أترضى لنفسك أن تتجر بالمحرمات وأن تكون ممن يعين على المعاصي وينشر الفساد إتق الله قبل أن يفاجئك هادم اللذات فتندم ولا يفيدك الندم . ويصدق عليك قول الشاعر :

نَدْمُ الْبُعَاةِ وَلَا تِ سَاعَةٌ مَنَدَمٌ * وَالْبَغْيُ مَصْرَعُهُ وَخَيْمُ الْمَصْرَعِ

وإذا رأيت من يطفف في المكيال والميزان أزو يأخذ راتبه كاملاً ولا يؤدي

الْعَمَلُ كَامِلًا قَلَّ لَهُ : إِتَقَى اللَّهَ أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ﴿ وَيَلِّ اللُّمُطَفِّفِينَ ﴾ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وقل له : ستناقش عن عملك وإهمالك له في يوم كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَغْتَابِينَ نَهَاشَةَ الْأَعْرَاضِ أَكَالَةَ لِحُومِ الْغَوَافِلِ فَقُلْ لَهُمْ : أَمَا قَرَأْتُمْ قَوْلَ الْمَلِكِ الدِّيَانِ : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ الْآيَةَ . وَإِذَا رَأَيْتَ النَّمَامَ فَقُلْ لَهُ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ » ، وَهَكَذَا تَفْعَلُ عِنْدَمَا تَرِيدُ أَنْ تَنْصَحَ أَهْلَ الْمَعَاصِي نَحْوَ هَؤُلَاءِ مِنْ مَنَافِقِينَ وَمَتَمَلِّقِينَ وَكَذَابِينَ وَخَدَاعِينَ وَمِرَائِينَ وَمَكَارِينَ .

وَلَقَدْ تَضَاعَفَتِ الْغَيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالكَذِبُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً بَعْدَ ظَهْوَرِ التَّلْفِيزِيِّينَ وَالتَّلْفُونِ وَالْمَسْجَلَاتِ فَقَدْ كَانَتْ بِالْأَوَّلِ لَا تَوْجَدَ إِلَّا مَعَ اجْتِمَاعِ الْأَبْدَانِ وَالْآنَ تَوْجَدَ وَلَوْ كَانَ بَيْنَهُمْ مَسَافَاتٌ بَعِيدَةٌ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ .

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الْبِدْعَ وَالْمُنْكَرَاتِ وَاعْفِرْ لَنَا جَمِيعَ الزَّلَاتِ وَوَفِّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ وَأَسْكِنَا فِسْحَ الْجَنَّاتِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

موعظة

قال ابن القيم رحمه الله :

ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله خلقت النار لإذابة القلوب القاسية أبعد القلب من الله القلب القاسي ، إذ قسى قحطت العين . قسوة القلب من أربعة أشياء إذا تجاوزت قدر الحاجة : الأكل ،

والنوم ، والكلام ، والمخالطة ، كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ .

من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته .

القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة بقدر تعلقها بها . شغلوا قلوبهم بالدنيا ، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف القوائد .

إذا غذي القلب بالتذكر ، وسقى بالتفكير ، ونقى من الدغل ، ورأى العجائب ، وأهم الحكمة ، خراب القلب من الأمن والعفلة ، وعمارته من الخشية والتذكر .

إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة ، وإذا رضيت بموائد الدنيا فاتتها تلك الموائد .

والقلب يمرض كما يمرض البدن وشفاءه في التوبة والحمية ويصدأ كما تصدأ المرأة وجلأوة بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسد وزينته التقوى ، ويجوع ويظماً كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة .

للقلب ستة مواطن يجول فيه لا سابع لها : ثلاثة سافلة ، وثلاثة عالية .

فالسافلة : دنيا تتزين له ، ونفس تحذته ، وعدو يوسوس له ، فهذه مواطن الأرواح السافلة لا تزال تجول فيها .

والثلاثة العالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده . والقلوب جواله في هذه المواطن .

وقال رحمه الله : ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرها وجلأوه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا ترك صدئ ، فإذا ذكر جلاه .

وصداً القَلْبُ بأمرين : بالعُقْلَة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر . فمن كَأْنَتَ العُقْلَة أغلب أوقاته كَانَ الصداً متراكماً على قَلْبِهِ ، وصداؤه بحسب غفلته ، وإذا صداً القَلْبُ لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عَليْهِ فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عَليْهِ الصداً وأسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم عقوبات القَلْبِ .

وأصل ذَلِكَ من العُقْلَة وإتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القَلْبِ ويعميان بصره ، قال تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْمَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ فإذا أراد العَبْدُ أن يقتدي برجل فليُنظر :

هل هُوَ من أهل الذكر أو من الغافلين . وهل الحاكم عَليْهِ الهوى أو الوحي . فإن كَانَ الحاكم عَليْهِ هُوَ الهوى وَهُوَ من أهل العُقْلَة كَانَ أمره فرطاً . ومعنى الفرط قَدْ فسر بالتضييع ، أي أمره الَّذِي يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده وفلاحه ضائع قَدْ فرط فيه ، وفسر بالإسراف أي قَدْ أفرط ، وفسر بالأهلاك ، وفسر بالخلاف للحق ، وكلها أقوال متقاربة .

والمقصود أن الله سُبْحَانَهُ نهي عن طاعة من جمَع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كَذَلِكَ فليبعد منه وإن وَجَدَ ممن غلب عَليْهِ ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وإتباع السنة ، وأمره غير مفروط عَليْهِ بل هُوَ حازم في أمره فليتمسك بعرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الَّذِي يذكر ربه وَالَّذِي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت وفي المسند مرفوعاً : « أكثر واذكر الله تَعَالَى حتى يُقَالَ : مجنون » .

شِعْرًا :

الدُّكْرُ أَصْدَقُ قَوْلٍ فَافْهَمِ الْخَبْرَا لِأَنَّهُ قَوْلَ مَنْ قَدْ أَنْشَأَ الْبَشْرَا
فَاعْمَلْ بِهِ إِنْ تُرِدْ فَهَمًّا وَمَعْرِفَةً يَا ذَا النَّهْيِ كَيْ تَنَالَ الْعِزَّ وَالْفَخْرَا

وَتَحْمَدِ اللَّهِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذَا جَاءَ الْحِسَابُ وَعَمَّ الْخَوْفُ
لِلَّهِ دَرُّ رِجَالٍ عَامِلِينَ بِهِ فِيمَا يَدِقُّ وَمَا قَدْ جَلَّ وَاشْتَهَرَ

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ : كل آفة تدخل على العبد فبسببها ضياع القلب وفساد القلب يعود بضياع حقه من الله تَعَالَى ونقصان درجته ومنزلته عنده .

ولهذا أوصى بعض الشيوخ فَقَالَ : احذروا مخالطة من تضيع مخالطته الوقت وتفسد القلب فإن ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت على العبد أموره كُلَّهَا وَكَانَ مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ .

ومن تأمل حال هذه الخلق وجدهم كلهم إلا أقل القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تَعَالَى الَّذِي بِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ وَتَطْمَئِنُّ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَصَارَتْ أُمُورُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ فُرطاً ، أي فرطوا فيما ينفعهم ويعود عليهم بمصالحهم ، واشتغلوا بما لا ينفعهم بل بما يعود بضررهم عاجلاً وآجلاً .

وهؤلاء قَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ أَلَّا يَطِيعَهُمْ فَطَاعَةَ الرَّسُولِ ρ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَا يَشَاكِلُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى وَالْعَقْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .
والعقلة عن ذكر الله والدار الآخرة متى تزوجت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر وكثيراً ما يقترن أحدهما بالآخر ولا يفارقه .

ومن تأمل فساد أحوال العالم عموماً وخصوصاً وجده ناشئاً عن هاذين الأصلين فالعقلة تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته والعلم به فيكون بذلك من الضالين ، وإتباع الهوى يصدده عن قصد الحق وإرادته وإتباعه ، فيكون من المغضوب عليهم .
وأما المنعم عليهم فهم الذين من الله تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ عِلْمًا وبالانقياد إليه وإيثاره عما سواه عملاً وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة ومن سواهم على سبيل الهلاك .

ولهذا أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نقول كُلَّ يومٍ وليلة عدة مرات ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

فإن العبد مضطر كل للاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومعاده وأن يكون موثرا مريدا لما ينفعه مجتنباً لما يضره فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين .

وإن فاته قصده وأتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تعرف قدر هذا الدعاء العظيم وشدت الحاجة إليه وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر : حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضعها بالفراغ وأملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعاً واعرف ما يذهب به ليلك ونهارك وجدد توبتك في كل وقت .

وقسم وقتك ثلاثة أقسام قسم لطلب العلم وقسم للعمل الذي تستعين به على مصالح دنياك وآخرتك وقسم لحقوق نفسك وما يلزمك واعتبر بمن مضى وتفكر في منصرف الفريقين بين يدي الله جلَّ وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين فقد أوصى رسول الله بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وتقدس ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرام قربه أو جب لأنه أسبق وألصق وليس بينك وبينه جدار ولا أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهما لا تفتقر على مر الساعات ولكن مقل ومكثر .

اللَّهُمَّ اجعل الإيمان هادماً للسيئات كما جعلت الكفر عادماً للحسنات ووقفنا للأعمال الصالحات ، واجعلنا ممن توكل عليك

فكفيته واستهداك فهديته ودعاك فأحبتة وَأَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

ثُمَّ أَعْلَمَ أَيُّهَا الْآخِرُ أَنَّهُ مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ عَلَى الْعَبْدِ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا تَأْسَفُ وَتَحْسُرُ عَلَى
فَوَاتِهَا بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ مَعَهُ شَيْئًا يَذْكُرُهُ لَذِكْرِهِ اللَّهُ كُلَّمَا غَفَلَ عَنْهُ .
وَيُقَالُ إِنْ الْعَبْدُ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ سَاعَاتُ عَمْرِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَيَرَاهَا خَزَائِنَ مَصْفُوفَةٍ أَرْبَعٍ
وَعِشْرِينَ خَزَانَةَ فَيَرَى فِي كُلِّ خَزَانَةٍ أَمْضَاهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ مَا يَسِرُّهُ . فَإِذَا مَرَّتْ بِهِ السَّاعَاتُ الَّتِي
غَفَلَ فِيهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ رَأَاهَا فَارِغَةً سَاءَ ذَلِكَ وَتَنْدَمُ حِينَ لَا يَفِيدهُ النَّدَمُ .
وَأَمَّا السَّاعَاتُ الَّتِي كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا فَلَا تَسْأَلُ عَنْ سُورِهِ فِيهَا وَفِرْحَةٍ بِهَا حَتَّى يَكَادَ أَنْ
يَقْتُلَهُ الْفِرْحَ وَالسُّرُورَ . قَالَ بَعْضُهُمْ أَوْقَاتُ الْإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ لَا خَامِسَ لَهَا النِّعْمَةُ ، وَالْبَلِيَّةُ ،
وَالطَّاعَةُ ، وَالْمَعْصِيَةُ .

وَاللَّهُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهَا سَهْمٌ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ .
فَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الطَّاعَةَ لِلَّهِ فَسَبِيلُهُ شُهُودَ الْمُنَّةِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ هِدَاهُ وَوَفَّقَهُ لِلْقِيَامِ بِهَا .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْمَعْصِيَةَ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ النِّعْمَةَ فَسَبِيلُهُ الشُّكْرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ .
وَمَنْ كَانَ وَقْتَهُ الْبَلِيَّةَ فَسَبِيلُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا رِضَى النَّفْسِ عَنِ اللَّهِ ، وَالصَّبْرُ
ثَبَاتُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ . أ . ه .

العمر إذا مضى لا عوض وما حصل لك منه لا قيمة له . فَعَمْرُ الْإِنْسَانِ هُوَ مِيدَانُهُ
لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُقْرَبَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَلَكِنْ مَا يَعْرِفُ
قَدْرَ الْعَمْرِ إِلَّا نَوَادِرُ الْعُلَمَاءِ .

قال الله جلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَقَالَ تبارك وتعالى : ﴿ كَلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ الآيات .

وهذه هي السعادة التي يكده العبد ويسعى من أجلها وليس له منها إلا ما سعى كما قال جلَّ وَعَلَا وتقدس : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .
فكل جزء يفوته من العمر خاليا من عمل صالح .
يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه .

فالوقت لا يستدرك وليس شي أعز منه وكل جزء يحصل له من العمر غير خال من العمل الصالح يتوصل به إلى ملك كبير لا يفني ولا قيمة لما يوصل إلى ذلك لأنه في غاية الشرف والنفاسة .

ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا لأنفسهم إلا بالجد والتشمير فلله درهم ما أبصرهم بتصريف أوقاتهم .

تَبْغِي الْوُصُولَ بِسَيْرٍ فِيهِ تَقْصِيرٌ ** لا شك أنك فيما رُمْتَ مَعْرُورٌ
قَدْ سَارَ قَبْلَكَ أَبْطَالٌ فَمَا وَصَلُوا ** هَذَا وَفِي سَيْرِهِمْ جَدٌّ وَتَشْمِيرٌ

قال بعضهم أدركت أقوما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنائيركم ودراهمكم فكما لا يخرج أحدكم دينارا ولا درهما إلا فيما يعود نفعه عليه فكذلك السلف لا يجنون أن تخرج ساعة بل ولا دقيقة من أعمارهم إلا فيما يعود نفعه عليهم ضد ما عليه أهل هذا الزمان من قتل الوقت عند المنكرات .

بَقِيَّةُ الْعُمْرِ عِنْدِي مَا لَهُ تَمَنُّ وَإِنْ غَدَا غَيْرَ مَحْسُوبٍ مِنَ الزَّمَنِ
يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا فَاتَتْهُ مِنْ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ

آخر :

لا يَحْقِرُ الرَّجُلُ الرَّفِيعُ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ كَبَائِرُ

رأى أحد الزهاد إنسانا يأكل فطوره وهو يحتاج إلى مضغ فقال : هَذَا يَسْتَعْرِقُ وَقْتًا طَوِيلًا
فَلَمَّا أَخْرَجَ فَطُورَهُ وَإِذَا هُوَ مَا يَسْتَعْرِقُ إِلَّا وَقْتًا يَسِيرًا .

فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا فَقَالَ : إِنِّي حَسَبْتُ مَا بَيْنَ الْمَضْغِ وَالسَّفِّ سَبْعِينَ تَسْبِيحَةَ

لله دره على هذه الملاحظة ولقد بلغنا أن أحد علماء السلف كان يأكل باليمين والكراس
باليسرى .

وإذا دخل الخلا أمر القارئ أن يرفع صوته كل هذا محافظة على الوقت .

بلغ يا أخي قتالة الأوقات عند الملاهي والمنكرات من تلفاز ومذياع وكورات وجرائد
ومجلات وقيل وقال ونحو ذلك .

ويا أخي إن كنت ممن عصمهم الله من هذه الشرور والبلايا والمنكرات فكثير من حمد الله
وشكره وذكره وأسأله الثبات حتى الممات .

وانصح إخوانك المسلمين واجتنبهم عن ضياع الأوقات فلعلك أن تكون سبباً لهدايتهم .

وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَبَهْلًا وَلَا تُغْبِنَنَّ بِالنَّعْمَتَيْنِ بَلَّ اجْهَدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى إِيْدِ
فَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النَّفُوسِ اعْتَرَاذُهَا وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدِ

ثم اعلم أيها الأخ إن الوقت ليس من ذهب كما يقول الناس فإنه أغلى من الذهب
والفضة مهما بلغا كثرة إنه الحياة من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة فتنبه لذلك وحافظ عليه
واقصد بالسلف الصالح الذين عرفوا قيمة الوقت .

قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما ندمت على شَيْءٍ ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي .

وَقَالَ آخِر : كُلُّ يَوْمٍ مَرَّ بِي لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يَقْرِنِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا بَوْرِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِهِ .

وَقَالَ آخِر : مَنْ أَمْضَى يَوْمًا مِنْ عَمْرِهِ فِي غَيْرِ حَقِّ قِضَائِهِ أَوْ فِرَاضِ أَدَائِهِ أَوْ مَجْدِ أَثْلِهِ أَوْ حَمْدِ حَصَلِهِ أَوْ خَيْرِ أَسْئِهِ أَوْ عِلْمِ اقْتِبَسِهِ فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ وَظَلَمَ نَفْسَهُ . وَلَا تَسْأَلْ عَنِ نَدَمِهِ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدِمَتْ يَدَاهُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَرَصَ السَّلْفِ عَلَى الْوَقْتِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ وَتَقْدِيرِهِ عِنْدَهُمْ فَإِنْ مِمَّا يَحْزَنُ الْمُسْلِمُ وَيَجْرَحُهُ وَيُدْمِي الْقَلْبَ وَيَمْزِقُ الْكَبِدَ أَسَى وَأَسْفًا مَا نَشَاهِدُهُ عِنْدَ كَثِيرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ تَعَدَّتْ حَدَّ التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ .

وَبِالْحَقِيقَةِ أَنَّ السَّفِيهَ هُوَ مُضَيِّعُ الْوَقْتِ لِأَنَّ الْمَالَ لَهُ عَوْضٌ أَمَا الْوَقْتُ فَلَا عَوْضَ لَهُ .
فَالْعَاقِلُ مِنَ حِفْظِ وَقْتِهِ وَتَجَنُّبِ مَا يَضِيْعُهُ عَلَيْهِ كَالْجُلُوسِ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَمَطَالَعَةِ فِي الْكُتُبِ الْهَدَامَاتِ إِنْ مِنْ أَحْسَرَ النَّاسَ أَعْمَارًا مِنْ شَغَلْتَهُمْ شَهْوَاتِهِمْ عَنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَمَصَالِحِ أُمُورِهِمْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ : ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ ، لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَبِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَعْجِزُهَا شَيْءٌ يَجِيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ نَسَأَلُكَ أَنْ تَهْدِينَا إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَأَنْ تَعْفَرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَضْلٌ)

عن وهب بن منبه قال الحواريون : يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى أجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها فأماتوا ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا ما عملوا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وذكرهم إياها فواتاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم منها رفضوه ، أو من رفعتها بغير الحق وضعوه .

خلقت الدنيا عندهم فلم يجدوها ، وخرت بينهم فلم يعمروها ، وماتت في صدورهم فليسوا يحيوها .

يهدمونها فينون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، رفضوها وكانوا برفضها فرحين ، وباعوها وكانوا يبيعها راجحين .

نظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المثالات ، فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة ، يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره .

لَهُمْ خَبْرٌ عَجِيبٌ ، وَعِنْدَهُمُ الْخَبْرُ الْعَجِيبُ ، بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا ، وَبِهِمْ مِنْ نَطْقِ الْكِتَابِ ، وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَبِهِ عِلِمُوا فَلَيْسَ يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا وَلَا أَمَانًا دُونَ مَا يَرِجُونَ وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ . رواه الإمام أحمد .

[قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية]

عن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرسًا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه .

فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي . فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه .

حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ .

فنادى الأعرابي النبي ﷺ فَقَالَ : إن كنت مبتاعًا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته .

فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فَقَالَ : « أو ليس قد ابتعته منك » ؟ قال الأعرابي : لا والله ما بعته .

فَقَالَ النبي ﷺ : « بلى قد ابتعته منك » فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يَقُولُ : هَلُمَّ شهيدًا يشهد أنني بايعتك ؟

فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي : ويلك إن النبي ﷺ لم يكن ليَقُولُ إلا حقًا .

حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي وطفق الأعرابي يَقُولُ : هَلُمَّ شهيدًا أنني بايعتك ؟

فَقَالَ حَزِيمَةُ : أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ ؟ فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَزِيمَةَ فَقَالَ : « بِمِ تَشْهَدُ » ؟
 قَالَ : بِتَصَدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شَهَادَةَ حَزِيمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ .

وَقَدْ رَوَى فِي بَعْضِ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحَزِيمَةَ : « بِمِ تَشْهَدُ وَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا » ؟
 قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَصْدَقُكَ بِخَبْرِ السَّمَاءِ أَفَلَا أَصْدَقُكَ بِمَا تَقُولُ ؟

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : وَوَجْهَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَكَمَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ بِعِلْمِهِ إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ
 يَقُولُ صَادِقًا بَارًا وَجَرَتْ شَهَادَةُ حَزِيمَةَ فِي ذَلِكَ بِجَرَى التَّوَكِيدِ لِقَوْلِهِ لَهُ ﷺ وَالِاسْتِظْهَارِ بِهَا عَلَى
 خِصْمِهِ .

فَصَارَتْ فِي التَّقْدِيرِ مَعَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فِي سَائِرِ الْقَضَايَا . رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلُّ : قَالَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَشْيَاحِهِ لَهُ : إِنَّ شَيْبَةَ بْنَ عَثْمَانَ كَانَ يَحْدُثُ عَنْ إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ :
 مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنْ لُزُومِ مَا مَضَى عَلَيْهِ آبَاؤُنَا مِنَ الضَّلَالَاتِ .

فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْفَتْحِ وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنُودَةَ قُذْتُ : أَسِيرَ مَعَ قَرِيشٍ إِلَى هَوْزَانَ بِجَنِينِ فَعَسَى إِنْ
 اخْتَلَطُوا أَنْ أَصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ غَرَّةً فَأَثَارَ مِنْهُ فَأَكُونُ أَنَا الَّذِي قَمْتُ بِثَأْرِ قَرِيشٍ كُلِّهَا ، وَأَقُولُ :
 وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَحَدٌ إِلَّا اتَّبَعَ مُحَمَّدًا مَا اتَّبَعْتَهُ أَبَدًا .

فَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ اقْتَحَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَغْلَتِهِ وَأَصَلَّتِ السَّيْفُ فِدَنُوتَ أَرِيدَ مَا أَرِيدَ مِنْهُ
 وَرَفَعَتْ سَيْفِي ، فَرَفَعَ لِي شَوْاطِظُ مِنْ نَارِ كَالْبَرْقِ حَتَّى كَادَ يَمْحَشُنِي فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصْرِي
 خَوْفًا عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَادَانِي يَا شَيْبَ بْنَ مَنِ .
 فِدَنُوتَ مِنْهُ فَمَسَحَ صَدْرِي وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ »

فوالله لو كان ساعتئذٍ أحب إلى من سمعي وبصري ونفسي وأذهب الله عزَّ وجلَّ ما كان بي

ثُمَّ قَالَ : ادن فقاتل . فتقدمت أمامه اضرب بسيفي ، الله يعلم أي أحب أن أقيه بنفسي
كُلَّ شَيْءٍ ، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيًّا لأوقعت به السيف .

فَلَمَّا تَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ وَكَرُوا كِرَةً رَجُلًا وَاحِدًا قَرِبَتْ بَغْلَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا فَخَرَجَ
فِي آثَرِهِمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مَعْسَكَرِهِ فَدَخَلَ خَبَاءَهُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : «
يَا شَيْبَ الْذِي أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا مِمَّا أَرَدْتَ بِنَفْسِكَ » .

ثُمَّ حَدَّثَنِي بِكُلِّ مَا أَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي مِمَّا لَمْ أَكُنْ أَذْكَرُهُ لِأَحَدٍ قَطُّ . فَقُلْتُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْكَ رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ قُلْتُ : أَسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « غَفَرَ اللَّهُ لَكَ »

وعن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمَ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعِفٍ ذِي طَمَرِينَ لَوْ
أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ مِنْهُمْ الْبِرَاءَ بِنِ مَالِكٍ » .

وإن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين .
فَقَالُوا لَهُ : يَا بَرَاءُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّكَ لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِكَ ، فَأَقْسَمَ عَلَى
اللَّهِ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لِمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَفَهُمْ فَمَنَحُوا أَكْتَفَهُمْ .
ثُمَّ التَّقُوا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ فَأَوْجَعُوا الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : أَقْسَمَ عَلَى رَبِّكَ ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ يَا رَبِّ لِمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَفَهُمْ وَالْحَقْنِي بِنَبِيِّكَ ﷺ فَمَنَحُوا أَكْتَفَهُمْ وَقَتْلَ الْبِرَاءِ شَهِيدًا . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

فَصْلٌ : أرسل عمر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكان النَّاسُ يثنون عَلَيْهِ خَيْرًا حتى سئل عَنْهُ رجل من بني عبس .

فَقَالَ : أما إذا أنشدتمونا عن سعد فإنه كَانَ لا يَخْرُجُ في السرية ولا يعدل بالرعية ولا يقسم بالسوية .

فَقَالَ سعد : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كاذبًا قام رياءً وسمعةً فأطل عمره وعظم فقره وعرضه للفتن .

فكَانَ يرى وَهُوَ شيخ كبير قَدْ تدلى حاجباه من الكبر يتعرض للجواري يغمزهن في الطرقات وَيَقُولُ : شيخ كبير مفتون أصابني دعوة سعد .

وَكَذَا سعيد بن زيد كَانَ مجاب الدعوة فَقَدْ روى أن أروى بنت أوس استعدت مروان على سعيد و قَالَتْ : سرق من أرضي وأدخله في أرضه .

فَقَالَ سعيد : اللَّهُمَّ إِنْ كَأَنْتَ كاذبة فأذهب بصرها وأقتلها في أرضها فذهب بصرها وماتت في أرضها .

قال إبراهيم بن آدهم : مرض بعض العباد فدخلنا عَلَيْهِ نعوذ فجعل يتنفس ويتأسف فقلْتُ له : على ماذا تتأسف ؟ قال : على ليلة نمتها ، ويوم أفطرته ، وساعة غفلت فيه عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ .

وبكى بعض العباد عِنْدَ موته فقيل له : ما يبكيك ؟ **فَقَالَ** : أن يصوم الصائمون ولست فيهم ، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ، ويصلي المصلون ولست فيهم . تأمل يا أخي هذه الأمانى لله دره وَاللهُ أَعْلَمُ .

فَصْلٌ : عن ابن أبي مليكة قال : لما كَانَ يوم الفتح ركب عكرمة بن

أبي جهل البحر هاربًا فخب بهم البحر فجعلت الصراري (أي الملاحون) يدعون الله ويوحدونه .

فَقَالَ : ما هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا مَكَانٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ قَالَ : هَذَا إِلَهُ مُحَمَّدٍ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ ، فَارْجِعُوا بِنَا . فَارْجِعْ فَأَسْلَمَ .

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ ، مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ » . قُلْتُ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَدْعُ نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْفَقْتُ مِثْلَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وعن عبد الله بن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل كان إذا اجتهد في اليمن قال : لا وَالَّذِي بُجَانِي يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَضَعُ الْمَصْحَفَ عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : كِتَابَ رَبِّي ، كِتَابَ رَبِّي . استشهد عكرمة يوم إيرموك في خلافة أبي بكر ، فوجدوا فيه بضعا وسبعين من بين ضربة وطعنة ورمية . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ : قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال : جَاءَ الْإِسْلَامَ وَدَارَ الْبَدْوَةِ بِيَدِ حَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ فَبَاعَهَا بَعْدَ مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ : بَعْتَ مَكْرَمَةَ قَرِيشٍ ؟ فَقَالَ حَكِيمٌ : ذَهَبْتُ الْمَكَارِمَ إِلَّا التَّقْوَى يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي اشْتَرَيْتُ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وعن أبي بكر بن سليمان قال : حج حكيم بن حزام معه مائة بدنة قد أهداها وجللها الحبرة وكفها عن أعجازها ووقف مائة صيف يوم عرفة في أعناقهم أطوقه الفضة قد نقش في رؤوسها :

(عتقاء الله [عَزَّ وَجَلَّ] عن حكيم بن حزام) . وأعتقهم وأهدى ألف شاة .
وعن مُحَمَّد بن سعد يرفعه : أن حكيم بن حزام بكى يوماً ، فَقَالَ له ابنه : ما يبكيك ؟
قال : خصال كُلِّهَا أَبْكَانِي : أما أولها فبطء إسلامي حتى سبقت في مواطن كُلِّهَا صَالِحَةٌ ،
ونجوت يوم بدر وأُحِدٍ فُقُلْتُ : لا أَخْرَجَ أبداً من مَكَّةَ ولا أَوْضِعَ مَعَ قَرِيْشٍ ما بقيت .
فأقمت بمَكَّةَ ويأبى الله [عَزَّ وَجَلَّ] أن يشرح صدري للإسلام وَذَلِكَ أَنِي أَنْظُرُ إِلَى بَقَايَا
من قَرِيْشٍ لَهُمْ أَسْنَانٌ مَتَمَسِكِينَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ من أمر الجاهلية فأقتدي بِهِمْ ، ويا ليت أَنِي لم
أقتد بِهِمْ فما أهلكنا إِلا الإقتداء بآبَائِنَا وكبرائِنَا .

فَلَمَّا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ جعلت أفكر ، فخرجت أَنَا وأبو سفيان نستروح الخبر فلقي العباس
أبا سفيان فذهب به إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ورجعت فدخلت بيتي ، فأغلقت علي ودخل النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ
فآمن النَّاسُ فحنته فأسلمت وخرجت معه إِلَى حنين .

وعن عروة أن حكيم بن حزام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الإسلام مائة رقبة وحمل علي
مائة بعير .

قال ابن سعد : قال مُحَمَّد بن عمر : قدم حكيم بن حزام المَدِينَةَ ونزلها وبني بها داراً ،
ومَاتَ بها سنة أربع وخمسون وَهُوَ ابن مائة وعشرين سنة رَحِمَهُ اللهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وصلّى الله علي
مُحَمَّدٍ وآله وسلم .

فصل : عن أبي برزة الأسلمي : أن جليبيّاً كَانَ امراً من الأنصار ، وَكَانَ أصحاب النَّبِيِّ ﷺ إِذَا
كَانَ لأحدهم أُمٌّ (أي لا زوج لها) لم يزوجها حتى يعلم النَّبِيُّ ﷺ هل له فيها حَاجَةٌ أم لا ؟
فَقَالَ رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : « يا فلان

زوجني ابنتك» . قال : نعم ونعمة عين ، قال : «إني لست لنفسي أريدها» . قال : لمن ؟ ، قال : «جليبب» . قال : يا رسول الله حتى أستأمر (أي أشاور) وأمها . فأتاها فقَالَ : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك . قَالَتْ : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ . قال : إنه لَيْسَتْ لنفسه يريدها . قَالَتْ : فلمن ؟ ، قال : جليبيب ، قَالَتْ : حلقي أجليبيب ؟ لا لعمر الله ، لا أزوج جليبيبا .

فَلَمَّا قام أبوها ليأتي النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ الفتاة من خدرها لأبويها : من خطبني إليكما قالا : رسول ﷺ . قَالَتْ : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني .

فذهب أبوها إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : شأنك بها ، فزوجها جليبيبا . قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدري ما دعا لها به النَّبِيُّ ﷺ ؟ قال : وما دعا لها به النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَام ؟ قال : «اللَّهُمَّ صب عَلَيْهَا الخَيْرَ صبًّا ، ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا» .

قال ثابت : فزوجها إياه ، فبينما رسول الله ﷺ في مغزى له ، قال : «تفقدون من أحد ؟» ، قَالُوا : نفقَدُ فلانًا ونفقَدُ فلانًا ونفقَدُ فلانًا . ثُمَّ قال : «هل تفقدون من أحد ؟» قَالُوا : نفقَدُ فلانًا ونفقَدُ فلانًا . ثُمَّ قال : «هل تفقدون من أحد ؟» قَالُوا : لا . قال : «لكني أفقَدُ جليبيبا» . فطلبوه في القتلى .

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة ، قد قتلهم ، ثم قتلوه .
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، أَقْتَلُ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ أَقْتَلُ سَبْعَةً
 ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » .
 فَوَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى سَاعِدِيهِ ثُمَّ حَفَرُوا لَهُ مَا لَهُ سِرِيرٍ إِلَّا سَاعِدِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
 وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ .

لله در هذه الأنفس فما أعزها وهذه الهمم فغما أرفعها !

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذَلَّةً عَلَيْهِمْ وَعِزُّ الْمَوْتِ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
 أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ وَالذَّمُّ وَقَعَ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُذَمِّمْ
 وَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
 فَحَرْبَةٌ وَحَشِيٍّ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى وَحَتْفٌ عَلِيٍّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي أَفْرَادِهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ
 إِلَى بَدْرٍ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ » .

قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ؟ ! قَالَ :
 « نَعَمْ » . قَالَ : بَخٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ » . قَالَ :
 [لَا] وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا رَجَاءً أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا . قَالَ « فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا » .

قال : فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْزِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ : إِنْ أَنَا حَيِّتٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي
 هَذِهِ إِنَّهَا حَيَاةٌ طَوِيلَةٌ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ
 عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ : قال الواقدي : لما أراد عمرو بن الجموح الخروج إلى أحد ، منعه بنوه ، وقالوا : قد
 عذرك الله . فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ :

إن بني يريدون حبسي عن الخُروج معك وإني لأرجو أن أظأ بعرجتي [هذه] في الجنة فَقَالَ :
« أما أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ » . ثُمَّ قَالَ لَبْنِيهِ : « لا عليكم لا تمنعوه لعل الله عَزَّ وَجَلَّ يَرْزُقَهُ
الشهادة » . فحلوا سبيله .

قَالَتْ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ خَزَامٍ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَوْلِيًّا قَدْ أَخَذَ دِرْفَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
اللَّهُمَّ لا تَرُدَّنِي إِلَى خَرِبِي وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي سَلْمَةَ .

قال أبو طلحة : فمظرت إليه حين انكشف المسلمون ثُمَّ ثابوا وَهُوَ فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ،
لكأني أنظر إلى ظلع في رجله وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا وَاللَّهِ مُشْتَاقٌ إِلَى الْجَنَّةِ !
ثُمَّ أَنْظُرُ إِلَى ابْنِهِ خِلَادٍ [وَهُوَ] يَعْدُو [مَعَهُ] فِي إِثْرِهِ حَتَّى قَتَلَا جَمِيعًا .

وفي الحديث : أنه دفن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمر وأبو جابر في قبر واحد ،
فخرب السيل قبورهم فحضر عنهم بعد ست وأربعين سنة فوجدوا لم يتغير كأنهم ماتوا بالأمس .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ

فصل : عن أنس بن مالك قال : كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فَقَالَ : « يطلع الآن عليكم
رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه قَدْ عَلَّ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ
الشمال .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِ مِثْلِ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَيَّ مِثْلَ حَالِهِ
الأولى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عِ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : إِنِّي لَأَحِيتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا
أَدْخُلُ عَلَيْهِ

ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت . قال : نعم .

قال أنس : فكانَ عَبْدُ اللَّهِ يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله عزَّ وجلَّ ، وكبر حتى لصلاة الفجر .
قال عَبْدُ اللَّهِ : غير أنني لم أسمعهُ يَقُولُ إلا خيرًا ، فَلَمَّا مضت الثلاث الليالي ، وكدت أن أحتقر عمله .

قُلْتُ : يا عَبْدُ اللَّهِ لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ع يَقُولُ لك ثلاث مرات : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث المرات ، فأردت أن آوى إليك .

فَانظُرْ ما عملك ، فأفتدي بك ، فلم أرك عملت كبير عمل ، فما الَّذِي بلغ بك ما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟

قال : ما هُوَ إلا ما رأيت ، فَلَمَّا وليت دعائي فَقَالَ : ما هُوَ إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه .
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هذه التي بلغت بك . رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وصلّى الله على مُحَمَّدٍ وآله وسلم .

فَصَلِّ : عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشًا فيهم رجل يُقَالُ له حدير .
وكأنت تلك السنة قد أصابتهم سنة من قلة الطعام ، فزودهم رسول الله ونسي أن يزود حديرًا .

فخَرَجَ حدير صابرًا محتسبًا وَهُوَ في آخر الركب يَقُولُ : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وَيَقُولُ : نعم الزاد هُوَ يا رب . فهو يرددها وَهُوَ في آخر الركب .

قال : فَجَاءَ جبريل إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ له : إن رَّبِّي أرسلني إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً ، وَهُوَ في آخر الركب يَقُولُ : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله .

فدعا النَّبِيُّ ع رجلاً فدفع إليه زَادَ حدير وأمر إذا انتهى إليه حفظ عَلَيْهِ ما يَقُولُ : وإذا دفع إليه الزَادَ حفظ عَلَيْهِ ما يَقُولُ وَيَقُولُ له : إن رسول الله ع يقرئك السَّلَامَ ورحمة الله ويخبرك أنه كَانَ نسي أن يزودك ، وإن رَّبِّي تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرني بك فذكره جبريل وأعلمه مكانك .

فانتهى إليه وَهُوَ يَقُولُ : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وَيَقُولُ : نعم الزَادَ هَذَا يا رب . قال : فدنا منه ثُمَّ قال له : إن رسول الله ع يقرئك السَّلَامَ ورحمة الله وَقَدْ أرسلني إليك بزَادَ معي ، وَيَقُولُ : إني إنما نسيتك فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرني بك . قال : فحمد الله وأثنى عَلَيْهِ وصلى على النَّبِيِّ ع .

ثُمَّ قال : الحمد لله رب العالمين ، ذكرني رَّبِّي من فوق سبع سماوات ، ومن فوق عرشه ، ورحم جوعي وضعفي ، يا رب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك .

قال : فحفظ ما قال وَرَجَعَ إلى النَّبِيِّ ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه ، وبما قال حين أخبره ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : « أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرَأَيْتَ لكلامه ذَلِكَ نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وصحبه وسلم .

فصل : عن مُحَمَّدِ بن سعد قال : كَانَ ذو البجادين يَتِيماً لا ما له . فمَاتَ أبوه ولم يورثه شَيْئاً ، وكفله عمه حتى أيسر .

فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ الْمَدِينَةَ جَعَلَتْ نَفْسُهُ تَتَوَقَّعُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ عَمِهِ حَتَّى مَضَتْ
السَّنُونَ وَالْمَشَاهِدَ .

فَقَالَ لِعَمِهِ : يَا عَمِّ إِنِّي قَدْ أَنْتَظَرْتُ إِسْلَامَكَ فَلَا أُرَاكَ تَرِيدُ مُحَمَّدًا فَأَذِّنْ لِي فِي الْإِسْلَامِ .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَا أَتْرُكُ بِيَدِكَ شَيْئًا كُنْتَ أَعْطَيْتَكَهُ إِلَّا نَزَعْتَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤَيِّبَ .

قال : فإنا والله متبع محمدًا وتارك عبادة الحجر ، وهذا ما بيدي فخذ ، فأخذ ما أعطاه
حتى جرده من إزاره .

فأتى أمه فقطعت بجادًا لها بائنين فأتزر بواحدٍ وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان
بورقان فاضطجع في المسجد في السحر .

وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فنظر إليه فقال : « من
أنت ؟ فانتسب له ، وكان اسمه عبد العزى . فقال : « أنت عبد الله ذو البجادين » .

ثم قال : « انزل مني قريبًا » . فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنًا كثيرًا .

فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى تَبُوكَ قَالَ : ادْعُ لِي بِالشَّهَادَةِ فَرِطَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَضُدِهِ لِحَى سَمْرَةَ
وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْرَمُ دَمَهُ عَلَى الْكُفَّارِ » .

فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا أَرَدْتُ .

قال النبي ﷺ : إنك إذا خرجت غازيًا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد ، أو وقصتك
دابتك فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أيامًا ثم توفي .

قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها .

وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : « أدينا إلى أحكامنا » . فلما هياه لشقه في اللحد قال : « اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه » .
فقال ابن مسعود : ليتني كنت صاحب اللحد .

وعن أبي وائل عن عبد الله قال : والله لكأني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي الجادين وأبو بكر وعمر يقول : « أدنيا إلى أحكامنا » .
وأخذه من القبلة حتى أسكنه في لحد ثم خرج النبي ﷺ وولياهما العمل .
فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه » .

وكان ذلك ليلاً فوالله لوددت أني مكانه ، ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة . والله أعلم
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

فصل : عن محمد بن سعد قال : أتى وائلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه فلما دنا من وائلة قال : « من أنت ؟ فأخبره .
فقال : « ما جاء بك ؟ قال : جئت أبايع . فقال رسول الله ﷺ « فيما أحببت وكرهت
« قال نعم . قال : « فيما أطق ؟ قال : نعم . فأسلم وبايعه .

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج وائلة إلى أهله فلقي أبا الأسقع فلما رأى حاله قال : قد فعلتها ؟ قال : نعم قال أبوه : والله لا أكلمك أبداً .

فأتى عمه فسلم عَلَيْهِ فَقَالَ : قَدْ فعلتها ؟ قال : نعم قال : فلامه أيسر من ملامة أبيه
وَقَالَ : لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر .

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عَلَيْهِ بتحية الإسلام . فَقَالَ واثلة : أنى
لك هَذَا يا أخية ؟ قَالَتْ : سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت .

فَقَالَ : جهزي أحاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر . فجهزته فلحق
برسول الله ﷺ قَدْ تحمل إلى تبوك وبقي غيرات من الناس وهم على الشخوص .

فجعل ينادي بسوق بني قينقاع : من يحملني وله سهمي ؟ قال : وَكُنْتُ رجلاً لا رحلة بي .
قال : فدعاني كعب بن عجرة فَقَالَ : أَنَا أَحْمَلُكَ عقبه بالليل وعقبه بالتَّهَارَ ويدك أسوة
يدي وسهمك لي . قال واثلة : نعم .

قال واثلة : جزاه الله خيراً لَقَدْ كَانَ يحملني ويزيدني وأكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول
الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد المالك بدومة الجندل .

خَرَجَ كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فينا كثيراً فقسمه خالد بيننا فأصابني ست
قلائص فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة ففُلتُ : اخْرَجَ رَحِمَكَ اللهُ فَانظُرْ
إلى قلائصك فاقبضها .

فخرَجَ وَهُوَ يبتسم وَيَقُولُ : بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شَيْئاً .

عن بشر بن عبد الله عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : كنا أصحاب الصفة في مسجد رسول الله ﷺ وما فينا رجل له ثوب .

ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار ، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « ليسر فقراء المهاجرين » . ؟ ثلاثاً . والله أعلم .

فصل : عن نعيم بن ربيعة بن كعب قال كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهارياً أجمع ، حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة .

فأجلس على بابه إذا دخل بيته أقول : لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة . فما أزال أسمعه سبحانه الله ، سبحانه الله ، سبحانه الله وبحمده حتى أمل فأرجع أو تغلبنى عيني فأرقد .

فقال لي يوماً لما رأى من حفتي (أي العناية والخدمة) له وخدمتي إياه « يا ربيعة سلني أعطك » . قال : فقلت أنظر في أمري يا رسول الله ﷺ ثم أعلمك ذلك .

فقال : ففكرت في نفسي فعلمت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتيني ، قال : فقلت أسأل رسول الله ﷺ لآخري فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به .

فجئته فقال : « ما فعلت يا ربيعة » ؟ أسألك يا رسول الله ﷺ أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار .

فقال : « من أمرك بهذا يا ربيعة » ؟ فقلت : ولا الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت « سلني أعطك » . وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري

فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيأتيني .

فقلت : أسأل رسول الله ﷺ لآخري . قال : فصمت رسول

الله ρ طويلاً ثم قال لي : « إِنِّي فَاعِلٌ فَاعِيٌّ عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » .

شِعْرًا :

يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُ كَمْ تَرُقُدُ قُمْ يَا حَبِيبِي قَدْ دَنَا الْمَوْعِدُ
وَأُخَذَ مِنَ اللَّيْلِ وَسَاعَاتِهِ حَظًّا إِذَا مَا هَجَعَ الرَّقْدُ
مَنْ نَامَ حَتَّى يَنْقُضِي لَيْلَهُ لَمْ يَبْلُغِ الْمَنْزِلَ لَوْ يَجْهَدُ
قُلْ لِيذِي الْأَبَابِ أَهْلُ التُّقَى قَنَطَرَةُ الْحَشْرِ لَكُمْ مَوْعِدُ

اللَّهُمَّ بِنَجَا بَرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْحَزْبِيِّ وَالْبَوَارِ ، وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ
وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ
وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ)

كَانَ الْمُفَقَّهَاءُ يَتَوَاصُونَ بَيْنَهُمْ بِثَلَاثٍ وَيَكْتُبُ بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ عَمَلٍ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ
اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ سِرِّيْرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ وَمَنْ أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرًا جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِلَالَ : فَقَهٌ فِي الدِّينِ
، وَزَهَادَةٌ فِي الدُّنْيَا ، وَبَصَرٌ بِعُيُوبِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ : الْعَمَلُ بِالْحَسَنَةِ قُوَّةٌ فِي الْبَدَنِ ، وَنُورٌ فِي الْقَلْبِ ، وَضَوْءٌ فِي الْبَصَرِ
، وَالْعَمَلُ بِالسَّيِّئِ ، وَهَنْ فِي الْبَدَنِ ، وَظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ ، وَعَمَى فِي الْبَصَرِ .

وَكَتَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعْظُهُ : اِحْتِمَالُ الْمُؤْنَةِ الْمَنْقُطَةِ الَّتِي تَعْقِبُهَا
الرَّاحَةُ الطَّوِيلَةُ خَيْرٌ مِنْ تَعْجَلِ رَاحَةٍ مَنْقُطَةٍ تَعْقِبُهَا مُؤْنَةٌ بَاقِيَةٌ وَنَدَامَةٌ طَوِيلَةٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْهَوْلَ الْأَعْظَمَ أَمَامَكَ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ دَارَانُ إِنْ أَخْطَأَتْكَ هَذِهِ صَرَتْ عَلَى هَذِهِ
، وَكَأَنَّكَ بِالْدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ وَبِالْآخِرَةِ لَكُمْ تَزَلُ .

وَكَتَبَ أَحَدُ عَمَالِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَيْهِ (إِلَى مَدِينَتِنَا قَدْ تَهْدَمَتْ فَإِنْ

رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا نرملها به فعل ، فكتب عمر إليه : إذا قرأت كتابي ها فحسبها بالعدل ونق طرفها من الظلم فإنه عمارتها .

وقيل : الدين والملك إخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، لأن الدين أساس الملك ، ثم صار الملك بعد حارسا للدين فلا بُدَّ للملك من أساس ، ولا بد للدين من حارس ، وما لا حارس له فهو ضائع ، وما لا أساس له فهو مهديم .

كان جماعة من الملوك يوعظون فيؤثر الوعظ في قلوبهم فيخرجون من ملكهم وديانهم ويزهدون وكان فيهم من يتفكر في نفسه ويعلم انقطاع الدنيا عنه وقرب رحيله منها ويخاف شدة الحساب وأهوال القيامة وما إلى ذلك فينفر من الدنيا ويزهد في الولاية وكل من تدبر القرآن وتأمل أحوال من مضى لا بد أن يتأثر ويتجافى عن الدنيا ولكن مقل ومكثر إلا من عميت بصيرته .

شعرا :

يَا خَدُّ إِنَّكَ إِنْ تُوسَدَ لَيْنَا وَسُدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ

فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَالْتَنِدْ مَنْ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ

قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَرَأَاهُ قَرِيبًا ﴾ ، وَقَالَ : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ .

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينما رجل ممن كان قبلكم في مملكته تفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه وأن الذي هو فيه قد شغله عن عبادة ربه تعالى فخرج ذات ليلة من قصره فأصبح في مملكة غيره فأتى ساحل البحر وكان يضرب اللبن بالأجرة فيأكل ويتصدق بالفضل من قوته فلم يزل كذلك حتى رفع إلى ملك تلك الناحية .

فأرسل الملك إليه أن يأتيه فأعاد إليه الرسول فأبى وقال : ماله وإيائي فركب الملك فلما رآه الرجل ولى هاربا فلما رأى ذلك الملك جد في أثره فلم

يدركه فناداه يا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بِأَسْفَافٍ حَتَّى أَدْرِكَهُ .

فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَرْجَمُكَ اللَّهُ قَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ صَاحِبُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ : وَمَا شَأْنُكَ ،
فَقَالَ : تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مَنقُطَعٌ عَنِّي لَا مَحَالَةَ وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنِ عِبَادَةِ رَبِّي
فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَالَ : مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَسَيِّبَهَا وَإِلَى ثِيَابِهِ فَأَلْقَى بِهَا ثُمَّ أَتْبَعَهُ
فَكَانَا جَمِيعًا فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَمِيتَهُمَا جَمِيعًا فَمَاتَا . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : وَلَوْ كُنْتُ بِرَمْلِيَّةِ مِصْرَ
لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَيْهِمَا بِالَّذِي نَعْتُ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْمْ نَفْسٍ شَحِيحَةٍ عَلَى الْخَيْرِ قَدْ أَضْنَى فُؤَادِي عِلَاجُهَا
إِذَا سَأَلْتَنِي شَهْوَةً قَدْ مَنَعْتَهَا أَدَامَتْ سُؤَالِي وَاسْتَمَرَّ لِحَاجَتُهَا
وَإِنْ سُمْتُهَا خَيْرًا تَفُوزُ بِنَفْعِهِ غَدًا نَفَرْتُ مِنِّي وَدَامَ انْتِرَاعُهَا
فَقَدْ ضِيقْتُ يَا مَوْلَايَ ذُرْعًا وَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَرَاضِي الْوَاسِعَاتِ فِحَاجَتُهَا
فَهَبْ لِي يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ فِطْرَةً يُضِيءُ لِعَيْنِي فِي السُّلُوكِ سَرَاجُهَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فَصَلِّ : ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا وَبِجَمِيعِ لَذَاتِهَا لَا تَسَاوِي فِي بَابِ السَّعَادَةِ وَاللَّذَّةِ الرُّوحِيَّةِ
شَيْئًا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَصَابَ الدُّنْيَا مِنْ حَذَرِهَا وَأَصَابَتْ مِنْ أَمْنِهَا ، وَقَالَ :
الدُّنْيَا لَا تَصْفَوْنَ لِشَارِبٍ وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ وَلَا تَحْلُو مِنْ فِتْنَةٍ وَلَا تَنْكَشِفُ إِلَّا عَنْ مِحْنَةٍ .

فَأَعْرَضَ بِقَلْبِكَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تَعْرُضَ عَنْكَ وَاسْتَبَدِلْ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَبَدِلَ بِكَ فَإِنْ
نَعِمْتَ بِهَا مَتَحُولٌ وَأَحْوَالُهَا مَتَنَقِّلَةٌ وَلِذَلِكَ فَانِيَةٌ وَتَبَاعَتُهَا بَاقِيَةٌ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مِثْلَ الدُّنْيَا كَمِثْلِ الْحَيَّةِ لَيْنٌ مَسَهَا قَاتِلٌ سَمَّهَا فَاقْتَصَدَ فِيمَا يَعْجَبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا
يَصْحَبُكَ مِنْهَا وَكُنْ أَحْذَرَهُرَ مَا تَكُونُ لَهَا وَأَنْتَ آنَسُ بِهَا فَإِنْ صَاحَبَهَا كَلَّمَا اطمأنَّ مِنْهَا إِلَى
سُرُورِ أَشْخَصِهِ لَكَ مَكْرُوهٌ أَوْ غُرُورٌ .

وَقَالَ آخِرُ : وَجَمَلْتُ الْأَمْرَ أَنْكَ إِذَا نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَعَلِمْتَ

أن الدُّنْيَا لا بقاء لها ، وأن نفعها لا يفي بضرها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدُّنْيَا
والعذاب الإليم والحساب الطويل في الآخِرَةِ الَّذِي لا طاقة لك به .

فإذا علمت ذَلِكَ جَدًّا زهدت في فضول الدُّنْيَا فلا تأخذ منها إلا ما لا بدًا لك منه في
عبادة ربك وتدع التنعم والتلذذ إلى الجَنَّةِ دار النعيم المُقيم في جوار رب العالمين الملك القادر
الغني الكريم وعلمت أن الخلق لا وفاء لهم . قال الواصف لحال أهل وقته :

غَاضَ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ وَأَعُوذُ الصِّدْقَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقِسْمِ

وعلمت أن مؤنة الخلق أكثر من معونتهم فيما يعينك وتركت مخالطتهم إلا فيما لا بد لك
منه تنتفع بخيرهم وتجتنب من ضرهم وتجعل صحبتك لمن تريح في صحبته ولا تخسر ولا تندم
على خدمته وأنسك بكتابه وملازمتك إياه .

فَشَمَّرَ وَلُدَّ بِاللَّهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ فِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَلِلْخَيْرِ جَامِعُ
هُوَ الدَّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَنْزُ وَالرَّجَا وَمِنْهُ بِلا شَكِّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مُهَمِّهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهَتْهُ الْفَجَائِعُ

فترى منه كُلَّ جميل وإفضال وتجده عِنْدَ كُلِّ نائبة في الدُّنْيَا والآخِرَةِ كما في الحديث : «
احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » . وفي رواية : « تجده أمامك ، تعرف إلى الله
في الرخاء يعرفك في الشدة » . الحديث .

واعلم أن الشيطان خبيث قد تجرد لمعادتك فاستعد بربك القادر القاهر من هذا الكلب
اللعين ولا تغفل عن مكائده فتطرده بذكر الله والاستعاذة من شره .

فإنه يسير إذا ظهرت منك عزيمة صادقة وأنه كما قال الله تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ
عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ نسأل الله أن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ

وَقَالَ آخِرَ : ما الدُّنْيَا وما إِبْلِيسَ ، أما الدُّنْيَا فما مضى منها فحلم وما بقى فأماي ، وأما الشيطان فوالله لَقَدْ أَطِيعَ فما نفع بل ضر ، وَلَقَدْ عَصِي فما ضر .
وعلمت جهالة هذه النفس وجماعها إلى ما يضرها ويهلكها فنظرت إليها رحمة لها نظرة العقلاء والعلماء الَّذِينَ يَنْظُرُونَ في العواقب .
لا نظر الجهال والصبيان الَّذِينَ يَنْظُرُونَ في الحال ولا يفطنون لغائلة الأذى وينفرون من مرارة الدواء فألجمها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج إليه بالحقيقة من فضول الكلام والنظر والتلبس بخصلة فاسدة من طول أمل أو حسد أو كبر أو نحو ذَلِكَ .
ثُمَّ اعْلَمَ أن الشيطان قاسم أبك وأمك حواء إنه لهما لمن الناصحين ، وَقَدْ علمت كذبه وغشه ورأيت فعله بهما وأما أَنْتَ فَقَدْ أَقْسَمَ أن يغويك قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فاحذره وشم عن ساق الجد في الفرار عن مكائده والعجب ممن يصدق في عدواته ويتبع غوايته .

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى	حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمَهُ يَنْفَطِمِ
وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ	وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتْ المرعى فَلَا تُسَمِ
كَمْ حَسَنْتَ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةٌ	مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَخَالَفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَأَعْصِمَهُمَا	وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهُمِ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ	مِنَ المَحَارِمِ وَالزَّمَّ حَمِيَةَ النَّدَمِ

قال في الفنون : من عجيب ما نقدت من أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف والتحسر على الأرزاق بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه .
وقد رأوا من انهدام الإسلام وشعث الأديان وموت السنن وظهور البدع وارتكاب المعاصي وتقضي العمر في الفراغ الذي لا يجدي والقبیح الذي يوبق ويؤدي فلا أجد مِنْهُمْ من ناح على دينه ولا بكى على فارط عمره ولا آسى على فائت دهره .
وما أرى لذلِكَ سببًا إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدُّنْيَا في عيونهم ضد

ما كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَرْضُونَ بِالْبَلَاحِ وَبِنُوحُونَ عَلَى الدِّينِ ، قُلْتُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَى أَهْلُ هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْمَعَاصِي وَالْمَلَاحِي وَانْفَتَحَتْ فِيهِ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ومن عجب ما رَأَيْتُ أَنَا أَنْ أَحَدَنَا إِذْ نَادَاهُ أَمِيرٌ أَوْ وَزِيرٌ أَوْ مُسَاعِدٌ أَوْ مَدِيرٌ يَبَادِرُ وَيَقُومُ بِسُرْعَةٍ لِدَاعِي الدُّنْيَا وَلَا يَتَأَخَّرُ وَيَسْمَعُ دَاعِي اللَّهِ يَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ الصَّلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ جَلًّا وَعَلَاً وَتَقَدَّسَ فَيَتَثَاقَلُ وَلَا يَهْتَمُّ لَهَا وَإِنْ قَامَ بَعْدَ التَّرِيثِ فَكَأَنَّهُ مَكْرَهُ يَدْفَعُ إِلَيْهَا دَفْعًا عَكْسَ مَا عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ مِنَ الْمُبَادَرَةِ وَالْمُرَابَطَةِ وَتَرَكَ الْأَعْمَالَ فَوْرًا عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ (حِي عَلَى الصَّلَاةِ ، حِي عَلَى الْفَلَاحِ) وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَسَاجِدِ عِنْدَهُمْ تَجِدُ الصَّفَّ الْأَوَّلَ يَتِمُّ قَبْلَ الْأَذَانِ وَقَدْ أَزْدَادَ الطَّيْنَ بَلَّةً بِمَا حَدَثَ عِنْدَنَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ قِتَالَةَ الْأَوْقَاتِ ، مَفْرَقَةَ النَّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ ، وَمَشَتْ الْقُلُوبُ ، وَذَلِكَ كَالْتَلْفِزِيُونَ وَالْمَذِياعِ وَالْفِيدِيوِ وَالْجِرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ وَمَخَالَطَةِ الْمُنْحَرِفِينَ وَالْفَاسِقِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْمُجْرِمِينَ أْبَعْدَهُمُ اللَّهُ .

سَيْرُ الْمَنَائِيَا إِلَى أَعْمَارِنَا حَبَبٌ	فَمَا تَبِينُ وَلَا يَعْتَاْفُهَا نَصَبٌ
كَيْفَ النَّجَاءِ وَأَيْدِيهَا مُصَمَّمَةٌ	بِذَبْحِنَا بِمُدَى لَيْسَتْ لَهَا نَصَبٌ
وَهَلْ يُؤْمَلُ نَيْلَ الشَّمْلِ مُلْتَمَّامًا	سَفَرٌ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رَحْلَةٌ عَجَبٌ
وَمَا إِقَامَتُنَا فِي مَنْزِلٍ هَتَفَتْ	وَفِيهِ بِنَا مُذْ سَكْنَا رُبْعَهُ نُوبٌ
وَأَذِنْتَنَا وَقَدْ تَمَّتْ عِمَارَتُهُ	بِأَنَّهُ عَن قَرِيبٍ دَاثِرٌ خَرِبٌ
أَزْرَتْ بِنَا هَذِهِ الدُّنْيَا فَمَا أَمَلٌ	إِلَّا لِرَيْبِ الْمَنَائِيَا عِنْدَهُ أَرْبٌ
هَذَا وَلَيْسَتْ سِهَامُ الْمَوْتِ طَائِشَةٌ	وَهَلْ تَطِيشُ سِهَامٌ كُلُّهَا نَصَبٌ
وَنَحْنُ أَغْرَاضُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ بِهَا	قَبْلَ الْمَمَاتِ فَمَرْمِيٌّ وَمُرْتَقِبٌ
أَيْنَ الَّذِينَ تَنَاهَوْا فِي ابْتِنَائِهِمُوهَا	صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَاثْقَلُوهَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَتَبَّتْهَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، وَتَوَفِّئْنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : هذه قصيدة وعظية ألق لها سمعك :

أَنَسْتُ بِأَوَائِ الزَّمَانِ وَذِلَّةِ
 إِلَى كَمْ أَعَانِي تِيهَهَا وَدَلَالَهَا
 وَقَدْ أَخْلَقَ الْأَيَّامُ جِلْبَابَ حُسْنِهَا
 عَلَى حِينِ شَيْبٍ قَدْ أَلَمَّ بِمَفْرَقِي
 طَلَائِعِ ضَعْفٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى الْقَوَى
 فَلَا هِيَ فِي بُرْجِ الْجَمَالِ مُقِيمَةٌ
 تَقَطَّعَتْ الْأَسْبَابُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 وَعَادَتْ قُلُوصُ الْعَزْمِ عَنِّي كَلِيلَةٌ
 كَأَنِّي بِهَا وَالْقَلْبُ زُمَّتْ رِكَابَهُ
 وَسَيِّقَتْ إِلَى دَارِ الْخُمُولِ حُمُولُهُ
 حَنِينَ عَجُولٍ غَرَّهَا الْبُؤُ فَانْتَنَتْ
 تَوَلَّتْ لِيَالٍ لِلْمَسَرَّاتِ وَانْقَضَتْ
 فَسَرَعَانَ مَا مَرَّتْ وَوَلَّتْ وَلَيْتَهَا
 دُهُورٌ تَقَضَّتْ بِالْمَسَرَّاتِ سَاعَةً
 فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَمِّ حَيْثُ أَمَدَنِي
 أَسِيرُ بَيْتِمَاءِ التَّحْيِيرِ مُفْرَدًا
 وَكَمْ عَشِيرَةٍ مَا أَوْرَثَتْ غَيْرَ عُسْرَةٍ
 فَمَا عِشْتُ لَا أَنْسَى حُقُوقَ صَنِيعِهِ
 كَمَا اعْتَادَ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَأَجْمَعَتْ
 حَبْتُ نَارِ أَعْلَامِ الْمَعَارِفِ وَالْهُدَى
 وَكَانَ سَرِيرَ الْعِلْمِ صَرْحًا مُمَرَّدًا
 فَيَا عِزَّةَ الدُّنْيَا عَلَيكَ سَلَامٌ
 أَلَمْ يَأْنِ عَنْهَا سَلُوءٌ وَسَامٌ
 وَأَضْحَتْ وَدِيَّاجُ الْبَهَاءِ مَسَامٌ
 وَعَادَ رُهَامُ الشَّعْرِ وَهُوَ ثَغَامٌ
 وَثَارَ بِمِيدَانِ الْمِزَاجِ قَتَامٌ
 وَلَا أَنَا فِي عَهْدِ الْمُجُونِ مَدَامٌ
 وَلَمْ يَبْقَ فِينَا نِسْبَةٌ وَلَتَامٌ
 وَقَدْ جُبَّ مِنْهَا غَارِبٌ وَسَنَامٌ
 وَقَوَّضَ أَبْيَاتُ لَهُ وَخِيَامٌ
 يَحُنُّ إِلَيْهَا وَالْدُمُوعُ رُهَامٌ
 إِلَيْهِ وَفِيهَا أَنَّهُ وَضُغَامٌ
 لِكُلِّ زَمَانٍ غَايَةٌ وَتَمَامٌ
 تَدُومُ وَلَكِنْ مَا لَهُنَّ دَوَامٌ
 وَيَوْمَ تَوَلَّى بِالْمَسَاءَةِ عَامٌ
 بِطُولِ حَيَاةٍ وَالْهُمُومُ سِهَامٌ
 وَلِي مَعَ صَحْبِي عِشْرَةٌ وَنَدَامٌ
 وَرُبَّ كَلَامٍ فِي الْقُلُوبِ كَلَامٌ
 وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْسَى لَدَيَّ ذِمَامٌ
 عَلَيْهِ فَنَامَ إِثْرَ ذَاكَ فَيَامٌ
 وَشُبَّ لَيْرَانَ الضَّلَالِ ضُرَامٌ
 يُنَاغِي الْقَبَابَ السَّبْعَ وَهِيَ عِظَامٌ

مَتِينًا رَفِيعًا لَا يُطَارُ غُرَابُهُ
يَلُوحُ سَنَا بَرَقِ الْهُدَى مِنْ بُرُوجِهِ
فَجَرَّتْ عَلَيْهِ الرَّاسِيَاتُ ذُبُولَهَا
وَسِيقَ إِلَى دَارِ الْمَهَانَةِ أَهْلُهُ
كَذَا تَجْرِي الْأَيَّامُ بَيْنَ الْوَرَى عَلَى
فَمَا كُلُّ مَا قَدْ قِيلَ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَلِلدَّهْرِ تَارَاتٍ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى
وَمَنْ يَكُ فِي الدُّنْيَا فَلَا يَعْتَبِنَهَا
أَجِدَّكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا مَتَاعُهَا
تَشْكَلُ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ بِشَكْلِ مَا
تَرَى النَّقْصَ فِي زِيِّ الْكَمَالِ كَأَنَّمَا
فَدَعَهَا وَنَعَمَاهَا هَنِيئًا لِأَهْلِهَا
تَعَاْفُ الْعَرَانِينَ السَّمَاطَ عَلَى الْخَوَى
عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَطَاعُ مَنَالُهَا
وَلَوْ أَنْتَ تَسْعَى إِثْرَهَا أَلْفَ حَجَّةٍ
رَجَعْتَ وَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِيكَ كُلُّهَا
هَبْ إِنْ مَقَالِيدَ الْأُمُورِ مَلَكَتْهَا
وَمُتَّعْتَ بِاللَّذَاتِ دَهْرًا بَغِطَّةٍ
فَبَيْنَ الْبَرَايَا وَالْخُلُودِ تَبَايُنٌ
قَضِيَّةٌ انْقَادَ الْأَنَامِ لِحُكْمِهَا
ضُرُورِيَّةٌ تَقْضِي الْعُقُولُ بِصِدْقِهَا
سَلِّ الْأَرْضَ عَنْ حَالِ الْمُلُوكِ الَّتِي

عَزِيْرًا مَنِيْعًا لَا يَكَادُ يُرَامُ
كَبْرَقِ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ يُشَامُ
فَخَرَّتْ غُرُوشٌ مِنْهُ ثُمَّ دَعَامُ
مَسَاقِ أَسِيرٍ لَا يَزَالُ يُضَامُ
طَرَائِقَ مِنْهَا جَائِرٌ وَقَوَامُ
وَمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْحَدِيدِ حُسَامُ
نَعِيمٌ وَبُؤْسٌ صِحَّةٌ وَسَقَامُ
فَلَيْسَ عَلَيْهَا مَعْتَبٌ وَمَلَامُ
وَمَا الَّذِي تَبْغِيهِ فَهُوَ حُطَامُ
يُعَانِدُهُ وَالنَّاسُ عَنْهُ نِيَامُ
عَلَى رَأْسِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ عِمَامُ
وَلَاتُكَ فِيهَا رَاعِيًا وَسَوَامُ
إِذَا مَا تَصَدَّى لِلطَّعَامِ طَعَامُ
لِمَا لَيْسَ فِيهِ غُرُوزَةٌ وَعِصَامُ
وَقَدْ جَاوَزَ الطَّبَّيْنِ مِنْكَ حِزَامُ
بِخُفَى حُنَيْنٍ لَا تَزَالُ تُلَامُ
وَدَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ هُمَامُ
إِلَيْسَ بِحَتْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ حِمَامُ
وَبَيْنَ الْمَنَايَا وَالنُّفُوسِ لِرَامُ
وَمَا حَادَ عَنْهَا سَيِّدٌ وَغُلَامُ
سَلِّ إِنْ كَانَ فِيهَا مَرِيَّةٌ وَخِصَامُ
لَهُمْ فَوْقَ فَوْقَ الْفَرْقِدِينَ مَقَامُ

بِأَبْوَابِهِمْ لِلْوَافِدِينَ تَرَائِكُمْ بِأَعْتَابِهِمْ لِلْعَاكِفِينَ زَحَامُ
تُجَبِّكَ عَنْ أَسْرَارِ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَتْ عَلَيْهِمْ جَوَابًا لَيْسَ فِيهِ كَلَامُ
بِأَنَّ الْمَنَايَا أَفْصَدَتْهُمْ نِبَالُهَا وَمَا طَاشَ عَنْ مَرْمَى لَهْنٍ سِهَامُ
وَسَيَقُوا مَسَاقَ الْعَابِرِينَ إِلَى الرَّدَى وَأَقْفَرُ مِنْهُمْ مَزَلٌ وَمَقَامُ
وَحَلُّوا مَحَلًّا غَيْرَ مَا يَعْهَدُونَهُ فَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى الْقِيَامِ قِيَامُ
أَلَمَ بِهِمْ رَبُّ الْمُنُونِ فَعَالَهُمْ فَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الرُّغَامِ رُغَامُ

انتهى .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَطَعَ قُلُوبَنَا عَنْ ذِكْرِكَ وَاغْفِرْ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ وَشُكْرِكَ وَأَدْمِ لَنَا
لِزُومِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ إِلَيْكَ وَاسْئَلْكَ بِنَا سَبِيلَ أَهْلِ مَرْضَاتِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا كُلَّ
مَا يُبْعِدُنَا عَنْ سَبِيلِكَ وَيَسِّرْ لَنَا مَا يَسِّرْتَهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَأَيِّقِظْنَا مِنْ غَفْلَاتِنَا وَأَلْهِمْنَا رُشْدَنَا وَحَقِّقْ
بِكَرَمِكَ قَصْدَنَا وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ وَالْحُقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ .

شِعْرًا :

أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا مُعَافًا وَمُبْتَلَى وَمَا زَالَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْسَلَا
مَضَى فِي جَمِيعِ النَّاسِ سَابِقُ عِلْمِهِ وَفَصَّلَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَوَصَّلَا
وَلَسْنَا عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرِّهِ نَرَى حَكَمًا فِينَا مِنَ اللَّهِ أَعْدَلَا
بِلا خَلْقَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً لِيَرْغَبَ مِمَّا فِي يَدَيْهِ وَيَسْأَلَا
وَلَمْ يَبْغِ إِلَّا أَنْ نُبِوءَ بِفَضْلِهِ عَلَيْنَا وَإِلَّا أَنْ نَتُوبَ فَيَقْبَلَا
هُوَ الْأَحَدُ الْقَيُّومُ مِنْ بَعْدِ خَلْقِهِ وَمَا زَالَ فِي دِيْمَوْمَةِ الْمُلْكِ أَوْلَا
وَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِغَايَةٍ وَلَمْ يَتْرُكِ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ مُهْمَلَا
كَفَى عِبْرَةً أَنِّي وَأَنْتَ يَا أَحِي نُصَرِّفُ تَصْرِيفًا لَطِيفًا وَنُبْتَلَى
كَانَا وَقَدْ صِرْنَا حَدِيثًا لِعَيْرِنَا نُخَاضُ كَمَا خُضْنَا الْحَدِيثَ لِمَنْ خَلَا

بِأَجْمَعِهِمْ كَانُوا خِيَالًا تَحْيَا
 وَلَكِنَّ لِي فِيهَا كِتَابًا مُوَجَّلاً
 تَأَجَّلَ حَيِّي مِنْهُمْ أَوْ تَعَجَّلَا
 بِمَا كَانَ أَوْصَى الْمُرْسَلِينَ وَأَرْسَلَا
 فَمَنْ بَيْنَ مَبْعُوثٍ مُخَفًّا وَمُثَقَّلَا
 وَمَنْ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي أَعْرَ مُحَجَّلَا
 فَأُفِّ عَلَيْنَا مَا أَعْرَ وَأَجْهَلَا
 وَلَسْنَا نَرَى الدُّنْيَا عَلَى ذَاكَ مَنْزِلَا
 يَعَافُونَ مِنْهُنَّ الْحَلَالَ الْمُحَلَّلَا
 وَمَا أَعْرَضَ الْأَمَالَ فِيهَا وَأَطْوَلَا
 وَتَأَبَى بِهِ الْحَالَاتُ إِلَّا تَنْقَلَا
 فَمَا يَبْتَغِي فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَمَلَا
 وَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ كَانَ قَدْ صَارَ أَسْفَلَا
 وَإِنْ أَكْثَرَ الْبَاكِي عَلَيْهِ وَأَعْوَلَا
 تَلَحَّفَ فِيهَا بِالثَّرَى وَتَسْرَبَلَا
 تَرَى الْمَوْتَ فِيهِ بِالْعِبَادِ مُوَكَّلَا
 وَلَسْتُ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تَذَلَّلَا
 لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبْرَ وَأَفْضَلَا
 وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَا
 فَرَّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
 فَقَدْ نَجَا مَنْ لَادَ اللَّهَ
 فَجَبَّذَا مَنْ قَامَ لِلَّهِ

تَوَهَّمْتُ قَوْمًا قَدْ خَلَوْا فَكَانَتْهُمْ
 وَلَسْتُ بِأَبْقَى مِنْهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَيِّتٌ وَابْنُ مَيِّتٍ
 وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ وَعْدَهُ
 هُوَ الْمَوْتُ يَا ابْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثُ
 وَمَنْ بَيْنَ مَنْسُحُوبٍ عَلَى حُرٍّ وَجْهِهِ
 عَشِيقْنَا مِنَ اللَّذَاتِ كُلِّ مُحَرَّمٍ
 رَكْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَطَالَ رُكُونُنَا
 لَقَدْ كَانَ أَقْوَامٌ مِنَ النَّاسِ قَبَلْنَا
 فَلِلَّهِ دَارٌ مَا أَحَثَّ رَحِيلُهَا
 أَبِي الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ اغْتِرَارُهُ
 إِذَا أَمَلَ الْإِنْسَانُ أَمْرًا فَنَالَهُ
 وَكَمْ مِنْ ذَلِيلٍ عَزَّ مِنْ بَعْدِ ذِلَّةٍ
 وَلَمْ أَرَ إِلَّا مُسْلِمًا فِي وَفَاتِهِ
 وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ فِي فَعْرِ حُفْرَةٍ
 أَيَا صَاحِبِ الدُّنْيَا وَثَقَّتْ بِمَنْزِلِ
 تَنَافَسُ فِي الدُّنْيَا لِتَبْلُغَ عِزَّهَا
 إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَدْلُهُمْ
 وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤْتَرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
 يَا أَيُّهَا الْمُعْتَرُّ بِاللَّهِ
 وَلُذِّبِهِ وَاسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَقَمَّ لَهُ وَاللَّيْلُ فِي جَنْحِهِ

آخر:

وَأَتْلُ مِنَ الْوَحْيِ وَلَوْ آيَةً
 وَغَفَّرِ الْوَجْهَ لَهُ سَاجِدًا
 فَمَا نَعِيمٌ كَمُنَاجَاتِهِ
 وَابْعُدْ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا تَاتِهِ
 يَا طَالِبًا جَاهًا بِغَيْرِ التَّقَى
 لَا جَاهَ إِلَّا جَاهُ يَوْمِ الْقَضَا
 وَصَارَ مَنْ يُسْعَدُ فِي جَنَّةٍ
 يَسْكُنُ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي قُبَّةٍ
 وَمَنْ يَكُنْ يُقْضَى عَلَيْهِ الشَّقَا
 يُسْحَبُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ
 يَا عَجَبًا مِنْ مُوقِنٍ بِالْجَزَا
 كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ مُخِيرٌ
 يَا رَبِّ جَبَّارٍ شَدِيدِ الْقَوَى
 فَأَنْفَذَ الْمَقْتَلَ مِنْهُ وَكَمْ
 وَاسْتَلَّ قَسْرًا مِنْ قُصُورٍ إِلَى الْ
 مُرْتَهَنًا فِيهَا بِمَا قَدْ جَنَى
 لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ
 يَا صَاحِ سِرِّ فِي الْأَرْضِ كَيْمَا تَرَى
 وَكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا
 مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَمِنْ سُوقَةٍ
 وَالْحَظُّ بِعَيْنَيْكَ أَدِيمَ السَّمَآ
 تَرَى بِهَا الْأَفْلَاكَ دَوَّارَةً
 تُكْسَى بِهَا نُورًا مِنَ اللَّهِ
 فَعَزَّ وَجْهَهُ ذَلَّ لِلَّهِ
 لِقَانِيَتْ يُخْلِصُ لِلَّهِ
 فَبَعْدَهُ قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ
 جَهَلْتِ مَا يُدْنِي مِنَ اللَّهِ
 إِذْ لَيْسَ حُكْمٌ لِسِوَى اللَّهِ
 عَالِيَةً فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
 مَنْ لَوْلُو فِي حِيْرَةِ اللَّهِ
 فِي جَاحِمٍ فِي سَخَطِ اللَّهِ
 بِسَابِقِ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ
 وَهُوَ قَلِيلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ
 بِأَمْنِهِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ
 أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنَ اللَّهِ
 أَضْمَتِ وَتُضْمِي أَسْهُمُ اللَّهِ
 أَجْدَاثٍ وَاسْتَسْلَمَ لِلَّهِ
 يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ
 الْحَاوِلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ
 مَا فَوْقَهَا مِنْ عِبْرِ اللَّهِ
 فِي أُمَّمٍ صَارَتْ إِلَى اللَّهِ
 حَشْرُهُمْ هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ
 وَمَا بِهَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ
 شَاهِدَةٌ بِالْمُلْكِ لِلَّهِ

مَا وَقَفْتُ مُذْ أُجْرِبَتْ سَاعَةٌ
وَمَا عَلَيَّهَا مِنْ حِسَابٍ وَلَا
وَهِيَ وَمَا غَابَ وَمَا قَدْ بَدَا
تُوَحِّدُ اللَّهُ عَلَيَّ عَرْشِهِ
وَمَا تَسَمَّى أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ
إِنْ حَمَى اللَّهُ مَنِيعٌ فَمَا
لَا شَيْءَ فِي الْأَفْوَاهِ أَحْلَى مِنَ التَّ
وَلَا اطمأنَّ الْقَلْبُ إِلَّا لِمَنْ
وَأِنْ رَأَى فِي دِينِهِ شُبُهَةً
أَوْ عَرَضَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ غَنَى
وَمَنْ يَكُنْ فِي هَدْيِهِ هَكَذَا
وَكَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِي قَبْرِهِ
وَفِي غَدٍ تُبْصِرُهُ آمَنَّا
مَا أَقْبَحَ الشَّيْخِ إِذَا مَا صَبَا
وَهُوَ مِنَ الْعُمَرِ عَلَى بَازِلٍ
هَلَا إِذَا أَشْفَى رَأَى شَيْبَهُ
كَأَنَّ مَا رَيْنَ عَلَى قَلْبِهِ
مَا يُعْذِرُ الْجَاهِلُ فِي جَهْلِهِ
دَارَانٍ لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُمَا
وَلَسْتُ أَدْرِي مَنْزِلِي مِنْهُمَا
فَاعْجَبْ لِعَبْدٍ هَذِهِ حَالُهُ
وَاسْوَأَاتَا إِنْ خَابَ ظَنِّي غَدًا

أَوْ دُونَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ
تَخَشَى الَّذِي يُخَشَى مِنَ اللَّهِ
مِنْ آيَةٍ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ
فِي غَيْبِهِ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
وَالْأَرْضِ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ
يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حَمَى اللَّهِ
وُحِيدٍ وَالتَّمَجِيدِ لِلَّهِ
يَعْمُرُهُ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ
أَمْسَكَ عَنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ
لَا قَاهَمًا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ
كَانَ خَلِيقًا بِرِضَى اللَّهِ
وَبَعْدَهُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ
لِخَوْفِهِ الْيَوْمَ مِنَ اللَّهِ
وَعَاقِبَةُ الْجَهْلِ عَنِ اللَّهِ
يَحْمِلُهُ حَتَّى إِلَى اللَّهِ
يَنْعَاهُ فَاسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ
فَصَارَ مَحْجُوبًا عَنِ اللَّهِ
فَضَلَّ عَنِ الْعَالَمِ بِاللَّهِ
بِالْفَضْلِ وَالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ
لَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ
كَيْفَ نَبَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
وَلَمْ تَسْعِنِي رَحْمَةُ اللَّهِ

وَكُنْتُ فِي النَّارِ أَحَا شِقْوَةٍ نَعُوذُ مِنْ ذَلِكَ بِاللهِ
 كَمْ سَوْءَةٍ مَسْتُورَةٍ عِنْدَنَا يَكْشِفُهَا الْعَرْضُ عَلَى اللهِ
 فِي مَشْهَدٍ فِيهِ جَمِيعُ الْوَرَى قَدْ نَكَّسُوا الْأَذْقَانَ لِلَّهِ
 وَكَمْ تَرَى مِنْ فَائِزٍ فِيهِمْ جَلَّلَهُ سِتْرٌ مِنَ اللهِ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْـ إِسْلَامٍ ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(فَصْلٌ)

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » . أخرجه أبو داود ، والترمذي .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : دَعَا رَجُلٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَدْرُونَ بِمِ دَعَا ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ » ، أخرجه أصحاب السنن .

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَى وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » .

فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ » .

رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَسْمَاعِنَا وَمِنْ شَرِّ أَبْصَارِنَا وَمِنْ شَرِّ أَلْسِنَتِنَا وَشَرِّ قُبُوبِنَا وَشَرِّ مَنِينَا .

اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَفِي أَبْصَارِنَا اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكَفْرِ ، اللَّهُمَّ

أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لَا يَرْفَعُ وَدَعَاءٍ لَا يَسْمَعُ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ ،

الهم أنفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علماً الحمد لله على كلِّ حال وأعوذ بالله من
حال أهل النار .

اللَّهُمَّ أغننا بالعلم وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وحملنا بالعافية .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ صِحَّةَ فِي إِيمَانٍ وَإِيمَانًا فِي حَسَنِ خَلْقٍ وَنَجَاحًا يَتَّبِعُهُ فَلَاحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ
وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا .

اللَّهُمَّ أَنَا نَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَاسْمِكَ الْعَظِيمِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ، وَتَلْمُ بِهَا شَعْنَنَا ، وَتَرُدُّ
بِهَا الْفِتْنَةَ ، وَتَصْلِحُ بِهَا دِينَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتَزَكِّي بِهَا عِلْمَنَا ، وَتَبْيِضُ
بِهَا وَجُوهَنَا وَتَلْهَمُنَا بِهَا رِشْدَنَا وَتَعْصِمُنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اللَّهُمَّ أَعْطِنَا إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً تَنَالُ بِهَا شَرَفَ كِرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ
وَمِرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

اللَّهُمَّ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيُنَا وَضَعَفَ عَنْهُ عَمَلُنَا وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتُنَا وَأَمْنِيَّتُنَا مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ
عِبَادِكَ وَخَيْرٍ أَنْتَ مَعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَانَا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَنَسْأَلُكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ ارزقنا أعينا هطالة تشفيان القلب يذروف الدموع من خشيتك قبل أن تكون الدموع
دمًا والأضراس جمرًا .

اللَّهُمَّ اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربًا لأعدائك وسلمًا لأوليائك نجب
بجبك النَّاسَ وَنَعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مِنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ إِنْ نَسَأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ وَنَسَأَلُكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْخُلُودِ مَعَ
الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرَّكَعِ السُّجُودِ وَالْمُوقِينَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعُودِ إِنَّكَ غَفُورٌ رُؤُوفٌ وَدُودٌ .

اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دَعَيْتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سَأَلْتَ
بِهِ أَعْطَيْتَ وَإِذَا اسْتَرْحَمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَجْتَ .

يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا واحِدُ أحدُ يا فردُ صمِدُ يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدُ يا ذا الجلال والإكرام أن تفتح لدعائنا باب القبول والإجابة .

اللَّهُمَّ ارحم ذلنا يوم الأَشهادِ وأمن خوفنا من فزع المعاد ووقفنا لما تنجيننا به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ، وَأَغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

قال بعضهم :

أَقَلِّبْ كُتُبًا طَالَمَا قَدْ جَمَعْتَهَا	وَأَفْتَيْتُ فِيهَا الْعَيْنَ وَالْعَيْنَ وَالْيَدَا
وَأَصْبَحْتُ ذَا ظَنٍّ بِهَا وَتَمَسُّكُ	لِعِلْمِي بِمَا قَدْ صُغْتُ فِيهَا مُنْصَدًا
وَأَحْذَرُ جُهْدِي أَنْ تَنَالَ بِنَائِلِ	مَهِينٌ وَأَنْ يَغْتَالَهَا غَائِلُ الرَّدَى
وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنِّي لَسْتُ بِأَقِيَا	فَيَأْلِيَتَ شِعْرِي مَنْ يُقَلِّبُهَا غَدَا
آخِرُ: الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ	قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
لَوْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ يَحْصُلُ بِالْمَمَى	مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلُ
أَجْهَدُ وَلَا تَكْسَلُ وَلَا تَكُ غَافِلًا	فَنَدَامَةُ الْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

(فَوَائِدُ عَظِيمَةُ النِّفْعِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ)

واعجباً منك يضيع الشيء القليل وتتكرر وتتأسف ، وقد ضاع أشرف الأشياء عندك وهُوَ عمرك الذي لا عوض له وأنت عند قتالات الأوقات ، الكورة والتلفاز والمذيع ونحوها من قطاع الطريق عن الأعمال الصالحة ، ولكن ستندم ﴿ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ .

شِعْرًا: أَرَى النَّاسَ سَفْرًا فِي طَرِيقِ الْمَتَالِفِ	فَمَنْ بَالِغٍ أُخْرَى الْمَدَى وَمُشَارِفِ
وَمَا بَطْنُ هَدْيِ الْأَرْضِ إِلَّا قَرَارَةٌ	وَأُرْوَاخَنَا مِثْلُ السُّيُولِ الْجَوَارِفِ
وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا جَوْلَةٌ ثُمَّ أَوْلَةٌ	وَنَحْنُ بِمِرْصَادِ الرَّقِيبِ الْمُشَارِفِ

(خاتمة ، وصية ، ونصيحة)

اعلم وفقنا الله وإيّاك وجميع المسلمين لما يحبه الله ويرضاه أن ممّا يجب الاعتناء به حفظاً وعملاً كلام الله جلّ وعلا وكلام رسوله ﷺ .

وأنة ينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يحث أولاده على حفظ القرآن وما تيسر من أحاديث النبي ﷺ المتفق على صحتها عنه كالبخاري ومسلم .

ومن الفقه مختصر المقنع ليتيسر له استخراج المسائل ويجعل لأولاده ما يحثهم على ذلك .
فمثلاً يجعل لمن يحفظ القرآن على صدره حفظاً صحيحاً عشرة آلاف أو أزيد أو أقل حسب حاله في الغنى .

ومن الأحاديث عقود اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الإمامان البخاري ومسلم ، ويجعل لمن يحفظ لك ستة آلاف .

فإن عجزوا عن حفظها فالعمدة في الحديث يجعل لمن حفظها ثلاثة آلاف ، أو الأربعون النووية ويجعل لمن يحفظها ألفاً .

ويجعل لمن يحفظ مختصر المقنع في الفقه ألفين من الريالات فالغيب سبب لحفظ المسائل وسبب لسرعة استخراج ما أريد من ذلك وما أشكل معناه أو يدخلهم في مدارس تحفيظ القرآن فمدارس تعليم القرآن والسنة هي مدارس التعليم العلى الممتاز الباقي النافع في الدنيا والآخرة أو يدخلهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم الموجودة في المساجد .

شِعْرًا :

وَلَمْ أَرَى لِلْخَلَائِقِ مِنْ مُرَبِّ كَعَلِمِ الشَّرْعِ يُؤَخِّدُ عَنْ ثِقَاتِ
بَيْتِ اللَّهِ مَدْرَسَةَ الْأَوْلِيَاءِ لِمَنْ يَهْوَى الْعُلُومَ الرَّاقِيَاتِ

فمن وفقه الله لذلك وعمل أولاده بذلك كان سبباً لحصول الأجر من الله وسبباً لبرهم به ودعائهم له إذا ذكروا ذلك منه ولعله أن يكون سبباً مباركاً يعمل به أولاده مع أولادهم فيزيد الأجر له ولهم نسأل الله أن يوفق

الجميع لحسن النية إنه لقادر على ذلك وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .
 تم الجزء الخامس بعون الله وتوفيقه ونسأل الله الحي القيوم العلي العظيم ذا الجلال والإكرام
 الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن يعز الإسلام
 والمسلمين وأن يخذل الكفرة والمشركين وأعوانهم وأن يصلح من في صلاحه صلاح للإسلام
 والمسلمين ويهلك من في هلاكه عز وصلاح للإسلام والمسلمين وأن يلم شعث المسلمين
 ويجمع شملهم ويوحد كلمتهم وأن يحفظ بلادهم ويصلح أولادهم ويشف مرضاهم ويعافي
 مبتلاهم ويرحم موتاهم ويأخذ بأيدينا إلى كل خير ويعصمنا وإياهم من كل شر ويحفظنا
 وإياهم من كل ضر وأن يغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله
 على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والله المسئول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً عاماً إنه سميع
 قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد خاتم الأنبياء
 والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
 وسلم تسليماً كثيراً .

عبد العزيز المحمّد السلمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

شِعْرًا:

وَأَنْشُرَهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ	تَمَنَيْتُ فِي الدُّنْيَا عُلُومَ أَبْهَآ
تَنَاسَى رِجَالٌ ذَكَرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ	دُعَاءَ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي
وَتَلْفَازِهِمْ رَأْسُ الشُّرُورِ الْمَآكِرِ	وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بِالْجَرَائِدِ تَارَةً
فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتِ بِهَا بِالْخَسَائِرِ	وَمَذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تَنْسَ شَرَّهُ

فصلٌ : وإليك طرفًا مما حدث بأسباب النظر إلى النساء مما أدى بالإنسان إلى ضياع الوقت والأمراض وآخرها الموت نسأل الله العافية سقناها لتأخذ حذرَكَ ولا تهمل طرفَكَ فيجنى عليكِ وسمع إلى قول من تولعوا بنساء عفيفات وكن متيقظًا حذرًا للأتقع في شبكة العشق المودية إلى ضياع الوقت من النظر إلى النساء الأجنبيةات منك خشية أن تقع فيما وقع به بعضهم .

قال بعض من ابتلى بذلك فمرض وأشرف على الموت نسأل الله العافية :

(١) مَا ذَا عَلَيْكَ إِذْ حُبَّرْتَ بِي دَنَفًا
رَهْنِ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِنِي
وَتَجْعَلِي نُظْفَةً فِي الْقُعْبِ بَارِدَةً
فَتَغْمِسِي فَاكِ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينِي
آخِر: (٢) قَالُوا تَصَبَّرَ فَمَا هَذَا الْجُنُونُ بِهَا
فَقُلْتُ يَا قَوْمُ لَيْسَ الْقَلْبُ مِنْ قِبَلِي
آخِر: قُلْ لِلْبَحِيلَةِ بِالسَّلَامِ تَوْرَعًا
كَيْفَ اسْتَبَحْتَ دَمًا وَلَمْ تَتَوَّرَعِي
هَلْ تَسْمَحِينَ بِبَذْلِ أَيْسَرَ نَائِلٍ
أَنْ أَشْتَكِي بِئِي إِلَيْكَ وَتَسْمَعِي
آخِر: (٣) أَجِدِ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةِ
حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمِنِي اللَّوْمُ
(٤) آخِر :

فِيَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ تَدْنُو مِنِّي
شَمِمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنِكَ وَالْفَمِ
وَلَيْتَ غَسِيلِي كَانَ رِيْقِكَ كُلَّهُ
وَلَيْتَ حَنُوطِي مِنْ مُشَاشِكَ وَالِدَمِ
آخِر :

(٥) وَقَائِلَةٍ مَا ذَا الشُّحُوبُ وَذِي
فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمَشُوقِ الْمُتَمِّمِ
أَتَانَا هَوَاكِ وَهُوَ ضَيْفٌ أَعْرُهُ
فَأَطَعْمْتُهُ لَحْمِي وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي
آخِر :

(٦) لَئِنْ سَأَنِي أَنْ نَلْتَمِي بِمَسَاءَةٍ
لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

(٧) آخر : يَصِفُ حَالَهُ مَعَ مَعْشُوقِيهِ الَّتِي تَوَلَّعَ بِهَا :

كَعْصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يُهَيِّئُهَا
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِحَالِهَا
تَذُوقَ مَرَارِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ
وَلَا الطَّيْرُ مَتْرُوكَ الْجَنَاحِينَ يَذْهَبُ

(٨) آخر :

إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْوَشَاةُ بِمَجْلِسِ
وَإِنْ غَفَلَ الْوَأَشُونَ فُزْتُ بِنَظْرَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا رُسُلٌ سِوَى الطَّرْفِ بِالطَّرْفِ
وَإِنْ نَظَرُوا نَحْوِي نَظَرْتُ إِلَى السَّقْفِ

(٩) آخر :

أَفْدِي بَرُوحِي مَنْ شَبَّهْتُ طَلَعَتَهَا
قَالَتْ أَلَلشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا
أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ خَدِّي فِي تَوْرُدِهِ
فَقُلْتُ دُونَكَ فَاقْنِصِي بِلا حَرَجِ
بَطَلَعَتِ الشَّمْسِ فَاغْتَاضَتْ لِتَشْبِيهِ
إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ قَدِّ فِي تَشْبِيهِ
هَذَا لِسَانِي الَّذِي أَخْطَأَ فَعُصِّيهِ

(١٠) آخر : مبالغ في الكذب

قَدْ كَانَ لِي قَبْلَ الْهَوَى خَاتَمٌ
فَبَيْتٌ حَتَّى صِرْتُ لَوْ زُجَّ بِي
وَالْيَوْمَ لَوْ شِئْتُ تَمَنَّقْتُ بِهِ
فِي مُقْلَةِ الْوَسْتَانِ لَمْ يَنْتَبَهُ

(١١) آخر :

وَهَيْفَاءُ لَا أُصْغِي إِلَيَّ مَنْ يَلُومُنِي
أَمِيلُ بِأَحْدَى مُقْلَتِي إِذَا بَدَتْ
وَقَدْ غَفَلَ الْوَأَشِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّي
عَلَيْهَا وَيُغْرِنِي بِهَا أَنْ أَعِيَهَا
إِلَيْهَا وَبِالْأُخْرَى أُرَاعِي رَقِيهَا
أَخَذْتُ لِعَيْنِي مَنْ سُلِّمَى نَصِيهَا

(١٢) آخر :

تَقِي بِالَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ فَإِنَّهُ
عَظِيمٌ لَقَدْ حَصَّنْتُ سِرِّكَ فِي سِرِّي

(١٣) آخر :

أُعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مُشَوِّقَةٌ
إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعِاقِ تَدَانِي

فَيْشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِي

وَأَلْثِمُ فَهَا كَيْ تَزُولُ حَرَارَتِي

(١٤) آخر :

حَرَسْتُ وَطَرْفِي بِالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالْدُمُوعَ سَوَاجِمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا

(١٥) آخر :

وَفِي الْمِرْطِ لَقَاوَانٍ رَدِّ فُهِمَا عَبْلُ
وَحُسْنًا عَلَى النَّسْوَانِ أَمْ لَيْسَ لِي عَقْلُ

تَسَاهَمَ نَوْبَاهَا فِي الدَّنِّعِ رَادَةٌ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَزِيدَتْ مَلَا حَةَ

آخر :

فَإِنَّ شُهُودِي أَرْبَعٌ ثُمَّ أَرْبَعُ
وَوَجْدٌ وَأَشْجَانٌ وَصَدٌّ وَأَذْمَعُ

لَعْنٌ طَلَبُوا مِنِّي لِذَعْوَايَ شَاهِدًا
نَحُولٌ وَذُلٌّ وَأَشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ

آخر :

كَذِكْرِيكَ مَا كَفَكَفْتِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصِّفَا لِتَصَدَّعَا

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ

آخر :

مُجَرَّدَةٌ تُضْحِي لَدَيْكَ وَتَحْضُرُ
أَنَايِبُ فِي أَجْوَابِهَا الرِّيحُ تَصْفُرُ
مَفَاصِلُهَا مِنْ خَوْفِ مَا هِيَ تَنْظُرُ
صَنَى جَسَدِي لَكِنِّي أَتَسْتَرُ
وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

سَلِبَتِ عِظَامِي كُلَّهَا فَتَرَكَتْهَا
وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ مُخِّهَا فَكَانَتْهَا
إِذَا سَمِعَتْ بِاسْمِ الْحَبِيبِ تَقْفَعَعَتْ
خُدْيِي بِيَدِي ثُمَّ أَرْفَعِ الثُّوبَ تَنْظُرِي
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا

آخر :

لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
فَأُبْهَتْ حَتَّى لَا أَكَادُ أُحِيبُ

وَأَنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ رُوعَةٌ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةٌ

آخر :

هَلِ الْحُبِّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الْأَجْسَادِ لَيْسَ لَهُ بَرْدٌ
وَفَيْضُ دُمُوعٍ تَسْتَهْلُ إِذَا بَدَا لَنَا عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

آخر :

وَلَمَّا وَقَفْنَا وَالرَّسَائِلُ بَيْنَنَا دُمُوعٌ نَهَاهَا الْوَجْدُ أَنْ تَتَوَقَّفَا
ذَكَرْنَا اللَّيَالِي فِي الْعَقِيقِ وَظَلَّهَا الـ نَيْقٌ فَقَطَّعْنَ الْقُلُوبَ تَأْسُفَا

آخر :

وَأِنِّي لَتَعْرُونَ لِذِكْرِكَ هَزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

آخر :

وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنِي أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السِّرِّ خَالِيَا

آخر :

لَيْتِي إِذْ رَأَيْتَهَا كُؤْيُ عِيُون فَبِعَيْنَيْنِ فَلَسْتُ مِنْهَا أَشْبَعُ

آخر :

لِي فِي مَحَبَّتِهَا شُهُودٌ أَرْبَعُ وَشُهُودٌ كُلُّ قَضِيَّةٍ ائْتَانِ
خَفَقَانُ قَلْبِي وَاضْطِرَابُ جَوَانِحِي وَنُحُولُ جِسْمِي وَأَنْعِقَادُ لِسَانِي

آخر :

حَمِدْتُ إِلَهِي إِذْ بَلَانِي بِحُبِّهَا عَلَى حَوْلِ أَعْنَى عَنِ النَّظْرِ الشَّنْرِ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَطُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُدْرِ
أَتَبَكِّي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فَكُنْتَ كَأَنَّ حَنْفِهِ وَهُوَ طَائِعُ
فِيَا قَلْبُ خَيْرِنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى بِلُبْنَى وَبَانَتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ

وإليك من قصيدة طويلة قيل : إنه إدعاها شعراء كثيرون نقتصر على سياق بعضها خوف

الملل لأنها حول المائة منها :

رَأَيْتُ بَعَيْنٍ فِي أَنَامِلِهَا دَمِي
وَلَكِنْ سَأَلُوهَا كَيْفَ حَلَّ لَهَا دَمِي
فَقِيلَ الْهَوَى وَالْعَشِقُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِي

خُذُوا بِدَمِّي ذَاتَ الْوَشَاحِ فَإِنِّي
وَلَا تَقْتُلُوهَا إِنْ ظَفَرْتُمْ بِقَتْلِهَا
وَقُولُوا لَهَا يَا مَنِيَّةَ النَّفْسِ إِنِّي

آخر :

لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدْعُ
كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ

لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزْعِي
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْزِنَنِي

آخر :

إِلَّا وَلِلشَّوْقِ فِي حَافَاتِهِ عَمَلُ
فَقَدْتُ عَقْلِي كَأَنِّي شَارِبٌ تَمَلُّ
إِلَى مُفْلِسٍ مِنْ صَبْرِهِ عَنكَ مُعْدِمِ
فَوَاحِدَةٌ تَكْفِيكَ قَتْلَ الْمُتَمِيمِ

لَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَكُمْ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
إِذَا شَمَمْتُ نَسِيمًا مِنْ بِلَادِكُمْ
أَدِيرُ لِحَاظَ الْقَلْبِ فِي لِنَظْرِي
وَلَا تُرْسِلِي هَذِي اللَّوَاخِظَ كُلَّهَا

آخر :

آخر :

وَأَنَسَانُهَا فِي لُجَّةِ الدَّمْعِ يَغْرَقُ
ذَرِي الدَّمْعِ لِلْيَوْمِ الَّذِي تَتَفَرَّقُ

أَقُولُ لِعَيْنِي حِينَ جَادَتْ بِدَمْعِهَا
خُذِي بِنَصِيبٍ مِنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا

آخر :

وَذَكَرَكَ مِنْ ذَاكَ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
فَذَكَرْتُ عِنْدِي وَالْحَدِيثُ جَدِيدُ
كَأَنِّي بَطِيءُ الْفَهْمِ حِينَ تَعِيدُ

أَقُولُ لَهَا رُدِّي الْحَدِيثَ الَّذِي انْقَضَى
يُجَدِّدُ تَذَكَارُ الْحَدِيثِ مَوَدَّتِي
أُنَاشِدُهَا إِلَّا تَعِيدُ حَدِيثَهَا

آخر :

بَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فَاعْتَاضَتْ لِتَشْبِيهِ
إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ
أَوْ هَلْ لَهُ لَهَّاءٌ مِثْلُ قَدِّ فِي تَنْثِيهِ

أَفْدِي بِرُوحِي مَنْ شَبَّهْتُ طَلَعَتْهَا
قَالَتْ أَللَّشَّمْسِ طَرْفٌ مِثْلُ طَرْفِي ذَا
أَوْ هَلْ بِهَا مِثْلُ خَدِّي فِي تَوْرُدِهِ

يَعُدُّ عَلَيَّ الْوَاشِيَانَ دُنُوبَهَا آخِر :
 وَمِنْ أَيْنَ لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ دُنُوبُ آخِر :

وَإِيَّاكَ ذَكَرَ الْعَامِرِيَّةَ إِنِّي أَعَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا
 أَعَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَبِيهَا وَأُمِّهَا أَعَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا
 إِذَا وَضَعْتَهَا فَوْقَ جِسْمٍ مُنَعِمٍ وَأَخْسُدُ كَاسَاتٍ يُقَبَّلْنَ تَعْرِهَا
 إِذَا وَضَعْتَهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ فِي الْفَمِ عِرَاقِيَّةُ الْأَطْرَافِ مَكِّيَّةُ الْحَشَا
 حِجَارِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ طَائِيَّةُ الْفَمِ وَمِنهَا :

لَهَا حُكْمُ لُقْمَانَ وَصُورَةُ يُونُسَ وَنَعَمَهُ دَاوُودَ وَعِقْفَهُ مَرْيَمَ
 وَلِي ضُرٌّ أَيُّوبَ وَوَحْشَةُ يُونُسَ وَأَحْزَانُ يَعْقُوبَ وَحَسْرَةَ آدَمَ
 آخِر :

وَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا وَأَنْتِ مُنَى قَلْبِي وَوَسْوَاسِي
 وَلَا جَلَسَتْ إِلَى قَوْمٍ أَحَدْتُهُمْ إِلَّا وَأَنْتِ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَاسِي
 وَلَا هَمَمْتُ بِشُرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا رَأَيْتَ خَيْالاً مِنْكَ فِي الْكَاسِ
 رُوحِي إِلَيْكَ بِكُلِّهَا قَدْ أَجْمَعْتُ لَوْ كَانَ فِيكَ هَلَاكُهَا مَا أَفْلَعْتُ
 تَبْكِي عَلَيْكَ بِكُلِّهَا عَنْ كُلِّهَا حَتَّى يُقَالَ مِنَ الْبُكَاءِ تَقَطَّعْتُ
 وَلِي عِبْرَاتٌ تَسْتَهْلُ صَبَابَةً عَلَيْكَ إِذَا بَرَقَ الْغَمَامُ تَأَلَّقَا
 أَلْفَتْ الْهَوَى حَتَّى حَلَّتْ لِي صُرُوفُهُ وَرُبَّ نَعِيمٍ كَانَ جَالِبُهُ شَقَا
 وَأَذْهَلُ حَتَّى أَحْسَبُ الصَّدَّ وَالنَّوَى بِمُعْتَرِكِ الذِّكْرَى وَصَالاً وَمُلْتَقَى
 فَهَا أَنَا ذُو حَالَيْنِ أَمَّا تَلَذُّذِي فَحَيُّ وَأَمَّا سَلَوْتِي فَلَكَ الْبَقَا
 آخِر :

مَا كَانَ ضَرْكَ يَا شَقِيقَةَ مُهَجَّتِي لَوْ أَنَّ بَعَثْتَ تَحِيَّةً تُخَيِّنِي

زكي جمالاً أنت عنه غيبة
 ورأيتها في الطرس تكثب مرة
 آخر: فوددت لو أنني أكون صحيفة
 أمسي وأصبح من تذكركم قلماً
 آخر: قد خدد الدمع خدي من تذكركم
 وغاب عن مقلتي نومي فنأفرها
 لا غرو للدمع أن تجري غواربه
 كأنما مهجتي نضو ببلقعة
 لم يبق إلا خفي الروح في جسدي
 آخر: رذوا المطي وإلا ردها نفسي
 يا سائق الظعن قلبي في رحالكما
 آخر: وكان فوادي خالياً قبل حُبكم
 فلما دعى قلبي هواك أجابه
 زميت بعد منك إن كنت كاذباً
 فإن شئت واصلتني وإن شئت
 آخر: وإنني إذا اصطكت رقاب مطيكم
 أخالف بين الراحتين على الحشا
 آخر: وفي حُب ذات الحال لامت عصاة
 يقيسون حالي في العرام بحالهم
 آخر: وعزة الله ما لي عنكم عوض
 ومن حديثي بكم قالوا به مرض
 آخر: ففي بعد ما عني وفاتي وقربها

وتصدقني منه على المسكين
 غلطاً وتمحو خطها برضا بها
 ووددت أن لا تهدي لصوابها
 يرثي لي المشفقان الأهل والولد
 واعتادني المضيان الشوق والكمد
 وخانني المسعدان الصبر والجلد
 وتحتة الخافقان القلب والكبد
 يعتاده الضاريان الذئب والأسد
 فداؤك الباقيان الروح والجسد
 وأدمعي فهما سيل ونيران
 أمانة رعيها والحفظ إيمان
 وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
 فليس آراه عن فنائك يبرح
 وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
 فلست أرى قلبي لغيرك يصلح
 وثور حاد بالرفاق عجول
 وأنظر أنني ملثم فأميل
 يظنون أنني لست بالروح أسمع
 وكل إناء بالذي فيه ينضح
 وليس لي بسواكم بعدكم غرض
 فقلت لا زال عني ذلك المرض
 حياتي وإسعادي ونيل مرامي

وَمِنْ وَجَنَّتِيهَا نَارٌ وَجُدِي وَخَصْرُهَا
فَكُنْ عَادِرِي يَا عَادِلِي فَدَلَالُهَا
آخر: تَجُولُ خَلَاخِيلُ النَّسَاءِ وَلَا أَرَى
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهَا
آخر: نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنْلُهُ يَدِي
كَأَنَّهُ طُرُقُ نَمَلٍ فِي أَنْامِلِهَا
سَأَلْتُهَا قَالَتْ لَا تَكُنْ عَيْشًا
إلى أن قال :

وَاسْتَرْجَعْتَ سَأَلْتُ عَنِّي فَقِيلَ لَهَا
آخر: يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ مَا جِدِ بِمُنْعَطِفِ
لَوْلَا الْمَحَبَّةُ مَا أَكْثَرْتَ ذِكْرَكُمْ
وَلَا وَقَفْتُ عَلَى الْوَادِي أُسَائِلُهُ
آخر: مَا أَقْبَلَ الْحُبَّ وَالْإِنْسَانَ يَجْهَلُهُ
رَاحَ الرُّمَاءُ إِلَى بَعْضِ الْمَهَا فِإِذَا
آخر: إِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى وَادِي الْمُحِبِّ سَلُّوا
وَفَتِّشُوا عَنْ فُؤَادِ هَائِمِ قَلْبِي
آخر : وَدَّعْتُ قَلْبِي حِينَ وَدَّعْتُهُمْ

آخر: عَشَفْتُكَ طِفْلاً وَاتَّخَذْتُكَ سَيِّدًا
فَبِاللَّهِ دَاوِينِي كَمَا قَدْ جَرَحْتَنِي
فَجَرَعْتَنِي بِالصَّدِّ فَاتِحَةَ الرَّعْدِ
بِفَاتِحَةِ الْأَعْرَافِ مِنْ رِيْقِكَ الشَّهْدِ

يريد بفاتحة الرعد رسم السورة لأن رسمها (المر) وبفاتحة الأعراف لأن رسمها (المص) يريد
مص لسان المعشوقة لتزول حرارة الشوق والوجد والحرمان .

آخر: وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ
عَلَى جَمَلٍ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ كَافِرٍ

إشارة إلى قول الله جلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ .

آخر: حَمَلْتُ جِبَالَ الْحُبِّ فِيكَ وَإِنِّي
وَمَا الْحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلَا مِنْ سَمَاحَةٍ
آخر: لَوْ عَايَنْتُ عَيْنَاكَ حَسُنُ مُسَقِمَتِي
عَيْنُ الرَّشَاقِ الْقَارِذُفُ النَّقَا
آخر: أَقُولُ وَقَدْ جَدَّ الْعَرَامُ بِمُهَجَّتِي
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَيِّتًا
آخر: وَأَنْتَ الَّذِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا أَخٍ
أَحِبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا
وَإِنِّي لَا أَسْتَنْعِسُ وَمَا بِي نِعْسَةٌ
هِيَ السَّحْرُ إِلَّا أَنْ لِلْسَّحْرِ رُقِيَّةٌ
إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا

إلى أن قال :

على مثل لَيْلَى يَفْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
آخر: أَعْدُ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنَتِي
آخر: وَلَمَّا دَنَى مِنِّي السِّيَاقُ تَعَطَّفْتُ
أَتْتُ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَاسْمَعْ إِلَى قَوْلِ أَحَدِ الْعَشَاقِ الْمُبَالِغِينَ فِي الْكُذْبِ وَاسْأَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ .

مِمَّا بَقَلْبِي مِنْ شَوْقٍ وَتَذْكَارِ
لَبَانَ فِي النَّاسِ عِزُّ الْمَاءِ وَالنَّارِ
كُلُّ الْعَذَابِ الَّذِي فِي النَّاسِ مُسْتَرْقٍ
لَوْلَا مَدَامِعُ عَشَاقٍ وَلَوْعَتُهُمْ

فَكُلُّ نَارٍ فَمَنْ أَنْفَاسِهِمْ قَدَحَتْ
 آخِر: سَأَلْتُهَا عَنْ فُؤَادِي أَيْنَ مَوْضِعُهُ
 قَالَتْ لَدَيْنَا قُلُوبٌ جَمَّةٌ جُمِعَتْ
 آخِر: وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَحْرِسُوكَ بِخَادِمٍ
 عِدَارُكَ رِيحَانٌ وَتَعْرُكَ جَوْهَرٌ
 آخِر: بَدَا لِي مِنْهَا مِعْصَمٌ حِينَ جَمَرْتُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا
 آخِر: وَكُنْتُ كَذَبَاحِ الْعَصَافِيرِ دَائِبَا
 فَلَا تَنْظُرِي لَيْلَى إِلَى الْعَيْنِ وَانظُرِي
 آخِر: فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَانِ عِشْتُ بِوَاحِدٍ
 وَلَكِنَّمَا أَحْيَا بِقَلْبٍ مُرْوَعٍ
 تَعَلَّمْتُ أَلْوَانَ الرِّضَا خَوْفَ سُخْطِهَا
 آخِر: جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبَكَانِي السَّيْلُ إِذْ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَيَقَّنْتُ أَنَّي
 آخِر: أَسْرُ الَّذِي بِي وَالِدُمُوعُ تَبُوحُ
 وَبَيْنَ ظُلُوعِي لَوْعَةً لَمْ أَزَلْ بِهَا
 آخِر: عَلَّقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَوَلِيدًا فَلَمْ يَزَلْ
 إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي
 وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
 آخِر: وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى رِيحِ جَيْهَهَا
 آخِر: مَحَا حُبَّهَا حُبَّ الْأُولَى كُنَّ قَبْلَهَا
 آخِر: لَيْلَى وَلَيْلَى نَفَى نَوْمِي اخْتِلَافُهُمَا

وَكُلُّ مَاءٍ فَمِنْ دَمَعٍ لَهُمْ جَارِي
 فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
 فَأَيُّهَا أَنْتَ تَعْنِي قُلْتُ أَشَقَّاهَا
 وَخُدَامُ هَذَا الْحُسْنِ مِنْ ذَلِكَ أَكْثَرُ
 وَخَدُّكَ يَأْقُوتُ وَخَالِكَ عَنَبَرُ
 وَكَفُّ حَضِيْبُ زَيْتٍ بَيْنَانِ
 بِسَبْعِ رَمَيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِشَمَانِ
 وَعَيْنَاهُ مَنْ وَجِدَ عَلَيْهِنَّ تَهْمَلُ
 إِلَى الْكَفِّ مَاذَا بِالْعَصَافِيرِ تَفْعَلُ
 وَخَلَيْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكِ يُعَدَّبُ
 فَلَا الْعَيْشُ يَصْفُو لِي وَلَا الْمَوْتُ
 وَعَلَّمَهَا حُبِّي لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
 وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقَلَّتِي غُرُوبُ
 أَمْرُ بِوَادٍ أَنْتَ مِنْهُ قَرِيبُ
 وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ
 أَدُوبُ إِشْتِيَاقًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
 إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
 مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
 مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَلِكَ مِنْكَ بَعِيدُ
 وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلًّا مِنْ قَبْلُ
 وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلًّا مِنْ قَبْلُ
 فِي الطَّوْلِ وَالطَّوْلِ طُوبَى لِي لَوْ اِعْتَدَلَا

يَجُودُ بِالطُّولِ لَيْلِي كُلَّمَا بَخِلْتُ
 بِرَغْمِي أُطِيلُ الصَّدَّ عَنْهَا إِذَا نَأَتْ
 أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى
 نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ
 أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى
 آخِر: وَلَمَّا شَكَّوتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَّبْتِي
 فَلَا حُبَّ حَتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا
 آخِر: وَمِمَّا دَهَانِي أَنَّهَا يَوْمَ أَعْرَضَتْ
 فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ
 آخِر: وَلَكِنَّمَا أَفْشَاهُ دَمْعِي وَرُبَّمَا
 آخِر: لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْعُصُونَ مِعَاطِفًا
 مَا مَرَّ رِيحُ الصَّبَا مِنْ أَرْضِهِمْ
 آخِر: رَمْتِي وَاسْتَرَّتْ فِي خَدْرِهَا كَدَّ أَلْ
 فَرُبَّ صَبِّ تَمَنَّى أَنَّهُ حَجَرٌ
 آخِر: لِي فِي الْقُدُودِ وَفِي ضَمِّ التُّهُودِ وَفِي
 هَذَا اخْتِيَارِي فَوَافِقٌ إِنْ رَضِيتَ بِهِ
 لُمْنِي جُزَافًا وَسَامِحْنِي مُصَارَفَةً
 آخِر: بَدَأَ فَرَانِي الطُّبِّيَّ وَالْعُصْنَ وَالْبَدْرَا
 بَدِيعُ جَمَالٍ كُلَّمَا فِيهِ مُعْجَزٌ
 أَقَامَ بِلَالُ الْحَالِ فِي صَحْنِ خَدِّهَا
 آخِر: يُدَكِّرُنِي عَهْدَ النَّجَاشِيِّ خَالِهَا
 يَمِيلُ بِهَا خَمْرُ الدَّلَالِ كَأَنَّمَا

بِالطُّولِ لَيْلَى وَإِنْ جَادَتْ بِهِ بِخِلَا
 أَحَادِرُ أَسْمَاعًا عَلَيْهَا وَأَعْيِنَا
 فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيَا فَتَمَكَّنَا
 لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
 وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
 وَتَذْهَلُ حَتَّى مَا تُجِيبُ الْمُنَادِيَا
 تَوَلَّتْ وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
 إِلَى التَّفَاتَا أَسْبَلْتَهُ الْمَحَاجِرُ
 أَتَى الْمَرْءُ مَا يَخْشَا مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
 لَهُمُوا وَصَاعَ الْأَقْحَوَانِ تُغُورَا
 إِلَّا شَهَقْتُ لَهُ فَعَادَ سَعِيرَا
 قَنَاصُ إِنْ رَامَ صَيْدَ الْآبَدِ اسْتَرَا
 فِي الْبَيْتِ حِينَ أَكَبَّتْ تَلْثُمُ الْحَجْرَا
 لَثْمُ الْخُدُودِ لَبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ
 أَوْ لَا فَدَعْنِي وَمَا أَهْوَى وَأَخْتَارُ
 فَالْنَّاسُ فِي دَرَجَاتِ الْحُبِّ أَطْوَارُ
 فَتَبَّ لِقَلْبٍ لَا يَبِيتُ بِهِ مُغْرَا
 مِنَ الْحُسْنِ لَكِنْ وَجْهَهَا الْآيَةُ الْكُبْرَى
 يُرَاقِبُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتْهَا الْفَجْرَا
 وَأَجْفَانُهَا الْوَسْنَى تُدَكِّرُنِي كِسْرَى
 مِعَاطِفَهَا مِنْ خَمْرِ الْحَاضِهَا سَكْرَى

وَقَلْبٍ فَأَشْكُو مِنْهُ بِالْخَفَقَانِ
 خَفِيتُ فَلَمْ يَدْرِ الْحِمَامُ مَكَانِي
 بِسَاعَةٍ وَصَلٍ مِنْكَ قُلْتُ كَفَانِي
 أَجَابَتْ طُنُونِي رُبَّمَا وَعَسَانِي
 وَأُظْهِرُ مِنْ خَوْفِ الرَّقِيبِ بِشَاشَتِي
 عَجِيبٌ وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ سَلَامَتِي
 وَلِي قَلْبٌ مَحْزُونٍ وَنَظْرَةٌ بَاهِتِ
 غُفْلَانٍ عَنَّا ظَلْتُ أَبْكِي وَتَبَسُّمُ
 وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيِّتًا يَتَكَلَّمُ
 ضَعِيفِ الْقُوَى مِنْ فِعْلِهَا يَتَظَلَّمُ
 وَوَجْهِهِ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
 وَرَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ
 أَغْوَاكَ قُلْتُ اطْلُبُوا مِنْ لِحْظِهَا السَّبَبَا
 أَجْرِي بِقِيَّتِهَا فِي ثَغْرِهَا شَنِبَا
 إِلَّا بَكَى أَوْ شَكَأَ أَوْ حَنَّ أَوْ طَرِبَا
 رَهِينِ شَوْقٍ إِذَا غَالَبْتَهُ غَلْبَا
 نُمَازِجُهُ وَالْخَدُّ بِالْخَدِّ مُلْصَقُ
 عِنَاقٌ عَلَى أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيِّقُ
 بِشَكْوَى وَإِلَّا عِبْرَةٌ تَتَرَقَّرَقُ
 تَكَادُ بِهَا مِنْ شِدَّةِ اللَّثْمِ نَشْرَقُ
 وَبِمَا التَّسْلِي وَالْقُدُودُ رِشَاقُ
 عَلِمَّا بِأَنَّ رُضَا بِهَا تَرِيَاقُ

آخِر: وَمَنْ لِي بِجِسْمٍ أَشْتَكِي مِنْهُ بِالْفَنَا
 وَمَا عِشْتُ حَتَّى الْآنَ إِلَّا لِأَنِّي
 وَلَوْ أَنَّ عُمْرِي عُمُرُ نُوحٍ وَبِعْتُهُ
 إِذَا الْيَأْسُ نَاجَى النَّفْسَ مِنْكَ بَلَنْ وَلَا
 آخِر: أَضْمُّ عَلَى الدَّاءِ الدَّفِينِ جَوَانِحِي
 وَلَيْسَ تَلَا فِي مُذْ رُمِيتُ بِهِجْرَهَا
 لَهَا قَدْ عَسَّالٍ وَحُسْنٍ مُعْتَقٍ
 آخِر: وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِيبَنَا
 فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا
 ظَلُومٌ كَمُنْتِنِيهَا لِصَبِّ كَخَصْرَهَا
 بِفِرْعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرُ
 آخِر: أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى
 قَالُوا عَهْدَنَّاكَ مِنْ أَهْلِ الرَّشَادِ فَمَا
 مَنْ صَاغَهَا اللَّهُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ وَقَدْ
 مَاذَا تَرَى فِي مُحِبِّ مَا ذُكِرَتْ لَهُ
 كَمْ لَيْلَةٍ بَثُّهَا وَالنَّجْمُ يَشْهَدُ لِي
 آخِر: فَيَا حُسْنَنَا وَالِدَمْعُ بِالِدَمْعِ وَاشْجُ
 وَقَدْ ضَمَّنَا وَشَكُّ التَّلَاقِي وَلَفَّنَا
 فَلَمْ تَرَ إِلَّا مُخْبِرًا عَنِ صَبَابَةِ
 وَمِنْ قَبْلِ قَبْلِ التَّلَاقِي وَبَعْدَهُ
 آخِر: كَيْفَ التَّخَلُّصُ وَالْجُفُونُ نَوَاعِسُ
 وَأَحِبُّ تَلَسَّعِي عَقَارِبُ صُدْغِهَا

- آخر: وَمَهْزُورَةٌ هَزَّ الْقَضِيبُ إِذَا مَشَتْ
أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ
فُوَادِي مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي فَإِنَّهُ
آخر: وَلَمْ أَنْسَ ضَمِّي لِلْحَبِيبِ عَلَى رِضَا
وَلَا قَوْلَهَا لِي عِنْدَ تَقْيِيلِ خَدَّهَا
آخر: دُرِّيَةُ الْقَصْرِ لَوْلَا سَمَطُ مَنْطِقِهَا
سَيَّانَ بَيْضُ ثَنَائِيهَا إِذَا ضَحَكَتْ
فُرْسَانُ طَعْنٍ وَضَرْبٍ غَيْرَ أَنَّهُمْ
شَوْسٌ عَلَى الشُّوسِ بِالْبَيْضِ الرَّقَاقِ
آخر: لَهَا خَالٌ عَلَى صَفْحَاتِ خَدِّ
وَأَجْفَانٍ بِأَسْفَافٍ تُنَادِي
آخر: تَصَبَّرْتَ عَنْهُمْ وَانْتَشَيْتُ إِلَيْهِمْ
فَلَا حَاجِزَ بَيْنَ الْأَجْبَةِ حَاجِزُ
لَهَا مِنْ مَهَاةِ الرَّمْلِ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ
وَلَا عَجَبٌ فَالْبُخْلِ فِي الْغَيْدِ وَالْدُمَى
آخر: تَمِيسَ إِذَا عَايَنْتُ غُصْنَ قَوَامِهَا
وَلِي دَهْشَةُ السَّاهِي إِلَيْهَا إِذَا بَدَتْ
سَرَتْ فَوْقَ خَدِّيهَا مِيَاهُ جَمَالِهَا
وَشَى النَّاسُ أَنِّي فِي هَوَاهَا مُتَمِّمٌ
آخر: دَعُوا الْوُشَاةَ وَمَا قَالُوا وَمَا نَقَلُوا
لَهَا سَرَائِرُ فِي قَلْبِي مُخَبَّاءَةٌ
آخر: هَزُّوا الْقُدُودَ وَأَرْهَفُوا سَمْرَ الْقَنَا
- تَنَنَّتْ عَلَى دَلٍّ وَحُسْنِ قَوَامِي
بِلا سَبَبٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَلَامِي
حُشَّاشَةٌ نَفْسٍ فِي نُحُولِ عِظَامِ
وَرَشْفِي رُضَابًا كَالرَّحِيقِ الْمُسَلَّسِ
تَنَقَّلْ فَلذَاتُ الْهَوَى فِي التَّنَقُّلِ
وَطَيِّبَةُ الْفَقْرِ لَوْلَا الْحَلِي وَالْعَطَلُ
وَمُبَسَّمُ الْبَرْقِ لَوْلَا النَّظْمُ وَالرَّتَلُ
أَمْضَى سِلَاحِهِمُ الْقَامَاتُ وَالْمُقَلُّ
وَبِالْجُفُونِ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى حَمَلُوا
كَنْقَطَةَ عَنَبٍ فِي صِحْنِ مَرْمَرِ
عَلَى عَاصِي الْهَوَى اللَّهُ أَكْبَرُ
وَلَمْ يَنْقَ فِي قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنْزَعُ
وَلَا لَعَلَّعُ مُذْ فَارَقَ الْحَيُّ لَعَالِعُ
وَجِيدٌ كَجِيدِ الطَّيِّبِ أَغِيدُ أَتْلَعُ
طَبِيعَةُ نَفْسٍ لَيْسَ فِيهَا تَصْنَعُ
وَتَكْسِيرُ كَسْرَاتِ الْجُفُونِ تَحْرُشَا
وَلَمْ تُبَدِ ذَاكَ الْخَدَّ إِلَّا لِشُدْهِشَا
فَمُدَّ مِنَ الْأَصْدَاغِ كَرَمًا مُعَرَّشَا
لَقَدْ صَدَقَ الْوَأَشِي النَّمُومُ بِمَا وَشَى
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَا لَيْسَ يَنْفَصِلُ
لَا الْكُتُبُ تَنْفَعُنِي فِيهَا وَلَا الرُّسُلُ
وَتَقَدَّمُوا عَوِضَ السُّيُوفِ الْأَعْيُنَا

وَتَقَدَّمُوا لِلْعَاشِقِينَ فَكُلُّهُمْ
يَا قَلْبَهَا الْقَاسِي وَرِقَّةَ خِصْرِهَا
لَمَا انثت في حُلَّةٍ مِنْ سُنْدُسٍ
وَبَخَدَهَا وَبَشَعْرَهَا وَعِذَارَهَا
أَخَذَ الْأَمَانَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنَا
هَلَا انْتَقَلتِ مِنْ هُنَاكَ إِلَى هُنَا
قَالَتْ غُصُونُ الْبَانِ مَا أَبَقْتُ لَنَا
مَعْنَى الْعَقِيْقِ وَبَارِقِ وَالْمُنْحَنِى

آخر: مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مَا مِقْدَارَ وَصْلِكَ لِي
أَرْضَى وَأَسْخَطُ أَوْ أَرْضَى تَلَوْنَهَا
آخر: وَمَنْ كَانَ ذَا صَبَوَةٍ بِأَلْمِلاخِ
بِرْدَفٍ ثَقِيلٍ وَخِصْرِ نَجِيلٍ
وَتَلِكِ الْقُدُودِ وَتَلِكِ الْعُيُونِ
آخر: وَمَا هَجَرْتِكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا
وَلَكِنَّهُمْ يَا أَجْمَلَ النَّاسِ أَوْلَعُوا
آخر: وَأَمْرٌ مَا لَاقَيْتُ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
كَأَعْيَسٍ فِي الْبِيدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا
آخر: أَمَا طَتَّ كِسَاءَ الْخَزِّ عَنْ حُرٍّ وَجْهَهَا
مِنَ الْإِلَاءِ لَمْ يَحْجِجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً
آخر: يَا مَنْ إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي مَحَاسِنُهَا
يَا لِلرِّجَالِ أَمَا فِي الْحُبِّ مِنْ حَكَمٍ
لَا تَطْلُبَنَّ مِـِّـنِ الْأَعْطَافِ عَاطِفَةً
آخر: مَتَى أَوْعَدْتَ أَوْلَتَ وَإِنْ وَعَدْتَ لَوْتُ
وَإِنْ عَرَضَتْ أَطْرِقَ حَيَاءً وَهَيْبَةً
بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هَامَ بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ
حَتَّى هَجَرْتَ وَبَعْضُ الْهَجْرِ تَأْدِيبُ
وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبُ
فَلَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا قَلِيلًا
وَخَدَّ أَسِيلٍ وَطَرْفِ كَحِيلِ
فَكَمْ مِنْ جَرِيحٍ وَكَمْ مِنْ قَتِيلِ
قَلِيلٌ وَإِنْ قَدَّ قَلَّ مِنْكَ نَصِيْبُهَا
بِقَوْلِ إِذَا مَا زُرْتُ هَذَا حَيْبُهَا
قُرْبُ الْحَيْبِ وَمَا إِلَيْهِ وَصُولُ
وَالْمَاءِ فَوْقَ ظَهْرِهَا مَحْمُولُ
وَأَرْحَتْ عَلَى الْمُتَنِينِ بُرْدًا مَهْلَهَلًا
وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُعْقَلًا
أَلْوَمَهَا فِي هَوَاهَا ثُمَّ أَعْدَرُهَا
يَنْهَى الْعُيُونَ إِذَا جَارَتْ وَيَأْمُرُهَا
فَإِنَّ أَعْدَلَهَا فِي الْحُبِّ أُجُورُهَا
وَإِنْ أَقْسَمْتَ لَا تُبْرِي السُّقْمَ بَرَّتِ
وَإِنْ أَعْرَضْتَ أَشْفَقَ وَلَمْ أَتَلَفْتَ
كَمَجْنُونِ لَيْلَى أَوْ كَثِيرِ عَزَّةِ

مَواطِنُ أَفْرَاحِي وَمَرَبَى مَآرِي
أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهُوَ بَعْضِي عِنْدَكُمْ
كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِيهِ
آخر: خُذُوا مِن صَبَا نَجِدِ أَمَانًا لِقَلْبِهِ
تَذَكَّرَ وَالذُّكْرَى تَشُوقُ وَذُو الْهَوَى
أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ
وَلَسْتُ عَلَى وَجْدِي بِأَوَّلِ عَاشِقٍ
آخر: خَطَطْتُ مِثَالَهَا وَجَلَسْتُ أَشْكُو
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو هُمُومِي
آخر: إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوِي بِأَجْفَانِهَا الْكُرَى
وَيَوْمَ مَا تَثَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمْتُ
آخر: فَخُذُوا أَحَادِيثَ الْهَوَى مِنْ صَادِقٍ
وَبِمُهْجَتِي رَشَاءً أَطَالَتْ عُدْلِي
قَالُوا أَفِيهَا سِوَى رَشَاقَتِ قَدِّهَا
يروى الأراكُ مَحَاسِنًا عَن ثَغْرِهَا
آخر: أَظُنُّ وَمَا جَرِيَتْ مِثْلَكَ إِنَّمَا
ذَرِينِي أَنَّمِ إِن لَمْ أَنْلِ مِنْكَ زُورَةَ
آخر: وَبِيضَ بِأَلْحَاطِ الْعِيُونِ كَأَنَّمَا
تَصْدِينِ لِي يَوْمًا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
سَفَرْنَ بِدُورًا وَانْتَقَبْنَ أَهْلَةً
وأَطْلَعْنَ بِالأَجْيَادِ بِالدَّرِ أَنْجَمًا
وَأَطْوَارُ أَوْطَارِي وَتَخْفِيفِ خِيفَتِي
فَمَا ضَرَكُمْ لَوْ كَانَ بَعْضِي جُمَلَتِي
خَفِيَتْ فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُونُ لِرُؤْيَتِي
فَقَدْ كَانَ رَبَّاهَا يَطِيرُ بِلَبِّهِ
يَتُوقُ وَمَنْ يَعلُقُ بِهِ الحُبُّ يُصِبُهُ
حَذَارًا وَخَوْفًا أَنْ تَكُونَ لِحُبِّهِ
أَصَابَتْ سِهَامُ الحُبِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ
إِلَيْهَا مَا لَقِيَتْ عَلَى انْتِحَابِ
إِلَيْهَا وَالشَّكَاةُ إِلَى التُّرَابِ
أَصَحَّتْ إِلَى الوَاشِي فَلَجَّ بِي الْهَجْرُ
كَرَى التَّوْمَ أَوْ مَالَتْ بِأَعْكَافِهَا الحَمْرُ
بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السَّحْرُ
مَا ضَلَّ عَن شَرِّعِ العُرَامِ وَمَا غَوَى
فِيهَا المَلَامَ وَقَدْ حَوَتْ مَا قَدْ حَوَى
وَفُتُورِ عَيْنَيْهَا وَهَلْ مَوْتِي سِوَى
يَا طِيبَ مَا نَقَلَ الأَرَاكُ وَمَا رَوَى
قُلُوبِ نِسَاءِ العَالَمِينَ صَخُورِ
لَعَلَّ خِيَالًا فِي المَنَامِ يَزُورِ
هَزَزْتَ سِيوفًا وَاسْتَلَلْنَ خَنَاجِرَا
فغَادِرْنَ قَلْبِي بِالتَّصْبِرِ غَادِرَا
ومسِنَ غَصُونًا وَالتَّفْتِنِ جَاذِرَا
جَعَلْنَ لِحِبَاتِ القُلُوبِ ضِرَائِرَا

آخر :

رَشَاقِدِ اتَّخَذَا الضُّلُوعُ كِنَاسَهُ وَالْقَلْبَ مَرَعَى وَالْمَدَامِعَ مَوْرِدَا
 سَلَبَ الْفُؤَادَ إِذَا بَدَا وَإِذَا رَنَا فَضَحَ الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ الْأَغْيَادَا
 كَالْوَرْدِ خَدًّا وَالْهَلَالَ تَبَاعُدًا وَالضَّبِّي جِيدًا وَالْقَضِيبَ تَأْوُدَا
 سَيْفٌ تَرَفَّرَقَ فِي شَبَاهُ فِرْنَدُهُ يَأْبَى بَغْيِرِ جَوَانِحِي أَنْ يُغَمَّدَا

آخر :

لَوْ كُنْتَ سَاعَةً بَيْنَنَا مَا بَيْنَنَا وَشَهِدْتَ كَيْفَ نَكَّرُ التَّوْدِيْعَا
 أَيَقْنَتَ أَنَّ مِنَ الدُّمُوعِ مُحَدَّثَا وَعَلِمْتَ أَنَّ مِنَ الْحَدِيثِ دُمُوعَا

آخر :

يَا لَائِمِي فِيْمَنْ تَمَنَّعَ وَصَلَهَا عَنْ حُبِّهَا أَحْلَى الْهَوَى مَمْنُوعُهُ

آخر :

نُفُوزُ عَرْنَتِهَا نَفْرَةٌ فَتَجَاذِبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلِي وَالْحَصْرُ وَالرِّدْفُ
 وَخَيْلٌ مِنْهَا مَرَطُهَا فَكَانَتْ مَا تَتَنَّى لَنَا خُوطٌ وَلَا حَضْنَا خَشْفُ
 وَقَابَلْنَا رَمًّا نَتَاغُضُنِ بَانَةً يَمِيلُ بِهِ بَدْرٌ وَيُمْسِكُهُ حِقْفُ

آخر :

فِي الْبَدْرِ مِنْ صَفْحَتِهَا لَمَحَةٌ وَلَمَحَةٌ فِي الطُّبِّي مِنْ طَرْفِهَا
 انْتَهَى إِذَا مَشَتْ جَاذِبَهَا رِدْفُهَا كَأَنَّمَا تَمْشِي إِلَيَّ خَلْفِهَا

آخر :

وَلَوْ أَدَى التَّطْوِيلُ سُقَّتْ زِيَادَةٌ لَهَا صَاحِبِ التَّفْكِيرِ يَخْشَى وَيَحْذَرُ

فهرس الجزء الخامس من موارد الظمان

رقم الصفحة	الموضوع
٧	فَصْلٌ في النميمة والأدلة على تحريمها.....
١٣	موعظة جليلة
١٦	الباعث على النميمة أمور متنوعة
٢٠	المدح من الآفات المهلكة
٢٥	موعظة ويليها قصيدة زهدية
٢٧	مِمَّا يتأكد اجتنابه في رمضان وغيره
٣٣	موعظة في التحذير عن المعاصي
٣٤	فَصْلٌ في تحريم الظلم والأدلة على ذَلِكَ
٣٥	أمثلة لآثاره ويليها موعظة
٣٨	قصيدة زهيدة فيها عبر ومواعظ
٤١	الأحاديث الواردة في التحذير من الظلم واتقاء دعوة المظلوم
٤٣	وأبيات في وصفها
٤٤	ذكر طرف من ما في صحف إبراهيم وموسى يليها موعظة بليغة في الحث على نصر المظلوم ، الظلم لا يختص بأرباب الوظائف
٤٥	موعظة بليغة في التحذير من الشر وأهله
٤٨	كلام نفيس لشيخ الإسلام حول الظلم والأمثلة الموضحة لذلك
٥٥	ذكر بعض الكبائر والتحذير من الظلمة وأعوانهم
٥٧	مشهد يوضح لك ما يكون أمامك بعد البعث.....
٦٢	قصيدة في التحذير من الظلم وأنه سيقبض من الظالم.....
٦٥	موعظة في التحذير من الظلم وسائر المعاصي
٦٦	فَصْلٌ في مشهد من مشاهد يوم القيامة عند نشر الصحف.....

- ٦٨ وبعدها أبيات فيها تمجيد لله وتضرع
- ٦٩ موعظة في الحث على التزود للآخرة وفيها عبر ومواعظ
- ٧٠ ويليه قصيدة زهدية في الحث على الاستعداد للموت وما بعده
- ٧٢ فصل في تحريم القتل وذكر آثار السيئة وعواقبه الوخيمة
- ٧٤ ما قاله العلماء حول جريمة القتل وبعده الأدلة على تحريم القتل
- ٧٦ أدلة على تحريم القتل وأنه لا توبة للقاتل عند أهل العلم
- ٧٩ ذكر من يرى أنه لا توبة للقاتل المؤمن عمداً أو عدواناً
- ٨١ جريمة قتل الإنسان نفسه والأدلة على ذلك
- ٨٣ موعظة فيالحث على طاعة المولى جل وعلا والحث على العمل
- ٨٥ فصل في التحذير من الزنا وبيان خطره وأضراره
- ٨٧ ما قاله العلماء في الزنا ومضاره وآثاره في الدنيا والآخرة
- ٨٩ قصيدة زهدية فيها مواعظ وعبر
- ٩٠ موعظة في الحث على التوبة من الذنوب
- ٩١ وبعدها أبيات تتضمن حكم وزهد وعبر
- ٩٣ أدلة على تحريم الزنا وبيان أعظم أنواع الزنا وعظم حق الجار
- ٩٦ موعظة في التحذير من الزنا وذكر مفسده
- ٩٨ من مضار الزنا وآثاره السيئة على الزاني
- ٩٨ والزانية والمجتمع
- ١٠٢ الزنا تختلف درجاته وما قال ابن القيم حول موضوع الزنا
- ١٠٤ كثرة الزنا من أشراط الساعة ، ما اختص به حد الزنا من بين سائر الحدود
- ١٠٦ ذكر بعض أسباب الزنا والحث على العفاف ويليه قصيدة زهدية في الحث على التزود للآخرة والاستعداد للموت

- ١٠٩ فاحشة اللواط وبيان قبحه ومخالفته لمقتضى الطبيعة
- ١١٠ آثار اللواط السيئة وذكر بعض مضاره ومفاسده
- ١١٢ والأدلة على تحريمه وخصال قوم لوط قبحهم الله
- ١١٣ ما قاله ابن القيم حول فاحشة اللواط
- ١١٦ موعظة في التحذير من اللواط والعياذ بالله
- ١١٨ ممَّا جرى لقوم لوط وما حاق بهم من العقوبة
- ١٢٠ التحذير عن النظر إلى الأورد والخلوة به وبعده أبيات حكم
- ١٢٢ موعظة لأبي الدرداء رضي الله عنه وبعدها ليس الغريب
- ١٢٦ فصل في التحذير عن تعاطي المسكرات وقبل ذلك مقدمة توطئه لذلك
-
- ١٢ وأدلة على تحريم تعاطي الخمر وجميع المسكرات
- ١٣٤ وجوب مقاطعة مجالس الخمر وشراؤها وتحريم بيع الخمر وإهدائها
- ١٣٨ موعظة في التحذير عن الخمر وبين ما ينشأ عن شربها
- ١٣٨ الخمر نجسة ، وما نبه عليه ابن القيم وما قاله شيخ الإسلام في الحشيشة
-
- ١٤٠ ذكر بعض مفسد الخمر وأضرارها وشؤمها ولؤمها وقبحها
- ١٤٤ نظم يتضمن ذم الخمر والتحذير عنها وحكمها
- ١٤٥ موعظة وبيان مفاتيح سعادة الإنسان ويليها قصيدة زهدية
- ١٥٠ في تحريم حلق اللحية وقصها وتنفها وإنه تشبه بالكفار
- ١٥٢ الأدلة على تحريم حلق اللحية وأن النبي ﷺ وأصحابه يعفونها
- ١٥٤ قال بعض العلماء : حلق اللحية صفة المخشثين من الرجال ، في اللحية خصال نافعة
-
- ١٥٥ حلق اللحية تشبه بالنساء والمراد والأفرنج وتمثيل بالشعر

- ١٥٦ حلق اللحية إذا أزيلت ولم تعد فيه دية كاملة وبعدها قصيدة
- ١٦١ موعظة بليغة
- ١٦٥ فَصْلٌ فِي صِيَانَةِ الْوَقْتِ
- ١٦٦ سماع الأغنية من المرأة الأجنبية
- ١٦٨ الغناء ينبت النفاق لأن له خواص لها تأثير في القلوب
- ١٧٠ أبيات من النونية تناسب الموضوع
- ١٧٢ موعظة بليغة ويليها قول بعض العارفين في السماع
- ١٧٥ تسمية الغناء بالصوت الأحمق وقرآن الشيطان
- ١٧٩ كلام نفيس لشيخ الإسلام ، الشرائع هي غذاء القلوب في قوتها
- ١٨١ من الأدلة على تحريم الغناء ، خمس عشرة خصلة إذا عملت حل البلاء
- ١٨٣ القلوب عند عرض الفتن عليها نوعان ، كلام شيخ الإسلام
- ١٨٤ على حديث عقبة ويليهِ قصيدة زهدية
- ١٨٧ موعظة بليغة لبعض العلماء على قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
- ١٨٨ فَصْلٌ فِي بَيَانِ تَحْرِيمِ الدِّخَانِ وَالْأَدْلَةُ عَلَى ذَلِكَ
- ١٩٠ ذكر بعض مضار الدخان - من الأدلة على تحريمه أيضًا
- ١٩٢ ذكر بعض آثار مضار الدخان
- ١٩٣ ما قاله الشيخ عبد الله بن محمد لما سئل عن الدخان رحمه الله
- ١٩٥ حد شارب الدخان أو زارعه أو من وجدت منه رائحته
- ١٩٦ وما قاله العلماء لما سئلوا عن حكمة الشيخ حمد بن معمر والشيخ عبد الله أبو بطين والشيخ خالد بن محمد من فقهاء المالكية
- ١٩٦ ما ذكره في تبصرة الإخوان فيما يتعلق بالدخان من الأضرار
- ١٩٩ الدخان لا يتشبث به غالبًا إلا وقت السفه وقلة المعرفة

- ٢٠١ إما إذا ميز وعقل وعلم مضاره الصحية والدينية والمالية والأخلاقية والاجتماعية فلا ويلي ذلك قصائد في ذم الدخان.....
- ٢٠٧ ما قاله الشيخ محمد الطريشي المالكي في الدخان.....
- ٢٠٨ فصل في تحريم التصوير والأدلة على تحريمه استعمالاً واقتناءً وبيعاً وشراءً وهبةً واتهاماً إذا كانت الصور لذوات الأرواح.....
- ٢١٣ الفوائد المأخوذة من الأحاديث المتقدمة في التصوير.....
- ٢١٨ قصيدة في الحث على قيام الليل والزهد في الدنيا والوصية بالتقوى...
- ٢١٩ موعظة بليغة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.....
- ٢٢١ فصل في تحريم الرشوة وبيان أضرارها ومفاسدها.....
- ٢٢٥ معنى الراشي والمرتشي والأدلة على تحريمها.....
- ٢٢٦ قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ.....
- ٢٢٨ موعظة بليغة في الحث على الورع وتجنب أكل الأموال بالباطل.....
- ٢٣١ حكم التأمين وصفة التأمين والأدلة على تحريمه.....
- ٢٣٢ التأمين على الحياة والمال إبطاله من وجوه عديدة.....
- ٢٣٧ التأمين على السيارات وحوادثها.....
- ٢٣٨ موعظة وبعدها قصيدة في الحث على الاستعداد للموت.....
- ٢٤١ فصل في التحذير من الغش.....
- ٢٤٤ الغش يدخل في أشياء كثيرة نذكر بعضها.....
- ٢٤٨ أبيات في الحث على التوبة والالتجاء إلى الله جلَّ وعَلا وتقدس.....
- ٢٤٩ أضرار انتفاص الحقوق بالبخس والتطفيف.....
- ٢٥٠ من أضرار الغش مسائل متعددة.....
- ٢٥٥ قصيدة زهدية ويليها موعظة بليغة وبعدها قصيدة.....
- ٢٦٠ اليمين الغموس والأدلة على تحريمها والحث على تجنبها.....

- ٢٦٣ تهاون النَّاسَ بِالْإِيْمَانِ وبالأخصَّ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْإِجَارَةِ.....
- ٢٤٦ قصيدة في الحث على تدبر القرآن.....
- ٢٦٥ موعظة بليغة في الحث على تَعْظِيمِ اللَّهِ والاستحياء منه.....
- ٢٦٧ أبيات في الحث على التزود للآخرة.....
- ٢٦٨ القذف والتحذير من فعله والأدلة على تحريمه.....
- ٢٧٠ اضرار القذف كثيرة ويليهها موعظة بليغة وبعدها قصيدة.....
- ٢٧٥ صريح القذف وما يترتب عَلَيْهِ ويحصل باللسان والإشارة.....
- ٢٧٦ من الاخرص ويلى ذَلِكَ شروط الكلام لمن أراد السلامة من الزلل
غالبًا.....
- ٢٧٨ موعظة في الحث على حفظ الوَقْتِ في الباقيات الصالحات.....
- ٢٨١ فَصْلٌ فِي ذِكْرِ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَنَّهَا ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ.....
- ٢٨٣ من عِلَامَاتِ السَّاعَةِ المتوسطة فشو التجارة وإعانة المرأة زوجها في
التجارة وأشياء أخرى وبعد ذَلِكَ قصيدة.....
- ٢٨٨ موعظة في الحث على الزهد في الدُّنْيَا والتزود للآخرة.....
- ٢٩١ ذكر قتال فتن تقع في آخر الزمان ويليهها قصيدة.....
- ٢٩٢ زهدية تُمَمِّمُ موعظة بليغة في الحث على التفتيش على النفس.....
- ٢٩٣ موعظة بليغة في ذكر الْجَنَّةِ وصفتها وما أعد الله لأهلها والحث على
طاعة الله عز وجل.....
- ٢٩٧ فَصْلٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْفِتَنِ.....
- ٢٩٧ وما يقع في آخر الزمان من الفتن والمنكرات.....
- ٣٠٣ خطبة في ذم الفتن لأحد الْعُلَمَاءِ رحمة الله عليه.....
- ٣٠٦ موعظة بليغة تتضمن الحث على التفتيش على النفس والسبب في نزع
البركة من الأموال والأعمار والأولاد والأعمال.....

- ٣٠٨ أعمال يزيد بن معاوية وعقبة المري الإجرامية الفظيعة في المَدِينَة المنورة وإباحتها للعسكر ثلاثاً نعوذ بالله من حالهما وأعمالهما الاجرامية.....
- ٣١٠ قَسْوَة الحجاج وتجريه على الله بانتهاك حرّمات المسلمين وعدم وقوفه على حدود الله وعدد من قتل ومن سجن فيما نقل.....
- ٣١٣ موعظة تتضمن بيان من هُوَ العارف بالله حقيقة.....
- ٣١٤ ذكر بعض علامات الساعة المتوسطة.....
- ٣١٦ قصر الصَّلَاة وإطالة الخطبة من أشرط الساعة.....
- ٣١٨ قصيدة زهدية ويلها موعظة في الحث على الزهد.....
- ٣٢٩ العلامة الثالثة من أشرط الساعة خروج الدجال وذكر صفته وإتباعه ومكته ومقتله.....
- ٣٣٢ وما يقع في آخر الزمان من الفتن والمنكرات.....
- ٣٣٥ خطبة عظيمة كُلَّهَا امثال وحكم للنبي ﷺ.....
- ٣٣٧ من علامات الساعة العظمى المسيح عيسى بن مريم.....
- ٣٣٩ من علامات الساعة العظمى خروج يأجوج ومأجوج.....
- ٣٤٠ من علامات الساعة العظمى هدم الكعبة شرفها الله والدخان.....
- ٣٤١ من علامات رفع القرآن من الصدور والسطور.....
- ٣٤٢ من علامات الساعة العظمى طلوع الشمس من مغربها.....
- ٣٤٤ كلام نفيس حول هذه العلامة.....
- ٣٤٧ من علامات الساعة خروج الدابة من الأرض.....
- ٣٤٨ من علامات الساعة خروج النار من قعر عدن.....
- ٣٥٠ من علامات الساعة الكبار مجموعة في ثمانية أبيات.....
- ٣٥٢ فصلٌ يحتوي على تخويف وتشويق وتزهيد في الفاني.....

- ٣٥٣ ويوضح لك مشهد من مشاهد القيامة.....
- ٣٥٧ نظم لابن القيم في الأرض تحدث وتشهد بما كان عمل عليها.....
- ٣٦٠ الميزان حقيقي نشر صحف الأعمال في جميع الأعمال.....
- ٣٦٣ فصلٌ في الحساب وأخذ الكتاب بالأَيان والشمائل.....
- ٣٦٦ قصيدة في علامات صحة القلب وطهارته من أدراَن الذنوب.....
- ٣٧٣ ذكر بعض المعاصي والذُّنوب التي قد تلبس بها أو ببعضها.....
- ٣٧٤ كثير من النَّاس ليبتعد عنها ويحذر عنها لأنها أرامض فتاكة.....
- ٣٧٦ الصراط وأحواله وعظم خطبه ودهشته وبعد موعظة.....
- ٣٧٨ قصيدة وعظية ثمَّ خطبة في أشرط الساعة.....
- ٣٩١ قصيدة رحلة ومصير تحتوي على عبر وتزهد ومواعظ.....
- ٣٩٦ نصيحة لهارون الرشيد.....
- ٣٩٩ رسالة الإمام مالك لهارون الرشيد.....
- ٤٢١ ألغاز بعدها أجوبتها.....
- ٤٢٨ الأعرابي وهارون الرشيد.....
- ٤٣٤ موعظة ويلها قصيدة وعظية.....
- ٤٣٦ موعظة ويلها قصيدة وعظية.....
- ٤٣٨ ميمة ابن القيم رحمه الله.....
- ٤٥٩ الشفاعة العظمى وما يتعلق بها وبعد قصيدته في مدح.....
- ٤٦١ رب العزة تبارك وتعالى.....
- ٤٦٢ فصلٌ في مجيء جهنم إلى الموقف آيات حول هذا الموضوع تكاد.....
- ٤٦٤ تتصدع لها القلوب جهنم لها عينان وذكر علماء السوء والمصورين...
- ٤٦٥ أول النَّاس يقضى بينهم وأول من تسعر بهم النار.....
- ٤٦٨ طعام أهل النار وشراهم وجوعهم وعطشهم وطلبهم.....

- ٤٦٩ شراهم غسلين وحميم والطعام ضريع زقوم.....
- ٤٧٠ الأدلة على ذلك سابقًا ولاحقًا وبعدها.....
- ٤٧١ قصيدة زهدية.....
- ٤٧٣ كسوة أهل النار فرشهم وأغطيتهم وألوان من العذاب وبعد.....
- ٤٧٩ ذلك قصيدة زهدية.....
- ٤٨٠ موعظة تتضمن التخويف من النار والحث ما يقرب إلى الله.....
- ٤٨٢ ذكر عدد أبواب النار وصفة أبوابها صفة ذهابهم.....
- ٤٨٤ إلى النار ، طبقات النار ، محاولة أهل النار للخروج منه.....
- ٤٨٦ وسؤالهم وجوابهم وبعد ذلك موعظة بليغة.....
- ٤٨٨ قصيدة زهدية فيها عبر ومواعظ.....
- ٤٩٠ حالة أهل النار فيها وهم بالعذاب وشدة حرارتها وبعد قمرها وما
تحتوي.....
- ٤٩٨ عليه وما قيل في جب الحزن وذكر تمني أهل النار وبعد ذلك قصيدة
- ٥٠١ فصل في الثناء على أهل الجنة وتحث على الأعمال.....
- ٥٠٣ الصالحة وبعدها موعظة بليغة في فصل يحتوي على.....
- ٥٠٣ ترغيب وترهيب.....
- ٥٠٤ ما يقال لأهل الجنة عند دخولهم لها وما يقولونه هم.....
- ٥٠٥ أبواب الجنة وهيأت أهلها وشراهم وما يطاف عليهِ به.....
- ٥٠٧ وما يطوف عليهِم وطعامهم ومقامهم.....
- ٥٠٩ أنهار الجنة وثمرات الجنة والجور التي فيها - كلام أهل الجنة أطيب
الكلام.....
- ٥١٢ زوجات أهل الجنة وسرورهم وفرحهم وأنسهم وأمنهم.....
- ٥١٣ وتزايد ما هم فيه من النعيم المُقيم وبعده نظم من النونية.....

- ٥١٨ حلي أهل الجنة ومساكنهم الفاخرة العالية.....
- ٥٢٠ ذبح الموت بين الجنة والنار في صورة كبش أملح.....
- ٥٢٠ لطف الله بعباده المؤمنين وتكريمه لهم وتأمينهم وتطمينهم عند الفزع والخوف والقلق وتكريمه عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبعده نظم من النونية.....
- ٥٢٤ المتقون هم الذين يورثهم الله الجنة آيات.....
- ٥٢٩ من القرآن تطير القلوب فرحًا وسُرورًا وتحثها على الاجتهاد.....
- في الطاعات رجاء أن يكونوا من أهلها يليها أحاديث في سن أهل الجنة وعرضهم وطولهم.....
- ٥٣٠ في بيان أدنى أهل الجنة منزلة وأعلامهم منزلة.....
- ٥٣٣
- ٥٣٤ غرف الجنة وما بين مصراعيها.....
- ٥٣٨ الكوثر وأبجر الجنة من ماء ولبن وعسل وخمر.....
- ٥٤٠ الحوض المورود صفته ، لونه ، طعمه ، موضعه ، من يردده.....
- ٥٤١ ومن يرد عنه ، عدد كيزانه ، الكوثر.....
- ٥٤٤ صفة أهل الجنة ونعيمهم.....
- ٥٤٦ يأكل أهل الجنة ولا مخاط ولا بول ولا غائط ولا قدر.....
- ٥٤٨ طير الجنة ، خدم أهل الجنة فاكهة أهل الجنة.....
- ٥٥١ ثياب أهل الجنة وحللهم صورهم خيامهم ونورهم.....
- ٥٥٣ قصيدة زهدية جامعة لكثير من أحوال يوم القيامة.....
- ٥٦٦ موعظة بليغة.....
- ٥٦٨ قصيدة زهدية وعظية.....
- ٥٧٠ فصل في وصف نساء أهل الجنة وما يحصل لهم عند اللقاء.....
- ٥٧٢ نظم لابن القيم في الحور العين.....

- ٥٧٥ من كلام ابن القيم فيما يتعلق بالجَنَّة وأهلها وهو كلام نفيس.....
- ٥٧٨ فصل في سماع أهل الجنة ويليهِ تنمة كلام له أيضًا في أهل الجنة.....
- ٥٨٥ قصيدة زهدية عظيمة لأبي العتاهية.....
- ٥٨٨ فَصْلٌ فِي نَظَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ.....
- ٥٩٠ موعظة بليغة في الحث على التزود للآخرة ويليها قصيدة فيها حكم..
- ٥٩٥ يوم الجُمُعَةِ يوم من أيام الرب عَظِيمٍ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي دَارِ
المزِيد.....
- ٥٩٩ السوق الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَنَظْمُ لَابِنِ الْقِيَمِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ
كلام نفيس جدًا.....
- ٦٠٣ خطبة للإمام علي بن أبي طالب.....
- ٦٠٥ قصة الذبيح إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَصِيدَةٍ.....
- ٦٠٨ خطبة في التحذير عن المعاصي ويليها موعظة.....
- ٦١٤ كلام لابن القيم ويليهِ قَصِيدَةٌ تُنَمِّى الدُّعَاءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ.....
- ٦٢٤ قصص ومواعظ رائعة ومطالب عالية.....
- ٦٣٩ فَصْلٌ كَانَ الْفُقَهَاءُ يَتَوَاصُونَ بَيْنَهُمْ بِثَلَاثِ.....
- ٦٤٥ قصيدة وعظية.....
- ٦٥٣ فَوَائِدُ عَظِيمَةِ النِّفْعِ.....
- ٦٥٤ خاتمة ، وصية ، نصيحة.....